الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قسنطينة 3
كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي والبصري
قسم: الصحافة
رقم التسجيل:
الرقم التسلسلي:

صورة إسرائيل في الفضائيات الإخبارية العربية

- دراسة تحليلية لقناتي الجزيرة والميادين-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم الإعلام والاتصال
تخصص: صحافة

من إعداد الطالب: لحسن رزاق
تحت إشراف الأستاذة: د. سامية عواج

لجنة المناقشة

أعضاء لجنة المناقشة	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د دليـــو فضيـــل	أستاذ التعليم العالي	جامعـــة قسنطينة 3	رئيسا
د عـــواج ساميـــة	أستاذ محاضر أ	جامعـــة سطيـــف 2	مشرفا ومقررا
أ.د بلطـــرش ليلـــى	أستاذ التعليم العالي	جامعـــة قسنطينة 3	عضو مناقش
د بودهـــان اليميـــن	أستاذ محاضر أ	جامعـــة سطيـــف 2	عضو مناقش
د بولودانـــي سهـــام	أستاذ محاضر أ	جامعة عنـــــابة	عضو مناقش

السنة الجامعية: 2016 - 2017

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الجزائر البيضاء التي جاهدت الإستعمار المتغطرس و قاومت الإرهاب المتعجرف.

إلى الوالدين العزيزين.

إلى الوفية زوجتي.

إلى من رافقتني مشاكستهما طيلة إعدادي لهذا العمل ولداي : مريم و عبدالمجيد ، راجيا من الله تعالى أن يكونا ذخرا لإسلام الأنبياء و جزائر الشهداء.

إلى فلسطين والأقصى الشريف...

أهدي هذا العمل.

لحسن بن عامر رزاق.

الشكر والعرفان

أتقدم بالشكر والإمتنان لجميع الذين تلقيت منهم التوجيه والدعم والإسناد

حتى يخرج هذا العمل المتواضع في أبهى صوره المنهجية والمعرفية والجمالية، وأخص منهم الأستاذة عواج سامية والأستاذ المحترم

حسين خريف،

دون أن أنسى أولئك الذين ثبتوا على مؤازرتهم لي في مسيرة " إقرأ "،

وهُم في هذا المقام من الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يُذكروا.

"و لله الحمـــد من قبـــل و مـــن بعـــد "

الفهارس

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
- الإهداء	
- الشكر	
- فهرس الموضوعات	
- فهرس الأشكال والجداول	
مقدمة.....	أ- ج
الفصل الأول: مشكلة الدراسة وإجراءاتها المنهجية	
أولا: مشكلة الدراسة.....	6
1- تحديد الإشكالية	6
2- أسباب اختيار الموضوع.....	8
3- أهمية الموضوع	9
4- أهداف الدراسة.....	10
5- تحديد المفاهيم.....	10
6- الدراسات السابقة	20
ثانيا: الإجراءات المنهجية.....	38
1- التفاعلية الرمزية كمنظور إرشادي:.....	39
2- المنهج	42
3- أدوات جمع البيانات.....	43
4- العينة.....	49
الفصل الثاني: الصورة والخطاب الإعلامي	
تمهيد.....	61
المبحث الأول: مفهوم الصورة ومقاربات دراستها.....	62
المطلب الأول: الصورة، تشعب المفهوم وجدلية المصطلح.....	62

الفهارس: ــــــــــــــــــــــــــــ

المطلب الثاني: خصائص وسمات الصورة 76

المطلب الثالث: الصورة في دراسات الاتصال.....82

المبحث الثاني: الخطاب الإعلامي 91

المطلب الأول: الخطاب: نظرة على المفهوم 91

المطلب الثاني: الخطاب الإعلامي كاختيار أيديولوجي 97

المطلب الثالث: الخطاب الإخباري وإنتاج تمثل الآخر.....105

الفصل الثالث: القنوات التلفزيونية الفضائية العربية.

تمهيد.....130

المبحث الأول: سياقات فهم الإتصال التلفزيوني الفضائي العربي. 131

المطلب الأول: نشأة وتطور الفضائيات العربية 131

المطلب الثاني: الفضائيات العربية والنظام الرسمي العربي.....141

المطلب الثالث: الفضائيات العربية والمسألة الطائفية 152

المبحث الثاني: صناعة الرأي العام في المنطقة العربية. 161

– **ثنائية الفضائيات الإخبارية والحراك الشعبي 2011 كإطار للتحليل.**

المطلب الأول: الفضاء العمومي العربي وجدلية السلطة الإتصالية والسلطة الإدارية.....161

المطلب الثاني: الفضائيات الإخبارية العربية.....175

المطلب الثالث: فضائيتا الجزيرة والميادين: نموذج للاستقطاب الطائفي الخفي...189

الفصل الرابع: المسألة اليهودية وإسرائيل.

تمهيد.....216

المبحث الأول: المحدّدات الكبرى لفهم المسألة اليهودية 217

المطلب الأول: التوراة والرابطة العصبية الإسرائيلية 217

لمطلب الثاني: اليهودية والحلولية وضياع الرابطة العصبية الإسرائيلية.....229

المطلب الثالث: الصهيونية ومحاولة استعادة الرابطة العصبية الإسرائيلية. 253

المبحث الثاني: إسرائيل: جدلية الدولة ونظام الإحتلال.....266
المطلب الأول: النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية.....266
المطلب الثاني: نظرية الأمن الإسرائيلية.....278
المطلب الثالث: الهجرة والإستيطان.....291

الفصل الخامس: الدراسة التحليلية .

- إسرائيل في عينة من البرامج الحوارية لقناتي الجزيرة والميادين الفضائيتين-

أولا: نسق المفاهيم وعلاقته بالإجراءات المنهجية (التحليلية) للدراسة 325
1- العينة 326
2- أداة جمع البيانات 332
ثانيا: توزيع فئات الشكل على عينة الدراسة 343
1- توزيع فئة الزمن على عينة الدراسة.....343
2- توزيع فئة الضيوف على عينة الدراسة.....346
3- توزيع فئة الإخراج الفني على عينة الدراسة.....349
ثالثا: توزيع فئات المضمون على عينة الدراسة.....351
1- توزيع فئة الموضوع على عينة الدراسة.....351
2- توزيع فئة اتجاه الموضوع على عينة الدراسة.....369
3- توزيع فئة القيم على عينة الدراسة.....379
4- توزيع فئة اتجاه القيم على عينة الدراسة.....381
5- توزيع فئة الفاعلين على عينة الدراسة.....383
6- توزيع فئة السّمات على عينة الدراسة 385
7- توزيع فئة المصدر على عينة الدراسة 387
8- توزيع فئة الإستمالات على عينة الدراسة 389

الفهارس: ـــــــــــــــــــــــــ

الإستنتاجات العامة: 391

خاتمة: 401

قائمة المصادر والمراجع.....403

الملاحق

الملخصات

فهرس الأشكال والجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
01	(شكل): النص كعملية تواصلية وإبداعية معقدة	94
01	مفردات العينة الخاضعة للتحليل في قناة الجزيرة الفضائية	328
02	مفردات العينة الخاضعة للتحليل في قناة الميادين الفضائية	329
03	الحجم الزمني لأنواع القضايا المطروحة للنقاش حول إسرائيل في قناة الجزيرة.	343
04	الحجم الزمني لأنواع القضايا المطروحة للنقاش حول إسرائيل في قناة الميادين.	345
05	الضيوف المنتدبون لنقاش المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.	346
06	الضيوف المنتدبون لنقاش المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.	348
07	اللقطات المستخدمة لمعالجة الشؤون الإسرائيلية في قناة الجزيرة	349
08	اللقطات المستخدمة لمعالجة الشؤون الإسرائيلية في قناة الميادين.	350
09	المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الجزيرة.	353
10	المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الجزيرة.	355

11	المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الجزيرة.	357
12	المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الميادين .	361
13	المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الميادين.	363
14	المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الميادين.	365
15	اتجاهات المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الجزيرة.	369
16	اتجاهات المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الجزيرة.	370
17	اتجاهات المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الجزيرة.	371
18	اتجاهات المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الميادين.	373
19	اتجاهات المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الميادين.	374
20	اتجاهات المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الميادين.	377
21	القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.	379
22	القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.	380
23	اتجاهات القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.	381

24	اتجاهات القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.	382
25	الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الجزيرة.	383
26	الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الميادين.	384
27	سمات الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الجزيرة.	385
28	سمات الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الميادين.	386
29	مصادر المعلومات عن إسرائيل في قناة الجزيرة.	387
30	مصادر المعلومات عن إسرائيل في قناة الميادين.	388
31	الإستمالات الإقناعية في خطاب الجزيرة عن إسرائيل.	389
32	الإستمالات الإقناعية في خطاب الميادين عن إسرائيل.	390

مقدمة

مقدمة.

تعرف المنطقة العربية تناميا ملفتا في عدد القنوات الفضائية بمختلف أغراضها، بما يجعلها عاملا حاسما في صناعة الوعي وفق اتجاهات محدّدة من منطلق أن الوسائط عموما هي إحدى آليات تصميم التغيير والسيطرة الأيديولوجية، بما تحمله من عوالم رمزية تعيد من خلالها بناء الواقع الاجتماعي. وبناء على هذا فإنه لا أقل من الاهتمام بالكثرة الوسائطية التي يعرفها المشهد الفضائي العربي، واستغلالها بفعالية فيما يخدم الأمن القومي العربي وازدهار الثقافة العربية والسير قدما نحو النهوض الحضاري، ولعل أبرز ما يعيق هذا جميعا ويعرقله ويحول دون إتمامه بالشكل العملي والجمالي المطلوب هو تحدّي الوجود الإسرائيلي في الإقليم العربي.

لقد فرض هذا الوجود على المنطقة العربية أن تعيش حالة مزمنة من عدم الاستقرار، نتيجة الحروب الدموية المتواصلة وأزمة ملايين من اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية، والآلاف من الأسرى الفلسطينيين وحتى من جنسيات عربية أخرى في السجون الإسرائيلية، ناهيك عن أراضي عربية محتلة منذ ما يقارب النصف قرن من الزمن، وفي خضم هذا جميعا تمتد الأذرع الإسرائيلية إلى شمال العراق وجنوب السودان، وإلى دول عربية أخرى وأفريقية، ترمي جميعا إلى تفكيك الإقليم العربي وتهديد أمنه القومي من الأساس، هذا التهديد الذي – لاشك– تضاعف مع موجة أحداث ما سمي بالربيع العربي، الذي يبدو أنه ضرب أسس الدولة الوطنية العربية الحديثة، وتكشفت نتائجه عن مشاريع جديدة لتفكيك الوطن العربي تحت مسميات عديدة لعل أبرزها المسمّى الطائفي، ستخدم بلا أدنى ريب ما يسمى دولة إسرائيل، هذه الأخيرة التي أصبحت أمرا واقعا مذ تم تأسيسها عام 1948 وتتالت وقائع تدافعها مع النظام الإقليمي العربي ومع قواه الشعبية إلى اليوم. هنا تحديداً في ظل ظروف استثنائية يعيشها الإقليم العربي، وفي سياق مناخ عولمي تتأكد فيه سطوة وقوة المعلومة المتدفقة عبر التكنولوجيا الحديثة للاتصال، يبرز دور الوساطة الإعلامية العربية في بناء صورة معبرّة عن حقيقة ما ، إزاء الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، بما يؤهل في ذات السياق العقل العربي على المستويين القيادي والجماهيري/ المجتمعي للتعامل مع الكيان الإسرائيلي بما هو كفيل بدفع ضرره عن العالم العربي والإسلامي.

مقدمـــة :

ودراستنا هذه هي محاولة للاقتراب من صورة إسرائيل التي ترسمها عينة من الفضائيات الإخبارية العربية ممثلة في قناتي الجزيرة والميادين، وقد تناولنا ذلك عبر مراحل متلاحقة، انطلاقا من الفصل الأول الذي حددّنا فيه إشكاليتنا البحثية وفي ضوئها أهداف دراستنا ومراميها والأسباب التي قادتنا إلى ذلك، مع تحديد المفاهيم الأساسية وعرض مجموعة الدراسات التي سبقتنا على نحو ما في هذا المضمار، ثم عمدنا إلى توضيح مختلف الإجراءات المنهجية، بداية من منظور الدراسة وقاعدتها الإرشادية، مروراً بالمنهج وأدوات جمع البيانات وصولا إلى طبيعة العينة. أما الفصل الثاني فقد كان البداية لتناول المشمولات النظرية لدراستنا، وفيه تطرقنا من خلال مبحثين إلى مفهومي الصورة والخطاب الإعلامي، حيث خصصنا المبحث الأول لموضوع الصورة في شكل مطالب شملت توضيح مفهومها فخصائصها وأخيراً مقاربات دارستها، والمبحث الثاني كان قوامه مطالب الخطاب والخطاب الإعلامي كاختيار أيديولوجي ثم الخطاب الإخباري من حيث هو إنتاج لتمثل الآخر.

وأما الفصل الثالث فكان إطاراً لتناول موضوع الفضائيات العربية عبر مبحثين، الأول منهما تطرقنا فيه إلى سياقات فهم الاتصال التلفزي الفضائي العربي، التي استخرجناها تباعا منطلقين من المطلب الأول المعنون بنشأة وتطور الفضائيات العربية، ثم المطلب الثاني أين ظهر أحد السياقات الأساسية فعنوناه بالفضائيات العربية والنظام الرسمي العربي، وانتهاء بالمطلب الثالث والأكثر خصوصية من حيث السياقات، فجاء بعنوان الفضائيات العربية والمسألة الطائفية. والمبحث الثاني جاء عطفا على الأول بعنوان صناعة الرأي العام في المنطقة العربية، مسترشدين فيه بتفاعلات الفضائيات الإخبارية العربية مع أحداث ما سمي بالربيع العربي ، وفي خضم ذلك وضّحنا عبر ثلاثة مطالب ، جدلية السلطة الإدارية والاتصالية في الفضاء العمومي العربي، ثم الفضائيات الإخبارية العربية، لنصل في النهاية إلى تقدير الموقف الإعلامي لفضائيتي الجزيرة والميادين الإخباريتين.

أما الفصل الرابع الذي يشكل نهاية عرض المشمولات النظرية للبحث، فقد جاء مخصصا للمتغيّر الإسرائيلي بعنوان المسألة اليهودية وإسرائيل، فمن خلال هذا العنوان تناولنا في المبحث الأول المحددّات الكبرى لفهم المسألة اليهودية، وهي حسب تقديرنا ثلاثة قمنا بعرضها في ثلاثة

مطالب على التوالي، التوراة فاليهودية والحلولية ثم الصهيونية، وجميعها مرتبط بقضية الرابطة العصبية الإسرائيلية.

والمبحث الثاني جاء في ضوء المحددّات المذكورة بعنوان إسرائيل: جدلية الدولة ونظام الاحتلال، وفي ثلاثة مطالب أيضا ثم التطرّق إلى النظام السياسي وأزماته البنيوية، وكذا إلى نظرية الأمن الإسرائيلية وأخيراً لموضوع الهجرة والاستيطان، وقد اعتبرنا هذا الثالوث في ضوء المحددّات الكبرى السابقة بمثابة الواقع الذي أردنا فحصه في خطاب فضائيتي الجزيرة والميادين، وعلى هذا الأساس بدأت نهاية البحث بالفصل الخامس الذي تضمن الدراسة التحليلية عبر ثلاثة مسارات، شمل الأول منها توضيح العلاقة بين نسق مفاهيم الدراسة (الفصول 2،3،4) والإجراءات المنهجية، وذلك على مستويي العينة وأداة جمع البيانات، أما الثاني والثالث فتوزيع فئات الشكل والمضمون التحليلية على عينة الدراسة، وأعقب ذلك الاستنتاجات العامة للبحث فالخاتمة ، ثم قائمة مصادر ومراجع الدراسة متبوعة بالملاحق.

الفصل الأول

مشكلة الدراسة

وإجراءاتها المنهجية

أولا: مشكلة الدراسة.

1- تحديد الإشكالية:

تعتبر الوساطة الإعلامية إحدى أبرز الآليات التي يحصل من خلالها الفرد على فهم ذاتي للحقيقة الموضوعية، سيما عبر الوظيفة الأكثر شيوعا لتلكم الوساطة وهي وظيفة مراقبة البيئة، التي أهلت الصحفي لأن يحتل موقعا استراتيجيا أعطاه القدرة على صياغة الواقع حسب ما رأى Réjis Debray، وتتموضع قدرة الصحفي على إنتاج هذا الواقع من خلال عملية الانتقاء المسؤولة في الأخير حسب Alex Mucchielli عن تنظيم عملية التمثل للعالم، التي تصبح متغيرا تابعا لطبيعة المعجم التوصيفي المستخدم من طرف الصحفي/القائم بالاتصال، وهذا المعجم ليس سوى مجموعة العلامات المنتقاة كيما يتم توجيهها إلى الجمهور في لحظة تاريخية معينة، وهي (أي العلامات) مادة الخطاب الإعلامي من حيث هو نسق تفاعلي قابل للقراءة والتأويل، ومباحثة هذا الخطاب تفضي إلى دراسة مشكلة إنتاج المعنى فيه، وهذا الأخير ليس سوى التصور الذي تقدمه وسائل الإعلام كعوالم رمزية لشتى تجليات الواقع، والمرتجى من ذلك هو تأدية أغراض عدة قد تكون:

1- عكس ذلك الواقع.
2- خدمة طموح يتوخى تغيير الواقع.
3- إخفاء التغييرات الحاصلة في الواقع[1].

وهذه الأغراض – كما هو مفهوم- لا تخرج بأي حال عن فكرة الإلزام العقلي للاتصال[2]، من منطلق أن المنظومة العقلية هي أصل الرموز، والفرد يتفاعل مع محتويات وسائل الاتصال من خلال رمزية اللغة أو الصورة أو الفيديو مثلما يذهب إليه عزي عبد الرحمان، إلا أن فعالية الرموز على مستوى الخطاب الإعلامي متفاوتة، والمتحكم الأساسي في ذلك هو ما يمكن تسميته بالكثرة الوسائطية التي لاشك لها فعلها في تحديد مسارات التخاطب الإعلامي، وهو ما يقتضي ضرورة النظر في طبيعة الوسيط كنظام تقني. ولعل طرحا كهذا يجعلنا نمر غير بعيدين عن حدود الفكر الماكلوهاني الممجد للتكنولوجيا، إلا أن غايتنا المركزية هي التأكيد على الخصوصية التكنولوجية

للوسيط الإعلامي في تلقي الرسالة الإعلامية من طرف الجمهور المستهدف، ومن ثم قدرة استيعابها وحجم العائد من السيرورة الاتصالية الذي يتجلى على المستويات المعرفية (الفكرية) والوجدانية والسلوكية، ومثال ذلك التلفزيون الفضائي الذي أضحى يمثل أهم وسيط تتم عبره عملية تشكيل الرأي العام، بفضل ما يتوافر لديه من عوامل البلاغة الإلكترونية والفورية وكذا المتابعة في التغطية الإخبارية بالإضافة إلى مغريات الجانب الترفيهي فيه، وهو تبعا لذلك يأتي في مقدمة الوسائط التقليدية والجديدة، التي يدين المجتمع الإعلامي الجديد لها في إشباع حاجاته الإعلامية والاتصالية، وليست البلاد العربية بمنأى عن هذا الوضع، فهي على غرار العديد من الأقطار الأخرى تعرف رواجا ملحوظا لشتى أنواع تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التي تأخذ توجهات استخداماتية متباينة، وعلى رأسها طبعا يأتي التلفزيون الفضائي، فقد شهدنا في السنوات القليلة الماضية تكاثرا ملفتا يرقى لأن ننعته بالانفجار في مجال البث التلفزيوني الفضائي العربي، حيث بات عدد القنوات الفضائية العربية يربو عن 1200 قناة[3]، تتنوع بين قنوات حكومية وأخرى خاصة وبين قنوات عامة(جامعة) وأخرى متخصصة ومنها المشفر والمفتوح، وربما يحمل هذا التزايد المتسارع في مشاريع إطلاق المحطات التلفزيونية الفضائية على المستوى العربي، دلالة ضمنية على نوع من التنافس بين أطراف بعينها لشغل حيز من الفضاء العمومي العربي، خاصة من خلال الفضائيات الإخبارية التي لها اليد الطولى في تكوين ثم ترسيخ قناعات محددة، عبر بث تصورات معينة لجملة من التحديات التي تواجه الكينونة العربية، ولعل أهم تحدي يواجه تلكم الأخيرة في وجودها الجغرافي والثقافي هو التحدي الإسرائيلي، الذي برز إلى الوجود مباشرة بعد نجاح الحركة الصهيونية في إقامة ما أسمته بدولة إسرائيل، على أرض فلسطين التاريخية من منطلق أن هذه الأخيرة هي أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وقد كان ذلك النجاح جزئيا إذ أن أصحاب المشروع الصهيوني لم يخفوا طموحاتهم التوسعية على حساب المنطقة العربية، وهو ما حدا بالدولة الوليدة المسماة إسرائيل إلى التمدد فيما بعد لتحتل الضفة الغربية لنهر الأردن وهضبة الجولان السوري وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء المصرية، ثم فيما بعد جنوب لبنان ومزارع شبعا وليست هذه السلوكات بمستغربة، طالما أن لها سندا في المنطلقات الفكرية والعقائدية للصهيونية.

لقد دعانا حجم هذا التحدي – بعد النظر في الانتشار السريع للفضائيات العربية سيما الإخبارية منها – إلى تفحص طبيعة الاستجابة التي تبديها السيرورة الإعلامية للقنوات الفضائية الإخبارية العربية لتحد من ذلك الحجم، علما أن القنوات النى نعنيها قد أخذت على عاتقها مهمة تكوين رأي عام عربي واع ومستنير، ولعل الخطاب الإعلامي لبعضها كان – على الأرجح– من بين أهم المسببات التي ساهمت في انطلاقة حراك شعبي عربي، بدأ من تونس ثم سرعان ما تحول إلى واقع إقليمي بائس تعاظم له ولا ريب التحدي الإسرائيلي، وهو الأمر الذي دفعنا إلى طرح التساؤل المركزي الآتي:

كيف رسم الخطاب الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية صورة إسرائيل ووجه الاهتمام بها، في سياق الصراع السياسي الناشئ عن الحراك العربي الذي ابتدأ مطلع سنة 2011؟

وضمن هذا التساؤل نود الإجابة عن جملة التساؤلات الآتية:

1- ما هي مختلف الأطروحات التي تتشكل منها صورة إسرائيل في الخطاب الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية؟ وما محور هذه الأطروحات؟

2- ما هو الاتجاه الذي أخذته معالجة الفضائيات الإخبارية العربية للمواضيع والقضايا التي تشكل بؤرة صورة إسرائيل في خطاب هذه الفضائيات؟

3- ما هي الإستراتيجيات الإقناعية المعتمدة في القرار الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية حين صوغه لصورة إسرائيل؟

2-أسباب اختيار الموضوع:

إن هناك جملة من الأسباب التي دفعتنا قدما إلى تبني هذا الموضوع للدراسة والمباحثة، منها ما هو شخصي (ذاتي) ومنها ما هو موضوعي.

الأسباب الذاتية:

1- يدخل البحث والتنقيب في الشأن الصهيوني سيما من خلال تمظهره الإعلامي ضمن دائرة الاهتمامات الشخصية للباحث، ولعل ذلك خطوة مهمة على صعيد التخصص في ذلك الشأن في المستقبل القريب.

2- القناعة الشخصية بضرورة تكثيف البحث العلمي الجاد والرصين لاسيما منه ما يرتبط بالقضايا والمتغيرات الحساسة التي تمس سلامة واستقرار المنطقة العربية.

الأسباب الموضوعية:

1- الانتشار السريع والكثيف للفضائيات العربية، مما يلح على النظر في أدائها الوظيفي على مستوى البناء الإقليمي للمنظومة العربية، خاصة إزاء ما تواجهه هذه الأخيرة من تحديات.

2- تميز التجربة العربية على مستوى الإعلام الفضائي الإخباري وكذا جدليتها خاصة ما يتعلق بالمسار الإعلامي لقناة الجزيرة.

3- تعاظم التحدي الإسرائيلي في ظل عجز واضح للنظام الإقليمي العربي وللحالتين تمظهر إعلامي يمليه في النهاية تموضع أيديولوجي معين.

4- جدلية الظهور الإعلامي (المبني على دعوة) للعديد من الشخصيات الإسرائيلية على شاشة فضائية الجزيرة على سبيل الحصر.

3- أهمية الموضوع:

يمكننا توضيح أهمية هذا الموضوع من خلال مجموعة النقاط التالية:

1- تنبع أهمية هذا الموضوع من مجموعة المتغيرات التي يعالجها والمنتمية إلى أنساق معرفية متباينة، اجتمعت بفضل الخاصية التي يمتاز بها حقل علوم الإعلام والاتصال كونه عابرا للتخصصات، يضاف إلى ذلك الفائدة التي يقدمها البعد الميداني للدراسة حين تجتمع تلكم المتغيرات ضمن نظام معرفي موحد وموجه توجيها منهجيا دقيقا، بغية ضمان أعلى مستوى من السلامة والصحة فيما يتعلق بالنتائج والأهداف المرجو تحقيقها.

2- تعرف مجتمعاتنا العربية تراجعا ملحوظا لدور المؤسسات الوسيطة التي كانت لها فيما مضى اليد الطولى في تشكيل رؤية وقرارات المواطن (الفرد) العربي، وقد جاء ذاك التراجع في صالح توسط وسائل الإعلام التي باتت بفضل تغول تكنولوجيا الاتصال المحدد الرئيسي لكثير من معتقدات وأفكار وكذا سلوكات وحتى عواطف الجمهور العربي، إن هذا الوضع الجديد يحيلنا رأسا إلى أهمية المضامين التي ترسلها تلكم الوسائل، وضرورة التدقيق بها عبر آليات

المساءلة العلمية التي ستكشف –ولا ريب– عن الفضاء الأيديولوجي الذي ينطلق منه القائم بالاتصال.

3- تتزايد أهمية المضامين الإعلامية وضرورة النظر العلمي بها حين تتعقد آليات الوساطة ويزدهر بعدها الجمالي، وحين يرتفع مستوى حساسية الموضوع المطروح للنقاش العمومي، وكذلكم الحال بالنسبة لعلاقة الإعلام الفضائي الإخباري العربي بالأحداث والقضايا التي أفرزها الوجود الإسرائيلي في قلب المنطقة العربية.

4- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الاقتراب من الحقيقة السياسية والاجتماعية والثقافية لإسرائيل عبر ما تعرضه عينة من الفضائيات الإخبارية العربية وذلك من خلال:

* المكون المعرفي: الذي يبرز أطروحات الخطاب الإعلامي لتلكم العينة عما يسمى بدولة إسرائيل، حيث تمثل المفاهيم والمعاني التي ينشؤها ذاك الخطاب من خلال مجموعة من العلامات المتشابكة بؤرة الصورة المراد دراستها.
* المكون الوجداني: ومن خلاله ننفذ إلى معرفة اتجاه المعالجة الإعلامية للشؤون الخاصة بإسرائيل في عينة الفضائيات الإخبارية العربية المدروسة، من خلال رموز محتوى الرسالة الإعلامية و حمولتها النفسية والعاطفية سلبا و إيجابا وحيادا.
* المكون السلوكي: ويشمل دراسة استراتيجيات محتوى الرسالة الإعلامية الرامية إلى صوغ صورة ما لإسرائيل، الأمر الذي يسهل النفوذ إلى التموضع الأيديولوجي للقائم بالاتصال من جهة، ومن الجهة المقابلة التخمين حول التموقع المطلوب من متلقي الرسالة الإعلامية.

5- تحديد المفاهيم:

هناك مجموعة من المفاهيم ترتب على الباحث تقديم تعريفات محددة لها في إطار هذه الدراسة، وهي تأتي من قبيل المفاهيم المفتاحية وتأتي أيضا بهدف الحصول على بعض التعاريف الأكثر إجرائية، وعلى هذا الأساس قمنا بتقديم التعاريف اعتمادا على التحليل الإيتيمولوجي، الذي

يمنح – في تقديرنا– شرعية استخدام المصطلح وإن تباينت ميادين هذا الاستخدام، ثم بعد ذلك عرض المصطلح كما ورد في عديد الأدبيات وذلك بهدف تفحصه فتمحيصه أكثر، بغية الوصول إلى التعريف ذي المقدرة التوصيفية الأعلى، لأن الطريق بعد ذلك إلى التعريف الإجرائي تصبح أكثر سهولة ويسرا، وأول المفاهيم التي نتناولها بالتعريف هو مفهوم الواقع.

* **تعريف الواقع:**

لفظة الواقع في اللسان العربي مصدرها الفعل الثلاثي وقع، واشتقاقاته: يقع وقعا ووقوعا بمعنى سقط ، ومواقع الغيث مساقطه[4]، ووقع الحق ثبت والواقع الحاصل والوقائع: الأحوال والأحداث[5]، ووقع الأمر: تم وحدث[6].

وبذا تصبح دلالة الواقع في اللسان العربي كل ما هو ثابت وحاصل فعلا، ويدخل في ذلك ما كان في حكم الحاصل أو ما كان حصوله حتميا مثلما ورد في القرآن الكريم في مطلع سورة الواقعة.

أما في اللسان الأجنبي لاسيما الفرنسي منه فإن الأمر يختلف إلى حد ما، ونعتقد بدورنا أن القضية متعلقة بإشكالية الترجمة، فإذا كنا سنعتمد لفظة Réalité وما يرتبط بها من اشتقاقات فإن الواقع على هذه الحال يدل على ما ينتمي إلى الشيء أو إلى الموضوع، وهو مصداق لفظة Réel في الفرنسية التي لا نشك أن مقابلها في العربية هو حقيقي أو ملموس رغم ترجمتها أحيانا إلى ما هو واقعي، والأصح في تقديرنا أن لفظة الواقع في العربية يقابلها Le vécu في الفرنسية وهي التجربة المعيشة، والخطأ كما أسلفنا لا يقع في مفردات اللغة بل هو حاصل في ترجمتها، لأن الانتقال بين اللغات إنما هو انتقال بين الثقافات، وعلى هذا النحو والأساس فإنه سيكون في مقدورنا أن ننعت ما اصطلح على تسميته بالواقعية في العالم الغربي، لاسيما منذ بداية النصف الثاني من القرن 19 بالملموسية[7]، رغم إمكانية التداخل الدلالي بين اللفظتين، وذلك ناتج أساسا عن إشكالية العلاقة بين الحقيقة والواقع بمعنى بين ما هو حقيقي وما هو واقعي. لقد جاء ظهور النزعة الواقعية في الغرب في سياق الإنعتاق من المفاهيم الكنسية – اللاهوتية، والاتجاه بخطى حثيثة نحو التمركز حول عالم الأشياء تحت تأثير الثورة الصناعية، التي تكرست بدورها كثمرة من ثمرات الاحتكام إلى العلم وحده، فبرز في مبتدأ الأمر الواقعية في علم الجمال التي اعتبرت الفن موهبة تعيد خلق

الواقع بشكل أمين جدا، وكان في بروزها نوع من الاحتجاج على مذهب الرومانسية المفرط في الخيال والأوهام حسب أصحابها، وكانت هناك أيضا الواقعية السياسية وهي تترجم بالحسابات الدقيقة للواقع وتربط النتائج بالمقدمات فتحسب سلفا نتائج أية خطوة وتقدر نتائجها، دون انفعال أو إدخال للتمنيات في هذه الحسابات وتتخذها في ضوء الإمكانات المتاحة، وهذا لا يعني انتفاء الأهداف أو المبادئ ، وتنقسم إلى واقعية نضالية (إصلاحية) وأخرى انهزامية[8]. وعلى صعيد آخر مرتبط بما هو واقعي، فإن نقاشا أثير في إطار عالم الفيزياء الكمية حول وضعية الواقع وكان السؤال: هل تقدم لنا الفيزياء وصفا للواقع أم مجرد ظواهر نلاحظها[9]، وقد أفرز لنا هذا النقاش تيارين متعارضين:

أ- **واقعيون:** انقسموا بدورهم إلى واقعيين بسطاء يسلمون أن إدراكنا العادي للواقع متوافق معه، وواقعيون علميون يؤكدون وجود واقع متوافق مع قوانين الفيزياء حتى وإن اختلفت رؤانا العادية له عن ذلك، وواقعية مقنعة ترى أن الواقع موجود لكنه يخفى على طبيعتنا الحالية، وواقعية ظاهرتية ترى أن قوانين الفيزياء خاطئة لأنها تعمم الجزئي، في حين أن الصحيح هو ما نعانيه ونجربه[10]، وربما هذه الواقعية الظاهرتية هي التي دعت عبد الرحمان عزي إلى تقديم الواقع على أساس أنه " ما لا يمكن التعبير عنه إلا من خلال معايشته، وهو في جوهره معنوي رغم أنه يمكن أن يظهر بصفة جزئية في المجسد"[11]، رغم محاولته إدخال العنصر المعنوي كيما يضيف بعدا جديدا لمفهوم الواقع.

ب- **المناهضون للواقعية:** الذين انقسموا أيضا إلى وضعيين فضلوا عدم الاهتمام بالواقع النهائي لاستحالة ذلك في ظنهم، وأداتيين رأوا حتمية الاكتفاء بنتائج التجارب فقط، وإلى ذرائعيين ذهبوا إلى عدم تصديق النظريات لأنها – في رأيهم- غير متجانسة مع الواقع، ثم إلى مثاليين رأوا أن كل شيء ليس سوى تمثلا [12].

وبقطع النظر عن تبعات النقاش الذي أثير ضمن هذا الإطار، فإننا نعتبر ما يتم دراسته في عالم الفيزياء جزءا أصيلا من الواقع، وهو ما يشار إليه في بعض الأدبيات بالواقع الموضوعي أو الطبيعي، وهو ألصق ما يكون بالدعامة الترابية (المادية) للحياة، يضاف إلى ذلك كل أشكال التأثير

والتأثر الناتجة عن علاقة الإنسان (كجزء من الواقع) بذاك الواقع الموضوعي، وكذا علاقة الإنسان بأخيه الإنسان (واقع إجتماعي) وأثر هذه العلاقة على عالم الطبيعة والحياة.

إن سيرورة تلكم العلاقات المتنوعة التي لها ميزة الحضور الزمني هي المسؤولة عن تشكيل الواقع، وهي المسؤولة عن السمة الأساسية لذاك الواقع من حيث كونه معقد التركيب لاسيما على مستوى الظواهر المتصلة بحياة الإنسان، هذا الأخير الذي قد لا تتوافر لديه الإمكانيات الترابية (المادية) والزمنية لإعمال وعيه على بعض ما يقع فعلا ضمن الإطار الزمني – الترابي. وبذا يصبح الواقع هو: كل ما يلج ضمن دائرة الحضور الزمني غير المشروط بوعي الإنسان ويتخذ من التراب دعامة أساسية له. بمعنى أن كل ما يتشكل ضمن ثنائية الزمن – التراب ولا يخرج عن مجالها، يعتبر في منظورنا واقعا سواء تعلق الأمر بـــ: فكرة، خاطرة، كابوس، حرب، مؤسسة، زلزال، أنانية... ولو لم تطله مصفاة الوعي الإنساني، فالحاصل أنه حصل وانتهى.

وبناء على ما سبق يمسي واقع إسرائيل أو إسرائيل كواقع هو كل ما يتموضع ضمن ثنائية الدولة – المجتمع، وما ينجر عن هذه الثنائية من ارتباطات على صعيد:

- عالم الأفكار والمعاني والتقاليد المعايشة.
- عالم الأشخاص.
- عالم الأشياء والمؤسسات.

وعلاقة كل هذه العوالم ككتلة مع المحيط الخارجي لما يمكن أن نسميه بـــ: الكينونة الإسرائيلية.

* **تعريف الرمز:**

لقد أدهشنا حيال هذه المفردة ما قاله عالم متبحر بعلم الإشارات مثل أمبرتو إيكو حين عبر عن حيرته تجاه هذه الكلمة، وقد قال: "الرمز كلمة أنصح طلابي باستعمالها دائما ولكن بحذر، مع وجوب الإشارة إلى السياق الذي توضع فيه، بهدف معرفة المعنى الذي تأخذه الكلمة هناك لا في أي مكان آخر، وبالواقع فأنا نفسي لا أعرف ما هو الرمز"[13]، وقد دعانا هذا القول إلى القبول ولو مبدئيا بما مفاده أن هذه المفردة على درجة عالية من الغموض، ومهمتنا تقتضي أن ينجلي هذا

الغموض في حدود الحقل العلمي الذي ننشط ضمنه، وهو ما سينعكس تلقائيا على حدود الدراسة التي بين أيدينا.

إن الاقتراب من المفردة لغويا يأخذنا إلى الفعل الثلاثي رمز ومعناه أومأ وأشار، وفي القرآن الكريم « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا»، ورمز إلى الشيء بكذا دل به عليه والرمز الإيماء والإشارة وكذلك العلامة، وفي علم البيان الكناية الخفية[14]، ورمز هو علامة تدل على معنى له وجود قائم بذاته فتمثله وتحل محله[15]. وبذا يتضح أن لفظة الرمز قاموسيا تحمل معاني الإيماء والإشارة وحتى الإيحاء ولها معنى مركزي آخر تفيده وهو الإحلال، لكنه الإحلال الذي يقتضي التبادل. ولعله من هذا المنطلق تم تعريفه على أنه: " الموضوع أو التعبير أو النشاط الاستجابي الذي يحل محل غيره ويصبح بديلا ممثلا له، وهو أيضا علامة اصطلاحية تستخدم باضطراد لتمثل مجموعة من الأشياء أو نوعا من العلاقات"[16]، وقد أفادنا هذا التعريف في إضافة مؤشر جديد للرمز ألا وهو المؤشر الاصطلاحي، فالرمز يقيم مع ما يمثل علاقة اصطلاحية، وتساوقا مع هذا الطرح والذي قبله عرفه محمد منير حجاب بأنه:" كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريقة المطابقة التامة وإنما بالإيماء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى شيئا ملموسا يحل محل المجرد مثل الرجل الهرم كرمز للشتاء"[17]، وربما قياسا على هذا الطرح نشأ تيار الرمزية في فرنسا مع نهاية القرن 19م، حيث دافع عن رؤية شعرية للعالم يعقد فيها الإنسان علاقة مع الطبيعة، حين يثير كل لون أو رائحة أو غرض مواضيع أخرى[18]. إن حقيقة هذا التيار تنبؤنا بإحدى أوجه استخدامات الإنسان لما يسمى بالأيقونة الرمزية، التي أقر تشارلز ساندرز بيرس (1839–1914)، بأن العلاقة بينها وبين موضوعها لا تستند إلى التشابه ولا إلى التجاوز بل إلى العرف الاجتماعي، الذي هو قاعدة وقانون في الآن نفسه، وقد أقر بيرس تبعا لذلك بأن الرمز يفقد طابعه الإشاري (الدلالي) إذا لم يكن هناك مفسر، وفي هذا دلالة على البعد الوجودي للرمز الكامن أساسا في عملية التفاعل. وهكذا نكون قد وصلنا إلى المسوغ الذي من أجله جعلت الرموز التي تحقق لدينا لحد الآن أنها:

- من حيث المبدأ: إشارات وإيماءات وإيحاءات.

- وهي بناء على ذلك: إحلالات تبادلية يحكمها توافق مسبق استقر لدى بيرس بالعرف الاجتماعي، الأمر الذي يثبت أن التفاعل هو منتهى البعد الوجودي للرموز.

وإذا شئنا أن نتوغل أكثر في ثنايا البعد الوجودي للرموز، قلنا أن الترميز[19] خاصية إنسانية، عمد إليها الإنسان بهدف السيطرة على واقعه، مستندا في ذلك إلى قواعد عرفية تتفاوت درجة احتكامها إلى المنطق والاستدلال العقلي، ذلك أن العلاقة بين الرمز ومدلوله لا يمكن اعتبارها إعتباطية في المطلق وهو ما ذهب إليه فردناند دوسوسير. وبهذا التوصيف تصير الرموز أداة حاسمة في تنظيم الحياة الإنسانية، إذ تجعلها عامة ومشتركة، وتلكم هي فكرة الاتصال من أساسها، وهي تحيلنا أيضا إلى فكرة مجال الخبرة المشترك في الاتصال لولبر شرام.

إن النظر إلى الرمز كأداة يجعلنا نتقبل التفكير فيه كوسيط، وهو يعرف فعلا على أنه: " إحدى الوسائط الإشارية التي يستخدمها الإنسان في عملية خلق الثقافة وفي معرفة العالم الموضوعي وهو يمثل الشيء ويعبر عن المغزى المعمم ولا يمت شكله بصلة إلى المضمون الذي يرمز إليه"[20].

فالعالم الرمزي إذن هو وسيط بين الإنسان وواقعه " فبدل أن يدخل الإنسان في علاقة مباشرة مع الأشياء نفسها، غلف نفسه برموز لسانية وفنية وأسطورية وغيرها، حتى صار متعذرا عليه أن يرى أي شيء أو يتعرف عليه دون تدخل هذا الوسيط الاصطناعي"[21]. وعلى هذا الأساس فالرمز هو إحدى أهم الآليات التي يتم عبرها إنتاج المعنى، لكن هذا الإنتاج يتم على نحو تقني بمعنى أن محدوديته الإشارية معتبرة، وذلك في تقديرنا هو الفيصل بينه وبين العلامة كمفهوم سيميائي. ومنه فإننا نصل إلى قناعة بأن الرمز هو:

إحدى الوسائط الإشارية، ابتكرها الإنسان كيما يستخدمها في معرفة وتكوين وتغيير الواقع.

والملاحظ أن هذا التعريف يحيل إلى جملة المؤشرات الآتية:

- الإحلال المفضي إلى التبادل الذي يقتضي التمثيل الذي لا يشترط فيه المطابقة الكلية، طالما أنه من ابتكار الإنسان، وهذا الإبتكار يجعل الرمز خاضعا للعرف الاجتماعي (التواطؤ) ثم مؤطرا للتجربة الاجتماعية و منتجا لها.

وبذا يمسي الإعلام الفضائي (العربي) كعالم رمزي يتفاعل معه المشاهد العربي (خصوصا) مجموعة من الرموز المستمدة من:

- الحقل اللغوي (اللساني).
- الحقل الفني(مؤثرات موسيقية ، رسومات ، صور..).

دون إغفال تأثير العقل التقني (النزعة الماكلوهانية)، التي تتآلف جميعا كيما تقدم لنا توصيفا (معرفة) معينا لواقع إسرائيل.

* **تعريف العلامة:**

تعتبر العلامات إحدى أبرز الآليات التي ينقل عبرها المعنى والمعاني، وهي لذلك محط اهتمامنا بل ولها في دراستنا مكانة مميزة، وهذه المكانة اقتضت منا أن نجتهد في تقديم تعريف للعلامة ينطلق من خصوصية الحقل المعرفي الذي انبثقت عنه ليصل إلى ما يخدم أهدافنا البحثية المؤطرة بدورها بالحقل المعرفي لعلوم الإعلام والاتصال، وأول خطوة على هذا الصعيد هي الاقتراب من العلامة كمفردة قاموسيا، إذ هي " مفرد علامات: سمة أو أمارة أو شعار تعرف به الأشياء، وهي أيضا أثر، قرينة "[22].

كما ورد ذكرها في المعجم الوسيط بمعنى " ما ينصب في الطريق فيهتدى به، والعلامة الفصل بين الأرضين وفي الطب ما يكشفه الطبيب الفاحص من دلالات المرض"[23].

إن الأصل الاشتقاقي للمفردة سواء في المصادر العربية أو الأجنبية (signe) يحيل مباشرة إلى الأثر أو بشكل أوضح الدليل الذي يهتدى به، و يتساوق هذا المعنى مع ما ورد في المعجم الفلسفي لمراد وهبة في كون " ثمة وسائل عدة لتعريف المجهول مثل الحد والرسم والاسم.. والعلامة كالاسم ليست تعريفا للمجهول، بل تنبيه وإخطار"[24]، أما محمد منير حجاب فيذهب إلى أنها " كل أنواع الرموز التي تنقل معنى، أو ما تحول إلى رمز له معنى بالنسبة للعقل الإنساني، بفضل مجهود هذا العقل نفسه، ومن جانب آخر فإن كل ما يكتسب وضع الرمز يصبح نوعا من اللغة بالمعنى الواسع لهذه الكلمة"[25]. ويلاحظ على هذا التعريف تكريسه الواضح للخلط بين كل من الرمز والعلامة، ذلك أن الفرق بينهما وارد لاسيما إذا علمنا أن العلامة كوسيط إشاري تتطلب ما يمكننا

تسميته بالمجهود التأويلي لاستحصال المعنى منها، فهي " تشير إلى فئة واسعة من المواضيع أو الأحداث أو الإشارات التي تستخدم أو تؤول لتنقل معنى ما"[26].

إن فكرة الاستخدام ستعيننا لاستجلاء كثير من المعطيات حول مفهوم العلامة لاسيما حين التخلص من المرجعية اللسانية له، التي تعتبر مسؤولة في تقديرنا عن الخلط الحاصل بين المفهوم محل انشغالنا وغيره من المفاهيم المرتبطة بعلم الدلالة.

إن الاستخدام مرده إلى التجربة الإنسانية العادية، وذلك مرتبط في اعتقادنا بمنظور التفاعلية الرمزية، أين يمكن استحصال المعنى من الموقف الميداني، ولهذا الطرح علاقة مباشرة بالتصور الفينومينولوجي الذي اصطلح بيرس على تسميته بالفانيروسكوبي Phanéroscopie من خلال رسائله إلى لايدي ويلبي[27]. لقد قابل بيرس بين العلامة/النموذج والعلامة/التوارد ووفق تعبير آخر بين العلامة/القانون legisign والعلامة/المفردة sinsign[28]، وهو ما يشير بالعودة إلى التصور الفينومينولوجي إلى العلامة نفسها والاستعمال الفردي لها، ونعتقد والحال هذه أنه في إمكاننا التفكير في مسألة العلامة بقطع النظر عن جوهرها، بمعنى إن كان لسانيا أو غير ذلك. " إن فهم منطوق ما أو وضعية تعبيرية معينة، لا يقتضي فقط إحالتها إلى المعجم أو القواعد النحوية، بل لابد من تعبئة المعارف المتنوعة والسعي إلى إقامة فرضيات، والتفكير بعقلانية والنظر في السياق الذي يستبعد المعاني الجاهزة"[29]، وهذا تحديدا هو السياق الذي تنتعش ضمنه العلامة بوصفها علاقة استحضارية غاية في الكثافة، وهذه الكثافة هي ما يتطلب التأويل وهي منبت الفرق بين العلامة والرمز وفق ما نود ترسيخه اصطلاحيا في حدود دراستنا، بمعنى أننا نتجنب الخوض – مثلا– في خلاف كل من دوسوسير وبيرس في هذا الشأن والذي انعكس على استخدام كل منهما للمفردتين (العلامة – الرمز)، مفضلين في الآن نفسه التأكيد على أن مصدر المعلومة (التي ستشكل الصورة فيما بعد) التي تصبح متاحة حين استخراج المعنى من المنطوق أو التعبير هو:

- الوسط الفيزيقي.
- السياق النصي.
- معرفتنا بالعالم[30].

جميعها تتضافر لاستخراج المعنى، الذي ينبني عبر سيرورة العلامات التي بدورها تتشكل من نوعية توظيف الرموز، إن هذا التوظيف هو الاستخدام الذي يطرح الغاية الدلالية (التدليلية) وفق رولان بارث، حيث تستخدم الأشياء والأفكار والأشخاص للتدليل الذي يتطلب التأويل[31].

إلا أن هذا التدليل لا يخرج في تقديرنا عن فكرة العلاقة الممكنة بين التعبير والمحتوى، بما هي علاقة بانية للتحليل السيميائي، وهذا يقود إلى درس هيلمسليف بخصوص تصوره لمفهوم الوظيفة السيميائية، بمعنى أن العلامة هي وظيفة تؤطرها العلاقة المتبادلة بين موظفين اثنين هما: التعبير والمحتوى.

ليصبح بذلك أي تموضع للرموز ضمن النشاط الإخباري للفضائيات العربية الخاص بتغطية شؤون "إسرائيل" له دلالة تجعل منه علامة تنقل معنى معينا.

* **تعريف المتخيّل الإعلامي:**

يعتبر مفهوم المتخيل مفهوما مركزيا في دراستنا لارتباطه المباشر بمفهوم الصورة، التي آثرنا أن نفصل في مفهومها من خلال مبحث خاص، وتبدو العلاقة بين مفهوم كل من الصورة والمتخيل أو الخيال أو المخيال وغيرها من المفردات ذات الأصل الاشتقاقي " خيّل"، أكثر جلاء في اللسان الأجنبي (اللاتيني)، فلفظة Image التي تعني الصورة منها تشتق الألفاظ الدالة على التخيّل Imagination والمتخيّل Imaginé والمخيال Imaginaire وغيرها، لذلك كان لزاما علينا تحديد تعريف لهذا المفهوم ينطلق من بيئته اللغوية (الاشتقاقية) مرورا بما يصطلح عليه في حدود حقول معرفية معينة، لنصل إلى حقلنا المعرفي الخاص والتعريف المتبنى كيما يكون عاملا إضافيا تتبدى من خلاله نسقية البحث.

في المعاجم العربية: تخيُّل مصدرها تخيَّل وهو تأليف صورة ذهنية تحاكي ظواهر الطبيعة وإن لم تعبر عن شيء حقيقي موجود، ويصير الخيال تبعا لذلك إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء أثناء غيابها، قوة باطنية قادرة على الخلق والإبتكار[32]. وفي المعجم الوسيط الخيال: الشخص والخيال الطيف وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صورة، والخيال صورة تمثال الشيء في المرآة والخيال من كل شيء ما تراه كالظل، والخيال إحدى قوى العقل التي يتخيل بها

الأشياء[33]. وبذا يتضح لنا تأكيد اللسان العربي أيضا على العلاقة الوثيقة بين كل من الصورة والخيال وإن اختلفت مباني المفردتين.

إلا أن الوارد في مفهوم الخيال لغويا هو الحضور الكثيف لمؤشرات مفاهيمية أخرى متصلة بدورها بمفهوم الصورة وهي: القياس والمشابهة والمحاكاة يضاف إليها عنصر آخر على درجة من الأهمية وهو قدرة الخيال على الخلق والابتكار، وحتى في هذه الحالة فالصورة لا تفارق الخيال، وربما تلك القدرة المذكورة هي المسؤولة عن" النظرة التقليدية للخيال التي تعتبره منافيا للعقل ومصدرا للتضليل من منطلق ارتباطه بالانفعال الجسدي"[34]، وعطفا على هذه الفكرة فإن هناك من يعرف الخيال بأنه: نشاط نفسي لدى الإنسان تتولد أثناءه عبر تحوير ما لديه من تجربة صور حسية وذهنية جديدة ، وبفضل الخيال لا يتمكن الإنسان من تصور ما هو موجود فعليا فحسب بل وحتى ما يستحيل وجوده على أرضية الواقع[35]، ولعله من الأجدر القول أن المقصود في هذا التعريف هو التخيل الذي يتأتى من تفعيل الخيال الذي "يتحدد بوصفه ملكة من ملكات العقل البشري[36]، أما التخيّل فهو " العملية العقلية التي تقوم على إنشاء علاقات جديدة من الخبرات السابقة في صور وأشكال لا خبرة للفرد بها من قبل"[37]، والحال هذه يصبح التخيل تمظهرا للخيال ينطلق منه ليعود إليه، ويظل الخيال " الصورة المرتسمة للشيء المدرك بالحواس بعد غياب المحسوس أو التي تخترعها المخيلة وتركبها من الأمور المحسوسة"[38]. ولعل هذه المخيلة هي الخيال نفسه على مستوى العقل الإنساني طالما أنها " قوة تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد نقلتها عن طريق الحس في الماضي وعناصر تم إدراكها في الحاضر، وليس في إمكانها أن تصوغ شيئا من عناصر لم يتسنى (يتقدّم) للتخيل معرفتها"[39].

إن أهم ما يتضح مما تقدم هو اندماج الخيال – حين تمظهره– ضمن بنية تجعل منه وسيطا بين العقل الإنساني والواقع، وذلك حينما يتدخل بأمر من العقل ليعيد إنتاج الواقع وأحيانا لينتج واقعا خاصا بإمكاننا تسميته بالمصطنع، وهو أقرب إلى ما يسمى بالوهم الذي عادة ما يدمغ به الخيال لذلك ينحو منحى سلبيا في عقول الناس. ومن هذا المنطلق فإن " الخيال يلعب دورا حاسما في عملية المعرفة، وهو في أبسط مستوياته التصور الذي يمكن الإنسان من تكوين أفكار عن العالم

المادي، فما الأفكار إلا نسخ وخيالات عن الأشياء، كما يظهر الخيال في عملية التذكر التي تسمح لنا باستحضار الخبرات السابقة وربطها بزمانها ومكانها"[40].

وبذا يصبح في مقدورنا القول أن التخيّل بما هو تمظهر للخيال هو أداة العقل للسيطرة على الواقع، لكن الذي لم يتضح لغاية الآن هو ماهية التخيل أو بمعنى آخر ما هي مادة المتخيّل حينما يصبح صورة (نسخة) في وعي الإنسان أو لاوعيه؟

إن نسخ الواقع في عقل الإنسان يستدعي التمثيل وهذا الأخير يستدعي الرموز بما هي أهم أداة، يتم استخدامها حين الحديث عن تمثيل عالم الأشياء أو الأفكار أو الأشخاص أو الطبيعة بشكل عام، لكن خصوصيتها هذه المرة ذات حساسية بالغة ولا يمكن بأي حال إدراكها لأنها أداة الإدراك نفسه، بمعنى أنها غير خاضعة لذاتية الإنسان فهي مفصولة عنها ولا يمكن قياسها إلا من سبيل واحد: حين تتم ترجمتها على مستوى الملفوظ أو السلوك.

ومنتهى هذا الطرح أن المتخيّل بما هو رموز عقلية يمكن قياسه بما يقابل تلكم الرموز في منطوق الإنسان وسلوكاته أو لسان حاله عموما، وما قد يبعث على الاستغراب أن لسان حال الإنسان بمعنى التعبير عنه لا يتم إلا من خلال الرموز التي هي هذه المرة من ابتكار الإنسان، وبذا يمسي المتخيل حينما يعبر عن معنى معين قابل للاستقراء : مجموعة الرموز المنتقاة كيما تعبر عن اتجاه الإنسان حيال واقع ما. وبناء عليه يصبح المتخيّل الإعلامي: مجموعة الرموز التي ينتقيها القائم بالاتصال والتي قد يتموضع مقدار منها تموضعا يتطلب التأويل (علامات) كيما يعبر بها عن موقف (واقع) ما. وهو على هذه الشاكلة ، يمكن النظر إلى المتخيل الإعلامي متجليا في عمليتين أساسيتين هما:

- التعيين.
- التضمين.

6- الدراسات السابقة:

ليست دراستنا هذه بدعا من الدراسات فقد سبق إلى ميدان البحث والتنقيب حول صورة إسرائيل عديد الباحثين، سيما على المستوى العربي الذي ننطلق منه لتقييم مستوى الدراسات كما وكيفا. ذلك أن ما سميناه بالتحدي الإسرائيلي له وطأته الكبرى والمباشرة على الكينونة العربية، ومن ثم فإننا نرى أن ما تم إنجازه لحد الآن هو دون المستوى المطلوب بكثير، رغم يقيننا بما يمكن استحصاله من فوائد بفعل عامل التراكم على الأقل، وهو العامل الذي أفدنا منه بدورنا في هذه الدراسة إن على المستوى المنهجي أو الآخر المعرفي، رغم الاختلافات المسجلة على مستوى المتغيرات بين ما نود دراسته تحديدا وبين ما سبقنا إلى دراسته باحثون آخرون، هذه الاختلافات تنتهي إلى بؤرة واحدة وهي ميدان الدراسة بمعنى دعامتها، فهناك من تناول صورة إسرائيل في الصحف وآخرون في مجموعة من الخطب، وهناك من آثر التنقيب عنها في وعي الجماهير (إدراكهم)، وجميعها في ظروف نفسية – اجتماعية مختلفة، والحال هذه لجأ الباحث إلى تصنيف هذه الدراسات إلى:

أ- دراسات تناولت إسرائيل كمتخيّل إعلامي:

* **الدراسة الأولى:** لـــ كلثوم السعفي[41]، بعنوان: تصور الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية في الثلاثينات، دراسة في صحف: الحلوز، الفجر، اليقظة اليهودية.

وقد تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول مجموعة متسلسلة من الأسئلة طرحتها الباحثة وهي:
– ما هو تصور هذه الصحف للدولة اليهودية، وما هي طبيعة هذه الدولة، وما هو شكل النظام الذي ترتئيه، وماذا كانت الوسائل والطرق المعتمدة لإنجاز إقامة هذه الدولة اليهودية ومدى إسهام الأطراف الخارجية فيه؟

وحسب الباحثة فإن أهم الأسباب التي دعتها إلى طرح هذه الإشكالية هو:

- علاقة الصهيونية الوطيدة بالوضع الراهن العربي.
- الإيمان بضرورة معرفة العدو بغية مواجهته بفعالية.

- التعريف بالساحة الصحافية التونسية وبالصحافة الصهيونية لكشف أفكارها المنتشرة في تونس.

والهدف من وراء ذلك كله هو:

- الكشف عن جذور سياسة الكيان الصهيوني الحالية.
- توضيح الإعداد المحكم للحركة الصهيونية لتسلطها التاريخي على فلسطين.
- البحث في صحة الركائز التي قامت عليها دولة إسرائيل.

وقد اعتمدت الباحثة ضمن ما أسمته بالاعتبارات المنهجية ما أسمته كذلك بمنهج تحليل المضمون، مع اختيار وحدتي تحليل هما الموضوع والكلمة.

أما الإطار الزماني للدراسة فهو تحديدا سنة 1933 لما شهدته حسب الباحثة من نشاط هام للحركة الصهيونية، التي أخذت تعمل على بعث ركائز دولتها وتكثيف تحركاتها، سيما بعد تولي هتلر الحكم في السنة نفسها من شهر يناير.

وضمن هذا الإطار تم اختيار الصحف الثلاثة المذكورة التي اعتبرتها الباحثة نموذجا ممثلا لاتجاهات الحركة الصهيونية في تونس والعالم حيث تمثل:

- الحلوز: تيار اليسار (بن غوريون).
- الفجر: تيار الوسط (هرتزل).
- اليقظة اليهودية: اليمين المتطرف (جابوتنسكي).

وبناء على ذلك عمدت الباحثة إلى تحليل محتوى افتتاحيات الصحف الثلاث للكشف عن تصور كل منها لطبيعة الدولة على المستويات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية والاجتماعية، وكذلك تصورها لحدود الدولة الصهيونية المراد إقامتها والوسائل الذاتية (الداخلية) والخارجية الكفيلة بإقامتها، وتوازيا مع ذلك لجأت الباحثة إلى عرض تصورات القادة والمنظرين الصهاينة للقضايا المبحوثة في متن الصحف، مع عرض ما تضمنته بعض النصوص الدينية والتاريخية من مواقف تجاه اليهود لاختبار صحة ما يقدمه الصهاينة من إدعاءات. ولم يغب عن الباحثة أن تهتم في هذا الإطار بمجموعة السلوكات الصهيونية الرامية إلى تطبيق كل تلك التصورات خلال فترة البحث.

وقد توصلت الباحثة في النهاية إلى نتيجة جامعة مفادها أنه رغم ما قد يبدو من اختلافات في التوجهات حول تصور الدولة، بين الصحف الثلاثة كونها ممثلة لتيارات فكرية وسياسية متباينة، إلا أنها في الواقع لا تختلف في الغاية والهدف وهو تكوين دولة صهيونية وفرض الهيمنة الصهيونية التي يحاولون تقنيعها بالدين والتاريخ والقيم السامية، ورغم ذلك يتوضح حسب الباحثة طابع الصهيونية الجائر التوسعي الاستيطاني الاستعماري–الإحلالي المتسلط واللاإنساني.

إن لهذه الدراسة أهمية خاصة على صعيد البحث فيما يرتبط بإسرائيل وصورتها، رغم ما يشوبها من نقص في الإحكام المنهجي حسب تقديرنا، إلا أنه يحسب لها اقتحامها لفترة حساسة جدا في تاريخ ما بات يعرف بالمسألة اليهودية، فقد شكلت حقبة الثلاثينات بحق مجالا تصاعدت فيه قوة الإرهاصات بميلاد دولة (كيان) يهودي على نحو ما في أرض فلسطين، بالتزامن مع صعود النازية وتنامي مد العداء للسامية كما كان يسمى دائما، وهنا تحديدا يبرز وجه الخصوصية لهذه الدراسة ذلك أنها سبقت أصلا ميلاد الدولة، والحاصل فعلا أن الباحثة لم تسعى فقط إلى الكشف عن العلامات النصية الواصفة (المتخيل الإعلامي) للدولة المراد تحقيقها، بل وسعت أيضا إلى استخراج ما أمكنها استخراجه من علامات أخرى في منطوق المنظرين الصهاينة إزاء دولتهم المعقود أملهم (آنذاك) على إنشائها، وقد تبين للباحثة فيما بعد تطابق التصورات بين الخطاب الإعلامي للصحف والخطاب " التنظيري" للقادة الصهاينة، كما تبين لها أيضا سعي الصهاينة الدؤوب إلى تطبيق المفاهيم (مضمون التصورات) تزامنا مع التصريح بها، بل وحتى أثناء وبعد إقامة الدولة نفسها.

إن هذه النتيجة مفيدة لنا أيما إفادة ذلك أنها تزودنا بأجزاء هامة وحيوية حول الواقع الإسرائيلي، الذي نبحث عن تمظهره الإعلامي في عينة من الفضائيات الإخبارية العربية.

*** الدراسة الثانية: صورة إسرائيل في وسائل الإعلام الغربية.**

- دراسة حالـــة-

وهي دراسة منشورة لـــ سليمان صالح في كتابه وسائل الإعلام و صناعة الصور الذهنية[42]، استعرض فيها صورة إسرائيل المصنوعة عبر الوسائط الإعلامية الغربية والأمريكية منها تحديدا، والتي شهدت تغيرا جذريا من السلب إلى الإيجاب، الأمر الذي دفع بالباحث إلى السعي وراء الأسباب التي تقف خلف هذا التغير، وتبعا لهذا الهدف ابتدر دراسته بتوضيح أهميتها على

المستويين المنهجي والنظري من خلال الصلاحية العلمية لما أسماه الباحث بمنهج السيطرة في دراسة الصورة، ثم مراجعة نظرية التأثير المحدود لوسائل الإعلام، وبناء على ذلك طرح عدة تساؤلات:

- كيف نجح اليهود في تحويل صورتهم السلبية إلى إيجابية؟
- ما العوامل التي أدت إلى تغيير الصورة النمطية؟
- كيف تم استخدام وسائل الإعلام لتغيير صورة اليهود النمطية؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذه التجربة في بناء تصور نظري وتطبيقي لتغيير الصورة النمطية؟
- هل يمكن تكرار هذه التجربة بالنسبة لشعوب أخرى؟

وحتى تتحقق الإجابة عن هذه المجموعة من الانشغالات انتهج صاحب الدراسة خطة ابتدأها بتقديم ملامح الصورة النمطية لليهود فيما مضى، والتي تشكلت من مجموعة من السمات تم إنتاجها وترويجها عبر وساطة الاتصال الشخصي (التجربة الشخصية)، و أبرز هذه السمات وأهمها هي:

- العنصرية (كراهية الأغيار).
- الغدر.
- اليهودي فاسد و مرتش.
- تعامل اليهودي بالربا.
- إنشاء المحافل الماسونية المرتبطة بالغموض الذي يفسره أيضا الجيتو اليهودي الذي يرمز إلى عدم الولاء للدولة، ويفسر سمة أخرى هي التجسس.
- الجشع الذي شكل حسب الباحث العقلية الصهيونية التي اعتبرت الذهب القوة الأولى.

ولقد كان لعامل الديانتين اليهودية و المسيحية كبير الأثر في تبلور هذه السمات على نحو ما.

بعد الاتصال الشخصي برز الأدب كوسيط أكثر نموا لصناعة ونقل جملة السمات المذكورة، والمشكلة لصورة اليهودي في المخيال الغربي على وجه التحديد، وتجدر الإشارة هنا إلى رواية شكسبير – مثلا – المعنونة بتاجر البندقية التي نجحت الصهيونية في منعها فيما بعد.

يضاف إلى السمات السالفة الذكر والتي شكلت ماهية صورة اليهودي في العقل و كذا الوجدان الغربي سمتا البخل والسواد، وهذه الأخيرة حسب الباحث تبدو غير واقعية والأرجح أنها

مستلهمة حسبه من الإرث العنصري للبيض تجاه السود. لقد انتقلت هذه السمات من أوروبا إلى أمريكا تزامنا مع الهجرات اليهودية إليها وصدور قانون الحد من الهجرة بين سنتي 1921–1924، وانخرطت الصحف الأمريكية في عملية تصنيع و ترويج صورة اليهودي ولم تخالف ما كان سائدا من قبل، فقد وصفت اليهودي بأنه جشع، له أنف كبير، لهجته مضحكة، اليهود يدمرون القيم الأمريكية والآداب العامة، خطر على الديمقراطية..

- بعد ما يربو قليلا عن نصف قرن (من أواخر القرن 19 وبداية القرن 20) تغير الوضع تماما، حيث أصبح يسوق في وسائل الإعلام الأمريكية أن إسرائيل هي القاعدة المتقدمة للغرب (أمريكا) في الشرق.
- إسرائيل هي أمة الله الفضلى والوقوف ضدها هو معارضة لله.
- إسرائيل (اليهود) هي داوود الصغير ضد جالوت الكبير الجبار (العرب) وتبعا لذلك: إسرائيل هي الطرف الأضعف لكن الذكي والشجاع الذي يهزم الطرف الأقوى الأخرق (العرب دوما).
- الربط بين صورة إسرائيل الضحية (تبعا لأسطورة الهولوكوست) وبين صورة جيشها الذي لا يقهر.
- إسرائيل العبقرية والإبداع.
- إسرائيل واحة الديمقراطية وسط صحراء الاستبداد.

• توصل الباحث في ثنايا دراسته إلى أهم وأبرز العوامل التي من شأنها حسب تفسير التغير الذي طرأ على مستوى صورة اليهودي في المخيال الغربي، أو على الأقل على مستوى الترويج والتسويق لصورة جديدة تماما و بعكس سابقتها فيما يرتبط بإسرائيل والشخصية اليهودية، وهذه العوامل هي:

1- ارتباط اليهود أو بالأحرى نخب منهم بالأهداف الاستعمارية، وهو ما يصح كسمة إضافية لهم، هذا الإرتباط تجسد في تحالف نخب يهودية ثم الصهيونية مع النخبة الأنجلوساكسونية المتطلعة إلى السيطرة والثروة.

2- جهود من سماهم الباحث نجوم التنصير التوراتي في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتبعهم قطاعات واسعة جدا من الشبكات الإعلامية، التي تقبل عليها كذلك شرائح واسعة من الجمهور الأمريكي.

وبذا تتوضح حسب الباحث وضعية النخب اليهودية كفئة تتمتع بسيطرة شديدة على مواقع لصنع القرار على مستويات عدة، بداية بالمستوى السياسي وليس نهاية بالمستوى الإعلامي. كما تتوضح قوة تأثير وسائل الإعلام من جديد وهو المدعاة إلى مراجعة نظريات التأثير المحدود في تقدير الباحث.

إن دراسة مثل هذه تكتسي أهمية بالغة على صعيد البحث فيما يخص الشأن الإسرائيلي خصوصا واليهودي عموما، خاصة إذا لازمت جادة المنهجية العلمية ولم تسرف في الانطلاق من الخلفية الأيديولوجية. وقد نأخذ على هذه الدراسة عدم الوضوح في استخدام منهج محدد، وعدم الوصول إلى إجابة شافية وكافية عن كل الانشغالات المطروحة ابتداء، وربما خيل لنا أن المنهج الذي ارتضاه الباحث لنفسه هو استعراض مجموع معين من المعلومات عبر محطات محددة، وكان ذلك كفيلا في نظرنا بتقديم إجابة عن بعض التساؤلات ليس إلا، إنما بطريقة إنشائية وإن كان التحليل أو بالأحرى نتائج التحليل مادتها الجوهرية، وكان لابد والحال هذه أن يستند الباحث على عديد المراجع ذات الشأن في هذا المضمار، وهو ما أفدنا منه بدورنا مثلما أفدنا من المعطيات النظرية الواردة أيضا لتوظيفها في حدود ما نصبو إليه.

*** الدراسة الثالثة: صورة إسرائيل في الصحافة التونسية المكتوبة قبل إتفاق غزة – أريحا وبعده.**

من إعداد محمد البشير الشكاكو، إشراف صباح المحمودي، رسالة ختم الدروس الجامعية، معهد الصحافة وعلوم الإخبار، جامعة تونس 1، السنة الجامعية 1995-1996.

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول تساؤلين اثنين:

- ما هي مميزات الصورة التي اتخذتها إسرائيل قبل إمضاء إعلان المبادئ وبعده التي قدمتها كل من " الشروق" و"الصحافة"؟
- كيف أثر الموقف الرسمي التونسي في خطاب الصحيفتين من أجل تحديد معالم صورة إسرائيل الجديدة؟

وكان الهدف من وراء هذين التساؤلين هو رصد شكل صورة إسرائيل التي حاولت الصحيفتين رسمه في ذهن القارئ، وفي الآن ذاته تقدير مدى تأثر مواقف الصحيفتين بالأحداث التي لها حسب صاحب الدراسة الدور الأكبر في صنع تلك المواقف، ولهذا وضع فرضيته الأولى وفق الآتي:

- إن تحديد معالم صورة الكيان الصهيوني في الصحف التونسية مرتبط ارتباطا عضويا بحجم الأحداث دموية كانت أم سلمية.

أما الفرضية الثانية:

إن قرب الصحيفة من السلطة أو استقلاليتها عنها قد يؤثر في خطابها الإعلامي، فقد تتبنى الصحيفة موقف السلطة حينا و قد تتجاوزه حينا آخر.

ولأجل اختبار الفرضيتين تم اللجوء إلى مجموعة من الإجراءات المنهجية كان أولها اختيار المنهج الذي تمثل – حسب الباحث– في تحليل المحتوى، مع اختيار وحدة الموضوع كوحدة للتحليل. أما المعاينة فقد تمت بالطريقة القصدية (العمدية)، وتم إعمالها على مستويين:

- مستوى الزمن.
- مستوى الصحف.

فعلى المستوى الزمني انقسمت إلى قسمين:

أ– قسم تمثل في الفترة ما قبل إمضاء وثيقة إعلان المبادئ (اتفاق غزة – أريحا) وتشمل تحديدا:

- شهر فيفري 1991(شهر حرب الخليج).
- شهر أكتوبر 1991(شهر بداية المفاوضات العلنية بين العرب وإسرائيل).
- شهر سبتمبر 1993 إلى غاية يوم 13 منه وهو يوم توقيع وثيقة إعلان المبادئ والاعتراف المتبادل.

ب– قسم تمثل في فترة ما بعد الإمضاء وشمل:

- من 1993/09/14 إلى نهاية الشهر.
- شهر جويلية 1994 وفيه انتقلت السلطة الفلسطينية إلى مناطق الحكم الذاتي.

- شهر نوفمبر 1994 فيه أحداث غزة و اتهام إسرائيل بإحداث البلبلة في مناطق الحكم الذاتي، كما شهد اعتراف تونس بإقامة قنوات اتصال مع إسرائيل قابلة للتطور.
- على مستوى الصحف تم اختيار صحيفتين تحت مسمى "الشروق " و" الصحافة" وسبب الاختيار يعزى إلى كونهما يوميتين ناطقتين باللغة العربية، يضاف إلى ذلك اختلاف التوجه السياسي لكليهما، حيث تعكس "الصحافة" الموقف الرسمي في حين أن الشروق صحيفة خاصة ولها توجه قومي، وبناء عليه يرجح اختلاف موقفهما من "إسرائيل".

أما المادة الخاضعة للتحليل من هاتين الصحيفتين فهي مقالات الرأي بشتى أشكالها، وتبرير ذلك أنها تحمل الموقف الرسمي للصحيفة إذ تقدم فيها رأيها تجاه حدث أو قضية ما أو مشكل معين مرتبط بالآنية.

أما أبرز ما وصل إليه البحث عن نتائج فمن حيث المبدأ اختلاف الصحيفتين في عرض صورة إسرائيل، مع ملاحظة عدم تغير مواقف كل منهما تجاهها قبل وبعد توقيع الإعلان، إلا أن الصحيفة الحكومية التي استمرت في تقديم إسرائيل على أنها كيان صهيوني أصبح تعاملها أكثر واقعية بعد الإتفاق، ولئن أبرزت الطابع الصهيوني للدولة فقد أبرزت في الآن نفسه القوة الاقتصادية لدى هذه الدولة، التي أصبحت في تقديرها مستعدة لإقامة السلام.

في حين حاولت صحيفة الشروق إخفاء فئة اليهود الذين يريدون إقامة السلام مع العرب، مع التركيز على الطابع الصهيوني لليهود سيما بالنسبة لرؤساء الوزراء الذين اعتبرتهم ألد أعداء السلام، وأكثر تشددا وصهيونية من غيرهم.

إن وجه الأهمية في هذه المحاولة البحثية فيما يتصل بصورة إسرائيل المصنوعة حصرا عبر وسيط إعلامي عربي، يتمثل في الفترة الزمنية التي تم اختيارها إذ أنها مرحلة فارقة في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي، حيث قرر من يفترض أنهم ممثلوا أصحاب الأرض الحقيقيين التخلي عن السلاح والدخول في مفاوضات سلام مع المؤسسة الإسرائيلية، التي بدأ التسويق لها في المقابل كشريك سلام، يضاف إلى ذلك محاولة التحري العلمي حول الموقف الرسمي التونسي حيال الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين، كما ولم تخرج النتائج العامة للبحث عما هو متداول على مر عقود الصراع بين العرب و إسرائيل.

*** الدراسة الرابعة: صورة إسرائيل في خطاب أمين عام حزب الله " حسن نصر الله" بعد حرب جويلية 2006.**

وهي رسالة ختم الدروس الجامعية من إعداد إيناس جبير وإشراف هاني مبارك بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، جامعة منوبة للسنة الجامعية 2009-2010.

وقد انطلقت هذه الدراسة مما أسمته أهمية الخطاب السياسي الاتصالي لحزب الله، وموقعه في رسم معالم الصراع مع إسرائيل خاصة بعد الإنجاز الذي حققه الحزب في الحرب الأخيرة (جويلية 2006)، لتحاول الكشف عما آلت إليه صورة إسرائيل في خطاب الأمين العام للحزب المذكور بعد فشل إسرائيل – حسب صاحبة الدراسة- في الحرب، ولذلك قامت بطرح التساؤل التالي:

إلى أي مدى تغيرت صورة إسرائيل في خطاب أمين عام حزب الله حسن نصر الله بعد حرب جويلية 2006؟

والهدف حسب الباحثة هو التعرف على صورة إسرائيل في خطاب أمين عام الحزب، ومدى التغيرات التي طرأت عليها بعد حرب جويلية 2006، والدافع لتحقيق ذلك هو خصوصية الحرب المذكورة في تاريخ الصراع بين العرب أو لنقل هذه المرة المقاومة وإسرائيل، يضاف إليها اهتمام شخصي من لدن الباحثة بهذا الصراع، وقد افترض ما يأتي:

- إسرائيل بقيت العدو الأول لحزب الله، هذا العدو الذي مني بالهزيمة والإذلال أمام مقاومة قوية ومنتصرة منذ العام 2000 تاريخ الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني.
- إسرائيل هي العدو الذي لا يفهم إلا منطق القوة وهذا ما يدفع حزب الله إلى الالتزام بنهج المقاومة المسلحة.
- إسرائيل أصبحت أكثر ضعفا وهشاشة بعد هزيمتها في حرب 2006 وتحولت إلى دولة عاجزة عن النيل من قوى المقاومة في المنطقة.

ولأجل تفحص هذه الإفتراضات تم اتخاذ جملة من الإجراءات المنهجية أولها إتباع خطة شملت توضيح الإطار المفاهيمي للدراسة، ثم تقديم الجزء النظري الذي تم من خلاله إثراء موضوع

كل من الصورة والخطاب، وفي ذات السياق صرحت الباحثة أنها سلكت منهجا توثيقيا – تاريخيا عبر استحضارها الأحداث وما يرتبط بها من مواضيع وشخصيات بغية تفسيرها وكشف خفاياها.

وأخيرا ما أسمته بالجزء التطبيقي وهو الدراسة المكتبية التي تقول صاحبة البحث أنها اتبعت فيها منهج تحليل المضمون من منطلق أنه" يقوم على أساس نظرية ملخصها أن لكل إنسان بصمة فكرية على نحو ما له بصمة إبهامية .. وأن البصمات الفكرية تميز شخصية الفرد وتكشف عن هويته على النحو الذي تميزه بصمات أصابعه "[43].

والذي ترتب عن هذا الطرح أن يكون الغرض الكشف عن صورة إسرائيل انطلاقا من البصمات الفكرية لأمين عام حزب الله المطبوعة في خطاباته، ولهذا عمدت الباحثة إلى أخذ عينة من تلك الأخيرة بطريقة قصدية وتوخت في ذلك الآتي:

- وحدة المقام بين الخطابات لتصح عملية المقارنة.
- ثبات المناسبة كشرط أساسي بمعنى دوريتها.
- اشتمال مضمون الخطاب على مادة مناسبة للتحليل بما يخدم أهداف البحث وعلى هذا الأساس وقع الاختيار على المناسبات التالية:

- خطاب يوم عاشوراء من محرم.
- خطاب حفل إفطار الأنشطة النسائية في هيئة دعم المقاومة.
- خطاب الذكرى السنوية لاستشهاد قادة حزب الله.

وقد استوقفت الباحثة حيال تطور صورة إسرائيل في الخطب المختارة محطتان رئيسيتان أسمتهما بالثابت والمتغير.

أما الثابت فهو التأكيد على العداء لإسرائيل، والمعنى هو صورة إسرائيل الكيان المعتدي والغاصب لأرض المسلمين ومقدساتهم، والذي لا سبيل للخلاص منه إلا بالمواجهة المسلحة التي تفضي إلى رحيل الصهاينة عن أرض المسلمين، وذلك منطلقه أن العدو لا يفهم إلا لغة القوة.

وأما المتغير فمتعلق بوضعية الحزب في حد ذاته الذي كان يعيش مرحلة دقيقة وحساسة قبل حرب 2006، حين كان النقاش محتدما حول ضرورة نزع سلاحه، لذلك لم تكن صورتها حاضرة

على نحو معتبر وما كان من ذلك فمقصور على معاني العداء النمطية المعلومة سلفا، والتي جعلت بدورها صورة إسرائيل كعامل ضغط خارجي يضاف إلى عديد العوامل الداخلية والخارجية التي كانت موجهة صوب حزب الله، هذا الأخير الذي أخذ زمام المبادرة بعدما فشلت إسرائيل في تحقيق أهداف حربها على لبنان صيف 2006، وأضحت صورة إسرائيل في خطاب أمينه العام موغلة – حسب الباحثة– في الضعف والعجز والهوان والذل والهزيمة، كما أنها باتت دولة عادية تنشغل ببعض المقاومين لتقيم معهم توازنا للرعب، والمرتجى من هذا الخطاب هو كسر المسلمات التي تجذرت في الذهنية العربية عن أسطورة القوة الإسرائيلية التي تحطمت على أيدي المقاومين.

إن لهذا البحث وجه خاص من الأهمية بالنسبة لدراستنا وذلك مبني على قيمة الفائدة التي يقدمها لنا، حينما ينبؤنا عن إسرائيل كمتخيل إعلامي لدى قائم بالاتصال محسوب على خط سياسي و أيديولوجي، يدعي منذ زمن ليس بالقصير أنه ممانع ومقاوم للوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية ، ونحن بدورنا سنتصدى لتحليل محتوى إحدى الوسائط الإعلامية المحسوبة على هذا الخط.

ب– دراسات تناولت صورة إسرائيل كمتخيل جماهيري:

يصدق في وصف هذه الدراسات أنها اهتمت بصورة إسرائيل في المخيال الإعلامي لجزء من الجماهير العربية على اختلاف شرائحها، لأن حضور الوسائط الإعلامية ثابت في كونها شكلت إحدى أهم الروافد التي ساهمت في تكوين صورة لإسرائيل في أذهان الجماهير العربية.

*** الدراسة الأولى: صورة إسرائيل لدى الشباب التونسي المتعلم.**

– تحقيق اجتماعي في مساحة مدينة تونس سنة 1992.

وهي رسالة ختم الدروس الجامعية من إعداد شريفة الوسلاتي وإشراف يوسف بن رمضان، معهد الصحافة وعلوم الأخبار بجامعة تونس 1 للسنة الجامعية 1997–1998.

بدأ صاحب الدراسة بتوضيح أهمية موضوعه البحثي من خلال التركيز على ما تكتسيه مشمولاته (كل على حدى) من أهمية، فبدأ بالتأكيد على حيوية الفئة الشبابية سيما المتعلم منها بالنسبة للمجتمع ومن ثم ضرورة تفحص الفكر السياسي لهذه الفئة خاصة ما تعلق منها بالمواضيع

والقضايا الحساسة، على غرار مسألة إسرائيل التي يرى أنها تطرح نفسها بقوة على الساحات السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية العربية، كما وأن المدينة تلعب في ذلك دورا كبيرا باعتبارها فضاء شهد ظهورا لأولى أجيال الشباب العربي، بالإضافة إلى كونها حسب الباحث أفضل إطار لدراسة المشكلات الخاصة بالشباب، وبالنسبة للمجال الزمني فأهميته تتضح من زخم الأحداث والنشاطات التي وقعت فيه، فمطلع التسعينات كان إيذانا بما سمي مفاوضات السلام وفي الآن نفسه حرب الخليج التي كانت مرحلة حاسمة في تاريخ المنطقة العربية الشرقية منها على وجه الخصوص.

وقد تم الانطلاق من هذه الأهمية لطرح التساؤل التالي:

ما هي الصورة التي يحملها الشباب التونسي المتعلم عن إسرائيل وما هي محدداتها وروافدها وأبعادها؟ وضمنه ما يأتي من الأسئلة:

- هل هي صورة بديهية أم أنها صورة تخضع لمتغيرات تاريخية واجتماعية وسياسية ساهمت في ارتسام صورة معينة عن إسرائيل؟
- ما مدى تراوح التمثل الذهني لإسرائيل بين الوضوح والضبابية في ذاكرة الشباب الطالبي في تونس في التسعينات؟
- كيف تحدد هذه الفئة من الشباب طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي وما هو الحل الذي تتبناه لإنهاء الصراع؟
- هل تعكس هذه الصورة إلى حد ما بروز ملامح فكر سياسي جديد يميز حقبة التاريخ المعاصر للوطن العربي والبلاد التونسية تخصيصا؟
- هل يمكن اعتماد التمثل الذهني لإسرائيل كمنطلق لقياس درجة الوعي السياسي لدى الشباب الطالبي؟

وفي سياق الإطار المفاهيمي المطروح في الدراسة وضع الباحث مجموعة الفرضيات التالية:

- انتماء الشباب التونسي للوطن العربي أكسبه صورة بديهية عن إسرائيل انطلاقا من واقع الصراع مع عدو تاريخي.

- عدم وضوح ملامح الواقع السياسي والاجتماعي وخضوعه للمتغيرات خلق تذبذبا وضبابية في تصور إسرائيل باعتبار الصورة الذهنية هي إعادة إنتاج للواقع.

- الشباب الطالبي في تونس يتصور إسرائيل كبقية بلدان العالم، انطلاقا من أن الواقع الموضوعي قد خلق رؤية تقبل بالواقع وتستسلم له.

ولأجل اختبار هذه الفرضيات سلك الباحث المسلكين المعتادين أي البحث التوثيقي الذي يليه البحث الميداني، وقد اعتمد في الجانب الميداني من الدراسة ما سماه آلية التحقيق الاجتماعي الذي يمر في تقديره بالمرحلة التجريبية، ثم المرحلة التالية التي فيها يعد الاستبيان حيث يضيف إليه الملاحظة والمقابلة كأداتين لجمع البيانات.

أما عن العينة فقد اتضح لنا أنها تنتمي إلى الصنف غير الإحصائي وهي حسب ما يتبين من الدراسة عرضية (عارضة)، حيث تم اختيار 100 مفردة مقسمة بالتساوي بين الإناث والذكور وكذلك بين من يدرسون العلوم الإنسانية وعلوم المادة. وثبت لديه في النهاية ما يلي من النتائج:

- ميل الشباب الطلابي التونسي إلى التكتم وإلى تحاشي كل ما من شأنه إظهار ميولاته السياسية (فترة 1992).
- محافظة القضية الفلسطينية على موقعها في سلم الاهتمامات السياسية للشباب رغم تراجع اهتماماته بالأحداث السياسية.
- جهل نسبي بملامح إسرائيل كواقع موضوعي مما جعل عملية تمثله تتسم بالضبابية والتردد.
- مواقف انفعالية مشحونة ضد الصهيونية رغم عدم الإدراك الكافي لماهيتها ومخططاتها وهذا راجع لكون:
- المخزون المعرفي والمعلوماتي حول إسرائيل سطحي ومتذبذب، وربما ذلك ما جعل:
- ملامح الفكر السياسي لهذه الفئة الاجتماعية يتسم بالمثالية التي ترجح خيار الحرب الشاملة التي لا ترتكز إلى معطيات موضوعية مدروسة.
- الإعجاب بانتفاضة الشعب الفلسطيني ورفض كل أشكال ومحاولات التطبيع.

- الإعلام سيما منه الأخبار السريعة رافد له أهميته في بلورة خطاب الشباب عن إسرائيل التي وقع في شرك دعايتها الصهيونية، من خلال تعرضه للوسائل السمعية البصرية خاصة منها العالمية التي تحتكرها قوى محسوبة على الصهيونية.
- ثقافة المجتمع (الرؤية الشعبية) رافد لصورة إسرائيل في أذهان الشباب الطلابي التونسي، وهو الأهم ويدلل عليه أن تفكير الفئة الشبابية في إسرائيل يأتي امتدادا للمخزون الثقافي والرأي العام التونسي، وفي ذلك مدعاة إلى عدم إلمام الشباب بالمعارف الصحيحة حول الكثير من جزئيات الواقع الإسرائيلي.

مع أننا لم نجد لبعض الانشغالات الواردة ابتداء في هذه الدراسة إجابة في نتائجها أو على الأقل إجابة وافية، وكذلكم الأمر بالنسبة للفرضيات وما يربطها بنتائج الدراسة فإن النتائج المحصل عليها في تقديرنا لم تجانب الصواب، فهي لذلك مقبولة إلى حد بعيد، بل ونرى أن صلاحيتها ليست محصورة في فترة التسعينات وحسب، إنما تمتد لتشمل واقعا نعيشه في أيامنا هذه رغم النمو الهائل في الوسائط الإعلامية، إلا أن هذا النمو في تقديرنا ساهم في جعل الثقافة أكثر غبنا في المجتمعات العربية، ومرد ذلك إلى خلل في النفس العربية أكثر منه في أداء الوظيفة الإعلامية.

*** الدراسة الثانية: صورة إسرائيل بعد حربها الأخيرة على لبنان لدى الجزائريين جويلية – أوت 2006.**

وهي مذكرة ماجستير من إنجاز سمير رحماني وإشراف د. الطاهر جغيم، جامعة قسنطينة، 2007-2008.

انطلقت هذه الدراسة من مجموعة تساؤلات جاءت تتويجا لطرح إشكالي متسلسل، هدفه النهائي الكشف عن صورة معينة لإسرائيل في لحظة تاريخية معطاة، وهذه التساؤلات هي:

- كيف أصبحت صورة إسرائيل بعد حربها الأخيرة على لبنان 2006؟
- ما هي أبرز الجوانب التي تغيرت في هذه الصورة؟
- ما هي أسباب تغير هذه الصورة؟
- هل هذا التغير يستند إلى معطيات ذاتية أو موضوعية لدى طلبة الجامعة؟
- هل هذا التغير يعكس واقع صورة إسرائيل العامة لدى العرب؟

وقد مر الباحث مباشرة إلى وضع جملة من الفرضيات وفق الآتي:

- إن مخلفات حرب إسرائيل على لبنان جعلت صورتها تتغير سلبا لدى جمهور الطلبة الجزائريين.
- إن صورة إسرائيل من حيث القوة العسكرية هي الصورة الأبرز التي تغيرت.
- تغيرت صورة إسرائيل لدى العرب بصفة عامة.

ولأجل اختبار صحة فرضياته عمد إلى عدة إجراءات منهجية على الصعيدين النظري والميداني، ففي الجانب النظري تطرق إلى مفهوم الصور الذهنية واستعمالاته في المجالات السياسية والإعلامية، ثم انتقل إلى تقديم طرفي الحرب فحرب جويلية 2006، بعد ذلك كله شرع في عرض البيانات الميدانية المنبثقة عن الإجراءات المنهجية الآتية:

- **المجال المكاني:** وهو جامعة بسكرة وتحديدا قسمي علوم الإعلام والاتصال والعلوم السياسية لقرب التخصص من موضوع الدراسة حسب ما افترض الباحث.
- **المجال البشري:** وهم طلبة السنة الرابعة من التخصصين المذكورين، حيث تم اختيار 100 مفردة بصورة عرضية.

وقد سمى الباحث المنهج الذي اتبعه بالمنهج الوصفي وعلى أساسه ضبط عينته، وصمم استمارته كأداة لجمع البيانات من لدن أفراد العينة، وتوصل بذلك إلى نتائج أبرزها ما يلي:

- تغير صورة إسرائيل بعد الحرب عما كانت عليه قبلها، ومما يفهم أنها كانت قبل قوية جدا وقد ضعفت قوتها.
- جيشها الذي كان لا يقهر أصبح قابلا للهزيمة.
- هزمت إعلاميا (تأثرت) من طرف إعلام المقاومة.

ومما قد نأخذه على هذه الدراسة انتقال صاحبها مباشرة إلى عرض الفرضيات بعد التساؤلات، وتركيزه حيال عنصر الأهمية على عامل الحرب الأخيرة (2006) على لبنان، كما ونأخذ عليه الاستدلال المجتزأ (لغويا) في عدة مراحل من الإطار المفاهيمي والمنهجي مما يؤثر سلبا على المقصد المنهجي، وأخيرا لاحظنا نقصا في التساوق بين ما طرح من انشغالات والأهداف المسطرة للدراسة.

وفي العموم نعتقد أن النقص الفادح أصلا والخلل المزمن الكامن في تصور الجمهور العربي لإسرائيل، يلقي بظلاله على أي دراسة تتوخى دراسة صورته ضمن الحيز العربي في لحظة تاريخية ما، سيما وأن الدراسة التي بين أيدينا تركز على اللحظة التاريخية (الحرب) و تتغافل عن العوامل المتعددة سيما التاريخية منها والمسؤولة في النهاية عن تشكيل تلكم اللحظة وفق الواقع الملحوظ.

ورغم ذلك فإن عامل الإضافة والتراكم يشملها مثلما أي دراسة أخرى ويجعلنا نستفيد من نتائجها، التي لا شك ترتبط بواقع إسمه " إسرائيل" ومجموعة أطروحات عن هذا الواقع.

*** الدراسة الثالثة: نشرات قناة الجزيرة الإخبارية والوعي السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي.**

وهي مذكرة ماجستير من إعداد يحياوي عبد الحق وإشراف أ. براهيمي الطاهر، جامعة ورقلة للسنة الجامعية 2010–2011.

قام الباحث في إطار موضوعه هذا بإجراء دراسة ميدانية على عينة من أساتذة التعليم الثانوي، منطلقا من تساؤل مركزي يلخص فحوى إشكاليته:

- هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين متابعة النشرات الإخبارية في قناة الجزيرة وبين مستوى الوعي السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي لدى أستاذة التعليم الثانوي؟

متسائلا في ذات السياق عن علاقة مستوى ذلك الوعي بمتغيري الجنس والمواد المدرسة، وأيضا درجة الاختلاف في العلاقة بين الوعي المبني على المتابعة الإعلامية ومتغيري الجنس والمواد المدرسة لدى أفراد العينة.

وقد افترض عموما أنه: توجد علاقة ارتباطيه ذات دلالة إحصائية بين متابعة النشرات الإخبارية في قناة الجزيرة وبين مستوى الوعي السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي لدى أساتذة التعليم الثانوي. وعلى هذا الأساس افترض وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الوعي السياسي بالقضية محل الدراسة حسب متغيري الجنس والمواد المدرسة، كما افترض وجود اختلاف في العلاقة الارتباطية بين متابعة نشرات الجزيرة والوعي السياسي بالقضية المدروسة حسب متغيري

الجنس والمواد المدرسة. ولأجل اختبار هذه المجموعة من الفرضيات عمد الباحث إلى عرض إجراءاته المنهجية وفق الآتي:

- **المجال المكاني:** وهو مدينة الجلفة وتحديدا ثمانية (8) مؤسسات للتعليم الثانوي بها، تم اختيارها بطريقة المعاينة العشوائية.
- **المجال البشري:** أساتذة التعليم بالثانويات المذكورة الذين اختيروا تلقائيا أي بطريقة عمدية.
- **المجال الزمني:** شهر أكتوبر 2010 – نهاية جانفي 2011، وضمن هذا المجال تم الاتصال بالمؤسسات المعنية بصفة دورية لاستحصال المعلومات في مدة خمسين يوما تقريبا.

يضاف إلى هذه الإجراءات ما قام به صاحب الدراسة في جزئها النظري حيث تناول في ثلاثة فصول:

- قناة الجزيرة الإخبارية.
- الوعي والوعي السياسي.
- الصراع العربي الإسرائيلي.

وفي النتيجة توصل إلى أنه لا توجد فروق دالة بين الجنسين في مستوى الوعي السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي، وكذا عدم وجود فروق دالة أيضا بين أساتذة المواد الأدبية والتطبيقية على مستوى المتغير نفسه. أما فيما هو مرتبط بنشرات قناة الجزيرة الإخبارية فقد ثبت لدى الباحث وجود علاقة دالة إحصائيا بصفة جزئية بين مستوى مشاهدة نشرات الجزيرة لدى أفراد العينة ومستوى وعيهم السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي. وفيما يتصل بهذه العلاقة لم تكن هناك دلالة إحصائية للفروق بين معاملات الارتباط للجنسين من جهة وبين تخصصي المواد المدرسة من جهة أخرى.

لقد أتت هذه الدراسة في السياق النظري الذي يمنح الوسائط الإعلامية القوة المتفاوتة الدرجة لصنع الرأي العام والتحكم في البيئة ومراقبتها، وهو ذات السياق الذي يتحرك فيه مجهودنا البحثي، إلا أننا لا نسعى إلى اختبار فرضياته ومسلماته بل نسلم بها من حيث المبدأ كي نبني عليها الأثر الذي تحدثه وهو النتيجة التي سنتوصل إليها. عكس ذلك فعلته الدراسة المعروضة إذ أنها سعت إلى

تقييم الوعي السياسي بالصراع العربي الإسرائيلي المرتبط افتراضا بمتابعة نشرات قناة الجزيرة الإخبارية، وقد ثبت لهذه المتابعة أثرها في وعي الأفراد هذا الذي ليس سوى تمثلا للقضية المطروحة من طرف هؤلاء الأفراد، ومن ثم فالفائدة جليلة فيما توصلت إليه هذه الدراسة رغم ما لم يتوضح بشكل جلي من جهة المنحى الذي يأخذه تمثل (وعي) الأفراد لقضية الصراع العربي الإسرائيلي.

الدراسات السابقة وحدود الأثر النظري والمنهجي:

منذ الشروع في عرض الدراسات السابقة وضح الباحث محدودية ما درس ويدرس عن إسرائيل في الحيز العربي، وذلك طبعا فيما يرتبط بالمسألة الإعلامية، فما درس يفتقر وفق ما نرى إلى العمق المطلوب وهو إلى ذلك زهيد من حيث الكم، فالنقص والخلل كامن على مستوى الكيف مثلما هو على مستوى الكم، ومرجع القياس هو قوة التحدي الذي تمثله الظاهرة الإسرائيلية والظروف التي أنشأتها في المنطقة العربية والتي في رأينا لا تستدعي كثير جدل. وقد كان غرضنا مبدئيا من عرض مجموعة الدراسات سالفة الذكر إضفاء المزيد من الشرعية العلمية على بحثنا، ومن ثم تتأكد قيمة هذه الخطوة وأهميتها التي تجعل من حضورها في مثل بحثنا هذا مبررا، و في ارتباط عضوي مع عديد العناصر والمعطيات المشكلة للبحث على الصعيدين النظري والمنهجي، من ذلك أنها مفيدة فيما يتصل بتدقيق تساؤلات الدراسة وبالتالي جعل أهدافها أكثر وضوحا، ويتبع ذلك المساعدة على تصميم أكثر إحكاما لأداة جمع البيانات ومنح هامش لا بأس به لتوقع النتائج العامة للدراسة.

لكن ذلك كله لا يغنيها عن التصريح بقصورها عن مساعدتنا في وضع فرضيات محددة يمكن إخضاعها للاختبار، ذلك أننا من حيث المبدأ وفي دراسة تحليلية نأخذ بالاجتهاد الذي يعفينا من هذه الخطوة ويجعلنا نكتفي بالتساؤلات، ثم نظرا لاختلاف ميدان الدراسة والمحدد هنا بالفضائيات العربية الإخبارية، وبالتالي فإننا في حدود ما توصلنا إليه لم نعثر على دراسة سابقة بالمعنى المطابق، كما وأن ظروف إجراء دراستنا معقدة إلى حد بعيد و يغلب عليها بشكل جلي عامل الاستقطاب السياسي وتصارع المصالح الإقليمية والدولية، وقد توج ذلك كله بدور أكبر وأكثر فعالية باتت تمارسه المؤسسة الاستخباراتية على اختلاف انتماءاتها مما يجعل من الغموض سيد

الموقف، ويحتم في المحصلة السعي إلى مراكمة المعطيات والاستناد إلى قواعد نظرية صلبة لتحليلها، وهو التحليل الذي يقف عند سمات المحتوى الإعلامي ولا يتجاوزها على الصورة التي تجعل منها (أي تلك السمات) تدخل في علاقة تأثير وتأثر مع عنصر آخر من عناصر العملية الإعلامية، ولن يكون ذلك في نطاق دراستنا إلا ما يحصل من استئناس بالخلفية النظرية التوثيقية التي توفرت لدى الباحث كيما تكون مرتكزا لتفسير عديد البيانات التي من شأنها أن تتوضح أكثر جراء عملية التحليل.

ثانيا: الإجراءات المنهجية:

لأجل تدقيق أكثر لإشكالية الدراسة وتوجيه مسار البحث إلى تحقيق الأغراض المطلوبة، لجأ الباحث إلى تبني واتخاذ مجموعة من الأفكار والتدابير التي لا تخرج بأي حال عن سلطان القواعد المنهجية، وقد كان أول عمل عمد إليه الباحث هو تقديم القاعدة النظرية الإرشادية المختارة للدراسة، تلا ذلك توضيح للمنهج المتبع الذي لا شك سيعطي الشرعية لاستخدام أداة بعينها لجمع البيانات، والتي بدورها سيتم إعمالها ضمن حدود زمانية ومكانية مضبوطة بعملية المعاينة.

1- : التفاعلية الرمزية كمنظور إرشادي.

لقد كان المنطلق في إشكاليتنا البحثية أن الوسائط الإعلامية باتت إحدى أهم ما يسهم في تشكيل وعي الإنسان (الفرد) وفهمه للعالم المحيط به، خاصة في حالة شح المصادر المعلوماتية، ويتأتى ذلك رأسا من خلال عملية مركزية لها ارتباط مباشر وأكيد بالعقل الإنساني وهي عملية بناء (تشكيل) المعنى، هذا الذي لا يعد أن يكون مجموعة من الصفات المتخيلة من طرف الفرد (المجتمع أو هيئة ما) والتي يتم إسقاطها على الواقع. وقد كان هذا المنطلق مدعاة لنا لنتبنى قاعدة نظرية نعتقد أنها الأصلح والأصوب لتدقيق مسارات قياس الظاهرة المدروسة وهي نظرية التفاعلية الرمزية، فمشكلتنا تتركز في المعاني التي تنقلها الوسائط الإعلامية وتحديدا منها الفضائيات، والنظر إلى تلك المعاني كموضوع مطروح للتفاعل ومن ثم يبنى عليه موقف ما على المستويات الفكرية (العقدية) والوجدانية (العاطفية) والسلوكية، وما نؤكد عليه أننا لا نعفي الوسيط الإعلامي

من عملية اتخاذ المواقف فما ينقله القائم بالاتصال من معاني عبر الرموز والعلامات هو بلا أدنى ريب في تقديرنا ثمرة لتصور معين يريد ترسيخه لدى الجمهور، ومن ثم فالأبنية الذهنية عن الواقع حاضرة لدى طرفي الاتصال، ولا نهتم في هذا الصدد بمدى مطابقة تلكم الأبنية للواقع بقدر ما يهمنا طبيعة البناء الذهني (الصورة) في حد ذاته، والمقصد النهائي أن الحقيقة التي نتتبعها هي ماهية المتصور أو المتخيل وليست الحقيقة المطابقة للواقع، وإن كنا في النهاية سنحتكم إلى هذه الأخيرة كيما نوجه شيئا من النقد إلى الأولى.

- **تقديم المدخل النظري:**

تنتمي التفاعلية الرمزية إلى ميدان السوسيولوجيا وتحديدا السوسيولوجيا الأمريكية، حيث اعتبر مركز تطورها هو قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو في عشرينات القرن الماضي، وتبعا لذلك اعتبر جورج هربرت ميد (1863–1931) هو المنظر الرئيسي لها من خلال كتابه" العقل والذات والمجتمع"، وربما قصة هذا الكتاب هي ما يدعم الاعتقاد الذي ساد حول كون التفاعلية الرمزية من أعقد النماذج النظرية أو أنها نموذج معقد، والسبب أن وجودها " اعتمد على تداولها شفاهة لمدة طويلة أكثر من الاعتماد على كتب مدرسية "[44]، وكتاب ميد جمع بعد موته من مذكرات طلبته المستمدة من محاضراته التي كان يلقيها عليهم.

أما تعبير التفاعلية الرمزية فقد صاغه هربرت بلومر (1901–1987) سنة 1937 كعنوان لطريقة جديدة في التفكير بالمجتمع وتحليله، وهو من قدم فرضيات هذا المنظور سنة 1969 وفق الآتي:

1– البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
2– هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
3– هذه المعاني تعدل وتحور ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها[45].

وقد زعم ميد تبعا لهذه الفرضيات " أن اللغة تتيح لنا الفرصة لنصل إلى مرحلة الوعي الذاتي وندرك ذاتنا ونحس بفرديتنا، كما أنها تمكننا من أن نرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا

الآخرون والعنصر الرئيسي في هذه العملية هو الرمز"[46]، وفي "دينامية المبادلات بين الأشخاص ومن خلال المعنى الذي يعطيه الأفراد لأفعالهم يمكن للمرء أن يفهم جوهر اللعبة الاجتماعية"[47]، وبذا يتضح أن تيار التفاعلية يرى أن الواقعة الاجتماعية تتشكل ضمن دينامية المبادلات بين الأشخاص، وهو ما لا يقطع مع الأصول التنظيرية الأولى لهذا التيار على غرار البراغماتية مثلا، ويفهم من هذا كله أن محط اهتمام التفاعلية الرمزية هو الفرد كوحدة صغرى للفعل الاجتماعي، إذ هي لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق، ومحط اهتمامها ذاك متمركز حول قضية تشكل المعاني والسبيل إلى ذلك دراسة الحياة اليومية، فالواقع " ليس أمرا ثابتا وساكنا وناجزا ومفروغا منه، بل إنه يخلق ويشكل ويعاد تشكيله من خلال التفاعلات البشرية، وتمثل مقولة البناء الاجتماعي للواقع المحور الرئيسي لمدرسة التفاعل الرمزي "[48].

وهنا السؤال الذي يلح في طرح نفسه: ما علاقة قاعدة نظرية سوسيولوجية مغرقة في دراسة اليومي بدراسة الوسائط الإعلامية من حيث هي أنساق فرعية ضمن نظام اجتماعي معين؟

إن الباحث المدقق سيجد الإجابة عن هكذا تساؤل ماثلة فيما قاله الباحث الفرنسي ميشال دوسيرتو Michel de Certeau في كتابه ممارسة الحياة اليومية حيث يقول " منذ الصباح حتى الليل يملأ السرد على الدوام الشوارع والمباني، إنه يعرب عن وجودنا وذلك بتعليمنا ما يجب أن يكون، إن السرد يغطي الحدث أي أنه يصنع أساطيرنا (ما يجب أن يقرأ ويقال من الحدث)" [49].

إن حياتنا مشبعة بوسائل الإعلام ووسائل الإعلام مشبعة بالسرد وقد حاجج سيرتو أن هذه السرود تنظم حياتنا وتنفذ إلى أحلامنا. وقد كان أرسطو من أقدم الفلاسفة الذين كتبوا عن السرود حيث رأى في كتابه " فن الشعر" الذي كتب نحو 330 قبل الميلاد أن الأعمال الأدبية – اليوم يمكننا إدراج أعمال أخرى مثل الأفلام والبرامج التلفزيونية والروايات والمسرحيات– هي على الدوام تقليد للواقع أي أنها تعتبر كمرايا، وعندما نشير إلى هذا النوع من التقليد فإننا غالبا ما نستخدم مصطلح المحاكاة[50].

وهكذا ينتفي ما قد كان يبدو أنه تنافر أو عدم اتساق بين دراسة اليومي والبحث في تصورات الوسيط الإعلامي، " فالعديد من النصوص التي نراها على شاشات التلفزيون هي سرد

من نوع أو آخر بمعنى أنها تحكي قصة ويكون لها بداية ما وصراع ما يجري العمل عليه أو مشكلة ما يجب حلها وقرار ما يتم اتخاذه، هذا أمر مهم لأن للسرد القدرة على تحريكنا والتأثير فينا بطريقة عميقة عاطفيا وفكريا "[51]، وفضلا عن هذا كله فإن التفاعلية الرمزية لم تقطع تماما مع الطرح الوظيفي الذي يتناول الأنساق بالتحليل ويراها بنى للأدوار، إنما تقرر الميل إلى العمل بمناهج أخرى جعلت المنظور التفاعلي قويا في مجال التجريب ضعيفا في مجال التنظير، وإحدى هذه المناهج مثلا وهي الملاحظة بالمشاركة جعلت أحد أهم رواد تيار التفاعلية وهو إرفينغ غوفمان (1922–1982) لا يتردد في الإلتحاق بمشفى للأمراض النفسية لمدة تزيد عن عام بواشنطن، ليكتب كتابه واسع الشهرة المصحات العقلية وذلك سنة 1961.

لقد نظر غوفمان إلى التفاعل (التواصل) كمنظومة تتأسس عن طريقها الثقافة واعتبر أحد رهاناته الرئيسية تقديم الصورة الجيدة، وذلك ما يتضح من أحد بواكير أعماله المعنون بتقديم الذات سنة 1956 حيث يقيس فيه على عالم المسرح حينما يتحدث عن العلامات التي يدمجها الفرد في نشاطه التفاعلي والمفضية إلى الصورة (الانطباع) الحسنة. والمسألة هنا مربوطة بما رآه عالم النفس الاجتماعي تشارلز هورتون كولي حينما لاحظ " أن الناس يستطيعون الانتساب إلى بعضهم بعضا لا على أساس صفاتهم الموضوعية كما هي موجودة في الواقع ولكن من خلال الانطباعات التي يخلقها كل منهم لدى الآخرين من خلال عملية التفاعل بينهم "[52]، وقد أطلق كولي على تلك الانطباعات مصطلح الأفكار الشخصية وما هذه الأخيرة إلا عملية بناء المعنى الذي هو بدوره "مجموعة الصفات التي نتخيلها ونسقطها على كل من أصدقائنا ومعارفنا كتفسير لشخصياتهم الواقعية وكقاعدة للتنبؤ بسلوكهم والتنبؤ بسلوك الآخرين الذين يبدون مشابهين لهم "[53]. وهنا تحديدا تبرز أهمية ما سماه جورج ميد بالرمز الدال الذي يمثل حسبه الفرق بين الإنسان والحيوان، ففي حالة الإنسان يمكن تبادل الأدوار من خلال ذلكم الرمز الدال الذي يمثل المعنى المشترك، وهنا نقول أن الوسائط الإعلامية المختارة ضمن دراستنا تقدم " إسرائيل " (موضوع دراستنا) على شكل رموز دالة والغرض صناعة معنى مشترك في أذهان الجماهير، دون أن ننسى طبعا أن الرموز الدالة المستخدمة هي محل للمعنى المشترك مسبقا، فالمسألة خاضعة للاستدلال ولذلكم هي متداخلة، فالوسيط الإعلامي يستخدم المعنى المشترك لصناعة معنى مشترك ونحن من جهتنا نبحث عن

معنى "إسرائيل" فيما يسرده وسيط إعلامي عربي، ولا نرى ذلك يبتعد كثيرا عن منظور التفاعلية الرمزية، فإذا كان هذا الأخير يرى المجتمع محادثة أي أنه يستخرج الحقائق الاجتماعية من تبادل الرموز بين الأفراد، فإنه يجب التنبيه وبشدة في الآن نفسه أن تلك الرموز المتبادلة على ما تحمل من دلالات ما هي إلا انعكاس لحقائق اجتماعية أخرى كامنة.

2- المنهج:

تحتمل كلمة منهج معان عدة يمكن القول أنها ما يؤثث (لغويا) الحقل الدلالي للكملة، ويتحدد المعنى في العادة بموضع الاستخدام، فيراد بالمنهج ما ينقل العلم من طبيعته السكونية إلى طبيعته الحركية، وذلك حينما نكون بصدد التعامل مع خطاب (مجموعة مقولات) تناط به مهام التوصيف والتحليل والتفسير، وفي ذلك إشارة واضحة إلى النموذج القياسي الإرشادي، وهو ما نعتبره المعنى الواسع والأعم والأكبر للمنهج الذي يصلح وفق توصيف آخر لأن يكون مسعى أي باحث حينما يسير بجهد منظم ومنسق ومتآلف (خطة)، وهو المسعى الطبيعي والمنطقي لبلوغ المعرفة، وفي جزء من هذا المنهج هناك المنهج الذي يوضح المسار الخاص الذي يتبع على المستوى الملموس، وهو ما نعتبره وفق ما رأى موريس أنجرس منهج الدراسة الميدانية، وهو المقصود تحديدا في هذه الجزئية التي بين أيدينا، وتتحدد طبيعته عادة بنوع الدراسة وحدود الإشكالية المطروحة، وقد جعله أنجرس محصورا في الإجابة عن سؤال: كيف نصل إلى الأهداف؟ وعرفه من ثم بأنه "مسعى الباحث للتعمق أكثر في المعرفة و يتجسد في إخضاع كل استدلال نريد من خلاله معرفة الواقع إلى الواقع، وهو يفرض في ملاحظة الواقع أقصى حد من الموضوعية الممكنة "[54]. ودراستنا هذه تأتي في إطار الأبحاث الوصفية التي نشاطر من يرى لها أهمية خاصة في نطاق الظروف النفسية-الاجتماعية لعالمنا العربي والإسلامي، وعطفا على ما قاله أنجرس فإن مفهوم البحث الوصفي " يرتبط بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها وتفسيرها بغرض الوصول إلى استنتاجات مفيدة، إما لتصحيح هذا الواقع أو تحديثه أو استكماله أو تطويره "[55]، ولعل أشهر الأساليب والطرق (المناهج) المقترنة بهذا النوع من الدراسات هو منهج المسح أو المنهج المسحي، الذي هو " جهد علمي منظم للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة أو مجموعة الظاهرات موضوع البحث من العدد الحدي من المفردات المكونة لمجتمع البحث ولفترة زمنية

كافية"[56]. وهذا المنهج هو ما تحدد اختياره في الجانب الميداني من دراستنا وفقا لما سبق ذكره من اعتبارات، يضاف إليها أن الوضع الراهن للإعلام العربي يمثل مثلما ذهب إليه سمير محمد حسن أرضية خصبة، تتطلب مجهودا علميا مضاعفا وأكثر صرامة لفهم الحقائق المرتبطة به، وسيتركز المجهود ضمن هذا الإطار على مسح مضمون عينة من الوسائط الإعلامية الإخبارية العربية، وبالتالي فإن مجهود الدراسة توصيفي تحليلي لأنه مرتبط بالإجابة عن سؤالين أساسيين وهما مدرجان ضمن الأسئلة المشهورة للباحث لاسويل، ماذا قيل؟ وكيف قيل؟ ويمسي بناء على هذه المعطيات منهج دراستنا في جانبها الميداني (المكتبي) هو **منهج المسح بالعينة** الذي "يكتفي بدراسة عدد محدود من المفردات أو الحالات وهو الذي يكثر استخدامه نظرا لما يوفره من الوقت والجهد والمال كما أنه يأتي بنتائج دقيقة "[57].

3- أدوات جمع البيانات:

1- تحليل المحتوى.

يتركز مجهودنا في هذه الدراسة وفق المنهج الذي قمنا بتوضيحه آنفا على عملية أساسية والمسماة وفق توصيف نظري شامل بمسح مضمون وسائل الإعلام، وتبعا لهذه العملية المتأتية من طبيعة منهج الدراسة الميدانية المختار تتجلى هوية أداة القياس التي سيكون تفعيلها كفيلا بالإجابة عن الانشغالات البحثية والأهداف المحددة، ذلك أن أداة جمع البيانات " تتضمن باختصار كل ما نريد الكشف عنه في الواقع إنها تعمل على الربط الضروري بين تصور البحث والملاحظات التي سنقوم بها في الميدان"[58]، وهذه الأداة في حدود دراستنا لن تكون بشكل مكثف سوى تحليل المحتوى الذي اشتهر على أنه " أحد الأساليب البحثية التي تستخدم في وصف المحتوى الظاهر أو المضمون الصريح للمادة الإعلامية وصفا موضوعيا وكميا "[59]، وهو لدى أنجرس أداة لجمع المعطيات تبنى من أجل استخراج العناصر الدالة في وثيقة [60]. وقد عرف من لدن أحد الباحثين واسمه "يانس" عام 1949 " بوصفه إشارة إلى أي أسلوب لـــتصنيف العلامات الناقلة، التي تعتمد على الأحكام التي يمكن أن تمتد نظريا من التمييز الإدراكي إلى التخمينات المجردة لأي محلل أو مجموعة من المحللين توضع العلامات الناقلة في مقولاتها ، على قاعدة من القوانين المتشكلة بوضوح ، شريطة أن تعتبر أحكام المحلل بوصفها تقارير مراقب علمي"[61].

وقد حاول باحث آخر واسمه "هولستي" صياغة تعريف يعبر عن مفهوم أكثر اتساعا لتحليل المحتوى فاعتبره " أي أسلوب لصنع الاستدلالات عبر تشخيص خصائص محددة للرسائل تشخيصا موضوعيا ومنتظما "[62].

إن هدفنا من إيراد التعاريف السالفة لم يأت قطعا من قبيل الحشو الذي لا يكترث لأي رادع منهجي، وإنما أتى في سياق توضيح اختيارات الباحث التي تتسق مع البناء المنهجي الموضوع، وهو الأمر الذي يدفع في تقديرنا إلى تبني رؤية محددة لطبيعة تحليل المحتوى تجعلنا نشعر بنوع من التحرر (النسبي) حين استخدامه، فلا تعيقنا التحديدات النظرية المفرطة في الذهاب كميا أو كيفيا، وهي نفسها التحديدات التي تجعلنا نفرق بين ما سمي ظاهر المحتوى وباطنه، فما يتم استنتاجه من خلال فحص أحجام الأفكار ومدى التأكيد عليها عبر تكرار ذكرها وإن في صور متنوعة سماه موريس أنجرس بالمحتوى المستتر للوثيقة (المضمون)، ونحن بدورنا وبكل تواضع نرى أن هذا النوع من المحتوى لا يبتعد كثيرا عن المحتوى الظاهر طالما أنه بالإمكان التوغل أكثر في الجانب المستتر (الباطن) للوثيقة، وهو التوغل الذي يفرض على الباحث طرق أبواب عالم السيميوزيس. والسؤال الملح نظريا ومنهجيا وصولا إلى هذه المرحلة هو: هل هناك حدود مرسومة ومتفق عليها في مضمون الوثائق بين ظاهرها وباطنها؟ إن غياب إجابة دقيقة عن هذا التساؤل من شأنها مبدئيا أن تجعل هامش المناورة العلمية في استخدام تحليل المحتوى أوسع إلى حد ما. وبالعودة إلى التعاريف سابقة الذكر نقول إن غاية ما حصلناه منها وقد كان ذلك هدفنا بالأصل هو تحصيل الانسجام بين المفاهيم المركزية لدراستنا، والتي هي في المركز من اهتمامات القاعدة الإرشادية التي قمنا بتبنيها، وبين غاية ما يطلبه الباحث من استخدام تقنية تحليل المحتوى، فهذا الأخير" بمثابة أداة تعمق في الإنتاجات ذات الأشكال المتنوعة والتي تمثل بصمات الحياة الفردية والجماعية، بفضل هذه التقنية أصبح من الممكن فحص المجال الذهني لشخص أو لمجموعة أو لجماعة، أو حتى ذلك الخاص بالكون طالما أن هناك دراسات لمحتوى العلاقات الدولية من خلال الصحافة أو وسائل الاتصال الأخرى "[63]، وقد أطلق أنجرس على هذه الوظيفة تعميق الرمزية.

إن مسارنا منذ البداية محكوم بدلالة الرموز ومنتهى ذلك هو التعرف على المعنى الذي تم بناؤه من خلال رسالة تم بثها عبر وسيط اتصال جماهيري. إن المشكلة التالية التي تواجهنا هي

تقديم تعريف محدد لتلكم الرسالة، لكن بصفة نظرية تزيد من وضوح الاتساق المنهجي للبحث، وقد شعرنا حقيقة بطبيعة هذه المشكلة حينما طرحت من طرف صفاء جبارة في كتاب الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، فالجميع يعرف تحليل المحتوى ولكن يغفل أو يتغافل عن تحديد ما هو هذا المحتوى؟ ونحن بدورنا نتبنى ما ذهب إليه محمد عبد الحميد حين اعتبر " المحتوى في علوم الاتصال هو كل ما يقوله الفرد أو يكتبه ليحقق من خلاله أهدافا اتصالية مع آخرين، وهو عبارة عن رموز لغوية يتم تنظيمها بطريقة معينة ترتبط بشخصية الفرد وسماته الاجتماعية فيصبح مظهرا من مظاهر السلوك يميزه عن غيره من الأفراد، ويستهدف جمهورا محددا بسماته واحتياجاته واهتماماته ليدرك ما في المحتوى من معان وأفكار فيتحقق اللقاء والمشاركة بين المصدر والجمهور"[64].

إننا نرى أن توصيف محتوى الاتصال وفق ما طرحه محمد عبد الحميد يتوافق إلى حد بعيد مع الوضعية التي عبرنا عن انشغالنا حولها في إشكاليتنا، ونود تبعا لذلك أن ندرسها، ولن تكون هذه الدراسة في مسارها الخاص أي جانبها الميداني (المكتبي) إلا عبر عملية التحليل، التي تعتبر" عملية ملازمة للفكر الإنساني تستهدف إدراك الأشياء والظاهرات بوضوح من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض ومعرفة خصائصها أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات التي تقوم بينها "[65]، وهذا ما توفره فعلا أداة تحليل المحتوى للباحث في علوم الإعلام والاتصال، فهي وفق ما تجمع عليه جل الأدبيات في العلوم المذكورة متكونة من:

- فئات التحليل.
- وحدات التحليل.

أما فئات التحليل " فتهدف إلى تقسيم المحتوى إلى منظومة من الأفكار التي لها علاقة مباشرة بإشكالية وأهداف الدراسة ومنه تجنب باقي الأفكار التي لا تخدم تلك التوجهات "[66]، وهي مقسمة إلى فئات الشكل (كيف قيل؟) وفئات المضمون (ماذا قيل؟). وأما الوحدات فهي " في أبسط معانيها الشيء الذي نقوم بحسابه فعلا، و اختيار إحداها أو مجموعة منها لا يكون اعتباطيا بل تتحكم فيه طبيعة الإشكالية والفرضيات التي ينطلق منها الباحث "[67]. وتبعا لما انطلقنا منه، فقد ارتأينا اختيار وتحديد فئات التحليل الآتية:

أولا: فئات الشكل (كيف قيل؟)

إن دور هذا النوع من الفئات هو وصف شكل محتوى الاتصال المزمع دراسته ، ذلك أن الجانب الشكلي للمادة الاتصالية له فعالية معتبرة في التأثير على وعي الجمهور، ومن ثم فتوظيفه مدروس وأبعد ما يكون عن العبثية. وبناء على ذلك تم تحديد الفئات الآتية:

1- **فئة الزمن:** الغرض من استخدام هذه الفئة هو قياس مدة بث المضامين متعددة الأغراض والخاصة طبعا بالشأن الإسرائيلي، ودلالة المدة الزمنية هي التأكيد على أهمية المضمون لدى الوسيط الإعلامي سواء كان ذلك في الإتجاه السلبي أو الإيجابي، و هذه الأهمية بدورها لها فعاليتها في بناء معنى محدد .

2- **فئة الضيوف :** ونهتم من خلال هذه الفئة بهوية الشخصيات التي تحضر بشكل ما داخل المؤسسة الإعلامية لنقاش المواضيع ذات الصلة بإسرائيل، لأن حضورها في النهاية يأتي بناء على دعوة صريحة من صاحب القرار الإعلامي ، و هو الأمر الذي له علاقة أكيدة بالجانب المهني للمؤسسة الإعلامية ، و علاقة أخرى أكثر خصوصية بالجانب الأيديولوجي .

3- **فئة الإخراج الفني:** هذه الفئة لها فعاليتها الدلالية في تكوين وترسيخ المعنى وكذا التأكيد على أهمية المضمون أو هامشيته، وبالتالي حرص القائم بالاتصال على أهمية المعنى المراد بناؤه اجتماعيا من خلال استخدام الأساليب الفنية، المتمثلة في المؤثرات الصوتية والموسيقية واللقطات المختلفة والتي قد يرتبط بعضها ببعض المقاطع لزيادة الانتباه إليها. والمعنى هنا قد يأخذ كذلك إما بعدا إيجابيا أو سلبيا وذلك محكوم بالنظر في طبيعة المضمون.

ثانيا: فئات المضمون (ماذا قيل؟).

1- **فئة الموضوع:** يفيد استخدام هذه الفئة من الناحية النظرية في معرفة المواضيع الأكثر بروزا في المحتوى وهو عين المطلوب في دراستنا، حيث سنستعملها لاستخراج مختلف الأطروحات التي تتكرر في الخطاب الإعلامي محل الدراسة حول الشؤون الإسرائيلية، وسينكشف بناء على ذلك مركز الاهتمام بين تلك الأطروحات في الخطاب المدروس.

2- **فئة اتجاه الموضوع:** نستجلى من خلال استخدام هذه الفئة نوعية الطرح الذي يقدمه الوسيط الإعلامي محل الدراسة، فيما يرتبط بشتى المواضيع التي يعالجها والمنبثقة عن الأحداث

والقضايا التي أفرزها الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وعادة ما تأخذ نوعية الطرح المدروس اتجاهات ثلاث: معارض ومحايد ومؤيد.

3- **فئة القيم:** القيمة هي ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية وهي متباينة الطبيعة والماهية حسب الثقافات والمجتمعات، إلا أن هناك حدا أدنى منها يفترض أنه محل إجماع لارتباطه الوثيق بالمستوى الإنساني البحت. ووظيفة فئة القيم ضمن أداة تحليل المحتوى هي استخراج مجموعة القيم التي ضمنها القائم بالإتصال رسالته، هذه القيم التي قد تأخذ طابعا سلبيا أو إيجابيا، طبيعتها في حدود دراستنا مرتبطة بخصوصية الموضوع المطروح للمباحثة والتحليل وهو ما يسمى بـــ " دولة إسرائيل".

4- **فئة اتجاه القيم:** يتم استخدام هذه الفئة لرصد السياق الذي ترد فيه القيم المضمنة في خطاب الوسيط الإعلامي العربي الخاضع للتحليل، هل هو إيجابي أم سلبي أم حيادي؟

5- **فئة الفاعل:** يتم من خلال استخدام هذه الفئة في التحليل النفوذ إلى طبيعة الشخصيات أو الهيئات الاعتبارية المؤثرة والمحركة بالتالي لسيرورة الأحداث والقضايا المرتبطة بإسرائيل، وفي الإمكان بناء على ذلك معرفة نوعية الأطراف الفاعلة – من خلال المضمون دوما- في توجيه مسار إسرائيل كواقع سياسي واجتماعي وثقافي وعسكري، وهذه الجوانب في حد ذاتها هي ما سيلقي بظلاله على نوعية الشخصيات المؤثرة وذلك حتما مربوط ومضبوط بطبيعة الأطروحات المقدمة والمستخرجة عبر فئة الموضوع.

6- **فئة السمات:** تتعلق فئة السمات في تحليل المحتوى بتوضيح خصائص الأفراد والمجتمعات ومختلف الأنساق التي يعرضها النشاط السردي، ونحن نستخدمها بغرض استخراج جملة الأوصاف التي يبرزها القائم بالاتصال في المضمون محل الدراسة لـــلشخصيات المتعددة الاختصاصات التي تصنع – أو تتعلق بها- الأحداث الإسرائيلية .

7- **فئة المصدر:** يرمي الباحث من خلال استخدام هذه الفئة إلى معرفة مختلف المنابع التي تغذي المضمون محل التحليل، بمعنى رصده لمجموعة المصادر التي يستقي منها الوسيط الإعلامي العربي محط الدراسة معلوماته عن الأحداث والقضايا ذات الصبغة الإسرائيلية، ويعكس هذا درجة الاهتمام بالحدث التي تتجلى في الحضور الميداني وبالتالي القرب من الحدث وحتى من

الشخصيات الصانعة له، كما أن تعامل الوسيط الإعلامي محط الانشغال مع نوعية ما من المصادر له انعكاساته في استجلاء الصبغة المهنية و الأيديولوجية له.

8- **فئة الإستمالات:** يتأسس اختيار هذه الفئة وكذا بناؤها على أنواع الإستمالات المعروفة والمدروسة في خطاب علوم الإعلام والاتصال، وهي الإستمالات العقلانية أو العقلية أو ما يسمى أيضا في بعض الأدبيات بالإستمالات المنطقية، والاستمالات العاطفية و استمالات التخويف، ويترصد الباحث هذه الأنواع الثلاثة في الخطاب محل التحليل من خلال المؤشرات اللغوية الدالة على ذلك، وذلك كفيل إلى حد ما بكشف التموضع الإيديولوجي للقائم بالإتصال وكذا التموقع المطلوب من المتلقي سلوكيا أو معرفيا أو وجدانيا على أقل تقدير.

- **وحدات التحليل:**

اعتمدنا في دراستنا على وحدتين أساسيتين للتحليل هما:

- وحدة الفكرة.
- الثانية كوحدة لقياس الزمن.

2- الملاحظة.

يستخدم الباحث إلى جانب تقنية تحليل المحتوى الملاحظة العلمية ، مستعينا بها في تدقيق عملية التحليل، عبر إحصاء الرموز التي قد تنفلت ظاهرا من عملية التصنيف ضمن أداة التحليل، وتكون في الوقت ذاته حاسمة في تحديد و تشكيل المعنى ضمن الخطاب محل الانشغال، لا سيما حين تتكرر بشكل ملفت، علما أن تكرارها هذا لا يخرج على أية حال كما لا يتعارض مطلقا مع المسار المحدد مسبقا من خلال أداة القياس الرئيسية.

4- العينة:

تم تحديد عينتنا البحثية وفق مستويات ثلاث:

1- مستوى العينة الخاص بالوسيط الإعلامي.

2- مستوى العينة الخاص بالمجال الزمني لمادة التحليل.

3- مستوى العينة الخاص بمادة التحليل.

أولا- مستوى العينة الخاص بالوسيط الإعلامي:

وقع اختيار الباحث وبطريقة عمدية على فضائيتين عربيتين هما:

- قناة الجزيرة.
- قناة الميادين.

أما ما يرتبط بقناة الجزيرة الإخبارية فهي فضائية معروفة ومشهورة وقد فرضت نفسها على المشهد الإعلامي العربي والإقليمي وحتى الدولي، وباتت محط اهتمام العديد من الدراسات والبحوث سيما الإعلامية منها التي أثبتت لهذه القناة أثرها المعتبر على وعي الجمهور العربي. كما وأن قناة الجزيرة وهي قناة خليجية المنبت (دولة قطر) لها منذ نشأتها اهتمام خاص بالشؤون الإسرائيلية، وهو ما وقف عليه الباحث طيلة سنوات مضت من الملاحظة الدؤوبة، وقد كان اهتمام الجزيرة بالأحداث والقضايا الناشئة عن الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية مثار جدل في حدود هذه المنطقة، وربما في استطاعتنا الحكم مبدئيا أن ذلك منبثق عن تجسيد رؤية معينة للقائمين على هذه الفضائية، ونقصد بهم أصحاب السبق في إنشائها ومتابعو مسارها لضبطه وفق تلك الرؤية تحت شعار الرأي والرأي الآخر.

أما قناة الميادين الفضائية فتعتبر جديدة (نسبيا) على الساحة الإعلامية العربية، ولكننا اعتبرنا ذلك ميلادا جديدا لتجربة ناضجة، حيث تعتبر هذه القناة في تقديرنا من المفرزات العديدة للاستقطاب السياسي والأيديولوجي الحاد الذي أعقب الأشهر الأولى لأحداث ما بات يعرف بالربيع العربي، فقد انشق نخبة من الإعلاميين على رأسهم غسان بن جدو عن قناة الجزيرة وذهبوا في اتجاه إنشاء قناة إعلامية جديدة (الميادين) ووضع لها شعارا " الواقع كما هو"، بما يمثل رد فعل على ما اعتبر ممارسة للتضليل من طرف الجزيرة فيما يتصل بمعالجتها لأحداث ما سمي بالربيع العربي، الذي شهدت تونس انطلاقته نهاية العام 2010 منتقلا بعدها إلى عديد الأقطار العربية. كما وأن هذه القناة تمثل مكانيا (جغرافيا) إقليم الشام (بعد مكاني للدراسة) ولها منذ نشأتها اهتمام خاص بإسرائيل على غرار الجزيرة.

تمثل الميادين حسبما يتبين من معالجتها الإعلامية اتجاها إقليميا يسعى هو الآخر إلى فرض أجندته في المنطقة العربية، ويسمي نفسه بمحور الممانعة وقد بات معروفا أن موقع الريادة في هذا الاتجاه لإيران.

ثانيا– مستوى العينة الخاص بالمجال الزمني لمادة التحليل:

لقد تزامن اختيار الباحث لهذا الموضوع مع موجة من الاحتجاجات الشعبية اجتاحت جل الأقطار العربية وسميت عبر وسائط الإعلام العديدة بالربيع العربي، الذي تمخض عن أحداثه في أسابيعه الأولى زحزحة بعض الحكام العرب وبعض أتباعهم عن مناصبهم الرئاسية والقيادية. لكن المنطقة العربية لم تلبث أن دخلت في أتون صراع سياسي حاد تجاذبته قوى إقليمية ودولية، مما أدى إلى دخول بعض الأقطار العربية في حالة حرب أهلية مدمرة، زاد من حدتها التدميرية الاستخدام اللافت والغريب والمريب في الآن ذاته للبعد الطائفي.

لقد حتم علينا هذا الوضع الخاص جدا الذي تمر به المنطقة العربية التروي في اختيار المجال الزمني المناسب لإجراء الدراسة التحليلية، ولا ننكر أن الباحث لم يتغافل عن الأثر الذي لاشك كانت ستحدثه حيثيات ما سمي بالربيع العربي في مسار الدراسة، من منطلق أن إسرائيل باتت تتواجد إقليميا في بيئة مشبعة بالتهديدات، وإن كانت هذه التهديدات واردة من قبل فقد زادت درجتها.

وبالتالي فما نتوقعه من الطرف الإسرائيلي هو زيادة في اتخاذ إجراءات وتدابير (يترتب عنها أحداث وقضايا) تتناسب وطبيعة الوضع الإقليمي المضطرب، وذلك قطعا ما ستواكبه الوسائط الإعلامية المهتمة من الأساس بالشأن الإسرائيلي على نحو معين.

لقد منحتنا أحداث ما سمي بالربيع العربي خصوصية زمنية لدراسة الواقع الإسرائيلي إعلاميا، لكنها ظلت خصوصية موسعة إلى الحد الذي يفوق قدرتنا على البحث ضمن ما هو متاح فعلا، وبالتالي فقد اضطررنا إلى تحديد مجال مناسب ضمن هذه الخصوصية الزمنية الموسعة ووقع اختيارنا بصورة مبدئية على سنة 2012.

لقد تأسس اختيارنا المبدئي لسنة 2012 على مجموعة من الحقائق على الأرض استقيناها من أحد التقارير الدورية التي تصدر عن المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، والتي تفيد أن مشاريع الاستيطان الإسرائيلية تضاعفت إلى أربعة أضعاف ما كانت عليه عام 2011، ليكون العام 2012 حسب نص التقرير " ربيع الاستيطان الإسرائيلي "[68] في فلسطين، وهو ما لفت

انتباهنا في مقابل ما يحدث في محيط العالم العربي وبالقرب من فلسطين التاريخية ويسمى بالربيع العربي.

لقد دعتنا مثل هذه الحقيقة إلى المسارعة في تبني اختيار الانطلاق من سنة 2012 كمجال زمني للتحليل، وأعاق مسارنا ضمن حدود هذا الاختيار تاريخ تأسيس قناة الميادين الفضائية الذي هو منتصف 2012 (شهر جوان)، وبناء على ذلك كله قمنا بتحديد الإطار الزمني للعينة من جوان 2012 إلى جوان 2013، بعد ما تأكد لدى الباحث تركز مجموعة من الأحداث الخاصة والمفصلية وذات العلاقة والأثر المباشرين على الكينونة الإسرائيلية ضمن هذا المجال الزمني، وهذه الأحداث هي:

1- العدوان على غزة: إثر عملية عسكرية أطلق عليها الجيش الإسرائيلي اسم "عامود السحاب"، وبدأت رسميا في:2012/11/14 باستشهاد القائد الفلسطيني أحمد الجعبري وانتهت في 2012/11/21، ويمثل هذا الحدث في بعده الإعلامي ضمن حدود دراستنا: الصراع مع الفلسطينيين أصحاب الأرض.
2- ترقية فلسطين إلى دولة مراقب غير عضو في الأمم المتحدة بتاريخ 2012/11/29 وهو تاريخ اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، ويدخل هذا الحدث في نفس البعد السابق الذي ذكرناه.
3- تداعيات مخطط برافر الاستيطاني لتهجير القبائل العربية من صحراء النقب[69] وقد سمي بالنكبة الصغرى، حيث أقر الكنيست الإسرائيلي مشروع قانون (برافر) يوم 2013/06/24 بناء على توصية من وزير التخطيط الإسرائيلي إيهود برافر عام 2011، لتهجير عشرات القرى الفلسطينية من صحراء النقب في الجنوب الفلسطيني، وقد تراجعت إسرائيل عن هذا المشروع في ديسمبر 2013 إثر ضغوط شعبية من الفلسطينيين داخل ما سمي بالخط الأخضر. وهذا الحدث يدخل كذلك في بعد صراع إسرائيل مع الفلسطينيين أصحاب الأرض ضمن اهتمامنا بمعالجته إعلاميا.
4- الانتخابات الرئاسية المصرية وحصول محمد مرسي على منصب رئيس الجمهورية في 2012/06/24، إثر هذه الانتخابات التي اعتبرت من مفرزات ما سمي بثورة

25/يناير/2011، ويشكل هذا الحدث من الناحية الجيوسياسية تحديا معتبرا لإسرائيل من منطلق صراعها الإقليمي مع الدائرة العربية التي تواجدت ضمنها، حيث ستزيد احتمالية حدة الصراع بالنظر إلى الانتماء الأيديولوجي للرئيس الجديد، وهو الانتماء نفسه (الإخوان المسلمون) لحركة حماس في قطاع غزة.

5- الانتخابات الرئاسية الإيرانية و وصول حسن روحاني إلى السلطة: أعلن حسن روحاني ترشحه للرئاسة في 2013/01/11 وسجل نفسه كمرشح رئاسي في 2013/05/07، وأعلن عن فوزه بالانتخابات يوم 2013/06/15. ويأتي هذا الحدث مع سابقه في نفس البعد، وهو الصراع الإقليمي ولكن هذه المرة مع الدائرة الأوسع وهي الدائرة الإسلامية، وأهم مؤشر يذكر في هذا السياق هو الجدل المثار حول برنامج إيران النووي وأثره على الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية المشرقية، وقد شهدت سنة 2006 حربا مدمرة شنتها إسرائيل على تنظيم حزب الله في لبنان، الذي يوصف بأنه ذراع إيرانية في قطر عربي.

6- الانتخابات الأمريكية واستمرار باراك أوباما: جرت الانتخابات في 2012/11/06 وتولى أوباما الرئاسة رسميا في 2012/12/17 بعد فوزه فيها. ويدخل هذا الحدث في إطار علاقة إسرائيل بمحيطها الدولي، ولا يخفى على أحد أن لهذه العلاقة خصوصية معتبرة وصلت إلى حد اعتبار إسرائيل امتدادا لأمريكا في المنطقة العربية، بالنظر إلى ما تلقاه منها من دعم غير مشروط في أغلب الأحيان.

7- الانتخابات الإسرائيلية المبكرة واستمرار بنيامين نتنياهو: تم الإعلان عن هذه الانتخابات مطلع شهر أكتوبر 2012 وأجريت في 2013/01/22 وفاز فيها حزب الليكود وترأس بذلك نتنياهو الحكومة من جديد، ويدخل هذا الحدث ضمن بعد الدائرة الداخلية لإسرائيل حيث يعبر عن تحولات عميقة شهدتها (وتشهدها) الساحة السياسية الإسرائيلية.

8- تواصل الاحتجاجات الاجتماعية الإسرائيلية: انطلقت هذه الاحتجاجات في صيف 2011 (تزامنا مع أحداث ما أسمي بالربيع العربي) وتواصلت خلال العام 2012 مع انخفاض ملحوظ في وتيرتها، وقد جاءت هذه الحركة الإحتجاجية على خلفية تراجع مكانة الطبقة الوسطى وغلاء المعيشة في ظل تقليص الحكومة الإنفاق على الخدمات العامة.

وبذا يتضح أننا قمنا بتحديد المجال الزمني لدراستنا تبعا للدوائر المؤثرة في الوجود الإسرائيلي والتي هي:

1- الدائرة الداخلية: وتخص مباشرة شؤون حياة الإسرائيليين على الأصعدة المختلفة.
2- دائرة الصراع مع الشعب الفلسطيني التي أصبحت تشكل إعلاميا لب الصراع من خلال الأحداث التي تتم معالجتها على نحو شبه يومي.
3- الدائرة الإقليمية: التي غالبا ما تنقل وعينا إلى صراع إسرائيل مع محيطها العربي والإسلامي.
4- الدائرة الدولية: التي غالبا ما تعتبر نصيرا وظهيرا للوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية.

وقد حددنا ضمن جميع هذه الدوائر أحداثا خاصة ومؤثرة ويؤلف بينها جميعا تكثيف النشاط الاستيطاني الإسرائيلي (الحقيقة الأكثر تأثيرا) بشكل أكثر من ملفت تزامنا مع الحراك الذي نشأ في جل الأقطار العربية.

ثالثا- مستوى العينة الخاص بمادة التحليل:

اتجه الباحث إلى التعامل مع البرامج الحوارية الإخبارية، التي تزاوج بين عنصري الإخبار(الخبر) و التحليل الذي يسترسل في شرح أبعاد الخبر، و بناء على ذلك تشكلت معالم العينة الخاضعة للتحليل وفق الآتي :

أ- **قناة الجزيرة:** تم اختيار برنامج ما وراء الخبر، وهو برنامج يومي على الساعة 18:30 بتوقيت غرينتش ويجمع بين المعالجة الخبرية والتحليل المتطلع إلى الموضوعية، ويدوم في حدود 25 دقيقة.
ب- **قناة الميادين:** اختار الباحث ضمن هذه القناة برنامجا يجمع كذلك بين المعالجة الخبرية والتحليلية، لكن له خصوصية مستمدة من كونه مخصصا من طرف هذه القناة أسبوعيا لرصد أخبار إسرائيل، ومناقشة ما هو محوري منها عبر تحليل إخباري يبتعد عما يمكن تسميته بالخطاب الدعائي، ويسمى هذا البرنامج الأسبوعي الذي يبث مباشرة مساء كل جمعة " خلف الجدار" وتدوم مدة عرضه حوالي 50 دقيقة، حيث يبدأ هذا العرض بنشرة إخبارية مختصرة

لأبرز الأحداث التي عاشتها إسرائيل طيلة الأسبوع، ثم تناقش بعدها الأحداث و القضايا المميزة على شكل محاور.

وقد اختار الباحث من البرنامجين المذكورين ما مجموعه ثلاثون (30) عددا بمعدل خمسة عشر (15) عددا من كل برنامج لكل قناة ، في إطار عملية تبئير للعينة شملت الحرص على اختيار الحصص التي تعالج المواضيع الأكثر تركيزا على الشأن الإسرائيلي البحت، و روعي في ذلك قدر الإمكان عامل الاشتراك في معالجة نفس الموضوع لدى القناتين حتى تتحقق المقارنة الضمنية ، و فضلا عن ذلك يتحقق وضوح صورة إسرائيل ضمن واقع إعلامي عربي بعينه. وقد ترتب عن هذه الاختيارات البحثية ما يلي :

- حجم المعالجة الإعلامية الخاضعة للتحليل في قناة الجزيرة هو :23068 ثا.
- حجم المعالجة الإعلامية الخاضعة للتحليل في قناة الميادين هو :43575 ثا.

حيث أخذنا – حتما– في حسباننا الحجم الزمني المختلف بين البرنامجين محل انشغالنا.

مراجع وهوامش الفصل الأول:

(1): Martin steins, permanences de l'imagerie africaine,

نقلا عن: عبد النبي ذاكر، سيميائية الصورة الثقافية، مجلة الصورة ،عدد 2، 1999، ص11 .

http://schoully.x10.mx/Assoura/Assoura-No2/02-002.PDF

اطلع عليه بتاريخ : 12-10-2013 .

(2): نقلنا هذه الفكرة عن: علاء هاشم مناف، فلسفة الإعلام والاتصال دراسة تحليلية في حفريات الأنساق الإعلامية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، (1432-2011).

(3): بناء على الإحصاءات الواردة في التقرير السنوي لسنة 2014 حول البث الفضائي العربي، إصدارات إتحاد إذاعات الدول العربية.

(4): ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص 4894.

(5): المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، (1425-2004)، ص ص 1150-1151.

(6): أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، مجلد 3، عالم الكتب، القاهرة، (1429-2008) ، ص 2480.

(7): قد يبدو غريبا أن نقول أن تأسيس إسرائيل هو إحدى ثمرات هذه النزعة لدى الحركة الصهيونية، والأغرب منه أثر هذه النزعة لدى بني إسرائيل القدماء حينما عبدوا العجل الذهبي بعد معجزة عبورهم البحر.

(8): عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، مجلد 7، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 253.

(9): جون فرانسوا دورتيي، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي، (1430-2009)، ص 1116.

(10): نفس المرجع، ص 1117.

(11): عبد الرحمان عزي، دراسات في نظرية الإتصال، ط1، م د و ع، بيروت، ديسمبر 2003، ص 19.

(12): جون فرانسوا دورتيي، مرجع سبق ذكره، ص 1117.

(13): نفس المرجع، ص 445.

(14): المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص 372.

(15): أحمد مختار عمر، مرجع سبق ذكره، ص 941.

(16): مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 430.

(17): محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، ط1، مجلد 3، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 1310.

(18): دورتيي، مرجع سبق ذكره، ص 446.

(19): بما أننا ألزمنا أنفسنا بفكرة الإلزام العقلي للاتصال الواردة في الإشكالية لم نشأ أن نتطرق إلى علاقة الرموز بعالم الحيوان، وفي الإمكان الإستعاضة عنه (أي الرمز) بالإشارات التي تترتب عنها استجابات محددة في عالم الحيوان الذي له مقتضيات خاصة تتطلب تحليلا موازيا ليس هذا ميدانه.

(20): نقلنا هذا التعريف عن: سعيد درويش، الرمز والرمزية في الفن التشكيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مجلد 29، عدد 1، 2013، ص 662.

(21): داسكال مارسيليو، الإتجاهات السيميولوجية المعاصرة، نقلا عن: سعيد درويش، مرجع سبق ذكره، ص 661.

(22): أحمد مختار عمر، مرجع سبق ذكره، ص 1543.

(23): المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص 624.

(24): مراد وهبة، مرجع سبق ذكره، ص 430.

(25): محمد منير حجاب، مرجع سبق ذكره، ص 1696.

(26): طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، م د و ع، بيروت، سبتمبر2006، ص 498.

(27): Claudine Tiercelin, la pensée signe, études sur G.S peirce, édition Jacqueline Chambon, 1993, pp 18-19.

(28): Umberto Uco, la production des signes, librairie générale française, 1992, p 15.

(29): Dominique mangueneau, analyser les textes de communication, 2ème éd, Armand colin, 2007, pp 3-4.

(30): ibid. p 09.

(31): Roland Barthes, éléments de sémiologie, revue communication, volume 4, 1964, p 106.

(32): أحمد مختار عمر، مرجع سبق ذكره، ص ص 714–715.

(33): المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص 266.

(34): إدريس سامية، المخيال في الخطاب الروائي الجزائري، مجلة الخطاب، عدد 5، جوان 2009، ص 40.

(35): مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 214.

(36): إدريس سامية، مرجع سبق ذكره، ص 40.

(37): عيسى العوفي وعبد الرحمان الجميدي، القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، ط1، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 75.

(38): محمد منير حجاب، مرجع سبق ذكره، ص 1156.

(39): عيسى العوفي والجميدي، مرجع سبق ذكره، ص 203.

(40): إدريس سامية، مرجع سبق ذكره، ص 39.

(41): كلثوم السعفي، تصور الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية في الثلاثينات، دراسة في صحف: الحلوز، الفجر، اليقظة اليهودية، ط1، شرق برس، قبرص، 1989.

(42): سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، ط1، مكتبة الفلاح، 2005، ص 229– ص 302.

(43): نقلنا ذلك عن: علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص ص 138–139.

(44): إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد غلوم ومحمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، أبريل 1999، ص 117.

(45): نفس المرجع، ص 119.

(46): أنتوني غيدنز، علم الإجتماع، ترجمة فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، ص 76.

(47): فيليب كابان وجان فرانسوا دورتيي، علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ترجمة إياس حسن، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2010، ص 115.

(48): أنتوني غيدنز، مرجع سبق ذكره، ص 159.

(49): آرثر أسابيرغر، وسائل الإعلام والمجتمع وجهة نظر نقدية، ترجمة صالح خليل أبو إصبع، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2012، ص 157.

(50): نفس المرجع، ص 158.

(51): نفس المرجع، ص ص 99–100.

(52): حسن مكاوي وليلى السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص 152.

(53): نفس المرجع، ص 152.

(54): موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 102.

(55): محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والإجتماعية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002، ص 78.

(56): سمير محمد حسن، بحوث الإعلام، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1995، ص 147.

(57): محمد منير حجاب، مرجع سبق ذكره، ص 87.

(58): موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 288.

(59): عاطف عدلي العبد وزكي أحمد عزمي، الأسلوب الإحصائي واستخداماته في بحوث الرأي العام والإعلام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص 208.

(60): موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 277.

(61): صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 236.

(62): نفس المرجع، ص 236.

(63): موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 219.

(64): محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 14.

(65): نفس المرجع ، ص 13.

(66): يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، ط1، طاكسيج-كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 24.

(67): نفس المرجع ، ص 49.

(68): المشهد الإسرائيلي 2012، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مؤسسة الأيام، رام الله، 2013، ص 12.

(69): أحمد أمارة، المخططات لتوطين البدو في النقب ، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، ملفات مدى، الملف رقم 1، 2013 .

http://mada-research.org/wp-ontent/uploads/2013/.../Prawer_Mada.pdf

أطلع عليه بتاريخ : 08 ديسمبر 2014.

الفصل الثاني

الصورة والخطاب الإعلامي

تمهيد :

يتميز موضوع الصورة وكذا البحث ضمن حدود هذا الموضوع بميزتين بارزتين هما الأهمية الشديدة والتعقيد الشديد في الآن نفسه، وهذه الملاحظة التي لا نعتبرها بأي حال نوعا من المبالغة مبنية على ميزة أخرى لموضوع الصورة تتمثل في كون هذه الأخيرة بمثابة موضوع مشترك للعديد من العلوم و المعارف، و هو الأمر الذي وقف عليه الباحث ميدانيا حين اكتشفنا تدريجيا مجموعة الروافد العلمية التي تغذي هذا الموضوع (أي الصورة) و تتغذى منه على نحو جوهري. فإذا كان المنطلق هو بداية الخلق ثم مرورا بما صرح به أرسطو (الملقب بالمعلم الأول) وليس إنتهاءا بعديد البحوث الميدانية والنظرية في التخصصات العلمية المتباينة، فإن وجود الصورة ثابت و مستقر على نحو ظاهر أو مستتر لأن التفكير مستحيل دون صور (حسب أرسطو)، ولأن الصورة هي العالم المتوسط بين الواقع والفكر وبين الحس والعقل (حسب د. حسن حنفي).

إن الفائدة المنهجية التي سنجنيها من هكذا طرح هي في المقام الأول ذات ارتباط وثيق بخريطتنا الإدراكية، التي لا شك أنها ستتسع بالقدر الذي يسمح لنا بتشكيل اتجاه سليم نحو موضوع الصورة من الناحيتين النفسية والاجتماعية، فالإنسان " لا يعيش وسط عالم من الأشياء،.. بل وسط عالم من الصور تحدد رؤيته للعالم وطبيعة علاقاته الاجتماعية، إن الحوار الذي يتم بين طرفين إنما يتم بين صورة كل طرف في ذهن الآخر، والحروب الأهلية داخل الأوطان والصراعات الكبرى بين الدول إنما هي صراعات بين صور متعارضة يصنعها الإعلام والتعليم والثقافة"[1]، وبناء على هذا كله فإننا في حدود هذه الدراسة نعالج موضوعا يشكل جوهر المعرفة الإنسانية ومبتدأها ، إنما ستكون هذه المعالجة بمثابة الرافد المنهجي الذي سيمكننا في نهاية المطاف من تحقيق الأهداف الكبرى لهذا البحث، المتمحورة أصلا حول محاولة الإحاطة بصورة إسرائيل في المتخيل الإعلامي العربي، وهو الأمر الذي سيأخذنا في مسعى آخر للتنقيب حول مفهوم الخطاب الإعلامي باعتباره أمسى أبرز حوامل الصورة والأكثر تأثيرا من خلالها.

المبحث الأول: مفهوم الصورة ومقاربات دراستها.

المطلب الأول: الصورة : تشعب المفهوم وجدلية المصطلح.

يفترض في عملية تحديد المفاهيم أنها إجراء منهجي ذو فعالية معتبرة تتجلى في الجانب السيكولوجي من خلال الإعانة على وضوح الأفكار في الذهن، والجانب المنهجي من خلال توفير القدرة على البرهنة والاستدلال، ونحن إذ نستهل بهذه الفكرة لا نفعل ذلك من منطلق الصنعة اللفظية (العلمية) إنما كخطوة أولى استباقية وإحترازية في الآن نفسه على طريق المساءلة فيما يرتبط بظاهرة الصورة كموضوع للمعرفة العلمية.

إن هذه المساءلة التي تمثل في الغالب نقطة انطلاق للمعرفة لم تكن لتكون لولا الملاحظة التي أجراها الباحث، والتي أفرزت تقييمه لمجموعة من الأدبيات البحثية التي تشترك في طرحها الإشكالي لموضوع الصورة مفهوما ومصطلحا، وذلك تبعا للعديد من الأسباب المتعلقة بعامل اللغة حينا وعوامل ثقافية وتاريخية ومعرفية أحيانا أخرى، إلا أننا بدورنا نضيف إلى البعد الإشكالي في تناول موضوع الصورة كمفهوم وكمصطلح جانبا آخر، يتعلق بتغلغل هذا الموضوع (أي الصورة) في جميع مفاصل المعرفة الإنسانية دون استثناء.

لذلك سيكون لزاما إزاء هكذا موضوع التحلي بأقصى درجات التحليل الذي يذهب بعيدا في سبر أغوار مفردة الصورة، ذات التداخل الشديد مع عديد المصطلحات التي تشكل أسس المعرفة، والتي ستتضح تدريجيا فور رسمنا للحدود التجريدية التأسيسية للمصطلح .

إن المظهر الأساسي لمشكلة الصورة في إطارها المفاهيمي يتبدى في حالة الإنهاك التي يتعرض لها المصطلح من جهة استخدامه، وانعكاسات ذلك على المجهود التواصلي العام والعلمي على وجه الخصوص. وبدورنا ضمن حدود بحثنا هذا لم نجد لهذه الإشكالية حلا منهجيا فعالا مثل اتخاذ التحليل الإيتيمولوجي – الاشتقاقي قاعدة معرفية صلبة تكفل لنا على الأقل منح مبررات الاستخدام للمصطلح حتى ضمن سياقات متعددة، ووفق تعديلات اصطلاحية تستمد قوتها العلمية (المفاهيمية) من الجذر الإشتقاقي للمصطلح.

1- المدلول اللغوي لمصطلح الصورة.

ورد في لسان العرب تصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والمصور اسم من أسماء الله الحسنى، فهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شي منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها. قال إبن الأثير: الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته[2].

كما وردت الصورة في المعجم الوسيط بمعنى الشكل والتمثال المجسم، وصورة الأمر أو المسألة صفتها، وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل، وتبعا لذلك ورد الفعل صوره بمعنى جعل له صورة مجسمة، ففي التنزيل الحكيم "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء" وصور الشيء: رسمه على الورق بالقلم أو آلة التصوير، وتصور الشيء تخيله واستحضر صورته في ذهنه[3]. أما مرادفها الأجنبي (الغربي)، ونقصد به لفظة IMAGE فتمتد جذوره إلى الكلمة اليونانية القديمة ICON والتي ترجمت إلى IMAGO في اللاتينية وIMAGE في الإنجليزية، وفيها إشارة إلى معنى التشابه والمحاكاة وهو ما يربطها بالكلمة اللاتينية IDOLUM التي تعني صورة بلا مادة وهي مشتقة من الجذر اليوناني القديم EIDOLON الذي يعني الشكل أو المظهر الخارجي، دون أن ننسى في الأساس ارتباط اللفظة IDOLUM بكلمة IDEA (فكرة) التي اشتقت منها كلمة إيديولوجيا IDEOLOGY. وهكذا ترتبط الأيديولوجيا بشكل أو بأخر بالصورة وننتهي إلى كونها (أي الأيديولوجيا) التفكير من خلال الصور[4].

إن هذا الطرح المقتضب لجملة الإشتقاقات اللغوية لمصطلح الصورة يحيلنا ضمنا إلى مجموعة من المؤشرات اللغوية التي نعتبرها عوالم فكرية ترسم بصدق حدود الحقل الدلالي للمصطلح، وهذه المؤشرات هي من قبيل: النسخ – المشابهة – التمثيل – المحاكاة..إلخ، وجميعها تصب في بؤرة دلالية واحدة هي إعادة الإنتاج للشكل الخاص بشخص أو فكرة أو شيء أو معطى ما من العالم الطبيعي. وبناءً على هذا يدخل ضمن الحدود الدلالية لمصطلح الصورة كل ما له صلة بإعادة إنتاج الواقع على نحو ما، وهو الذي يشكل في حدود ما توصل إليه الباحث الأساس الدلالي لمصطلح الصورة.

إن ما تقتضيه لفظة الصورة كونها مصطلح ذو دلالة هو الفكرة المتمثلة في إعادة إنتاج الواقع وذلك في مطلق الأحوال، بمعنى بقطع النظر عن كون هذه الصورة: صورة بصرية (مرئية) مأخوذة عن طريق الرسم أو آلة التصوير (فتوغرافية) أو حتى رقمية، أو صورة ذهنية أو نمطية أو صورة قومية، يضاف إلى هذه الأنواع الصورة الحالية والمرغوبة والصورة المرآة والمثلى والمتعددة وهي جملة الإستخدامات الإصطلاحية المتعلقة بميدان العلاقات العامة.

كل هذه الأنواع و غيرها و كذا مختلف إستعمالات المصطلح في الميادين المتعددة للمعرفة لن يخرج عن الفكرة الجامعة المانعة لأي خلط دلالي وهي فكرة :

إعادة الإنتاج للواقع بمكوناته المعهودة :

- عالم الأفكار والمعاني .
- عالم الأشياء والمؤسسات.
- عالم الأشخاص .
- العالم الطبيعي .

إن توصلنا إلى هذه الفكرة يمنحنا المسوغ المنهجي للإنتقال إلى فكرة أخرى لا تقل عنها أهمية، وهي التي من شأنها أن تتمم معنى مصطلح الصورة وتجعله واضحا في مستواه التجريدي القاعدي، وتتعلق هذه الفكرة بما سمي بالتصور التقليدي للحقيقة أو الواقع، والقائم على مبدأ المطابقة أو التطابق والتوافق المؤدي إلى نتيجة مفادها صحة واستقامة التمثل و كذلك الإستحضار، وكذا يتأكد لنا حضور الصورة – كظاهرة– في مبتدأ المعرفة ومستهلها، وفي ذلك تأكيد ثان على انحصار المسألة بين العقل والواقع بكل تجلياته إذا قمنا بإستثناء الألة (التقنية) التي هي في الأصل ثمرة لإعمال عقل الإنسان، وفي حدود هذه المسألة يتموقع كل من الإستقراء والإستنباط كطرحين إبستمولوجيين لهما مشروعيتهما المستمدة ضمنا من التطابق أو التوافق بين الواقع وصورته[5]، "فالشيء لا يعد موجودا بالنسبة لشعورنا إلا عندما يلد فكرة تصبح برهانا على وجوده في عقلنا..تلك هي عملية الإدراك عندما نريد أن نفهم الأشياء من الوجهة النفسية، فتحقيق الشيء يتم بواسطة الإدراك الشعوري ثم يترجم إلى إسم.. فالإسم إذن هو أول تعريف للشيء الذي يدخل في

نطاق شعورنا، فهو تصديق على وجوده و هو القوة التي تستخرجه من الفوضى المبهمة فتسجله في عقلنا في صورة حقيقية محددة، والاسم بهذا الوضع بعد إذن أول درجة من درجات المعرفة، و أول خطوة نخطوها نحو العلم"[6]، فالعلم أصلا ليس إلا نشاطا لمعرفة الواقع وهو ما ذهب إليه موريس أنجرس حيث يعرفه بأنه: مجموعة منسجمة من المعارف المتعلقة ببعض فئات الظواهر..طبقا لمنهج خاص[7]. والظواهر من جهتها ما هي إلا " وقائع مدركة بصفة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الحواس وهي موضوع المعرفة العلمية "[8]، وبذا ينكشف لنا تدريجيا الحضور الضمني[9] للصورة كظاهرة أو كموضوع في عديد العمليات التي تتم على المستويات العقلية- النفسية والاجتماعية.

أولا : حضور الصورة في المصطلح (الإسم).

إذا كانت المعرفة هي " ذلك الفعل الذي تستطيع بواسطته الذات أن تسيطر عقليا على موضوع معين بهدف اكتشاف خصائصه المميزة "[10]، فإن أول خطوات هذه السيطرة يتم عن طريق نحت المصطلح، وهو ما يتصل تماما بما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى" وعلم آدم الأسماء كلها [(11)]، بحيث يصبح المصطلح هو المتصور أو الفكرة وقد تبلورت في قالب لفظي قابل للتداول، وهي المرحلة التي تمثل انتقال الأشياء والأفكار من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، ونترجمها في كون المصطلح (الاسم) هو ما يعطي للصورة كفهم للواقع الوجود و التحقق المادي واللغوي ويمنحها البعد التداولي التواصلي .

ثانيا : حضور الصورة في الإدراك.

يعتبر الإدراك في جوهره وسيطا بين الكينونة الإنسانية والعالم الخارجي ولهذا السبب تحديدا تربطه علاقة متينة جدا بالصورة بمفهومها الواسع، من منطلق كونه عملية تمثل الأشياء في العالم الخارجي وإعطائها المعاني الخاصة بها، ويعرف بأنه "عملية عقلية معرفية نشطة ومعقدة يستقبل ويفسر من خلالها الإنسان المثيرات التي تحيط به بصورة كلية بحيث يتم صياغتها في صور يمكن فهمها، وبناء على هذه الصياغة (أي الصور) تأتي الإستجابة أو ردة الفعل من قبل الإنسان"[12]، وتبعا لهذا كانت أهم مشكلة بحث فيها أفلاطون فيما يتعلق بالمعرفة هي: كيف نحدد ونفهم الأشياء

التي توجد خارج ذواتنا؟ إن وسائل الإتصال هي إحدى أبرز الآليات التي نحصل من خلالها على فهم ذاتي لتلك الأشياء، كحقيقة موضوعية، وهو نفسه فعل التصور الذي لا يجعل من الإدراك "إلتقاطا فوتوغرافيا للعالم الخارجي وإنما بناء شخصي انتقى منه الفرد موضوعات معينة لتلعب الدور الأكبر...فكل إنسان مدرك هو إلى حد ما فنان يرسم صورة للعالم الخارجي تعبر عن نظرته للواقع"[13].

إن محل الإدراك هو العقل و" العقل في أبسط العمليات الإدراكية فاعل فعال مبدع حر، يتمتع بقدر من الإستقلالية عن المعطيات المادية المحيطة به..وعملية الإدراك ليست بسيطة تأخذ شكل منبه أو مثير فاستجابة، فهي مسألة تبلغ الغاية في التركيب إذ يوجد بينهما عقل نشط مبدع ينظم وهو يتلقى، والمعرفة تتضمن فهما وتركيبا وتنظيما "[14]. لكن الأساس أن هذه المعرفة ليست محايدة على الإطلاق إنما تدور في فلك المنظومة القيمية للمدرك التي يمكن إعتبارها آلية أساسية لإدراك الواقع من قبل الإنسان، الذي لا نشك البتة أنه لا يستجيب للمنبهات في حد ذاتها وإنما يستجيب لفهمه لها ولدلالتها وللمعنى الذي يسقطه هو عليها. وهو الحال الذي نلمسه بشدة في علاقة الإنسان العربي أو المسلم بظاهرة أو منبه خارجي إسمه "إسرائيل".

ثالثا: حضور الصورة في المفهوم.

تشكل المفاهيم إحدى أهم آليات المعرفة بشقيها العلمية وغير العلمية، وتأتي ضمن المستوى الثاني لبنية العلم من حيث هو نشاط لدراسة الواقع، ويتمثل هذا المستوى ببساطة في عملية التجريد للعناصر المشتركة بين عدة مواقف أو حقائق، التي تجعل من المفاهيم نوعين : مفاهيم مجردة وأخرى محسوسة.

ويتأكد حضور الصورة ضمن المفاهيم كآلية جوهرية للمعرفة من منطلق أن تلكم الأخيرة (أي المفاهيم) ليست سوى صورة عقلية لشيئ، تتكون من خلال تعميم يتم استخلاصه من الخصائص المميزة للواقع، وهذا التوصيف هو نتاج لتعريف المفهوم بأنه "تجريد ذهني أو بناء عقلي أو صورة ذهنية ينشؤها العقل نتيجة تعميم لسمات وخصائص مجردة مشتركة استنتجت من أشياء مختلفة تتقاطع في صفة معينة "[15]، وحتى نقرب حضور الصورة في المفهوم أكثر ندرج

تعريفا آخر يعتبر المفهوم "شكلا من أشكال إنعكاس العالم في العقل يمكن به معرفة الظواهر والعمليات وتعميم جوانبها وصفتها الجوهرية "[16] " فالمفاهيم إذن هي أساس المعرفة ونقطة البداية لنظرية الاتصال الإنساني، فهي تمثل طريقة انتسابنا للواقع.. ومن الواضح أننا عندما نتحدث معا أو نقرأ الصحيفة أو نستمع للراديو أو نشاهد التلفزيون، فإن الأطراف المشتركة في هذا النشاط يستخدمون الرموز وقواعد تفسيرها لتحقيق التفاهم "[17].

إن هذه الرموز تقودنا ثانية إلى آلية أخرى من آليات المعرفة سبق وأن أشرنا إليها وهي الإسم /المصطلح ، الذي يشكل في الحقيقة تأطيرا للمتصور العقلي أو الفكرة أو المفهوم.

ويرتبط المصطلح أو الإسم بما يسمى عادات اللغة من حيث هي القواعد الإجتماعية التي تحقق التفاهم بين مجموعة من البشر، وعبر هذه القواعد يتم تفعيل جملة السمات اللصيقة بالمفاهيم كونها جعلت من الأساس للتوصيف والتحليل والتصنيف ، وقد لا يخفى على من كان له قدر من الحصافة العلمية أن هذه العمليات هي وظائف خاصة في الأصل بالنظرية، وليس في ذلك أي حرج معرفي طالما أن النظرية في جوهرها هي مفهوم كبير و واسع، لكن ذلك لا يمنع من تقديم تعريف جامع للنظرية يثبت كذلك حضورا قويا لظاهرة الصورة ضمن الآلية النهائية للمعرفة وغايتها الرئيسية والمحك الذي من خلاله تحدث عملية التنبؤ . تعرف النظرية بأنها "مجموعة من المصطلحات والتعريفات والإفتراضات لها علاقة ببعضها البعض والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها "[18]، وهكذا نصل مع الصورة إلى منتهى المعرفة العلمية من خلال حضورها الخفي المستتر ضمن النظرية، التي لا يمكن أن تخرج في النهاية عن كونها مجرد تصور تم نسجه بعد مجهود مضني من التنقيب المنهجي. وهي تشكل رؤية محددة للواقع تنبؤنا في النهاية أنه لا يمكن التعاطي مع العالم المحيط بنا دون الإنتباه إلى أهمية مسألة الرؤى، من حيث هي الآلية الأساسية التي تتموضع عبرها مختلف أشكال الإتصال الإنساني، الذي هو في جوهره عملية انتقال للمعاني بين طرفين أو أكثر، و حتى هذه المعاني تعيدنا ثانية إلى نقطة البداية للمعرفة الإنسانية، لأنها (أي المعاني) " القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية و بعيدة و حشية محجوبة مكنونة"[19]، وبالتالي فإن الصورة مهما تعددت تعاريفها المرتبطة بأصناف معينة منها، فإنها

لن تخرج مطلقا عن كونها القوام الخفي للمعرفة الإنسانية الذي نتحصن به كيما نتفاعل مع العالم المحيط بنا ونتخذ إزاءه المواقف المتعددة.

جون بودريار والواقع المصطنع :

لقد تركز جل ما طرحناه على بساط البحث آنفا حول بؤرة تحليلية واحدة، هي نفسها التي ننوي أن نجعل منها نواة صلبة لبناء تعريف للصورة يمنع إلى حد ما تداعي الإشكاليات المفاهيمية ومن ثم الإستخدامية المرتبطة بالمصطلح محل المناقشة.

إن هذه البؤرة التحليلية تتمثل ولا ريب في مفهوم إعادة إنتاج الواقع، الأمر الذي حدا بنا إلى نبذ الميل إلى تغافل إحدى الطروحات المنتمية إلى فلسفات الاتصال، والتي أثارت جدلا واسعا سيما ضمن الأوساط الفكرية، ونقصد بذلك فكرة الواقع المصطنع لصاحبه أستاذ السوسيولوجيا المفكر الفرنسي جون بودريار. قبيل الإعتداء على العراق مطلع التسعينات بعد إجتياح قواته للكويت، كتب جون بودريار مقالا بعنوان "حرب الخليج لن تحدث" ثم كتب مقالين آخرين "هل حدثت حرب الخليج فعلا" و "حرب الخليج لم تحدث فعلا"، فضلا عن كتابه المعنون بـــ: "حرب الخليج لم تقع"، سنة 1991. وسبق كل هذه المنشورات كتابه سنة 1981 "المصطنع والاصطناع" وتوج ذلك بالتبادل المستحيل (1999). وبذا تتضح سيرورة تفكير هذا الرجل ضمنيا في موضوع الصورة وظاهريا في جدلية العلاقة بين الدال والمدلول ببعديها التقني والفكري، بمعنى أن القضية ليست محصورة بأي حال في النشاط الإنساني الذهني وحسب بل إن مجال المباحثة والمساءلة يمتد ليشمل النشاط التكنولوجي للإنسان، وهو بلا شك الإنسان الغربي الذي أوصل العالم (جله) إلى حالة من فقدان المعنى بسبب التدفق الهائل للمعلومات عبر الوسائط الحديثة للاتصال، وهو ما مكن من إبتكار بيئات زائفة أمسى كل الناس يعتقدونها الواقع ذاته، وهي في الحقيقة واقع مصطنع تم إستنساخه تباعا من عديد الصور وصولا إلى صورة اعتبرها جون بودريار هي مرجع ذاتها.

وهنا بالتحديد تسبق الخريطة الجغرافيا وتصبح هي الأصل والجغرافيا تابعا لها، وأطلق مفكرنا على هذه المرحلة (الزمنية) النسق الثالث للصورة المخادعة.

رغم وجه الإفادة الذي أخذناه من طرح بودريار حول الموضوع محط المناقشة، إذ رمينا من خلال هذا السعي الإضافي إلى تثبيت فكرة إعادة الإنتاج فيما يخص معنى الصورة التي تمنحها قدرة على التغلغل في جميع مفاصل وعروق المعرفة، إلا أننا لا نود أن نفوت فرصة توجيه شيء من النقد المتعلق بالبوصلة الفكرية لجون بودريار، التي تبدو مترنحة بين ماهو بنيوي من جهة وما هو تفكيكي من جهة أخرى، فضلا عن التأثير الخاص للظروف النفسية-الإجتماعية للحضارة الغربية على سيرورة أفكار الرجل، وهو نفس النقد الذي وجه إلى هابرماس مثلا من جهة إنحصار توصيفه للفضاء العمومي على المستوى البرجوازي فقط.

2- تعريف الصورة.

لقد كان جل ما قمنا به في الجزئية السابقة هو عملية تفكيك وفرز وكذا مناقشة مكونات الحقل الدلالي لمصطلح الصورة، من حيث هي مفردة واسعة الإستخدام دون وعي كاف بطبيعة الأبعاد الخفية والكامنة التي يتمدد ضمنها معنى المفردة. وضمن الجزئية التي بين أيدينا الآن سنجتهد في لملمة العناصر التي أفرزها المجهود التحليلي السابق، من خلال عملية تركيب تضمن لنا في النهاية الوصول إلى الوصف اللفظي الجامع المانع للمتصور العقلي لمفردة الصورة، وهذا الوصف اللفظي هو ما اصطلح على تسميته بالتعريف، وبذا نكتشف من جديد كمون معنى الصورة في حدود مبنى التعريف، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون لمصطلح الصورة في حد ذاته تعريفا خاصا به ولو أن يكون تعريفا إجرائيا يمكننا من الوصول إلى قياسات سليمة للظاهرة محل البحث والمساءلة في هذه الدراسة. لكننا سنجد أنفسنا خلال سعينا الدؤوب لصياغة تعريف للصورة مضطرين لاتخاذ خطوة استباقية نرى أنها بمثابة الإجراء المنهجي السليم، المفضي إلى فهم أكثر عمقا لظاهرة الصورة وهذا الفهم هو الكفيل بإدراك قوة الإرتباط بين الاتصال كعملية والصورة كظاهرة معرفية. إن خطوتنا الإستباقية المقصودة هي أن نعرج على معنى المعلومة فنحاول الإحاطة بعمقها الدلالي وعلاقة ذلك بمعنى الصورة وموقع الإتصال من كل ذلك فيما بعد.

تعريف المعلومة.

المعلومة هي إحدى المفردات المشتقة من المصدر علم، وقاموسيا نقول "علم الشيء عرفه وشعر به ودرى، والعلم هو إدراك الشيء بحقيقته"[20]، وقد تأكد لدينا انطلاقا من هذا التعريف المعجمي وبناء على جملة من الأدبيات البحثية في هذا المجال ارتباط الثالوث المكون من: البيانات–المعلومات– المعرفة، فالبيانات هي المادة الخام المسجلة كرموز أو أرقام يمكن للإنسان تحليلها وتفسيرها، ونتيجة لذلك تتكون المعلومات التي تنتظم نسقيا لتكون المعرفة، التي وضحنا قبل الآن ارتباطها الباطني بموضوع الصورة، ورغم ذلك فإننا بحاجة إلى أن نرتع قليلا في حقل النموذج السيبرنيطقي كيما نستفيد من بعض المفاهيم الخاصة بالنظرية الرياضية للإتصال. فقد أنتجت لنا مقاربة "شانون" للأداء الإتصالي مفهومين مرتبطين أيما ارتباط بالرسالة (مضمون الإتصال) وهما: التشفير وفك التشفير، سيما هذا الأخير الذي يقود مباشرة إلى معنى إعادة الإنتاج للمضمون الإتصالي، وهي بالتحديد العملية التي تكشف عن كنه الصورة كموضوع وكعملية في الآن نفسه. يتبين بناء على ذلك أن تمثل الأشياء والأفكار والواقع عموما يتم حصرا عبر تراصف البيانات الذي يشكل لنا في النهاية ما يمكن أن نسميه بذور وخلايا المعرفة، وهي المعلومات التي تعتبر "إسما يراد به الدلالة على مضمون يتم تبادله مع العالم الخارجي وذلك كلما تأقلمنا معه وطبقنا عليه نتائج تأقلمنا، فلكي نتأقلم مع عوارض الوسط الواسع ونعيش فيه بأمان نتبع السيرورة المرتكزة على استقبال واستعمال المعلومة"[21]، وعليه فإن سيول المعلومات التي تنساب في قنوات الإتصال المتعددة هي المسؤولة عن تشكيل الصور عن الواقع، مهما كان شكل ونوع هذه الصور، وأيما خلل قد يعرقل انسيابية هذه المعلومات سيؤثر حتما في مخرج العملية والمحصلة تكون صورة مشوهة عن الواقع، دون أن نغض الطرف عن كون التشوه قد يحدث كذلك نتيجة بيانات ومعلومات (مضمون اتصالي) غير صحيحة، وهذا التشوه يفسره ثالث مفهوم يمكن أن نستقيه من النظرية الرياضية للإتصال وهو التشويش بشقيه الدلالي والفيزيقي .

عملية التعريف.

الصورة في واقعها لن تكون سوى إحدى الصورتين إما حسية أو معنوية، وكتسجيل للواقع لن تكون سوى صورة لشيء محسوس أو معنى من المعاني، وذلك إن لم نأخذ في حسباننا عالم

الغيبيات (الميتافيزيقا). ومن هذا المنطلق لم تفاجئنا كثرة التعريفات التي أوردها كثير من الباحثين على اختلاف مشاربهم العلمية والفكرية لمصطلح الصورة، والتي تركز جلها وحصة الأسد منها على الصورة وفق بعدها المعنوي أكثر من البعد الحسي، وقد يرجع ذلك رأسا إلى طبيعة التخصص العلمي الذي نتحرك ضمن إطاره يضاف إليه على نحو فرعي جوهر الموضوع المطروح للدراسة، والذي يرمي إلى اتخاذ كل الإجراءات المنهجية المناسبة كيما نصل إلى صورة "إسرائيل" في عينة من الفضائيات الإخبارية العربية، وفي ذلك إشارة واضحة إلى الاهتمام تحديدا بالبعد النفسي- الاجتماعي للصورة أكثر من أي شيء آخر، حتى وإن تمت الإشارة إلى الصورة في بعدها الحسي فإن ذلك سيكون حصرا في سبيل خدمة الهدف الرئيسي للبحث ليس إلا.

أ- الصورة كظاهرة نفسية- إجتماعية.

أوضح ليبمان في كتابه "الرأي العام" أن الإنسان يتعلم أن يرى بذهنه القسم الأعظم من العالم الذي لا يستطيع أن يراه أبدا أو أن يلمسه أو يسمعه أو يتذكره، وهو بالتدريج يصنع لنفسه وداخل ذهنه صورة يمكن الاعتماد عليها عن العالم الذي لا يستطيع الوصول إليه[22]. تقودنا مقولة ليبمان هذه مباشرة إلى الشكل الأبرز للصورة في بعدها العقلي (المعنوي)، وهو النوع الذي عادة وغالبا ما يتم استحضاره عند مناقشة موضوع الصورة في الدراسات الإنسانية والإجتماعية، وهو الصورة الذهنية، التي نرى أنها تمتلك القوة المعرفية والمنهجية- مع شيء من التعديل بين الفينة والأخرى- كيما نهتدي بها لحل الإشكاليات العالقة باستخدام المصطلح في العلوم الإنسانية والإجتماعية، والتي طالت (أي هذه الإشكاليات) حتى استخدام ليبمان نفسه لهذا المصطلح[23].

يرى كينيث بولدينغ أن الصورة الذهنية "تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها: المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه في العالم الخارجي، العلاقات الشخصية، روابط الأسرة والجيران والأصدقاء المحيطين به، والزمان والمعلومات التاريخية والاجتماعية التي يحصل عليها"[24]، ويصلح أن يتم تعريفها بناء على نظرة بولدينغ بأنها "مجموعة الأحكام والتصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة، الإيجابية والسلبية منها، التي يأخذها شخص (جماعة أو مجتمع) عن آخر ويستخدمها منطلقا وأساسا لتقييمه لهذا الشخص ولتحديد موقعه وسلوكه إزاءه"[25]، وتبعا لذلك يتم تقديمها في موضع آخر أنها " تمثيل منظم لموضوع ما في النظام

المعرفي للفرد، وهي بنية تراكمية من السمات التي تميل نحو التجانس، فهي تمثل نموذجا مبسطا لبيئة الفرد وتنشأ من تلقيه رسائل عن طريق الإتصال.. وتتميز هذه السمات بأنها تشكل واقعا صادقا لأصحابها ينظرون من خلاله ويتصرفون على أساسه " [26].

وإذا طرقنا باب أكثر المجالات التي يستخدم فيها مصطلح الصورة الذهنية في ميدان الإتصال، ونقصد به مجال العلاقات العامة، فإن الصورة الذهنية هي"مجموعة السمات والملامح التي يدركها الجمهور ويبني على أساسها مواقفه واتجاهاته نحو المنظمة أو غيرها، وتتكون هذه الصورة عن طريق الخبرة الشخصية القائمة على الإتصال المباشر أو عن طريق عمليات الإتصال الجماهيري" [27]، وبناء على ذلك تقسم عادة إلى عدة أصناف من الصور أبرزها:[28]

- **الصورة المرآة** : ترى المنشأة نفسها من خلالها.
- **الصورة الحالية** : التي يرى بها الآخرون المؤسسة.
- **الصورة المرغوبة** : تود المنشأة أن تكونها لنفسها في أذهان الجماهير.
- **الصورة المثلى** : أمثل صورة يمكن أن تتحقق وتسمى أيضا الصورة المتوقعة.
- **الصورة المتعددة** : في حال تعرض الأفراد لممثلين متعددين للمنشأة.

وفي ميدان العلاقات العامة دوما تعرف أنها "مجموعة من الإدراكات والإنطباعات التي يكونها الأفراد عن شيء ما، ويتم استحضار هذه الإدراكات المخزنة نتيجة التعرض لمجموعة من المؤثرات، ويمكن أن تنحو نحو السلب أو الإيجاب[29]، وهي أيضا " إنطباعات ذاتية في عقول الأفراد لها أبعادها ومظاهرها المتعددة، ولذا فهي تختلف من فرد لآخر وتتميز بالمرونة والديناميكية وتتأثر بتأثير عوامل متعددة من وقت لآخر"[30]، ويتلخص تعريفها في نفس السياق في كونها "مدرك تمثيلي يخزن باختصار في ذاكرة قصيرة الأمد"[31].

كما وقد حاول أيمن منصور ندا في كتابه الصورة الذهنية والإعلامية، بناء تعريف جامع مانع لمصطلح الصورة فقدمها على أنها: عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية، تقوم على إدراك الأفراد الإنتقائي المباشر وغير المباشر لخصائص وسمات موضوع ما وتكوين اتجاهات

عاطفية نحوه، وما ينتج عن ذلك من توجهات سلوكية في إطار مجتمع معين، وقد تأخذ هذه المدركات والإتجاهات شكلا ثابتا أو غير ثابت، دقيقا أو غير دقيق[32].

إن هذا التعريف من شأنه أن يسهل علينا عملية الانتقال إلى صفة مفاهيمية جديدة لموضوع الصورة، ولكنها لا تخرج قطعا من عباءة الصورة الذهنية إذ "غالبا ما تدور مفاهيم الصورة حول الأحداث وصانعيها والنشاطات العلمية والدينية والسياسية والتربوية والرياضية ..الخ وكله من أجل تمرير رسالة إعلامية ثقافية معينة والتحكم في صناعة الرأي العام، والتلاعب بالعقول والأرواح والأموال من ناحية، وصناعة المعرفة وتوظيفها في صالح مشروع ما من ناحية ثانية"[33]. والصورة وفق هذه الكيفية تتدحرج تدريجيا من كونها صورة ذهنية عادية (محايدة) لتتموقع في خانة ما اصطلح عليه الصورة النمطية stereotype، التي يعرفها قاموس أكسفورد العالمي والموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية "بأنها الطريقة أو العملية التي يتم عن طريقها الطبع ويستخدم فيها سطح طابع لإنتاج آلاف النسخ المتطابقة من الرسالة، دون الحاجة إلى تغيير هذا السطح، و بالتالي أصبح معنى الصورة النمطية هو الشيء الذي يتكرر بشكل ميكانيكي"[34].

لقد أخذت لفظة Stereotype من اليونانية و تعني الصلب والقوي، في إشارة إلى ذلك النوع من الطباعة (الصفائح المعدنية) لتكون سجلا لا يمكن تغييره[35]، وفعلا فقد استعار أشهر من استخدم هذا المصطلح في ميدان الإتصال والإعلام وهو الصحفي الأمريكي والتر ليبمان عام 1922 في كتابه"الرأي العام" هذا المصطلح من عالم الطباعة، و" ذلك لوصف حالة خاصة من حالات التصور وهي التصورات النمطية أو الثابتة التي تضحي بالفروق الفردية والتفاصيل الدقيقة في مقابل الحصول على تصور عام أو رؤية عامة" [36]، وعرف الصورة النمطية بأنها "عملية منتظمة ومختزلة تشير إلى العالم وتعبر عن قيمنا ومعتقداتنا" [37].

إن الدراسات التي تناولت هذا المفهوم قد تعاملت معه على أساس أن الصورة سلبية و تتشكل من خلال التعميمات، وتقوم على مجموعة من السمات التي تثير مشاعر الخوف والكراهية والنفور والاشمئزاز والاحتقار، ويكون ذلك بتصوير العنف والبطش والقسوة وسفك الدماء والإرهاب والهزائم والجريمة والتخلف والفقر[38].

ذاك هو دأب التعامل مع المحيط الدلالي لمصطلح الصورة النمطية ومن منطلق سماتها المفاهيمية القاعدية والتي هي إجمالا :

- اللاعقلانية.
- التبسيط (الاختزال).
- التشويه.

وهذه السمات هي التي تمنح القوة الاستخدامية للصورة النمطية كيما تستعمل لصناعة العدو وشيطنة الآخر، ومن ثم التموضع ضمن دائرة التعصب. وهو ما يعبر عنه في المحصلة بإشكالية التحيز التي وإن كانت ألصق ما تكون بالصورة النمطية– كهيئة من هيئات الصورة الذهنية– فإنها يمكن أن تطرأ عموما على ما يسمى في العادة بصورة الآخر، وخصوصا على ما أضحى يسمى بالصورة القومية، إلى غير ذلك من المعطيات المفاهيمية والحسية التي من المحتمل أن تكون موضوعا للصورة.

يبقى في نهاية سعينا لضبط تعريف مناسب للصورة كظاهرة نفسية–اجتماعية نوع آخر من الصور، هو كذلك حبيس البعد العقلي (الذهني)، إنما مع شيء من الخصوصية والتميز تنبعان من طبيعة النشاط الفكري المنتج لهذا النوع من الصور الذهنية، وهي الصورة الأدبية المتمثلة في "ما ترسمه لذهن المتلقي كلمات اللغة شعرا أو نثرا من ملامح الأفكار والأشياء والمشاهد والأحاسيس والأخيلة، وتكون إما فكرة نقلية تقريرية ترسم معادلها الحقيقي في أخص خصائصه الواقعية،وإما معادلا فنيا جماليا يوحي بالواقع ويومئ إليه بأشباهه من الرسوم واللوحات عن طريق الحشد الإيقاعي وسائر ضروب الإيماء البلاغي والبديعي والصيغات التشكيلية والتقنيات الأسلوبية واللغوية المختلفة" [39].

إن مجمل العناصر التي ارتكز عليها التحليل الإيتيمولوجي لمصطلح الصورة قد أثبتنا حضورها في مجموعة التعاريف التي اجتهد الباحثون على اختلاف مشاربهم في تقديمها لمفردة الصورة، وهذه التعاريف المتعددة تشترك في عدد من المؤشرات لعل تراتبية معينة لأبرزها تشكل لنا تعريفا بسيطا (مجردا) وشاملا (معبرا) لمعنى الصورة في بعدها النفسي–الإجتماعي. وقد أمكننا

بعد هذا المشوار من النشاط الذهني المعتبر أن نعرفها بأنها: عملية تمثل للواقع أو لجزء منه قوامها المعلومات التي تتدفق حسب شكل/ نوع العملية الاتصالية و ظروفها النفسية- الإجتماعية.

ب- الصورة المرئية (البصرية).

لقد أنهينا للتو تقديم تعريفنا للصورة في بعدها الذهني بناء على ما عرضته الأدبيات البحثية في هذا المجال، وتوصلنا إلى استخدام – ما رأينا- أنه أنسب مصطلح يمكن أن يعبر بعمق عن الجوهر الدلالي لمفردة الصورة وهو مصطلح التمثل، حيث ناقشنا الموضوع من منطلق كون الصورة تمثيلا مدركا بالبصيرة في حال انعكاسه على صفحة الوعي، والآن نناقشه من منطلق كونها تمثيلا ماديا لموضوع مدرك بالبصر، سواء كان الإنعكاس على صفحة الماء أو على المرآة أو عن طريق إجراءات أخرى أشهرها الإجراءات الغرافية [40].

وبالتالي تتجلى الدلالة الأساسية للصورة المرئية في عملية الإنعكاس التي تتم من خلال جملة من الإجراءات أهمها الإجراءات الغرافية.

لقد أثبتت الطقوس الأنثروبولوجية والدينية أن الإنسان كثيرا ما فكر (ويفكر) بطريقة بصرية مادية[41]، فإذا كان التفكير مستحيلا دون صور فإن الإنسان بداية ترجم هذا التفكير عبر هذه الصور في جانبها الحسي (المادي)، وهو ما تشهد به الرسومات المحفورة على الصخور والجدر والأسقف على مر القرون، والتي شكلت مادة لغوية يتم التواصل على أساسها ، دون أن نغفل أمر التماثيل والمجسمات التي جسدتها يد الإنسان، تماما مثلما جسدت فيما بعد (يدويا) أنواعا أخرى من الصور تتمحور حول ما يسمى بالصورة التشكيلية التي ترتكز على الرسم والتصوير الملون.

وفي كل هذه الأنواع تتجلى وضعية الانعكاس إنما وفق إجراءات يدوية محضة، وهو ما أمكننا أن نسمه بالأشكال التقليدية للصورة المرئية (البصرية) وصولا إلى بدايات العصر الحديث المميز بظهور الآلة التي أفرزت لنا-مبدئيا- الصور المنسوخة آليا، والتي لها قابلية الإنتاج والتوزيع المكثفين سيما مع بداية ظهور الصحافة في شكلها الحديث.

إن نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 كمرحلة من مراحل التصوير شهدت ميلاد الصورة الشمسية والسينمائية والصور الملونة وغير الملونة[42]، لكن أبرز الأشكال الحديثة للصورة المرئية

تجلت ولا ريب في الصورة الفوتوغرافية التي يتم التقاطها بواسطة آلات التصوير المعروفة، حيث يلعب الضوء الدور المحوري في إنتاجها، تلا هذه الأشكال تدريجيا الصور المتحركة والصورة التلفزيونية الملونة وغير الملونة ثم الصورة الرقمية التي يمثل الحاسب الآلي (الكمبيوتر) دعامتها الأساسية، وهي الشكل الأحدث بعد الصورة الفوتوغرافية بل وأضحت له الهيمنة في عالم الصورة، ونعتبره بمثابة حلقة الوصل بين الصورة المرئية في شكلها الحديث والآخر ما بعد الحديث الذي تلعب فيه الصورة الافتراضية الدور المركزي، حيث تصل عملية المحاكاة (إعادة الإنتاج) ذروتها، فصار بالإمكان اصطناع واقع لا مرجعية واقعية له.

إن الصورة رغم تجذرها في الواقع المرئي لا تخلو من خدعة الإيهام بالواقعي أو الحقيقي، إذ تقدم لنا نفسها كعرض وكمعرفة خاطئة لأنها موسومة بالذاتية[43].

المطلب الثاني : خصائص وسمات الصورة.

تتحدد سهولة أو صعوبة وضع جملة من السمات والصفات للصورة من طريقة التفكير في موضوع الصورة في حد ذاته، وما يترتب عن هذه الطريقة من أطر تحليلية ومجهودات بحثية موجهة توجيها سليما، وفق ما يقتضيه المنطق العملي لعملية التنقيب حول ظاهرة جدلية مثل الظاهرة التي بين أيدينا، وقد بدا جليا للباحث أن الصعوبة التي اكتستها عملية تحديد تعريف للصورة تنسحب بدورها على تحديد سمات الصورة وخصائصها، ذلك أن المنبع الرئيسي والذي هو مستخرج تلك الخصائص والسمات هو نفسه التعريف، وبالتالي كلما كان هذا الأخير أكثر عمقا وأوسع دلالة كلما كانت تلكم الخصائص والسمات أكثر صدقية ودقة في توصيف الظاهرة المدروسة. وهذا بالضبط ما حدا بنا إلى تجاوز مجموعة الصفات التي تعزى عادة للصورة والتي يتم تداولها في عديد الأدبيات البحثية، و ترتكز عليها عملية التناص الأدبي و العلمي في كثير من الأعمال البحثية في ميدان علوم الإعلام والاتصال وخارجه، وهي نفسها الخصائص التي وجدناها مثبتة لدى أيمن منصور ندا في كتابه الصورة الذهنية والإعلامية (كيف يرانا الغرب؟)، لكن هذا لا يعني بأي حال أننا سنهمل أمر تلك الخصائص ونتغاضى عنها، وإلا كان ذلك قفزا فوق الحقائق التي أثبتت المجهودات العلمية صوابيتها ولو نسبيا، إنما كان مقصدنا الأساسي النزول أعمق من ذلك من منطلقنا في التفكير في موضوع الصورة التي حاولنا رسم معالمها للقارئ من أول وهلة.

إن مقتضيات التفكير المنطقي جعلتنا نتفطن إلى مستويين من السمات والخصائص للصور، مستوى أول نعتبره حياديا لا تطرأ عليه النوازع البشرية، يستمد هذا التوصيف من طبيعة الواقع في حد ذاته وتموقع الصورة من هذا الواقع، والمستوى الثاني من الخصائص ينشأ حينما تتدخل الإجراءات الإنسانية لتكوين الصورة واستعمالها.

أ- **المستوى الأول[44]: الخصائص المحايدة للصورة.**

1- **فطرية (حتمية) استخدام الصورة** : يبدو أن الإنسان مهيأ منذ البداية كي يستخدم الصور وفق أشكالها المتعددة، ومن شأن الأنثروبولوجيا أن تفيدنا إلى حدّ ما على هذا الصعيد.

إن استخدام الصورة كامن في عقل الإنسان وعلى مستوى إجراءاته اليومية والتاريخية، ونحن نرى أن أصل هذا الكمون يأتي من بدء الخلق وتعلم آدم (عليه السلام) الأسماء كلها، التي لا يعد كل منها- في تقديرنا- أن يكون سوى خطة تصورية مصغرة للتمثل والاستحضار، كما أن بين طيات الإرث المعرفي الغربي ما يثبت أن التفكير مستحيل دون صور، وهذا التفكير مثلما تذهب إليه جهود علم الإناسة لم يكن دوما حبيس العالم الذهني للإنسان بل تعداه إلى العالم المحسوس، إذ ترجم الإنسان أفكاره من خلال الصور المرئية (البصرية) التي كانت في يوم من الأيام جزءا أصيلا من لغته المكتوبة، وما يشهد به تعاقب الحقب الزمنية هو تكثف استخدام الإنسان للصور وتكثف الصور في حد ذاتها، بمعنى أن التراكم الزمني ساهم في تعقد الاستخدام وتعقد تراكيب الصور الذهنية والمحسوسة، وذلك راجع أساسا إلى تراكم الثقافة الإنسانية الذي يمثل تحديدا الفرق الجوهري بين إنسان عصرنا الحالي وإنسان العصور السابقة على التوالي.

لا يمكن لهذا الإنسان إلا أن يستخدم الصورة حيال احتكاكه بالواقع الذي يشكل هو في حد ذاته (أي الإنسان) جزءا أصيلا منه، إن هذا الاستخدام الحتمي للصورة من طرف الإنسان هو إحدى السمات الجوهرية لها، والتي لا علاقة لها بوعي الإنسان فهي ترتبط بالواقع حين يكون موضوعا خارج سيطرة الذات الإنسانية.

2- **الصورة والتجريد** : لقد رسى جهدنا التحليلي حين سعينا لضبط تعريف للصورة على مفردة "تمثل" كمصطلح طليعي أو طلائعي كيما يقودنا إلى الحقل الدلالي المناسب لحظة تعرضنا لمنبه

اسمه الصورة، و"التمثل هو العملية التي يحل من خلالها شيء محل آخر أو يرمز له كبديل عنه"[45]، وهو في هذه المحطة من البحث سيقودنا إلى صفة آخرى للصورة نرى أنها تلتصق بها وإن وفق درجات متفاوتة، وهذه الصفة هي التجريد الذي يعتبر أيضا تمثيلا رمزيا للحقيقة، فائدته تتجلى في تحرير الصورة نسبيا من عنصري الزمان والمكان، وهو ما يجعل للتجريد مستويات يتحقق من خلالها في ابتعاده وقربه من الواقع الموضوعي.

3- **الصورة والمعلومات** : تعتير المعلومة من أخص خصائص الصورة ذلك أنها مصدرها الوحيد للحياة، فهي الدم الذي ينقل الغذاء في الجسد الصوري، وهي فوق ذلك تمنح الصورة خاصية أخرى ضمنية تسمى الخاصية التركيبية.

إن المعلومات هي محك علاقة الصورة بالواقع وهي تبعا لذلك دعامة لخاصية أخرى لصيقة بالصورة وهي الخاصية المعرفية، فقد اتضح أن أساس المعرفة يتم من خلال الصور، وفي هذا تضمين جديد لخاصية أخرى هي خاصية المعنى (الدلالة)، والمنطلق في كل ذلك هو طبيعة المعلومة التي نعتبرها معنى مسجل في شكل مكتوب أو سمعي أو سمعي- بصري أو حتى ذهني، ومهما تعددت أوعيته الناقلة فإن له دلالة تصاحبه تتم دراستها من طرف حقول تخصصية مختلفة.

إن خاصية المعلومات تجعل من الصورة نسقا خالصا من العلامات التي لا وجود حقيقي لها إلا في إطار العملية التواصلية.

4- **محدودية الصورة:** إن للصورة خاصية شكلية نسبتها الحيز أو الإطار ولذلك فإنها محدودة لا يمكن بأي حال أن تسع الواقع بكل تجلياته، فهي تغطي جزءا يسيرا منه، وحتى هذا الجزء اليسير فإن كثيرا من تفاصيله تسقط بقطع النظر عن العملية الانتقائية لوعي الإنسان، وكذا خاصية التجريد التي تؤثر أيضا في الصورة بجعلها أكثر محدودية من حيث حجمها الشكلي (البنيوي)، وكذا حجم تغطيتها للواقع الموضوعي، إنما يتعلق الأمر في حال الخاصية محل المناقشة بأخرى ضمنية تجعل من الصورة تتسم بكونها أكثر تركيزا أو بلورة من الواقع الموضوعي في حد ذاته، وذلك فقط من منطلق إطاريتها و تحيزها (من الحيز).

تعتبر مجموعة هذه السمات والخواص والتي أطلقنا عليها الخصائص المحايدة للصورة، كل ما أمكننا التوصل إليه بعد تحليلنا للمؤشرات التي تشكل قوام التعريفات المقدمة لمصطلح الصورة، إلا أننا – وكما هو باد– جهدنا كيما نخلصها من أي أثر لمصفاة الوعي الإنساني، فهي سمات نعتبرها ثابتة بمعزل عن الإرادة الواعية أو اللاواعية للإنسان، أما حينما تتدخل مصفاة الوعي الإنساني فإن الصورة تمتلك خصائص أخرى قمنا بتصنيفها ضمن مستوى ثان أسميناه:

ب– المستوى الثاني: الخصائص الذاتية للصورة.

ننتقل حيال هذا الطور من الخصائص: من الخصائص المتمركزة حول الموضوع إلى الخصائص المتمركزة حول الذات، فقد كان المنطلق الفكري حين أطلقنا وصف المحايدة على المستوى الأول أن كل عالم الأشياء (تقريبا) بشقيه المسخر والمبتكر من لدن الإنسان يصح أن نقول عنه بأنه عالم محايد، وحين تتدخل إرادة الإنسان فإن شكل هذا التدخل هو من يحدد الوجهة القياسية لعناصر ذاك العالم. وعليه فإن خصائص الصورة التي سنسعى في عرضها ضمن هذه الجزئية هي خصائص ذات اتجاهات قابلة للقياس، جراء ما طرأ عليها بعد استخدامها الواعي (الذاتي) من طرف الإنسان على المستويين العقلي (الذهني) والإجرائي– اليدوي (المادي– الترابي)، ولذلكم فهي تتراوح في شكلها وتداولها بين السلبي والإيجابي.

1– الصورة والتزييف :

تحدث ليبمان في كتابه الرأي العام عن وسائل الإعلام كبيئات زائفة أو هكذا تحدث، وإذا شئنا أن نكون أكثر دقة قلنا أنها (أي وسائل الإعلام)، يمكن أن تكون أكثر أدوات التزييف نجاعة وفعالية، لأن الأمر مرتبط دوما بإرادة الإنسان الواعية وتدخله (الذاتي) لتسيير الموجودات المسخرة بين يديه. إن هذا التزييف المرتبط بعالم الصورة (الحسية والذهنية) ليس له ارتباط حصري بالقرار الإعلامي المنتج عبر تشغيل الإنسان –غير الخالي تماما من الذاتية– لأدوات الإعلام والاتصال، فالارتباط هنا بين عالم الصور المزيفة أو شبه المزيفة والتقنية الإعلامية ارتباط خاص مميز، ونحن بدورنا– ومنذ البدء– سعينا جاهدين إلى محاولة الملامسة المعرفية لجل المشمولات المعرفية لعالم الصورة، والهدف كان تبرير الإرتباط العضوي الحاصل بينها وبين عالم وسائل الإتصال والإعلام

وكذا توصيفه ومن ثم تفسيره، بناء على الأسس المعرفية المتوصل إليها. لقد إكتسى البحث في صحة وسلامة الصور من حيث المبدأ طابعا جدليا حيث" ذهب كثير من الباحثين إلى أن السمة الأساسية للصورة أنها غير صحيحة وذهب البعض الآخر إلى وصف الإنسان حامل الصورة بأنه يتسم بالجهل وسوء الإدراك"[46]، في حين خالف هذا الطرح فريق آخر من المفكرين والباحثين ومنهم والتر ليبمان نفسه في معرض حديثه عن الأسطورة مثلا حين قال أنها :"ليست بالضرورة مزيفة فربما تكون كلها صحيحة وربما تكون بعض أجزائها صحيحة فقط، بيد أنها لا بد أن يكون فيها جزء من الصحة على الأقل "[47].

إن هذا القول يطرح مسألة أساسية لا في هذه الخاصية وحسب بل في جل الخصائص الذاتية للصورة، وهي مسألة النسبية حين توصيف الصورة، فكثير من الصور التي تناقلتها الأجيال المتعاقبة وتلك التي نتناقلها اليوم بما فيها تلكم التي تزدحم بها الأوعية المختلفة لوسائط الإتصال والإعلام، ليس لها وزن سديد في ميزان الحقيقة والواقع، بل نرى أن مقدارا معتبرا منها أمسى يؤسس لوضع غريب يعبر عن مدى التزييف في الواقع.

2- الصورة والدقة :

يصلح من الناحية المنطقية أن نصف صورة ما بأنها دقيقة أو يشوبها نقص في الدقة، وكلما زاد نقص دقتها اقتربت أكثر من عدم الصحة، بمعنى أن التداخل وارد جدا بين الخاصية السابقة والتي بين أيدينا الآن، والجدير أن يكون وصف الصورة على هذا النحو من خلال مراجعة الواقع ودراسته ومن ثم التأكد من صدقية الصورة المأخوذة عنه ودقتها، بقطع النظر- دائما- عن كونها صورة مرئية في الفضائيات أو فوتوغرافية في الصحف المكتوبة أو رقمية على مواقع الشبكة العنكبوتية أو حتى ذهنية أو نمطية. فقولنا مثلا أن ثلة من اليهود تسير العالم قد يكون خاليا من الدقة إلى حد بعيد، تماما مثلما نقول أن الصهيونية هي من تتحكم في الولايات المتحدة الأمريكية وتحدد سياستها الخارجية، والصورة المتلفزة أو الفوتوغرافية التي تظهر إسرائيلين يبكون أو يتباكون جراء سقوط الصواريخ محلية الصنع الفلسطينية على الأراضي المحتلة، قد تكون نوعا من مصاردة الواقع إذا ما قيست بحجم الدمار والقتل والخراب التي تحدثه القنابل والصواريخ الإسرائيلية على قطاع غزة المحاصر (مثلا).

إن كثيرا من الصور المرئية غير الدقيقة تؤدي في الواقع إلى تكوين معتقدات غير دقيقة في المقابل عن جماعات أو شعوب أو مؤسسات بعينها، وهي حالة عادية للصورة المرئية وهي تتسبب في تكوين صورة أخرى لكنها ذهنية، وهناك عديد الحالات العصية على الإحصاء تشهد على تداخل في عالم الصور وعلى كمون الصورة وكذا حلولها في مفاصل المعرفة الإنسانية ومن ثم تحكمها في سلوكات الفرد.

إن المبالغة في عدم دقة الصورة وصولا إلى عدم صحتها أو توظيف صورة صحيحة في سياق مغاير لسيرورة الواقع، يفضي في النهاية إلى تكوين صورة زائفة تدفعنا إلى التصريح بنتيجة علمية أخرى هي بذاتها تصنف على أنها خاصية وسمة للصورة، وتتمثل في كون الصورة مبنية على التعصب، لكننا ارتأينا وفق ما تم توضيحه ألا ندرجها إلا في حال تبعيتها لخاصيتي عدم الدقة وعدم الصحة من منطلق أن التعصب–عادة ما يكون– الدافع الأساسي لتكوين وترويج الصور السلبية.

3– الصورة والقابلية للتغير.

تنشأ قابلية الصورة للتغير أساسا من البعد التداولي– التواصلي لها، فالإتصال أساسي ومركزي في عملية تكوين ونقل الصور، وهذا النقل في حد ذاته هو المسؤول في أحايين كثيرة عن عملية التغيير التي تكتنف وتعتري الصور، إلا أنه في حال الصور المرئية (المحسوسة) يحدث التغيير رأسا عبر الإجراءات اليدوية الخالصة، وسوف لن نضيف جديدا إن قلنا أنه حتى هذه الإجراءات قد تنشأ حصرا عن تحلحل في المعتقد الذهني إما كرها أو اختيارا. أما مسألة مقاومة الصورة للتغيير فإننا بدورنا لا نراها إلا لصيقة بالصورة النمطية وليست صفة مطلقة لجميع أنواع الصور، لكن الأساس في الصفات الذاتية للصورة هو قابليتها للتغيير بما في ذلك الصورة النمطية التي وإن أخذ معناها من صفتي الجمود والثبات، فإنه بالإمكان كسر هذا الجمود وذاك الثبات مثلما تشهد بصحته الوقائع التاريخية والمعاصرة، "فقد كان لدى الأمريكيين صورة سلبية عن الألمان وأخرى إيجابية عن الروس أثناء الحرب العالمية الثانية وصورة إيجابية عن الألمان وسلبية عن الروس بعد الحرب" [48].

4- **الصورة والوضوح.**

يعتبر الوضوح من أشهر الصفات التصاقا بالصورة لاسيما في جانبها المرئي (المحسوس) مما يجعلها مرتبطة أكثر بالجانب الشكلي للصورة منه بالجانب الذهني.

إن وضوح الصورة من عدمه يخضع بالدرجة الأولى لحجم المعطيات المتوفرة عن الموضوع محل التصور، وفي الآن نفسه حجم المعطيات التي تم تصويرها، فقلة هذه المعطيات عادة ما تقود مباشرة إلى الغموض، كما أن كثرتها وتجاوزها الحد المطلوب قد تحدث تشويشا يتلخص في عدم وضوح الصورة، كما يتأتى عدم الوضوح أيضا من قصر الخبرة الشخصية للفرد التي كثيرا ما تجعل الوعي في حالة إجهاد حين تعرضه لمنبهات (صورة مرئية مثلا) تبدو للوهلة الأولى غامضة وضبابية، والفرق بين الحالتين كامن في عملية إنتاج المعاني.

فإذا نظرنا إلى المعنى كحقيقة اجتماعية فإنه لا مناص من ألا تكون لكثير من القضايا أو الأفعال معاني محددة ضمن سياقات إجتماعية معينة، فصورة تلك القضايا والأفعال غامضة على الأرجح وغير واضحة بالمرة، أما النظر إلى المعنى مرتبط بحقائق متجاوزة فهو يملي حتمية استيعابه ضمن أي سياق أو نسق إجتماعي ما.

المطلب الثالث :الصورة في دراسات الاتصال.

إن للصورة في بعدها الذهني حضورا في عديد النظريات التي عنيت من قريب أو بعيد بدراسة العملية التواصلية أو إحدى مشمولاتها، ودراسة هذا الحضور قد تتقاطع مع مجالات معرفية أخرى على غرار علوم النفس والإجتماع، التي لاشك أنها معنية كذلك وبقوة أيضا بدراسة الصورة، طالما أن حامل هذه الأخيرة هو الفرد أو الإنسان الذي يعيش ضمن جماعة معينة، وقد برزت بناء على هذا عدة توجهات[49]، في دراسة الصورة وهي :

1- **التوجه النفسي** : الذي ساد خلال الثلاثينيات والأربعينيات ويبحث في دوافع الأفراد واتجاهاتهم نحو الصورة، ويرى مسبقا أن الصور هي تعميمات خاطئة صنعت بواسطة أفراد متحيزين ومتعصبين، أو تحت ظروف غير سوية وضمن هذا التوجه توجد نظرية كبش الفداء[50].

2- **التوجه الإجتماعي** : وقد سيطر خلال فترة الخمسينيات والستينيات ويدرس نتائج استخدام الصورة على المستوى الجماعي، وينظر مسبقا إلى الصورة في كونها جزء مهم من الموروث المجتمعي المتناقل عبر الأجيال، من خلال عملية التنشئة الإجتماعية التي تضطلع بها عديد المؤسسات.

3- **التوجه المعرفي** : الذي أخذ زمام المبادرة مع نهاية الستينيات وحتى منتصف الثمانينيات وهو يبحث في البناءات المعرفية للصورة داخل الفرد.

حيث يؤكد على عناصر: التمثيلات العقلية والمخططات العقلية وله نموذج نظري يسمى بالإرتباط الزائف، يتعلق بوجود الأقليات داخل الأكثريات التي تميل إلى إلصاق كل ماهو سلبي بجماعة الأقلية.

4- **التوجه النفسي- الإجتماعي:** يبحث في مصادر تكوين الصورة لدى الجماعات.

5- **التوجه الإجتماعي-المعرفي:** وضمنه توجد نظرية الهوية الإجتماعية التي صاغها باحث إسمه تاجفيل TAJFEL وقوامها عملية التصنيف .

6- **التوجه النفسي-المعرفي:** ويدرس تأثير الحالة المزاجية للفرد في عملية التمثيل المعرفي.

إن ما نرمي إليه من خلال الجزئية التي بين أيدينا هو تقديم ما يمكننا تسميته بالتوجه الإعلامي في دراسة الصورة (الذهنية)، وهو لا يتعارض مع التوجهات التي قمنا بتقديمها استباقيا، بل يرفد كل منهما الآخر، لاسيما إذا علمنا أنه من العسير في كثير من الأحيان دفع التداخل في الدراسات الإنسانية والإجتماعية، إلا أننا معنيون على نحو مباشر بتقديم البعد الإتصالي- الإعلامي للصورة بمعنى مسؤولية الوسيط الإتصالي/ الإعلامي ومآلات هذه المسؤولية في تكوين الصورة على مستوى ذهن المتلقي.

أولا : الصورة والرأي العام.

لعل أبرز ما سيلاحظه من يسعى إلى الإقتراب من مفهوم الرأي العام هو الجدل العميق الذي أثير حول المصطلح ودلالته، وقد يعزى ذلك إلى أسباب عديدة ليس هنا مجال تعدادها، لكن

الثابت الذي وقفنا عليه رغم حالة الإختلاف الحاصلة هو حضور معنى الصورة والتصور في الرأي العام كمصطلح يحيل إلى ظاهرة عرفتها وتعرفها المجتمعات إلى يوم الناس هذا.

فكلمة رأي تستخدم لوصف ماهو متميز عن المعرفة الثابنة ، وهو جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالمعلومات و تنتهي بالسلوك[51]، أما كلمة عام فيذهب بعض الباحثين إلى كونها مرادفة لكلمة شائع أو جماهيري[52].

وبناء عليه فإن الرأي لا يخرج مطلقا عن حدود التصور الذي يعتري عقل الإنسان حيال ما يحيط به كواقع، وبالتالي فإن مصطلح الرأي العام أيّا كانت وجهته المفاهيمية فهو لن يخرج البتة عن كونه حالة من التصور تعتري طائفة بشرية حيال موضوع ما. إن هذا هو ما تستوقفنا عنده الدلالة الأولية لمصطلح "رأي عام" إذا شئنا أن ننأى بأنفسنا عن الخلاف، وإذا شئنا كذلك البرهنة على أنه حالة أخرى من حالات التصور الإنساني لقضايا وأحداث بعينها بناء على معطيات بعينها.

أما حين نسلم المصطلح للخلفيات (الثقافية خصوصا) نجده بشكل أوثق لدى الفلسفات التي شكلت– ظاهريا– معتقدات الثورة الفرنسية، ومن ثم إنزاح المصطلح ليمسي استخدامه مقرونا بالنظام الديموقراطي الذي تتبوأ فيه الوسائط الإتصالية سيما الجماهيرية منها موقعا متميزا، أهلها لتكون سلطة (إجتماعية) مضافة للسلطات الرسمية المعروفة. وقد ارتبط الرأي العام فعلا وفق مفهومه الحديث بالمحتويات التي تبثها وسائل الإتصال الجماهيري، وهو "كظاهرة حديثة مرتبط بنمو وسائل الإتصال و تطورها في المجتمعات الغربية ابتداء من مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى"[53].

إننا فعلا نعتبر مرحلة الحرب العالمية الأولى وما بعدها فارقة في تشكيل علوم الإعلام والإتصال، ذلك أن أولى نظريات الإعلام (الحقنة تحت الجلد) كانت ثمرة للقوة الإستخدامية لوسائط الإتصال الجماهيري خلال حقبة الحرب، إلا أن مالا يجب أن يغفل على الإطلاق هو أن اتجاه هذه القوة كان دعائيا محضا [54]، وهنا تحديدا تبرز للعيان مقاربة والتر ليبمان للصورة قياسا على الظاهرة المسماة اصطلاحيا بالرأي العام لتكريس العلاقة فقط مع وسائط الإتصال.

إن صلات ليبمان خلال فترة الحرب بالإضافة إلى طبيعة عمله الأول كصحفي جعلته ينطق من وحي التجربة ويتحدث عن الصحافة كبيئات زائفة، وذلك قطعا حين سعيها لتشكيل وعي الجماهير(العامة أو العوام)، وبالقطع أيضا سيكون هذا التشكيل من خلال سيل المعلومات المتدفق، إذ حسب ليبمان فالإنسان يحكى له عن العالم قبل أن يراه وذلك من خلال أسرته ومدرسته، وبالتالي فهو يتخيل معظم الأشياء قبل أن تكون له بها خبرة وهذه المفاهيم والمدركات المسبقة المغروسة في عقله تتحكم بعدها في كيفية إدراكه للعالم وتصوره له[55]، وهو بناء على هذا التصور يتخذ جميع سلوكاته "فلو قال له أطلسه أن العالم مسطح فلن يمشي بالقرب مما يعتقد أنه حافة الكوكب الأرضي خوفا من السقوط، ولو أن شخصا أمسك بيده معدنا أصفر يشبه الذهب فسوف يتصرف لبعض الوقت كما لو كان قد أمسك ذهبا بالفعل"[56].

وقياسا على هذا سعي ليبمان إلى توضيح ما سماه بالزيف والتضليل فيما يرتبط بطريقة تصوير الصحافة للعالم خلال فترة الحرب العالمية الأولى، التي حسبه أفضت إلى خلق صور مشوهة في الأذهان عن العالم الحقيقي، والمثال[57]هنا هو الخبر الذي تناقلته الصحف في 1918/11/06 حول اتفاق الهدنة وكان لحظتها زائفا، فبينما الناس يحتفلون ابتهاجا (بسبب صورة زائفة عن الواقع) كان ألوف الشباب يلقون حتفهم في ميدان المعارك.

إن هذا يدعونا بصدق إلى التفكير في الرأي العام كظاهرة تتبع المؤسسة السياسية[58]، وهنا تحديدا يمكن طرح مسألة الحدود الأيديولوجية للحقيقة عبر اكتشاف الطرق التي يتبعها الصحفيون لإنتاج تقاريرهم الإخبارية التي يؤكدون أنها انعكاس للواقع. لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن هذا الإنعكاس الذي يتحدث عنه الصحفيون يمر إلى حين تبلوره في هيئته النهائية على عديد المصافي، التي تبدأ من المالك الحقيقي للمؤسسة الإعلامية ولا تنتهي بالصدامات التي قد تنتج عن وضع المادة الإعلامية قيد التداول، وربما هذا ما دفع بالبعض إلى اعتبار "الصحافة مكلفة بمهمة خطيرة هي التأكد من قدرة الجمهور على التعامل مع سوق كبيرة من الأفكار المتنوعة والاستفادة منها في دعم واختبار فهمه للعالم من حوله"[59]، وهذه المهمة تبدو في نظر ليبمان مشكوكا في مصداقيتها طالما أن المحيط معقد والكفاءة (المهارات السياسية) للجمهور (الأفراد) محدودة، إذ كيف يمكن التوفيق بين هذين الوضعين[60]؟

لقد أجاد ليبمان كثيرا حين طرحه لهذا السؤال لأنه سؤال رجل مجرب خبر ميادين السياسة والإعلام معا، وأيقن أن هذا الأخير لا يمكن بأي حال أن يستوعب تعقيدات ذاك الأول (المشهد السياسي)، وحتى إذا أخذنا في اعتبارنا أن الرأي العام "يمثل عمليات سياسية ونفسية وإجتماعية معقدة، وهي عمليات يشارك فيها الأفراد والجماعات والنخب والجماهير، الحكام والمحكومين، وتلعب فيها الإدراكات والتصورات وكذلك المصالح والقيم والتوقعات وأيضا الصراعات والتناقضات، أدوارا تختلف في أهميتها وثقلها من حالة إلى حالة ومن موقف إلى موقف"[61]، فإنه لم يعد في الإمكان الإنكار أن المتربع على عرش هذه العملية التركيبية للرأي العام بما هو صورة (تصور) لواقع ما هي وسائط الإعلام التي استخدمت بكثافة خلال فترة الحرب العالمية الأولى، ورأينا هذه الكثافة تعود من جديد خلال فترة الثلاثينيات وهي مرحلة التحضير للحرب العالمية الثانية، إذ أن هذه الحقبة عرفت ازدهارا في الإهتمام بمناهج قياس الرأي العام. لقد تزامن هذا الوضع مع صعود النازية واستنادها الملفت على النشاط الدعائي الذي ألهب الجماهير التي عثرت على كبش فدائها متمثلا في يهود أوروبا الشرقية، ومن الغريب حقا أن يترافق ذلك كله مع نشاط غير عادي وعلى مستويات عدة منها الإعلامي طبعا للحركة الصهيونية[62]، التي كانت تحضر آن ذاك للدولة الوليدة "إسرائيل".

ثانيا : النظرية اللسانية.

في كتابه أصول تكون الأسماء في اللغات الهندو–أوروبية في العام 1935 بدأ إميل بنفينيست Emile Benveniste مقدمته بالتذكير أن الناس نادرا ما يتخطون عملية إقامة الوقائع[63]، ذلك أن اللغة طالما شكلت الجسر الذي يربط الإنسان بواقعه، ورهان هذا الإرتباط لا يمكن أن يقصي بأي حال من الأحوال عملية التصور (حضور الصورة).

إن اللغة تمثل نسقا منظما من العلامات وكل علامة (البعد الترميزي للكلام) تحيل إلى بعدين، الأول ظاهر واضح وهو الدال، والثاني متضمن في السابق فهو حامله وهو المدلول، وبين هذين العنصرين تمر الدلالة (المعنى) [64]. إن هذا التوصيف للغة ينطق بحال ما عرفها به "دوسوسير" الذي اعتبرها مؤسسة اجتماعية واعتبر في الآن نفسه العلامة كتجسيد مادي للحدين الدال والمدلول أي أنها تجسيد لما يسمى بالدليل، كما وحدّد الدال بأنه الصورة السمعية (ذات طابع

نفسي) والمدلول بأنه المفهوم، وقد "أسفرت طبيعة المدلول في اللسانيات عن نقاشات انصبت أساسا على درجة واقعيته، ومع ذلك تتفق جميعا في الإلحاح على كون المدلول ليس شيئا ولكنه تمثل نفسي للشيء"[65]، واعتبر بارث تبعا لدوسوسير النظر إلى المدلول على أنه صورة نفسية أمراً مهما لمواصلة النقاش حول طبيعة الدليل (الوسيط الإشاري)، وبذا يكون قد أصبح من الجلي أن الصورة تحضر على نحو مباشر في إحدى طرفي الدليل (العلامة /الرمز) وهو المدلول، فقد سبق لنا أن عرفنا الصورة بأنها مبنية على التمثل، والعلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة استحضار (تداعي المعاني)، ومن ثم فإن معنى الصورة والتصور كامن في اللسان ولن يكون كمحصلة لذلك إلا كامنا أيضا في الممارسة اللسانية التي تعرف طريقها إلى الوجود حصراً عبر العملية التواصلية، التي يصح أن تسمى في المحصلة بالممارسة الدالة التي تنشؤ المعنى، الذي يشكل مع وصولنا إلى هذه المرحلة محط اهتمام السيميائيين المهتمين باللسان في وضعيته المتحركة، التي يعتبر جزء منها مادة تتشكل منها الأسطورة حسب ما ذهب إليه رولان بارث[66].

إن المعنى حسب السيميائية يوجد في التجارب الخاصة ويتشكل نتيجة الفعل الذاتي، حيث يتوقف على الفاعل وتجربته الاجتماعية والثقافية، ولذلك تسعى السيميائيات إلى الكشف عن دلالات الممارسات في الحقل الثقافي والفني[67]، إلا أن العدة المفاهيمية للسيميائية التي استجلبتها من منبتها الأصلي وهو اللسانيات تظل قاصرة حسبما توصلنا إليه في تفكيك دلالات المنتج الإعلامي (الرسالة)، ونحن بدورنا لا ندعي أننا نتبنى في دراستنا منهجا سيميائيا أو منظورا لسانيا لتحليل القرار الإعلامي محل انشغالنا، كما أننا في الآن نفسه لا ننفي البتة استعانتنا بشيء مما هو سيميائي أو مرتبط بما هو لساني لاستخلاص المعنى من ذلكم القرار، لأننا نعتقد أن تشكيل المعنى عبر الوسيط الإعلامي تتعاضد له عديد العوامل (ظروف وسياقات) التي تجعل من كل مشروع اختزالي لاستخراج المعنى محكوما عليه بالإخفاق النسبي، المفضي إلى تشويه المعنى وبالتالي تشويه الواقع، وسواء تعلق الأمر باللسان أو الكلام (ممارسة لسانية) فإن المعنى الناشيء عنهما والذي يمر حتما عبر مصفاة الوعي (تشكل الصورة)، هدفه النهائي هو السيطرة (التحكم) على الواقع وفق أوضاع متعددة حسبما تقتضيه حاجة الإنسان، وفي الإمكان التدليل على ذلك من الآتي :

1- نظرية الدلالة اللغوية وبناء الواقع الإجتماعي.

يتعلق هذا المجهود التنظيري أساسا- حسبما يتوضح من مؤلف الإتصال ونظرياته المعاصرة لعماد مكاوي وليلى السيد- بإحدى فروع (ميادين) علم اللغات وهو ميدان تطور الدلالات SEMANTICS، أو الإرتباط بين الكلمات (الرموز) وما تشير إليه من معاني، أي مختلف نواحي الواقع التي تحل محلها الكلمات والمعاني التي تثيرها إذا تبع المتحدث الوسائل المتفق عليها لنقل هذه المعاني في البيئة الاجتماعية، والدافع وراء هذا المجهود هو اعتقاد البعض أن الكثير من شرور العالم سببها إثارة النوع الخاطئ من المعاني عند الآخرين، بواسطة أشخاص غرضهم الأساسي هو خداع الجمهور[68].

2- نظرية النسبية الثقافية في بناء المعنى.

بحلول عام 1920 أدت دراسات "إدوارد سابير" (أحد رواد دراسة اللغة و الثقافة) إلى إدراك أن لغات الجماعات لا تختلف فقط عن بعضها البعض، بل إن فهم الجماعة للعوالم المادية والاجتماعية حولهم تختلف أيضا من جماعة لأخرى، وبدا واضحا أن الناس أو الشعوب التي تستخدم لغات مختلفة كانت بالفعل تشعر بواقع اجتماعي مختلف، وحقيقة الأمر هي أن العالم الحقيقي هو إلى حد كبير مبني بطريقة لا شعورية على أساس عادات الجماعة في استخدام اللغة، ولا توجد أبداً لغتان متشابهتان بدرجة تكفي لاعتبارهما يمثلان نفس الواقع الإجتماعي[69].

ثالثا: بناء الواقع الاجتماعي.

يتمثل الدور الرئيسي للوسائط الإعلامية في نقل الحقائق، وهو ما أهلها لتتبوأ مكانة أضحت أكثر أهمية في عملية بناء الواقع لاسيما الاجتماعي منه. إن الحقيقة في منظورنا هي ما كان متطابقا مع الواقع وفق المفهوم الذي أبرزناه بداية، لكن هذا لا يمنع من التصريح بوجود مقاربتين لمفهوم الحقيقة، الأولى وتسمى بالتفسير الإمبريقي الذي يرى أن أفكارنا عن العالم الخارجي تأتينا عن طريق التجربة، وهو ما يوحي بأولوية الواقع في تفسير معنى الحقيقة، والثانية وتعرف بالتفسير الكيفي الذي يولي أهمية للإدراك بمعنى الاهتمام بكيفية إدراك الأفراد للحقيقة، ويذكر كانط كأبرز المنظرين على هذا الصعيد، وربما يكون كل من Luckman و Berger قد استمدا مقاربتهما للحقيقة

الاجتماعية اليومية من كانط، حين اعتبر أن الحقيقة تأتي إلينا مؤولة من طرف الأفراد، وهي تحمل بالنسبة إليهم معنى ذاتيا في شكل عالم منسجم[70]، ولا يعني هذا الذاتية المطلقة للحقيقة وإنما يتم الاعتراف بها كمعطى خارجي ولكن لهذا المعطى أصل في فكر ومعتقد الجماعة المتعايشة. وقد خلص منظور البناء الاجتماعي للحقيقة ضمن هذا السياق إلى الإعتراف بموضوعية الحقيقة وبأنها تقيد وتهيكل تأويل الفرد للعالم الاجتماعي، وبأنها في نهاية المطاف بناء ذهني يحمل حقيقة موضوعية. لقد ذهب البحث الاجتماعي في اتجاه التنقيب عن كيفية بناء الفاعلين الاجتماعيين لنظرتهم إلى العالم وكيفية إدارة تأويلاتهم المختلفة، والكيفية التي يتحركون بها لمواجهة المشاكل التي تعترضهم[71]، والذي يعنينا من هذا كله هو وصف تمثلات الواقع الاجتماعي التي يبينها الاتصال الجماهيري فيما يرتبط بقضايا ومواضيع معينة، وبعيدا عن أي صرامة مفاهيمية قد تعيق سلاسة تحركنا على هذا الصعيد على غرار مفهوم البناء مثلا، فإن الإعلام ينشؤ من خلال عروض المعنى التي يقدمها كما أسماها "ألكس موكييلي Alex Mucchielli واقعا ما أو لنقل مستوى معينا من الواقع، ويعكس ذلك تصورا ما مسبقا للواقع يفعل فعله حين تعمل الوسائط على تصوير الواقع أو الأجزاء المختلفة منه. وينبؤ هذا الحال عن درجة من التعقيد مرتبطة بآثار الوسائط الإعلامية كبان للواقع الإجتماعي، ويمكن مناقشة إحدى مظاهر هذا التعقيد من خلال مباحثة دور الوسائط كصانع للأساطير مثلا.

إن عروض المعنى التي تقدمها الوسائط الإعلامية هي بمثابة الملهم للجماهير لاسيما الشباب منهم، إذا أنها تحدّد مثلا ما هو متوقع منهم حين الانتساب بعضهم إلى بعض في مختلف أماكن تواجدهم، وهو تماما جوهر ما تطرحه:

1- نظرية التوقعات الإجتماعية.

تتمحور هذه النظرية حول مفاهيم رئيسية تتمثل في: المعايير والأدوار والرتبة والعقوبات[72]، تمنح في مجملها مكنة فهم التنظيم الاجتماعي، ووسائل الإعلام من خلال عالمها الرمزي تؤثر في التغير الاجتماعي للفرد الذي يستوعب بطريقته الخاصة تلكم المفاهيم الأربعة من ذلكم العالم الرمزي.

1- **المعايير:** تتمثل فيما يجب أن يفعل وما لا يجب أن يفعل من طرف الفرد الذي يعيش في جماعة أو حتى من الجماعات الفرعية التي تنتمي إلى جماعة كبرى، وهي قواعد متفاوتة الصرامة في تطبيقها وفي العقوبة على مخالفتها.

2- **الأدوار:** تتمثل في ضرورة وعي الفرد (أو هيئة ما) بطبيعة الدور المنوط به (بها) حين المواقف المتعددة التي يتم التعرض لها، وكذلك ضرورة معرفة مختلف الأدوار التي تسند دور الفرد في الجماعة، حتى لا يختل التنظيم الاجتماعي جراء عوامل التصادم أو عدم الاضطلاع بالأدوار المحددة.

3- **الرتبة** : ويتعلق هذا المفهوم بالمركز الإجتماعي الذي يحتله بعض أعضاء الجماعة، حيث يؤهلهم لاستخدام الآخرين أو الحصول على تأييدهم، ويذكر هنا أن العادة تقتضي حصول صاحب المركز على مؤهلات معينة تمكنه من الحصول على مكانة مهابة أو مشرفة حسب قوة ودرجة تلك المؤهلات.

4- **العقوبات:** يشير هذا المفهوم إلى تطبيق العقوبات السلبية لردع المنحرفين عن المعايير بصفة عامة داخل التنظيم الاجتماعي، وذلك بهدف الحفاظ على السيطرة الإجتماعية.

والجدير بالذكر بعد عرض هذه المفاهيم أن على أفراد التنظيم الاجتماعي تعلّم هذه الأمور، ما سيشكل فيما بعد تأثيرا على سلوكاتهم بالنظر إلى ما سيتوقعونه حين يتصرفون على نحو ما في المجتمع، والأمر هنا مرتبط دوما باستيعاب الأفراد لهذه المفاهيم من العالم الرمزي للوسائط، الذي يصف ولا شك المعايير والأدوار والرتب والعقوبات لكل أنواع الجماعات المعروفة في الحياة الاجتماعية المعاصرة تقريبا، بما يصح أن نسميه بعملية عرض النماذج التي هي جزء مهم من معلومات الجماهير عن النظام الاجتماعي السائد، دون أن نغفل الإشارة إلى مسألة أخرى مهمة وحساسة على هذا الصعيد، وهي أن التصوير الإعلامي للنماذج قد يكون مشوها أو غير حقيقي وهنا تحديدا يحدث التضليل.

2- نظرية الخطة التصورية لمعاني الواقع.

في ذات السياق الذي تعمل فيه الوسائط الإعلامية على صياغة الواقع بما مؤداه بناء الحقيقة على نحو ما، ومن ثم صناعة الصورة التي يترتب عنها سلوك معين، تأتي نظرية الخطة التصورية

لمعاني الواقع التي تقرر من منظور نفسي أن طريقة بناء ذاكرة الإنسان هو ما يفضي إلى السلوك الإجتماعي، من منطلق أن "الخطة التصورية هي تنظيم ذاتي للمعاني والمواقف والأحداث التي يشعر بها الإنسان من خلال حواسه"[73]، وهذه الخطة التصورية تتشكل نتيجة لعوامل عديدة تعتبر الوسائط الإعلامية ولا ريب إحدى أبرزها.

إن الملاحظ بالنسبة لكل التوجهات النظرية المذكورة سابقا هو إمكانية التداخل الواضح فيما بينها، ويفسر هذا التداخل بموضوع الصورة في حد ذاتها كظاهرة نفسية- اجتماعية، فلا يمكن الحديث عن صناعة الرأي العام دون المرور على بناء الواقع الاجتماعي، وبناء هذا الأخير لا يمكن من الأساس أن يتم بمعزل عن تشكل المعنى الكامن رأسا في الرموز كوحدات أساسية حاملة للصورة ومعبرة عنها ومشكلة لها في الآن نفسه.

المبحث الثاني: االخطاب الإعلامي.

المطلب الأول: الخطاب: نظرة على المفهوم.

يعتبر الخطاب من المصطلحات التي نالت نصيبها من الجدل حين سعي الباحثين إلى تقديم تعريف محدد لها، يفترض أنه بني وفق مقاربة مفاهيمية واضحة المعالم، ليتضح جليا بعدها تعدد المقاربات التي استغلت للتعبير عن فهم معين لظاهرة إنسانية اسمها الخطاب، يضاف إلى هذه الوضعية الجدلية إشكالية الاستخدام المشترك لمصطلح الخطاب من طرف عديد الحقول المعرفية، ما جعلها تتلاقى في ميدان معرفي سمي بـــ : تحليل الخطاب من حيث هو دراسة الإستعمال الفعلي للغة من قبل ناطقين حقيقيين في أوضاع حقيقية[74]. فيما يرتبط بموقفنا العلمي من المصطلح سنحاول ابتداء الإقتراب منه لغويا من خلال البحث في أصله المعجمي كمفردة، لأننا لازلنا على اقتناع تام أن الجذر اللغوي لأي مصطلح له سلطته وسطوته في التوجيه الاستخدامي له، لاسيما ونحن أمام مصطلح ذي خصوصية يستمدها أساسا من ارتباطه الوثيق بعالم اللغة.

ورد في لسان العرب: الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، واسم الكلام الخطبة، والخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه[75]، وورد في القرآن الكريم من سورة ص "و آتيناه الحكمة و فصل الخطاب"[76]، والمعنى عند بعض أهل التفسير: علم القضاء. وهكذا يتضح سريعا أن الخطاب ظاهرة كلامية بامتياز وهو عين ما نصل إليه حين تفحص المفردة لغويا في المصادر اللاتينية، بل إن التاريخ ينبؤنا أن البدايات الأولى للاهتمام بالخطاب (في الجانب الغربي) كان ضمن بيئة القضاء والمرافعات القانونية، حيث برز كل من كوراكس CORAX وتلميذه تيسياس TISIAS العالمان اللذان وصفا قواعد فن الخطابة، إثر الدعاوى القضائية التي لجأ إلى رفعها سكان صقلية اليونانية حوالي العام 485 ق م لاسترداد حقوقهم التي سلبت حين تم ترحيلهم قسرا من أراضيهم، لقد لجأ السكان مبدئيا إلى الكلام لكنه في الواقع ليس كلاما عاديا، وإن شئنا وصفه–حسبما طالعتنا به الأدبيات البحثية– قلنا أنه على درجات متفاوتة من التصنع اللفظي والهدف هو إقناع الهيئة القضائية بأحقية وشرعية المطالب. إن التصنع اللفظي الذي نتحدث عنه يحيلنا إلى مصطلح آخر على درجة عالية من الإرتباط مع مصطلح الخطاب وهو البلاغة، والواجب المنهجي يملي علينا توضيح طبيعة هذا الإرتباط وترسيم حدود التداخل الدلالي بين المصطلحين، فالبلاغة في اللغة تعني الانتهاء والوصول، يقال بلغ الشيء أي وصل إليه وانتهى إليه، وتبلغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب[77]، وهي مرتبطة في التراث العربي بالمشافهة فهي لغة التخاطب اليومي وتتخذ عند المتكلمين المعتزلة[78] –مثلا– هدفا دينيا فتكون وسيلة إقناع وأداة هداية ويراد بها تخير اللفظ في حسن الإفهام، ليكون الكلام البليغ على هذا المفهوم هو فصل الخطاب[79]. ولعل هذا يشجعنا على المضي قدما في اعتبار البلاغة ما يمكن أن يتصف به الخطاب كظاهرة لغوية مبدئيا، وهي (أي البلاغة) على ارتباط وتداخل دلالي مع مفردة أخرى لها وزنها على صعيدي اللسان والكلام وهي الفصاحة، والفرق بينهما حسبما يذهب إليه أهل للغة والأدب عموما يكمن في كون الفصاحة متعلقة رأسا باللفظ، في حين تتعلق البلاغة باللفظ والمعنى معا وكذلك التركيب، ويجرنا الحديث عن الفصاحة إلى مفردة أخرى لها مقدار من التداخل الدلالي مع البلاغة ومن ثم مع الخطاب أيضا وهي البيان، ومعناه في اللغة الظهور والكشف والوضوح، وبان الشيء: اتضح، واستبان الشيء ظهر، ومن ثم قيل: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ[80]، وقد ورد في القرآن الكريم بمعنى الظهور

والإيضاح وكذلك المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير[81]، وهو لدى الجاحظ مرتبط بسلامة اللسان وحسن اختيار الألفاظ ووجوه المعنى[82].

إن التعامل مع مصطلح الخطاب لغويا استدعى منا الإشارة إلى ما يمكن أن يتداخل معه دلاليا على هذا الصعيد، والحديث هنا يشمل مفردات لها وزنها الإصطلاحي في ميدان علوم اللغة بشكل عام والأدب بشكل خاص، إلا أن الملاحظ حسبما وقفنا عليه تاريخيا وتصدق ذلك الدلالة المعجمية على الأقل فيما يتصل بالبلاغة والخطابة هو نشأتهما في أحضان نظرية الإتصال، وهذه الأخيرة – حسبما بدا– كان اهتمامها المحوري منصبا على الوظيفة الإقناعية، التي لأجلها " تضع البلاغة بين يدي المتكلم مجموعة من الإمكانات الفكرية والعاطفية واللغوية والتمثيلية، وبذا لا يمكن اختزال البلاغة في جمالية اللغة، بل تشمل فلسفة التفكير وثقافة المجتمع وأيديولوجيات الطبقات وأسلوبية الحوار ومثال العقل البشري عموما[83]، وهو ما يحيلنا إلى البعد التداولي للبلاغة الذي يحيل إلى مقاصدها أو مجموعة أغراضها وهي كما سماها هنريش بليت:

- المقصدية الفكرية.
- المقصدية العاطفية (المعتدلة).
- مقصدية التهييج [84].

ونعتقد أن هذه المقاصد تلكم الإمكانات التي تتخذ– بلا أدنى ريب– من الخطاب أداة لها، تعبر بمقدار من الوضوح عما اعتبره دومينيك مانغونو تمفصلا للغة مع معايير غير لغوية، تجعل من غير الممكن أن يكون الخطاب موضوع تناول لساني صرف[85]، إلا أن هذا لا يمنع بأي وجه من الأوجه الإستفادة من التناول اللساني لمصطلح الخطاب، لما لذلك من فعالية منهجية في تحديد أدق فهم وأوضح تعريف له، لاسيما وأن الإيحاء الأول الذي يبعث به هذا المصطلح هو انتماؤه إلى هذا الحقل من الدراسات، ولعل أول ما سنجنيه من ذلك هو الحصول تدريجيا على قيم دلالية أكثر دقة لمصطلح لخطاب، ونبدأ ذلك من خلال عرض ومناقشة حالة التقابل الإصطلاحي التي يدخل فيها المصطلح مع غيره من عديد المصطلحات في حقل اللسانيات، وأبرز المصطلحات على هذا الصعيد هو مصطلح النص الذي تشير بعض الأدبيات إلى أنه "يستخدم بشكل عام للإشارة إلى أي شيء يمكننا قراءته للوصول إلى معنى منه، ويعتبر بعض المنظرين العالم نصا اجتماعيا، ومع أن

هذا المصطلح يفضل النصوص المكتوبة لأنها تعتمد على الكلمات المكتوبة، ويمكنها الإحالة إلى مركز خارجها يكفل صحة المعنى ويثبته، ومع هذا فإن النص بالنسبة إلى معظم علماء العلامات هو نظام من العلامات على شكل كلمات، صور، أصوات أو إيماءات، إنه ظاهرة لغوية يحكمها انتظام بنيوي ونظام أسلوبي وصناعة بلاغية توحي ببنى فكرية وأهداف تواصلية "[86]، هذا ويذهب البعض إلى فهمه من خلال اعتباره عملية إبداعية وتواصلية معقدة على النحو التالي[87]:

الشكل (01): النص كعملية تواصلية وإبداعية معقدة

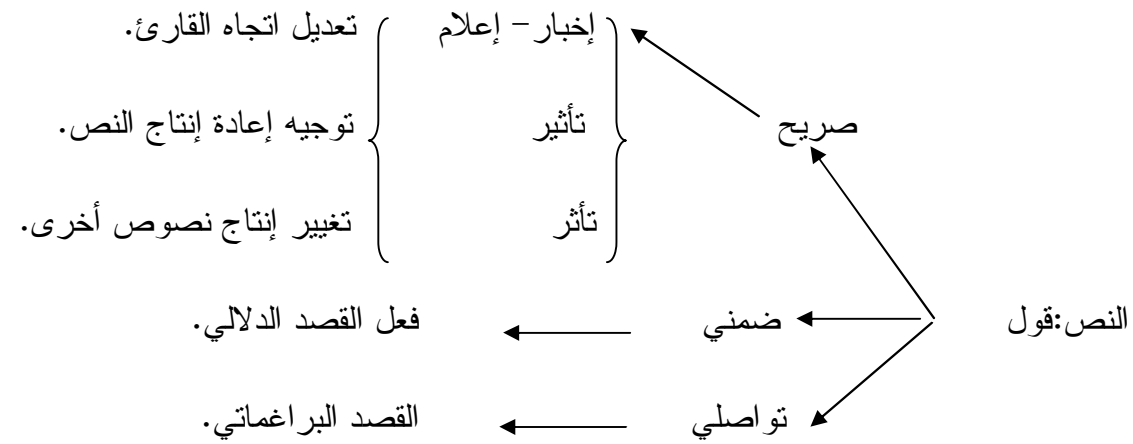

من المفيد الآن أن نعود قليلا القهقرى لنقف على حصيلة ما توصلنا إليه بخصوص مصطلح الخطاب، ثم نقحم ذلك في عملية المناقشة، ما ترسخ لدينا لغاية الآن لاسيما من خلال المقاربة اللغوية/المعجمية، وحتى عبر تتبع وقائع التاريخ والموروث الثقافي أن الخطاب في جوهره عملية كلامية يمكن لها أن تتصف بالبلاغة والبيان والفصاحة، وأن منشأ هذه المعطيات ليس الأدب أو اللسانيات بل هو نظرية الإتصال، فما الذي يجعل بعد الآن الخطاب مختلفا عن النص وفق التعاريف التي أوردناها؟ لقد حاول البعض في الحقل اللسانيات أن يقيم الفرق بين الخطاب والنص والجملة على أساس الحجم، فتحسم المسألة على الأقل بالنسبة للجملة لأنها الأصغر حجما على الإطلاق، لكننا نعتقد بما توفر لدينا من معرفة في هذا الميدان أن الحجم وحده لن يحسم المسألة في التشابه والتقابل الإصطلاحي الحاصل بين النص والخطاب، فكلاهما منتج لغوي ولا يمكن لأيهما الخروج عن حدود المعرفة اللغوية، ثم إن النظر إلى النص على أنه قول يعقد المسألة ويجعل التطابق بين المصطلحين في حكم الأكيد، إلا أن الإشارة إلى الدعامة الكتابية كمقوم للنص تنبؤ عن

إمكانية التفريق والفصل بينهما، وأن لكل مواضع استخدامية محددة، ورغم ذلك فليس هناك ما يدلل مطلقا على ضرورة تغييب الدعامة الكتابية حين القيام بالفعل الخطابي، وربما هذا ما دفع بالبعض إلى اعتبار الخطاب "كل ما ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات"[88] ، وإذا شئنا سرعة الفصل في التداخل الإصطلاحي الحاصل بين النص والخطاب قلنا أن وصف النص بأنه قول هو مجازفة غير محسوبة العواقب من الناحية العلمية، لأن النصوص مرجعيتها الكتابة وإن كانت قابلة للاستخدام الشفاهي، والخطاب مرجعه الكلام وإن كان قابلا للاستخدام الكتابي، لكن ميزة الخطاب التي يستمدها من مرجعيته الكلامية هو ما نسميه بالتداولية الزمكانية التي تمنح للظروف النفسية-الاجتماعية قوة أكبر للتأثير على إنتاج الخطاب، ليصح بعد ذلك أن نقول أن كل خطاب "يتميز بمقومات نصية وأخرى خطابية، تنحصر الأولى في العناصر اللسانية المكونة لجنس النص من معجم وتركيب وطرق انتظام وعلاقات ربط، وتنحصر الثانية في العناصر الماوراء خطابية مثل المقومات الاجتماعية والنفسية والسياقية، وبصفة عامة العناصر البراغماتية المقيدة لإنتاج الخطاب والمكونة لعالمه المعرفي، وقد تم النظر بناء على هذا الأساس إلى الخطاب على أنه مساو للنص مع شروط الإنتاج أما النص فهو خطاب خال من شروط الإنتاج"[89] ــ وهو عين ما ذهب إليه أحمد المتوكل حين عرف الخطاب بأنه "سلسلة من الجمل المتناسقة تحكمها ضوابط ظروف إنتاجها"[90]، ومن ثم فإن بنية الخطاب الذي أطلق عليه المتوكل صفة الطبيعي في عمومه بنية ذات مستويات أربعة هي:

- المستوى العلائقي (التداولي).
- المستوى التمثيلي (الدلالي).
- المستوى الصرفي-التركيبي.
- المستوى الفونولوجي.

وأن وحدات كل من هذه المستويات تندرج في طبقات تتعالق تعالقا سلميا فيما بينها، هذه البنية تتخذ دخلا لعملية توسيط تفضي إلى تحديد الأنماط الخطابية الممكنة، بل إلى توليدها حسب متغيرات تتمثل في القيم التي تأخذها مختلف عناصر طبقات المستويات الأربعة [91]. إن هذه الأنماط ستكون بلا ريب ضروب الخطاب التي تحدث عنها نورمان فاركلوف واعتبرها كطرق مختلفة

لتمثيل العالم[92]، وهو تحديدا ما سينقلنا إلى الخوض في تحديد مفهوم الخطاب وفق مستوى أوسع مما كنا عليه، ولكن دون القطع مع المعرفة اللسانيةالتي تنظر إلى الخطاب على أنه منتج لغوي مربوط بظروف إنتاجه، ويتحقق في الرابطة الإسنادية التي تجمع الإسم مع الفعل الذي فضلا عن انطوائه على معنى فهو يشير إلى الزمن[93]. إن حركية هذا الأخير (أي الزمن) لها تأثير مفصلي فيما يرتبط بالتقابل الإصطلاحي بين النص والخطاب، لأن النص يبقى دوما حبيس النسق والبنية وله درجة متدنية من الحيوية والدنياميكية مقارنة بما يتمتع به الخطاب الذي يخضع للبعد التداولي، وفق مقتضيات زمنية شديدة التفاوت، حيث يتشكل لحظيا ليؤسس اليومي وله قابلية للامتداد حتى يصبح نسقا نميز من خلاله خصوصية ما لمختلف الجماعات البشرية، ولذلك اعتبر لدى ميشيل فوكو مصطلحا لسانيا يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها، حيث لا يقتصر على جانب واحد وله منطق داخلي وارتباطات مؤسسية وليس ناتجا بالضرورة عن ذات فردية يحيل إليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفي ما [94]. لقد اكتسى مصطلح الخطاب قيمة نظرية كبيرة عندما استخدمه فوكو بعد ما استغله رولان بارث في نقد وتحليل النصوص الأدبية، إلا أن فوكو كشف من خلاله عن تاريخ منظومات ثقافية واجتماعية كاملة عبر عصور طويلة[95]، لكننا نرى أن المرادف لما أراده فوكو يصح أن يسمى بالتشكيل الخطابي، وهو أبلغ في التعبير من حيث كونه " نمطا من أنماط تنظيم المعرفة في علاقتها بالمؤسسات المادية، وله علاقة بممارسات السلطة وصورها التي غالبا ما تتجذر في تنظيمات تسيطر وتنبني على معارف منهجية متميزة[96]، وهذا التوصيف مرتبط أساسا لدى ميشيل فوكو بالخطاب انطلاقا من اعتباره مفهوما غير لساني بالأساس، وفي تقديرنا لا يمكن البتة القطع مع الأصل اللساني (كحقل دراسات) لمصطلح الخطاب، بل يجب البناء عليه واعتماده منهجيا لفهم أدق للمصطلح، واعتباره وفق ما ذهب إليه حجّاب[97] المستوى الضيق الذي يتحدد عنده المفهوم محل انشغالنا، وهو العناية بالبنية اللغوية للخطاب، ساعتها يمكن الانتقال للحديث عن المستوى المتسع الذي يخوض فيه فوكو وغيره، والمتعلق بمجموعة المقولات التي تشكل البنية الدلالية المتسعة له والمتموضعة عبر المعلومات المهيكلة. عند هذا المستوى يمكن النظر إلى الخطاب على أنه "نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي بغية تملكه معرفيا ومن ثم تفهم منطقه الداخلي"[98]، وقد تناوله- تبعا لهذا- بعض المفكرين بمعنى المعرفة المنظمة الخاصة بجانب محدد

من الواقع أو ظاهرة محددة، ومن ثم يمكن الحديث عن الخطاب التاريخي أو الفلسفي أو القانوني[99]، وهذه تحديدا هي ضروب الخطاب التي تحدث عنها نورمان فاركلوف والغاية منها تمثيل العالم، ليصح حينئذ تقديم الخطاب على أنه "نظام من التمثيل المعرفي يتكون من مجموعة الشيفرات التمثيلية المعرفية ويشتمل كذلك على ذخيرة أو مخزون تفسيري مميز من المفاهيم والتعبيرات المجازية والأساطير، وهو بهذا المعنى يقوم ببناء صورة معينة للواقع في إطار المجال أو الموضوع الذي يختص باهتمامه ويعمل على الحفاظ عليه"[100]. إن غاية الخطاب سواء في مستواه الضيق كبنية لغوية أو الواسع كمعرفة مهيكلة هي التعبير عن الواقع، والوسيلة ستكون الشيفرات التي تمثل تفاصيل هذا الواقع، لنصطلح في النهاية على النظر إلى الخطاب كنظام من الرموز والعلامات اللسانية وغير اللسانية المستخدمة ضمن سياق زمني ما للتعبير عن واقع ما، والنتيجة أن الاستخدام– أيا كان نوعه– الذي يأتي ضمن سياق زمني ما هو في حد ذاته واقعة، وبالتالي يصير الخطاب– فعلا– واقعة لغوية، لكن الرهان الأخير والمفصلي في العملية هو إنتاج المعنى.

المطلب الثاني : الخطاب الإعلامي كاختيار أيديولوجي.

لا يعد الخطاب الإعلامي أن يكون ضربا من ضروب الخطاب التي يشكل كل منها وفق ما ذهب إليه نورمان فاركلوف إحدى طرق تمثيل العالم، إلا أن هذا التمثيل له خصوصيته وتفرده في المجال الإعلامي، وحتى تتضح حقيقة الخصوصية والتفرد التي أقررناها مسبقا للخطاب الإعلامي لابد لزاما وكإجراء منهجي من التعرف على طبيعة العملية الإعلامية بأخص مشمولاتها وأدق معانيها، ذلك أن هذا كفيل بفهم واستيعاب الطبيعة التقنية للخطاب الإعلامي وممهد جيد لفهم ما سنسميه من البداية بـــ : البنية الخفية للخطاب الإعلامي التي تجعل منه اختيارا أيديولوجيا مبطنا لواجهة تقنية روتينية.

ينطوي الإعلام على فكرة الإخراج في سبيل الإطلاع [101]، وهو ما يدلل على أنه عملية غائية بامتياز، وهذه الغائية هي ما تجعل الاهتمام بما يمكن أن يسمى محتوى الإخراج رهانا لا يستهان به، فالإعلام–لاسيما– حين التدقيق في جذره اللغوي اللاتيني هو الذي يشكل (forme) تبعا لطريقة التي يعلم (informe) بها، وهذا أول ما يمنح مقدارا من الخصوصية للعملية الإعلامية، أما باقي مظاهر التفرد التي أضحت تختص بها فظهرت وتظهر تدريجيا مع تناميها المستمر وتغلغلها

إلى مفاصل وتفاصيل الحياة اليومية للأفراد، عبر الأجهزة الضخمة التي تتجسد من خلالها، وهذه الأجهزة بلا شك هي ما يصطلح على تسميته بوسائط الإتصال الجماهيري، التي يعرفها دينيس ماكويل D.Mcquail بأنها مؤسسات تهتم بإنتاج المعلومات والأفكار والثقافة وتوزيعها على الناس تلبية لحاجاتهم الاجتماعية[102]. إننا في هذا السياق لا نخلط البتة بين البعد الوسيلي والآخر المؤسساتي للإعلام، إذ نعي جيدا أن الأول هو إلى حّد ما في مقام المخرج بالنسبة للثاني، لكننا نستخدم تجاوزا مصطلح الوسائط للتدليل على المؤسسات ونفرق بينهما حينما تقتضي الحاجة إلى ذلك، وفي ذات السياق نخالف ما ذهب إليه ماكويل حين اعتبر المؤسسات الإعلامية منتجة للمعلومات، فهي في الغالب الأعم أنساق محددة لتوزيع المعلومات على أوسع نطاق، وهو ما يجعلها قطب رحى تدور حولها مختلف فعاليات المجتمع وهي نهاية صانعة لما صطلح على تسميته بالرأي العام، والمنطلق هو كون المعلومات محرك للأنشطة الجتماعية، وفي هذا تساوق مع مجموع الوظائف التي حددها هارولد لاسويل لوسائل الإعلام وهي:

- وظيفة النشر والتنسيق وتوزيع المعلومات على المجموعة.
- وظيفة البحث والتنقيب عن المعلومات واكتشاف المحيط الذي يعيش فيه المجتمع.
- وظيفة المحافظة على المعلومات وتبليغها جيلا بعد جيل.

حيث أن كل هذه الوظائف تهدف إلى الحفاظ على كيان المجتمع [103].

لقد شكل تقديم لاسويل لهذه الوظائف إحدى أبرز محطات الاهتمام المبكر بالظاهرة الإعلامية، وليس خفيا على الكثيرين أن هذا الإهتمام أخذ تموضعه ضمن توجه فكري يرى في وسائل الإعلام نسقا فرعيا للنظام الإجتماعي، ومن ثم تم اعتبارها إحدى أطر التنشئة الاجتماعية، ولعل هذا ما كان مدعاة لبروز توجه فكري آخر عمل على تقديم خطاب تنظيري مغاير، حين اعتبر وسائل الإعلام أداة مهمة لخدمة نخبة تسعى إلى الهيمنة، وقد أدت هذه الوسائل إلى تكوين الإنسان السلبي أحادي البعد، ونحن هنا نشير بوضوح إلى منظور مدرسة فرانكفورت النقدية، وبعيدا جدا عن أي إشارة أو تلميح بخصوص أي من المنظرين أرجح كفة في الميزان العلمي أو حتى الفكري إزاء ظاهرة الإعلامية ، فإن الراجح لدينا هو الأهمية المتنامية للوسائط الإعلامية التي لاشك أضحت ميزة عصرنا الذي باتت تهيمن عليه "أيديولوجيا الإتصال"، وإذا شئنا أن نبحث عن

نقطة يلتقي فيها التفكيرين الوظيفي والنقدي إزاء وسائل الإعلام فهي التأكيد على القوة الهائلة لهذه الوسائل في تدوير المعلومة، وهو ما أهلها لتكون "نظم اجتماعية مؤثرة إلى حد كبير في المعيش الاجتماعي اليومي للفاعلين الإجتماعيين الذين تربطهم بها علاقة اعتماد متقدمة، حتى أن بعض الخبراء يرون في وصف التبعية أكثر دقة وتعبيرا عن طبيعة العلاقة التي باتت تحكم الأفراد والمجتمعات ووسائل الإعلام"[104]. وفي السياق ذاته نجد لدى "جون بودريار"ما يتوافق وطرح التفاعلية الرمزية حين اعتبر " شاشات التلفزة وأثير الإذاعات وباقي وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب لاسيما الشبكة العنكبوتية تروج الرسائل والرموز والقيم والصور تبعا لرغبات متفاوتة في استيعابها، وهذه الرسائل تشكل بتداولها معالم ملزمة إلى حد ما، فيها يكيف المشاهد رغباته ويستثمرها، يتبنى المشاهد المتلقي الرموز ويدرجها في جهازه النفسي–السلوكي، ويحدد من خلالها طريقة اندراجه في الحياة والعالم، بحيث تشكل هذه الرسائل والرموز المصممة بالإعلام طريقة المشاهد في علاقته مع نفسه والآخرين"[105].

إن عملية الإخراج التي تشكل جوهر الفعل الإعلامي تتضمن أساسا عرضا للمعلومات وهذا العرض يأخذ في الغالب أشكالا متعددة، وهذه الأشكال هي بلا أدنى ريب هيئات مختلفة للخطاب الإعلامي في بعده التقني–الروتيني كما أسميناه لاحقا، الذي يتحقق مباشرة وبالصورة الأكثر شيوعا في الأنواع الصحفية المتعارف عليها عالميا وهي: الخبر والتقرير والربورتاج والتحقيق، والحديث أو الحوار والعمود الصحفي والمقال الإفتتاحي والتعليق والكاريكاتير وكذلك البورتري. إن هذه الأنواع هي القوالب الأساسية التي تتهيكل عبرها المعلومات التي تنشرها وتبثها وسائل الإتصال الجماهيري، متمثلة في الصحافة المكتوبة والإذاعات والقنوات الفضائية، والمعلومات في حد ذاتها حين تمظهرها الإعلامي ليست إلا معطيات مدرجة في شكل مكتوب أو سمعي أو سمعي بصري، وبالتالي لن يكون الخطاب الإعلامي في شكله التقني سوى منتوجا لغويا ذي خصوصية معينة تتبع لظروف إنتاجه وطبيعة هذا الإنتاج في حد ذاته. إن هذا المنتوج اللغوي ذي الخصوصية هو ما كنا نجتهد قبل الآن في إيضاح عظم تأثيره على مستقبليه، وقد قامت لأجل ذلك عديد المحاولات التنظيرية التي اتخذت من إشكالية التأثير الإعلامي أرضية للتنقيب والبحث، وفق نماذج قياسية مختلفة وأدوات منهجية متعددة، ومن بين ثنايا الدراسات التي أنجزت حول الإعلام ومستتبعاته من

الظواهر ترسخت جملة من المعارف وكذلك القواعد حول السيرورة الإعلامية، ومن بين ذلك كله الإقرار بوجود لغة خاصة بالإعلام أي بالعمل الصحفي تحديدا، والمقصود بذلك هو المستوى اللغوي الذي تعرض به المعلومات المتدفقة عبر الأنواع الصحفية كيما يحصل استيعابها من طرف الجمهور الذي باتت تربطه علاقة تبعية مع الوسائط الصحفية. إن "مستوى اللغة المستخدم في مجال الإعلام يسمى بالمستوى العملي الاجتماعي حيث صارت لغة الإعلام هي القاسم المشترك لفروع المعرفة والأعمال"[106]. ذلك أن "كل شيء في الصحافة يتناول بمنتهى الخفة والسرعة، لأنها تخاطب الجماهير وهي لا تألف البطء ولا التعمق، وقد مضى الزمان الذي كانت فيه الصحافة تعنى أشد العناية بالإنشاء بحيث ينصرف الاهتمام إلى تنميق الألفاظ على حساب المعاني، وبات هم الصحافة الآن التثقيف والتصوير، بحيث نرى المادة التثقيفية تنشط نشاطا واسعا عارضة كثيرا من جوانب العلم والمعرفة، وتطورات ما يجري حولنا في مختلف أوجه النشاط الإنساني، بحيث لا نبالغ إذا قلنا أن الصحافة تحاول جادة أن توجد عند كل إنسان وبأداء لغوي يناسب كل المستويات، وعيا علميا وأدبيا وفكريا"[107]، وهكذا يتبين أن اللغة الإعلامية أضحت أداة مهمة لدى القائم بالإتصال في الإعلام لتشكيل وعي الجماهير بالانطلاق من أخص خصائص الإعلام كونه يصف الواقع [108].

لقد شرح ويلهيلم ديلثي Wilhilm Dilthey مفهومه للرؤية العالمية، بمعنى الكيفية التي يبني بها الفرد رؤاه وتصوراته حول العالم المحيط به، والتي يتصرف في أفعاله بناء عليها، من خلال جعله للأيديولوجيا أساسا له، إذ يقول: إن اكتساب الرؤى العالمية world views إنما هو نتيجة للأيديولوجيا المكتسبة، والأيديولوجيا المكتسبة إنما تكون عن طريق وسائل الإعلام، ووسائل الإعلام تصل إلى الناس عن طريق اللغة التي تبني بدورها مفاهيم الناس عن الأشخاص والأحداث والوقائع والقضايا التي يعيشونها أو يسمعون عنها[109]، ولعلنا الآن أكثر جهوزية من ذي قبل كي نتقبل تعريفا مباشرا للخطاب الإعلامي، يعكس طبيعته التقنية ملخصا ما كنا محاولين شرحه ولو باختصار قبل الآن، فهو" المادة المكتوبة أو المذاعة أو المرئية التي تقيم علاقة جدلية مع المجتمع، تعكس الواقع وعلاقات القوة المهيمنة في المجتمع وتسهم في بنائها عبر عمليات إدراك الواقع وتحديد الهويات الاجتماعية واختيار المفردات، ويتم أيضا من خلال عمليات التناص والتفاوض ولاسيما بين منتج الخطاب والجمهور المستقبل له"[110]، وبوجه آخر في نفس السياق يعتبر " الصيغة

التعبيرية التي تستهدف مخاطبة جمهور واسع عبر وسيلة إعلام جماهيرية مقروءة أو مسموعة أو مرئية، لذا فهو يعتمد على منتج النص ومستقبله ليتحقق هدف الرسالة التي يتضمن، كما أنه يعتبر ممارسة اجتماعية متغيرة لأنه يتعرض دائما- وبالضرورة- للتغيير والتطور"[111].

إن الموقف العلمي إزاء الخطاب الإعلامي لا يمكن حسمه وقوفا عند هذين التعريفين، ذلك أن هناك جملة من المشمولات الخاصة بالخطاب الإعلامي لم تحظ بالعناية والانتباه الكافيين حسب تقديرنا، من ذلك أننا أشرنا فيما سبق إلى كون الإعلام هو إخراج في سبيل الإطلاع، وعملية الإخراج فيها إشارة ضمنية إلى مستويين أساسيين نرى أنهما مهمان معا لفهم أدق للخطاب الإعلامي وهما:

- **أولا:** المحتوى الثقافي(المعلومات).
- **ثانيا:** الآليات التقنية المعقدة المستخدمة زمكانيا لتبليغ المحتوى.

ستجعلنا الإحاطة التحليلية الكافية بكلا المستويين في موضع متقدم نسبيا إزاء فهم دقيق لطبيعة الخطاب الإعلامي، بعيدين جدا عن أي تعريف مما يسمى بالتعاريف الوردية[112]، التي لا تملك أي وجه من أوجه التطابق مع الواقع. إن علوم الإعلام والإتصال بدأت في التبلور تدريجيا على هيئتها المعاصرة أساسا حين بروز المؤسسات الكبرى التي عنيت بتدوير المعلومة في المجتمع، وكانت البدايات مع السينما ثم مرورا بالإذاعة إلى التلفزيون إلى عالم الإتصال الفضائي والتفاعلي الذي نعيشه، وعين المقصود هنا هو حيوية وفعالية العامل التقني- الفني أو لنقل الصناعي في بلورة الخطاب الإعلامي، وهذا يستدرجنا كي نطرح من جديد مقولة "ماكلوهان" عن الوسيلة أنها الرسالة، في أشهر تماه بين ما عتبرناهما مستويي الخطاب الإعلامي، رغم أن لماكلوهن مقاصد خفية من وراء ذلك، إلا أن هذا يزيد في دفعنا قدما إلى مزيد من الاهتمام بالجانب التقني- الفني الذي يزيد ولا ريب في رصيدنا المعرفي إزاء تقديم تعريف للخطاب الإعلامي، لا يجانب واقعه المؤسس على تمظهره الزمني والترابي، فالبعد الوسيلي (الوسائطي) وكذا البعد المؤسساتي للخطاب الإعلامي كمنتج نهائي يشي صراحة بدخول عامل الإقتصاد على الخط.

إن الخطاب الإعلامي ببساطة ثمرة لعملية تصنيعية باتت تحكمها قواعد السوق من ربح وخسارة، وقد جمع هذا الوضع بين متناقضين اثنين، بين الثقافة والتقنية، وهذا هو الدافع- ربما- وراء ابتكار "تيودور أدورنو" لمفهوم تسليع الثقافة، وفي سياق ذلك كان له مقال مشترك مع "ماكس هوركهايمر" بعنوان صناعة الثقافة: التنوير كخداع جماهيري[113]، ونحن هنا لا نلمح إلى صوابية المنظور النقدي لأصحاب مدرسة فرانكفورت بقدر ما نقر واقعا ملحوظا ارتضينا توصيفه بما اصطلح على تداوله في ميادن علوم الإعلام والإتصال، وهذا المتداول هو مصطلح الصناعة الثقافية "الذي استخدم أول مرة سنة 1947 من طرف أدورنو و هوركهايمر، ويشير إلى الأنشطة الصناعية التي تنتج وتسوق الخطابات، الأصوات، الصو، الفنون، وكل القدرات الأخرى والعادات التي يكسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، والتي تمتلك وبدرجات مختلفة خصائص الثقافة" [114]، ووجه التناقض الذي أشرنا إليه آنفا يكمن في كون "الصناعة تشير إلى معنى الإنتاج الاستهلاكي النفعي.. أما الثقافة فصرف الذهن إلى التذوق الشخصي والمتعة الفردية، هذه المزاوجة بين الثقافة والتقنية أو الذاتي والموضوعي هي نتيجة التحويلات البنيوية التي طرأت على هيكلة المجتمعات المعاصرة، حيث لم يعد بالإمكان الفصل بين التطوير والتكنولوجيا أو بين التنمية والتقنية" [115].

يشكل مفهوم الصناعات الثقافية في منظورنا مدخلا جد مهم لفهم حقيقة الخطاب الإعلامي، ونحن نربط بينه وبين مفهوم العقلانية التقنية لدى يورغن هابرماس الذي يرى أن "تطور قوانين السوق وتسربها إلى فضاء الإنتاج الثقافي جعل النقاشات العامة تستبدل التفكر هذا المبدأ القائم على الإعلان والتواصل الجماعي بنموذج تجاري لتصنيع الرأي العام"[116]، تلكم النقاشات العامة التي تحدث عنها هابرماس هي ما يشغل الفضاء الذي يتوسط بين المجتمع والدولة، وهو عين ما تهتم به وسائل الإعلام التي باتت من أهم محددات ملامح هذا الفضاء الذي اصطلح على تسميته بالفضاء أو المجال العمومي، وهنا نتأكد من جديد أهمية مقولة مارشال ماكلوهان المشهورة حين اعتبر الوسيلة الرسالة في حد ذاتها، فقوة وسائل الإعلام وفعاليتها في تحديد ملامح الفضاء العمومي أمست وكأنها ترتكز على جماليات الوسائط أكثر من أي شيء آخر. لقد اعتبر جون بودريار فكرة ماكلوهان هذه بداية لما أسماه "الإصطناع"، وإثر هذا طرح فكرته حول الواقع المفرط أو ما فوق الواقع، حيث يفترض أن "المجتمع المعولم الذي خلقت حوله وسائل الإعلام الجماهيري الرقمي قدرا كبيرا من

الرموز المشبعة بالمعاني الذاتية المرجعية، هو عالم زالت منه علاقة الدال بالمدلول وباتت الدلالة فيه والمعاني غريبة عن الواقع الذي صار واقع هذه المعاني لا واقعه هو بالذات" [117].

إن طرحنا لهذه الفكرة لايأتي البتة في سياق تأكيد المنظور النقدي لوسائل الإعلام، بل هو محاولة لتكريس فهم أعمق وأدق لواقع العملية الإعلامية ومن ثم الخطاب الإعلامي الذي هو بمثابة مخرجها الأساسي، فإذا كانت غاية المطلوب من وسائل الإعلام أن تكشف الواقع وبالتالي تقديم الحقائق للناس(الجمهور)، فإن الواقع يكشف أن هذه الوسائل تسعى في تقديم واقع معين يتشكل –في الغالب–عبر الرموز والعلامات التي تنشرها وتبثها، وليس ذاك الذي يتمظهر كليا ضمن بعدي الزمان والتراب، ذلك أن "الإتصال تقنيات ومضامين لا يستنبت في بيئة جرداء أو فضاء عقيم بقدر ما هو إفراز لسياق ثقافي واجتماعي مبني في شكله ومعناه على تمثل محددات للذات وتصورات معينة للكون والحياة "[118]، لقد أدى تطور هذه الحالة في النهاية إلى الوصف الذي أطلقه بودريار عليها "الواقع المصطنع"، حيث يختفي الواقع ليصير فقط واقع الرموز أو واقع معناها، أي حين يصبح الرمز مرجعية ذاته، ونستتبع هذه الفكرة بالقول أن ما يثار حول فرضية الواقع المفرط (المصطنع) هو الواقع مثار نزاع و صراع، لأن العادة والطبيعة تقتضي أن ما لم يكن كذلك فلا مشكلة–عادة– في عرضه على هيأته الحقيقية. إن هذا الإصطناع الذي بات–غالبا– سمة للإنتاج الإعلامي مرتبط بوضع ثان أمسى هو الآخر لصيقا بالسيرورة الإعلامية بل ومهد لمرحلة اختفاء الواقع وفق توصيف بودريار، هذا الوضع هو الإستعراض المرتبط كمفهوم بما هو زائف، لقد "قام الإستعراض في الإعلام على أساس المزج بين التسلية والإستعراض حيث اتجهت البرامج ذات الطابع الإخباري إلى نوع من الإستعراض، بالشكل الذي يرضي الجمهور المعاصر وإلى تخطي الحقائق الموضوعية وخلق المواقف المثيرة بشكل مأساوي مؤثر أو مفرح ومسلي"[119]. ورغم ما قد يبدو على المفهوم من كونه يحيل ضمنا وأحيانا صراحة على قطاع الإعلام المرئي، إلا أن السمة الإستعراضية هي في الحقيقة مستحضرة في الخطاب الإعلامي عموما، طالما أن الإستعراض يتحقق حينما ينجح الرمز في تغطية الواقع، ولهذا الإستعراض مظاهر محددة :

– سيطرة قيم إخبارية خاصة (الغرابة،الصراع،الجنس...).

– الإهتمام بالأخبار السياسية.

- التنافس والسبق (السرعة).
- الإهتمام المتزايد بالصورة.
- بروز عناصر جديدة في العملية الإخبارية (كبار المعلقين،الخبراء، النجوم...).
- التغطية المتواصلة للأحداث[120].

إن هذه المظاهر وغيرها أصبحت بمثابة أدوات القائم بالإتصال في إخراجه الواقع للناس، بالإنطلاق من كون الإعلام هو نقل للواقع ومحاكاة له وفي ذات السياق من المعنى فالإعلام هم تمثل للواقع وإعادة بناء له، والوسيلة إلى ذلك هي الرموز والعلامات أي أن الخطاب الإعلامي هو نسق لغوي بامتياز، فالتشكيل النصي والدرامي للحدث في وسائل الإعلام يحول المضامين الإعلامية إلى تمثيل لغوي وذهني، يستحضر ذلك التفاعل بين الإنسان والثقافة والمجتمع العالق بالحدث، مستوعبا مختلف العناصر المنتجة للمعنى التي من شأنها أن تخترق الأبنية الفكرية والاجتماعية والنفسية للمستقبل، وتكيف الرسالة المراد تبليغها مع الظروف المقامية والسياقية المحيطة بهذا المستقبل، وهكذا فإن المضامين الإعلامية هي تشكيل رمزي لأحداث العالم، تعمل بنيته المقولبة على خلق أنماط لغوية وتمثيلات ذهنية واستدلالات معرفية تنسجم مع المحددات المعرفية والسياقية التي يتبناها المرسل إليه[121]، وعليه يتضح أن الخطاب الإعلامي يوظف دلالة تمثيلية للغة ليشكل دلالته الإتصالية، كما يستثمر المعرفة الجماعية لإنتاج المعاني وصياغة الأفكار وفق ما يقتضيه الفعل الإتصالي[122]، وهذا الأخير قلنا عنه سابقا أنه لا يستنبت في بيئة جرداء، فهو كتقنيات ومضامين ينبع عن سياق ثقافي معين يستلزم تصورا معينا للعالم وأحداثه، ولذلك لا يمكن النظر إلى وسائل الإعلام أنها مجرد حوامل ناقلة للمعلومة، بل هي صانعة لنظام رمزي تمثيلي للواقع الذي تنقله[123]. إن جميع العوامل التي تم عرضها آنفا في إطار مجهود تحليلي هي مشمولات الخطاب الإعلامي، التي من شأنها أن تيسر فهم حقيقة وكنه هذا الخطاب المتمركزة حول عملية الإختيار أو الإنتقاء التي تحتمها ظروف الإنتاج الإعلامي من جهة، والإلتزامات الأيديولوجية للقائم بالإتصال من جهة ثانية، ويصبح في المحصلة موضوع الإتصال والبث في الفضاء العمومي هو: التمثلات الرمزية عن الحدث والتي تعبر عن تمفصل للجانب الرمزي للحدث من جانبه الواقعي[124]، وهذه التمثلات هي ذاتها ذلك النسق من الرموز والعلامات المستخدمة من طرف القائم بالإتصال

للتعبير عن واقع ما، والهدف النهائي لذلك هو وضع هذا الواقع ضمن إطار معين من المعنى الذي لا شك يمر عبر مصفاة الوعي لهذا القائم بالإتصال.

المطلب الثالث: الخطاب الإخباري و إنتاج تمثل الآخر.

لا يعد أن يكون الخطاب الإخباري أحد ضروب الخطاب الإعلامي، تماما مثلما قررنا ذلك مع الخطاب الإعلامي إزاء غيره مما اعتبرناه أنواعا للخطاب، وبالمثل نقول أننا كما منحنا شيئا من الخصوصية للخطاب الإعلامي وذلك بناء على مؤشرات محددة اعتمدناها تحليليا كيما نثبت تلك الخصوصية، فإننا نفعل الشيء ذاته مع الخطاب الإخباري إذ نمنحه مقدارا من الخصوصية يتمتع بها داخل نطاق الخطاب الإعلامي نفسه، لأن إحدى أبرز وظائف هذا الأخير هي مراقبة البيئة، وهذه الوظيفة نعتبرها رأسا خاصة بالخطاب الإخباري الذي تستند عليه باقي أشكال التعبير المقروء أو المسموع أو المرئي ضمن وعاء الوسائط الإعلامية، لكي تمارس تأثيراتها المختلفة على المتلقي عقليا وسلوكيا ووجدانيا.

إن المشكلة التي نواجهها إزء الجهد الذي بين أيدينا هو تقديم فهم محدد لطبيعة الخطاب الإخباري، ينحو به بعيدا عن حدود البعد التقني–الروتيني، لا بل إن العملية الأساس هنا هي إعادة النظر في ثنايا التمظهر التقني للأخبار وتدقيق الرؤية إزاء ما يمكن أن تحدثه من تأثيرات مبطنة، هي في الواقع إفراز لعملية اختيار أيديولوجي محكم، ليس فقط نتيجة لتموقع منفعي معين ذي الإسقاطات السياسية والعصبوية والمادية(الترابية)، بل نتيجه لجملة الإكراهات التاريخية وتبعا لذلك الثقافية التي شكلت وتجسد في الآن نفسه المخيال أو المتخيل الجمعي لذي ينتمي إليه وينشط ضمنه أو خارجه القائم بالإتصال، وبالتالي فإن للمخيال أو كما اصطلحنا على تسميته من البداية المتخيل الجمعي له أثره وتأثيره الواعي واللاواعي في عملية إنتاج الأخبار، ومن ثم بلورة الخطاب الإخباري. سنتدرج لفهم هذه الآلية عبر مرحلتين متتاليتين متكاملتين ستكون الأولى محاولة لمناقشة مفهوم الخطاب الإخباري، والثانية عرض لنماذج عدة من الخطابات الإخبارية التي استخدمت للتعبير عن ذات ثقافية مغايرة.

1- الخطاب الإخباري: معالجة المفهوم.

يرتكز مفهوم الخطاب الإخباري على أهم شكل من أشكال التعبير الإعلامي وهو ما يمنح مقدارا معتبرا من الحيوية لباقي الأشكال التي نتحدث عنها، والتي لن تكون سوى الأنواع الصحفية المعروفة على الصعيد العالمي وأبرزها طبعا هو الخبر الصحفي، وهو محط انشغالنا في هذه الجزئية. إن الخبر الصحفي هو قاعدة الأنواع الأخرى وبدونه لا يكون لها كثير معنى، ونحن لسنا معنيين ضمن هذه المرحلة بالدخول في التفاصيل اللغوية لمفردة الخبر التي تحيل لغويا إلى مفردة اخرى أقل منها انتشارا وشهرة وهي النبأ، لكننا نؤكد من البداية أن جوهر أي تعريف يتم تقديمه للخبر من الناحية الإصطلاحية لا يمكن له بالمطلق أن يتجاوز"الحدث" من حيث هو تمظهر زماني- ترابي، أي من حيث هو الواقع أو ما وقع فعلا، وعملية نقله إلى المتلقي عبر إخرجه على هيئة ما، هو ما تم الإصطلاح عليه- من الناحية الإعلامية- تحت اسم الخبر، ولعل أقدم تعريف له هو القول المأثور والمشهور للورد "نورثكليف" منشئ الصحافة الشعبية الإنجليزية الحديثة، وصاحب صحيفة the evining news حين قال "إذا عض كلب إنسانا فليس هذا هو الخبر، فالكلاب يعضون دائما بني البشر، أما إذا عض إنسان كلبا فذلك هو الخبر الذي يستحق النشر"[125]. لقد ورد هذا التعريف يوم كان للصحافة المكتوبة اليد الطولى في تشكيل الرأي العام، من جهة ما لها من سبق الظهور إزاء باقي الوسائط الجماهيرية، لكن هذا لا يشكل- في تقديرنا- عائقا في تقديم تعريف ذي دقة عالية للخبر، بل العائق وفق ما نستشفه من التعريف المقدم هو المنظور المعتمد في صياغة تعريف ما للخبر، فتعريف اللورد نورثكليف مثلا يرتكز على عنصر الإثارة في معرفة وتحسس الخبر والأخبار، وهذه الوضعية أنتجت فيما بعد ما عرف بمدرسة الإثارة الصحفية، وتمت المفاصلة بين العديد من المدارس التي ذهبت في تعريف الخبر مذاهب عديدة، لكنها والحال هذه لم تحد مطلقا عما سميناه من البداية بجوهر الخبر ألا وهو الحدث، إنما وقع الخلاف في نوعية الأحداث التي تصلح لأن تكون أخبارا في الوسائط الإعلامية المتعددة والمتنوعة. إن طرح هذه المسألة خلق فيما بعد جناحا نظريا في مادة تقنيات حرفة الصحافة أسمي بالقيم الإخبارية، وهي بالمجمل تلكم الأسس النظرية التي تعتمد عليها المؤسسة الإعلامية في التقاط الأحداث(من الواقع) ومعالجتها إعلاميا، وهكذا يتبين سريعا أن الخبر كمنتج رئيسي للعملية الإعلامية تتحكم في عملية إنتاجه وتظهر على

قسماته من خلال عملية البث أو النشر، مجموعة من القيم الإخبارية التي تترتب بالأولوية في أجندة المؤسسة الإعلامية وخطها السياسي، ومن هذه القيم: الصدق، الموضوعية،الإثارة، الغرابة،الصراع،السرعة أو السبق، الملموسة، الإهتمام الإنساني، وغيرها من عديد القيم التي تتحكم في عملية صناعة الأخبار، ورغم هذا في مقدورنا أن نحتاط في تقديم عدة تعريفات للخبر الصحفي نسعى عبرها إلى الإقتراب من جوهره، بمعنى محاولة الإحاطة به في بعده التقني مجردا من أي صبغة قيمية مرتبطة بمجال التنظير أو مجال الثقافة من حيث هي عادات و تقاليد.

يعرف أديب خضور الخبر بأنه النوع الصحفي الذي يقدم الحقائق والوقائع والمعلومات المتعلقة بالأحداث والظواهر والتطورات الراهنة والآنية، بهدف تقديم أجوبة عن الأسئلة الخمسة الأساسية: ماذا؟ من؟ متى؟ أين؟ كيف؟ ويضيف بعضهم وخاصة في الصحافة التفسيرية لماذا؟[126]، وبطريقة أخرى تعرف الأخبار بأنها تصوير للواقع محاطا بالميل الثقافي ومحددات الموقف التي يرغب الجمهور في متابعتها[127]. في البداية لابد من الإعتراف بصعوبة مهمة تقديم أو انتقاء تعريفات منفصلة عن أي قيمة، لأن الإنطلاق من الواقع من أجل العودة إليه في إطار الظاهرة الإنسانية يطرح على الدوام مشكلة التجرد من الذاتية، لكن هذا لم يمنعنا من الخروج بنتيجة هامة من التعريفين المقدمين. إن الخبر هو نقل الواقع للجمهور، وبذلك يصير تصويرا لهذا الواقع دون إمكانية إغفال البيئة الثقافية (بيئة الإتصال) وشروط السيرورة الإعلامية من حيث هي عملية غائية، بمعنى التأثر بالسمات البارزة للجمهور، ولعل في هذا تساوقا مع تعريف العملية الإخبارية بأنها "تقديم الأحداث والوقائع والآراء التي تهم أكبر قدر ممكن من الأفراد في أوقات هامة مع الأخذ بعين الإعتبار حدود الوقت التي تفرضها طبيعة الوسيلة المستخدمة ومدى قدرة الجمهور على تلقي هذا الكم من المعلومات والصور"[128]، وبذا تتضح وسيلة تصوير الواقع، إنها المعلومات التي تخلق لدى الجانب الآخر (المتلقي) الصورة، يضاف إلى هذا مسائل مهمة حيال عمل الأجهزة الإعلامية وهي الوقت والتوقيت، إذ لهما كبير الأثر في نجاح الرسالة الإعلامية(الخبر) أو إخفاقها.

إن هذه العوامل العديدة التي اتضح أن لها علاقة وثيقة ليس فقط بعملية إنتاج الأخبار بل بإنجاحها أيضا، ترتبط بعامل آخر يمثل إشكالية بارزة في العمل الصحفي وهو عامل الموضوعية ، التي فضلا عن كونها قيمة إخبارية وفق ما أوردنا سابقا تعرف بأنها "حالة ذهنية للمحرر أو

المندوب الصحفي تتضمن جهدا واعيا بعدم الحكم على ما يرى وعدم التأثر بأحكامه الشخصية السابقة أو تحيزاته القبلية، وألا يكون مفتونا بلغة المشاركين في الحدث الإخباري، ودائما ثمة افتراض أن هناك جانب آخر للتغطية الخبرية وبذل الجهد لإعطائه الفرصة في الظهور"[129]، كما وأن الموضوعية تعتبر من ضمن القيم المهنية التي يلتزم بها الصحفي بقطع النظر عن نوعية الوسيط الذي يتعامل معه، ومن مقتضيات هذه القيمة وكمؤشرات كذلك على احترام جانب الموضوعية إسناد المعلومات إلى مصادرها ومنح المتناقضات مساحات متقاربة (متساوية) من التغطية.

ورغم ذلك نرى أن احترام هذه المؤشرات وإن كان باعثا مباشرا يوحي للمتلقي بموضوعية العملية الإخبارية، فإنه يبقى هناك دوما مجال للمناورة الإخبارية والتلاعب بوعي أو بغيره من طرف القائم بالإتصال أثناء تركيب المادة الإعلامية، وهذا في حد ذاته لا يمنع في نهاية المطاف من النظر إلى الخبر على أنه "العملية التي يتم من خلالها تزويد الأفراد بالمعرفة الحقيقية حول جوهر ما يجري من أحداث في المناحي المختلفة بالمجتمع في فترة زمنية معينة"[130]، وقد وجدنا في هذا التعريف أفضل تعبير عن الوظيفة الإخبارية التي تخول القائمين على الأجهزة الإعلامية تصوير الواقع للناس، لكن ما لم تشر إليه التعاريف المقدمة صراحة هو بنية الخطاب الإخباري في حد ذاته. إن هذه البنية هي بلا شك تحصيل حاصل للقيام بالوظيفة الإخبارية، وهي تبعا لذلك وسيلة التعبير عن الواقع وتصويره للمتلقي، هذا الأخير الذي-بدوره- سيكون صورة عن الواقع (الأحداث) محكومة بالمعلومات التي تصله عبر الوسيط الإعلامي. إن المعلومات إذن هي المظهر الجامع لبنية الخطاب الإخباري، وضمن هذا المظهر" تتوزع بنية الخطاب الإخباري إلى مستويات بنيوية رئيسية، أو ما يمكن تسميته بالبنى النصية، وهي مستويات تحليلية نقوم بدراسة الخطاب الإخباري على أسسها، وتنقسم لدى "فان دايك" إلى اتجاهين أساسيين:

- **الأولى:** ما يسمى بالبني الصغرى أو البنى الموضعية(الجمل و المفردات).
- **الثاني:** البنى العامة أو الكلية[131].

حيث يتعلق الأولى بالمستوى الذي ينفرد به خطاب الصحافة بتعدد أشكالها، كما ويتعلق قبل ذلك أي من الأساس بمجموعة الرموز اللسانية وحتى غير اللسانية التي عادة ما تنتظم لتشكل

المعنى في أبسط هيئاته، وهذه الرموز هي-بلاريب- وسائل مشتركة بين مستخدميها ويحدث التفاعل الاجتماعي تلقائيا عبر المعاني الناتجة عنها، و قياسها على هذا الأمر يتكون المستوى الثاني للخطاب الإخباري الذي نبدأ مناقشته من خلال مفهوم الإتساق والإنسجام الدلالي، حيث "تعتمد وسائل الإتصال الجماهيري بشكل رئيسي على المعارف المشتركة والمعتقدات وتساهم أيضا في صنعها، لذا يرى فان دايك أن الفهم المنسجم لأحداث معينة مقدمة عبر وسائل الإتصال يتطلب تنظيمها في مدونات.. ويتبع ذلك أن فهمنا الموضوعي لانسجام التقرير الإخباري قد يعتمد على اشتراكنا في مدونة معرفية معينة أو موقف اجتماعي-سياسي، وهذا قد يبدو مناسبا بشكل خاص لفهم وتقييم أسباب أحداث ما أو دافع فعل معين، فبهذا النوع من الإدارة المفهومية سنكون مجهزين بشكل أفضل لدراسة الإختلافات القائمة على الأيديولوجيات في التطبيق المناسب للمدونات والمواقف في تحرير الأخبار"[132]، وهكذا يتضح أن "عملية إنتاج الأخبار ليست مجرد عملية صحفية سلبية يقوم بها الصحفيون بنقل الأخبار إلى جمهورهم بحيادية، أو هي نشاط ذهني مباشر للصحفيين، بل إنها منظمة اجتماعيا وأيديولوجيا بمجموعة من الإستراتيجيات البنائية" [133]، وهذه الأخيرة تحيل إلى مفهوم البنى الكبرى للخطاب الإخباري المعادل لما يمكن تسميته بموضوع الخطاب، "حيث تكتسب أجزاؤه (الخطاب) تنظيمها من محاولة التعبير عنه والتساوق مع غرضه، إن استخلاص البنى الكبرى يتم عبر عدد من العمليات: الإنتقاء، التعميم، البناء، ولا يقتصر وجود هذه العمليات على المستوى اللساني وحسب، بل إنها تعمل على البعد المعرفي في معالجة الخطاب كإستراتيجيات عامة، أولية لكنها مؤثرة تمكن من استخلاص الموضوع من متتالية من الجمل، وتعتمد هذه العمليات بقوة على معرفتنا عن العالم(المدونات) فعلى ضوء هذه المعرفة أو المدونات يمكننا أن نضع سلاسل أو متتاليات من الأحداث تحت عنوان محدد"[134].

2- جدلية الخطاب الإخباري والمتخيل (المخيال) الجمعي.

تنقلنا فكرة البنى الكبرى للخطاب الإخباري إلى مناقشة فكرة لها أهمية معتبرة على صعيد معالجة الأحداث إعلاميا، وهذه الفكرة ذات ارتباط وثيق بمنظور التفاعلية الرمزية في تمفصله الإعلامي، والمقصود هنا بالضبط مسألة تأطير الأخبار المتجلية في طرح تساؤلين أساسيين:

- هل التأطير عملية تبني غير واع للمعنى؟

- هل هو بناء متعمد للواقع أو على الأقل بناء يتأثر بالبنى والعمليات السائدة؟

لقد عرف غوفمان الأطر بأنها مبادئ تنظيمية تتحكم في الأحداث وبتفاعلنا الذاتي معها[135]، وإذا بحثنا في المسألة بشكل أكثر دقة وأكثر تطورا سنحصل على مسميات جديدة لعمليات تأطير الأخبار، ومن بين أهم ما عثرنا عليه في هذا المجال ما يسمى "الإجراءات السيناريوهية" في إعداد الأخبار، التي ترتكز على عوامل الإستعانة بالتاريخ وبالطابع الشخصي للمعلومة وبتفسيرها والتنبؤ الصحفي[136].

إن هذه الإجراءات السيناريوهية في إعداد الأخبار تقود إلى معالجة الأحداث والقضايا والتي لاشك مرتبطة بمجتمعات بعينها في إطار رمزي، ومن خلال الرموز يأتي التمثل ليتجاوز الخبر والحياة المعيشة، وهذا ما يدعو من جديد وبإلحاح إلى إعادة طرح فكرتي الإصطناع والإستعراض، اللتان تعبران كذلك عن حالة التقاطع بين الخطاب الإخباري وعلامات العالم الرمزي، التي تسبب أزمة في تمثل الآخر[137]، لاسيما في فترات الأزمات التي تعبر عنها غالبا النزاعات المسلحة أين يصبح الخطاب الإخباري منتجا للتمثل الإجتماعي أكثر من كونه تقديما للوقائع. لقد أردنا أن ندلل على هذه الحالة من خلال عرض جملة من أبرز ما توصلت إليه بعض الدراسات من نتائج، وتحديدا حول تغطية الإعلام الغربي لأحداث وقضايا خاصة بالشرق (العربي- الإسلامي)، والغاية هي توضيح مبسط وسريع لكيفية تأثير الروابط بين الغرب والشرق على الخطاب الإعلامي عموما والإخباري منه على وجه الخصوص، ولعلنا سنكون أقل تأهيلا لأداء هذه المهمة إن تجاوزنا وأغفلنا مسألة لها أهمية محورية في هذا الصدد، وهي مسألة الإستشراق، ونحن لا نهتم به إلا لأثره الواضح- وإن كان خفيا على البعض- على الخطاب الإخباري للوسائط الإعلامية الغربية.

يقول أليكس جورافسكي أنه خلافا للموقف الإسلامي الهادئ وحتى اللامبالي كان موقف المسيحيين الغربيين من الإسلام انفعاليا و غير متسامح روحيا، لأن الإسلام كان في تصورهم تحديا تطلب ردا ومقاومة واهتماما دائما به، وإنه من أجل إدارة الصراع بنجاح مع عقيدة هذا المنافس- الخصم القوي والخطير لابد من دراسته، وقد ظهر الطراز الأول من الدراسات الإسلامية الكلاسيكية كخطاب غربي حول الإسلام بدءا من القرون الوسطى، حتى أن التخصص في الإسلام أو الإسلاميات أصبح جزءا عضويا من العلم ومن الأيديولوجيا وثقافة المجتمع الأوروبي[138].

الإستشراق إذن في مظهره العادي والأولي هو مبحث أكاديمي لكنه ذو منشأ غربي ولغاية ثقافية غربية وخاصة، وقد وردت في تعريف جورافسكي مفردة مهمة إزاء الإستشراق وهي الخطاب، وهو تماما ما ذهب إليه "إدوارد سعيد" حين اعتبر الإستشراق "كأسلوب للخطاب أي للتفكير والكلام، تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية وصور ومذاهب فكرية بل وبيروقراطيات وأساليب استعمارية[139]. إن مفهوم الخطاب كما حدده ميشيل فوكو في كتابيه حفريات المعرفة والتأديب والعقاب، قدم خدمة لإدوارد سعيد (كما قال هو) في تصنيف مفهوم الإستشراق، ولذلك اعتبر أن عدم التعامل مع الإستشراق كخطاب يجعلنا غير مؤهلين لفهم طبيعة النظام الذي سمح للثقافة الأوروبية بتسيير والتحكم في الشرق[140]. وبناء على ما تقدم تتضح العلاقة بين الإعلام والمخيال الجمعي على شاكلة تأثير خطي بين خطابين، فللخطاب الإستشراقي (كتشكيل خطابي حسب فوكو) أثره الواضح في الخطاب الإعلامي الغربي لاسيما منه الإخباري، حيث يتجلى ذلك عموما فيما يسمى بالمعالجة الجامدة للمعلومات لكنها منغرسة في القوالب النمطية المتأصلة في المتخيل الجمعي[141]. فعندما يبث التلفزيون الفرنسي خبرا عن اكتشاف خلية إرهابية في فرنسا على سبيل المثال، يجسدها في الغالب بصور أبناء المغرب العربي والمسلمين الذين لا صلة لهم بالموضوع عند خروجهم من المساجد وهم يلبسون لباسهم التقليدي، ورغم أن تحريات الشرطة القضائية الفرنسية ورجال العدالة قد بينوا أن المتورطين في الخلية المكتشفة هم فرنسيوا الجنسية ويرتدون اللباس العادي الذي يلبسه كل فرنسي في سنهم، إلا أن التلفزيون الفرنسي لم يصحح الصورة المنقولة عن الخلايا الإرهابية. قد يعتقد البعض أن السبب يعود أيضا إلى توارث تقاليد السرد السينمائي في العمل التلفزيوني، فحكاية قصة إخبارية مشوقة في التلفزيون تشترط أن يكون أيضا لها طرفين أساسيين وهما الأخيار والأشرار، والحكي عنهما لا يتم بدون الإستعانة بهذا القدر أو ذاك من الصور النمطية التي يزيدها النزاع السياسي أو الإيديولوجي رسوخا [142]، والحال ذاتها- تقريبا- مع الإعلام الأمريكي حيث يتعدى الأمر مجرد البحث عن الخبر والمعلومة كقيمة إخبارية إلى محاولة ربط الكثير من المفاهيم السيئة أو التركيز عليها كخاصية ملازمة للثقافة الإسلامية فضلا عن المسلمين، من ذلك ما أثبته ناجية أقجوح عبر قراءة في صحيفة لوس أنجلس تايمز بين العامين 2007-2008، حيث يتم الربط بين الإسلام والإرهاب وما يسمى بالإسلام التقليدي والحرب المقدسة ثم النبي محمد عليه الصلاة والسلام والجهاد، ومواصلة التركيز على ظاهرة

الحجاب وقضية عمل المرأة [143]، ورغم ذلك تظل الصورة متباينة بين التأثير والتأثر بالخطاب السياسي والمحكوم بأيديولوجيا معينة، يمينية كانت أو يسارية أو وسطية، وكذلك نذكر على هذا الصعيد تأثير القيم المهنية وقيم الديمقراطية والحداثة ومستتبعاتهما، وهو ما توصلت إليه دراسة محمد الشرقاوي الإسلام والمسلمون في الإعلام الأمريكي: الصورة النمطية والمتخيل الراهن[144]. يمكننا أيضا فهم الصورة النمطية المروجة للمسلمين والإسلام عبر بعض وسائط الإعلام الغربية من خلال نظرية صناعة الإذعان لنعوم تشومسكي وإدوارد هيرمان، حيث يحرم الجمهور من فرصة فهم الواقع الحقيقي للأمور، بل يعمل على تجريم وشيطنة الطرف الآخر وتصنيفه في خانة المذنب عبر بث الدعاية بصورة آلية موجهة في سبيل تقويض هذا الطرف[145]. وقد استخدم هذا المنظور لمقاربة قضية اللاجئين(أكثرهم سوريون) في الخطاب الإعلامي الأوروبي، وتوصلت دراسة في هذا الشأن إلى أن "طوفان النزعة الأيديولوجية في الخطاب الإعلامي لاسيما في وسائل الإعلام اليمينية التي استندت بشكل ملحوظ في عملية بنائها على الثنائيات الضدية، بين الأنا والهم وأحادية الرأي الخاصة بالطبقة المسيطرة. بالإضافة إلى نزوع هذا الخطاب إلى التعتيم على تجارب وآمال ومعاناة هؤلاء (اللاجئين)، والتركيز على الجوانب المعلوماتية في معالجة الأزمة والخلط بين السياسة وعلم الوجود، حتى في خطاب وسائل الإعلام اليسارية (الفرنسية تحديدا) والذي جرى توظيفه بشكل كبير في إطار النزاعات والمزايدات السياسية بين اليمين واليسار قبيل الإنتخابات الإقليمية في البلاد، أو في إطار العقلانية الزائدة على حساب العاطفة والإهتمامات الإنسانية(حالة ألمانيا) [146]. إن الإطار العقلاني الذي عالج به الإعلام الألماني–مثلا–قضية اللاجئين ينتفي تماما ويتدخل الجانب العاطفي بكثافة، حيال معالجة الصراع مع المؤسسة الإسرائيلية في القطر الفلسطيني، وهذا ما أثبتته دراسة لـــ: محمد خلوق بعنوان الإسلام والقضية الفلسطينية في الإعلام الألماني حيث اتضح أن :

- الموقف من القضية الفلسطينية في الإعلام الألماني لا ينفصل عنه من الإسلام والمسلمين، وهو في الغالب الأعم موقف سلبي.
- إعلام لا يتمتع بالإستقلالية، ولكنه يعيد إنتاج ما تنشره الصحف الأمريكية عن الصراع في "الشرق الأوسط".

- يعاني هذا الإعلام من إكراهات تاريخية تتمثل في عقدة الذنب تجاه اليهود وهو ما ينعكس سلبا على تغطيته ويجردها من الموضوعية، فلا يتوانى هذا الإعلام عن إسكات كل صوت مشكك بروايته عبر استعمال ورقة معاداة السامية[147].

ولا يختلف الأمر كثيرا إن أخذنا تصور الوسائط الإعلامية الغربية لنظيرتها العربية، حيث توصلت دراسة أجريت في هذا الشأن إلى أن هناك اتجاه متنام للإهتمام بالوسائط العربية في الفضاء الإعلامي الغربي، الذي يمنحها صورة توازن بين عرضها مرتبطة بموضوع الإرهاب وحينا آخر بمواضيع الثقافة والفن، خلا في أوقات الأزمات أين يهيمن موضوع الإرهاب على صورة الوسائط العربية في خطاب الإعلام الغربي، أما حين يتعلق الأمر بقناة الجزيرة الفضائية فإن الأمر لا يتوقف عند حدود الإهتمام فقط، بل يتعداه إلى هيمنة شاملة لموضوع الإرهاب الذي تربط به القناة مباشرة [148].

في كتابة الإستشراق: الشرق المتصور من طرف الغرب، تحدث إدوارد سعيد عن العربي وكيف يتم تصويره في النشرات الإخبارية دائما في حشود كبيرة، حيث ينتفي اعتباره فردا يتمتع بخصائص أو خبرات شخصية، ومعظم الصور تمثل الغضب الجماهيري الجامع و البؤس أو الحركات غير العقلانية التي تبدو شاذة وميؤوسا منها، وخلف جميع هذه الصور يكمن التهديد بخطر الجهاد أو الخوف من أن المسلمين أو العرب سوف يستولون على العالم [149]، أضف إلى هذا أنه حتى في الخطاب الإخباري الذي تبدو عليه معالجة عادية وأقرب إلى الحيادية، تحدث عبره أزمة التمثل المعبر عنها في تمثل خاطئ ناتج عن تقاطع- كما أسلفنا- بين الخطاب الإخباري وعلامات العالم الرمزي، يتجسد ذلك في حالة العرب والمسلمين ضمن الوسائط الغربية في التركيز بوعي أو بدونه على مظاهر : حجاب المرأة واللحى المسدلة عند الرجال أو دور العبادة وطابعها العمراني ورجال الدين وغيرها مما أشرنا إليه آنفا، في إطار ما يسمى بالإجراءات السيناريوهية التي تصور الآخر تصويرا مشوها، و تستحضره-لاسيما- زمن الحروب في هيئة أقل ما يقال عنها أنها مريبة، وذلك كله نابع من مجموعة من الإكراهات التاريخية بالدرجة الأولى والمرتبطة بحالة الصراع المستمر بين الإسلام كمنظومة قيم وكشرائع، وبين نزعات أيديولوجية / دينية تعتنقها نخب بعينها تسعى إلى قيادة العالم المسيحي- الغربي للصدام مع العالم الإسلامي، يضاف إلى تلك الإكراهات

أخرى سياسة مرتبطة بتدافع عدة مشاريع على المستويات المحلية الداخلية والإقليمية وكذلك العالمية وكله ضمن العالم الغربي.

مراجع و هوامش الفصل الثاني :

(1): حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور، مجلة فصول، عدد 62، 2003، ص ص26، 27.

(2): ابن منظور، لسان العرب، مجلد4، جزء28، دار المعارف، القاهرة، ص 2523.

(3): المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر،2004، ص 528.

(4): رجع الباحث في تلخيصه لهذه الإشتقاقات إلى كتاب عصر الصورة لمؤلفه شاكر عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، يناير 2005، سيما الصفحات 8،9،10، وكتاب حياة الصورة وموتها لـــ: ريجيس دوبري، ترجمة فريد الزاهي، ط1، دار المأمون للترجمة و النشر، العراق–بغداد ، لاسيما ص 17.

(5): استفدنا في طرحنا لهذه الفكرة من مذكرة ماجيستير(غير منشورة) بعنوان: مفهوم الحقيقة عند مارتن هايديغير، لحياة خلفاوي، جامعة قسنطينة، 2006/2005.

(6): مالك بن بني،مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر، دمشق، 2000، ص ص 21 ،22 .

(7): موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص 30 .

(8): نفس المرجع ، ص 47.

(9): وقفنا على هذا الحضور من خلال مراجعة جملة من الأدبيات البحثية منها :

– لشطر ربيعة، التصورات الإجتماعية لأطفال الشوارع (مدينة عنابة نموذجا)، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة سكيكدة 2009/2008.

– بدرة كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة سطيف2، 2010/2009.

- جمعة بورجوح، آليات تعريف المصطلح العروضي في كتاب العمدة، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة ورقلة، 2012/2011.

- خليل برويني وآخرون، صورة مايكوفسكي في شعر عبد الوهاب البياتي وشركوه بيكه س، دراسة صورولوجية في الأدب المقارن، مجلة إضاءات نقدية، السنة2، ع8، جانفي 2012.

- Dominique trudel:Guerre,communication,public: walter lippmann et l'émergence d'un probléme, thése présenté en vue de l'obtention du grade du ph D en communication, université de montréal,mars 2013.

(10): روبية بلانشيه، نظرية المعرفة العلمية، نقلا عن: سمير أحمد معلوف، الصورة الذهنية دراسة في تصور المعنى، مجلة جامعة دمشق، مجلد26، عدد1+2، 2010، ص 119.

(11): القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 31.

(12): محمود إسماعيل ريان، الإتزان الإنفعالي وعلاقته بكل من السرعة الإدراكية والتفكير الإبتكاري، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة،2006، ص 48.

(13): نفس المرجع ، ص 46.

(14): عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، ط3،المجلد1، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص21 .

(15): بوشعيب الساوري، إشكالية الانتقال من المفهوم إلى المصطلح، ورقة مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، 10/09/مارس 2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ص 17.

(16): نفس المرجع ، ص 17.

(17): ليلى السيد وعماد مكاوي، الإتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998، ص ص 146،147.

(18): موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 54.

(19): مثلما ذهب إليه الجاحظ، ونقلناه عن: سالم الخماش في كتابه المعجم وعلم الدلالة، ص12.

http://www.khamash.cjb.net

اطلع عليه بتاريخ :2013/03/19 .

(20): المعجم الوسيط، مرجع سبق ذكره، ص 624.

(21): برنار ميج، الفكر الإتصالي من التأسيس إلى منعطف الألف الثالثة، ترجمة أحمد القصوار، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2011 ، ص20.

(22): أديب خضور، صورة العرب في الإعلام الغربي، ط2، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2009، ص11.

(23) : إذ أن الرجل تكلم صراحة عما اصطلح على تسميته فيما بعد بالصورة النمطية.

(24): منصور بن لرنب، صورة الذات وصورة الآخر في الثقافة الجزائرية، مجلة الوسيط، جزء14، دار هومة للنشر والتوزيع،2007، ص 121.

(25): أديب خضور، مرجع سبق ذكره، ص 12.

(26): موسى جواد الموسوي وآخرون، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، جامعة بغداد، 2011، ص ص66،67.

(27): سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، مسقط ، 2005، ص23.

(28): تصنيف جفكينز نقلناه عن سليمان صالح، المرجع السابق، ص 25.

(29): وقنوني باية، أثر العلاقات العامة على سلوك المستهلك النهائي- دراسة حالة شركة أوراسكوم لاتصالات الجزائر "جازي"، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة بومرداس، 2008/2007، ص 218.

(30): هشام محمد حسين، العلاقات العامة بين القناعة والتهميش في الوطن العربي، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي ،ص35.

www.abahe.co.uk/.../Public-relations-between-the-conviction-and-Negligence.pdf

أطلع عليه بتاريخ :2013/05/07 .

(31): زيدان الجبوري، مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، الباحث الإعلامي، عدد9-10، حزيران-أيلول 2010، ص163 .

(32): أيمن منصور ندا، الصورة الذهنية والإعلامية عوامل تشكيل واستراتيجيات التغيير، المدينة برس، القاهرة، ص29.

(33): منصور بن لرنب، مرجع سبق ذكره، ص 125.

(34): سليمان صالح، مرجع سبق ذكره، ص 150.

(35): زينة عبد الستار الصفار، نظرية الصورة الذهنية وإشكالية العلاقة مع التنميط، (الباحث الإعلامي، ص 128).

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=4233

اطلع عليه بتاريخ: 2013/09/10 .

(36): أيمن ندا، مرجع سبق ذكره، ص 22.

(37): سليمان صالح، مرجع سبق ذكره، ص 151.

(38): نفس المرجع ، ص 157.

(39): إيميل يعقوب وآخرون، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، نقلا عن: بلحسيني نصيرة، الصورة الفنية في القصة القرآنية- قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا- مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة تلمسان، 2006/2005، ص ص 17،18.

(40): أخذنا أفكار: البصر والبصيرة والإنعكاس والتمثيل المادي عن: عبد النبي ذاكر، سيميائية الصورة الثقافية. مجلة الصورة ، عدد2 ، 1999 .

- http:// schoully.x10.mx/Assoura/Assoura-No2/02-002.PDF

اطلع عليه بتاريخ : 12-10-2013

(41): جميل حمداوي، سيميوطيقا الصورة المرئية أو البصرية.

http://www.alukah.net/library/0/61044/

أطلع عليه بتاريخ :2013/10/12 .

(42): نفس المرجع.

(43): عبد النبي ذاكر، مرجع سبق ذكره، ص10.

(44): إستلهم الباحث فكرة هذا المستوى من خصائص النموذج المثبتة في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبد الوهاب الميسري، مرجع سبق ذكره.

(45): عبد الحميد شاكر، مرجع سبق ذكره، ص 60.

(46): أيمن منصور ندا، مرجع سبق ذكره، ص 43.

(47): نفس المرجع ، ص44.

(48): نفس المرجع ، ص 47.

(49): قمنا بتلخيص هذه التوجهات من كتاب أيمن منصور ندا، مرجع سبق ذكره، لاسيما الصفحات 70،73،81.

(50): هذه النظرية دفعتنا إلى التفكير وفق منحى معين فيما يتعلق بمسببات الحرب العالمية الثانية مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وذلك حينما اتخذ اليهود أوروبا الشرقية ككبش فداء.

(51): سمير محمد حسين، الإعلام والإتصال بالجماهير والرأي العام، ط3، عالم الكتب، القاهرة 1996 ، ص ص331،332.

(52): نفس المرجع ، ص 331.

(53): عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الاتصال، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص55.

(54): يذكرنا هذا بأنباء إذاعة صوت العرب، إبان حرب الأيام الستة كما سميت سنة 1967.

(55):Walter lippmann,public opinion: with new introduction by michael curtis, transaction publishers, london ,1991,p90.

(56): Ibid , p25.

(57): نقلنا المثال من لدن: ليلى السيد وعماد مكاوي، مرجع سبق ذكره، في معرض تقديمهما لمنظور التفاعلية الرمزية.

(58): تنبهنا إلى هذه الفكرة من خلال ما طرحه عزي عبد الرحمن حول مسألة الرأي العام في كتابه دراسات في نظرية الإتصال.

(59): ستيورات آلان، ثقافة الأخبار، ترجمة هدى فؤاد، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2008، ص 103.

(60): Wather lippmann,le public fantome,tr:laurence Decreau, edition demopolis, paris, 2008, p94.

(61): عبد الغفار رشاد القصبي، الإتصال السياسي والتحول الديمقراطي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص 247.

(62): ذكرنا ذلك حين عرض إحدى الدراسات السابقة– الفصل الأول.

(63): رومان ياكبسون، الإتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي صالح وحسن ناظم، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ص21.

(64): أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الإتصال، ترجمة الصادق رابح ونصر الدين لعياضي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص99.

(65): رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1987، ص70.

(66): أنظر في هذا الصدد: رولان بارث، أسطوريات– أساطير الحياة اليومية، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، 2012.

(67): نصر الدين لعياضي، السيميائيات واستراتيجية بناء المعنى، الباحث الإجتماعي، عدد 10، سبتمبر 2010 ، ص 49.

(68): ليلى السيد وعماد مكاوي، مرجع سبق ذكره، ص 150.

(69): نفس المرجع ، ص 151.

(70): عزيز لبان، علاقة الإدمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الإجتماعية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2008/2007، ص 70.

(71): نفس المرجع ، ص 86.

(72): أنظر: ليلى السيد وعماد مكاوي، مرجع سبق ذكره، لاسيما الصفحات 157،158،159.

(73): نفس المرجع ، ص 163.

(74): دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتين، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر 2008، ص9.

(75): ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص ص 1194،1195.

(76): القرآن الكريم، سورة ص، آية 20.

(77): ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص346 .

(78): الإعتزال مذهب فكري- ديني ظهر في مرحلة مبكرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

(79): محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد:المصطلح والنشأة والتجديد، ط1، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، 2006 ، ص12.

(80): ابن منظور، مرجع سبق ذكره، ص407 .

(81): أنظر في هذا الشأن: سورة آل عمران، آية 138. سورة القيامة، آيتان 18و 19. سورة الرحمن آية 4.

(82): محمد كريم الكواز، مرجع سبق ذكره، ص61.

(83): نفس المرجع ، ص ص23،24.

(84): هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية-نحو نموذج سيميائي لتحليل النص-، ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص25 .

(85): دومنيك مانغونو، مرجع سبق ذكره، ص 38.

(86): خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ط1، دار الأمان، الرباط،2013، ص ص177،178.

(87): نفس المرجع ، ص 178.

(88): أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ط1، دار الأمان، الرباط ،2010، ص24.

(89): خليفة ميساوي، مرجع سبق ذكره، ص 182.

(90): أحمد المتوكل، مرجع سبق ذكره، ص24.

(91): نفس المرجع ، ص31.

(92): أنظر في هذا الشأن: نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب– التحليل النصي في البحث الإجتماعي، ترجمة طلال وهبة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

(93): بول ريكور، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص24.

(94): ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، ص4.

(95): محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، ط1، مجلد3، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 2003، ص 1136.

(96): طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة–معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، سبتمبر 2010، ص 324.

(97): محمد منير حجاب، مرجع سبق ذكره، 1138.

(98): نفس المرجع ، ص 1136.

(99): نفس المرجع ، ص 1137.

(100): طارق الخليفي، معجم مصطلحات الإعلام، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر،2008، ص ص103،104.

(101): جبارة عطية جبارة، علم اجتماع الإعلام، ط1، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية، 2002، ص 48.

(102): أمال بلحاج قاسم، وسائل الإعلام الجماهيرية في ضوء السوسولوجيا البنائية الوظيفية ومدرسة فرانكفورت، مجلة الإذاعات العربية، عدد1، 2013، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس،ص83.

(103): جمال بن زروق، القيم السياسية والثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية، مجلة البحث والدراسات الإنسانية، عدد5، ماي 2010، جامعة سكيكدة، ص 391.

(104): أمال قاسم، مرجع سبق ذكره، ص88 (بتصرف بسيط).

(105): جون بودريار، المصطنع والإصطناع، ترجمة جوزيف عبد الله، ط1، المنظمة العربية للترجمة بيروت، أفريل2008، ص29.

(106): فادية المليح حلواني، لغة الإعلام العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد31، عدد3، 2015، ص 15.

(107): نبيل حداد، في الكتابة الصحفية، دط، دار الكندي، عمان، 2002، ص42.

(108): هذه الخاصية مثبتة في كتاب زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والإتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 15.

(109): محمد بن سعود البشر، أيديولوجيا الإعلام، دار غيناء للنشر، الرياض، 1429ه، ص 48.

(110): حسين الأنصاري، الخطاب المرئي والتفاعلية مع التحولات العربية الراهنة، مجلة الإذاعات العربية، عدد2،2013 ، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ص 68.

(111): نفس المرجع ، ص 68.

(112): تعبير التعاريف الوردية مأخوذ عن د .عبد الوهاب المسيري.

(113): أمال قاسم، مرجع سبق ذكره، ص 91.

(114): لمياء طالة، الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013 ، ص 111.

(115): نفس المرجع ، ص ص 114،115.

(116): أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 94.

(117): جون بودريار، مرجع سبق ذكره، ص 18.

(118): محمد بن سعود البشر، مرجع سبق ذكره، ص 15.

(119): محمد شطاح، قيم العنف في الإعلام الإستعراضي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد6، نوفمبر 2010، جامعة سكيكدة، ص69.

(120): ملخصة عن نفس المرجع.

(121): شهيرة بن عبد الله، الحرب في وسائل الإعلام- آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة، مجلة المستقبل العربي، عدد 429، نوفمبر 2014، ص 96.

(122): نفس المرجع ، ص 97.

(123): نفس المرجع ، ص 97.

(124): نفس المرجع ، ص 100.

(125): مرعي مدكور، الصحافة الإخبارية، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص30.

(126): عصام سليمان الموسى، تطوير الخبر العربي- الهرم المقلوب الثنائي المقدمة للإتصال الجماهيري، المجلة التونسية لعلوم الإتصال، عدد51-52، جويلية 2008- جوان 2009، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ص 159.

(127): إستبرق فؤاد وهيب، المعالجة الإعلامية للإحتلال الأمريكي للعراق- تحليل مضمون مجلة نيوزويك، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009، ص 32، (نسخة إلكترونية).

(128): محمد شطاح، مستقبل المهنة والعملية الإخبارية في التلفزيونات العربية- مقاربة إستشرافية، منشورات وحدة البحث وسائل الإعلام والمجتمع، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 2014، ص15.

(129): محمد حسام الدين، المسؤولية الإجتماعية للصحافة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص 127.

(130): عبد الفتاح عبد النبي، سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 24.

(131): صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 455.

(132): نفس المرجع ، ص ص 466،467.

(133): نفس المرجع ، ص 507.

(134): نفس المرجع ، ص 470.

(135): جاد ملكي وأمل ديب، تأطير الحرب: تغطية الإعلام المرئي العالمي لحرب لبنان 2006، المستقبل العربي، عدد413، جويلية 2013، ص 44.

(136): مصطلح الإجراءات السيناريوهية عن ملخص لرسالة دكتوراه: التغطية الإخبارية الفرنسية-العراق نموذجا، من إعداد جاد عويدات.

http://www.almoofta7.com/vb/showthread.php?t=7830#.WDlbmNJog

اطلع عليه بتاريخ :2013/10/12 .

(137): حالة التقاطع مأخوذة عن نفس المرجع.

(138): أليكسي جورافسكي،الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، 215، نوفمبر 1996، الكويت، ص41.

(139): Edward.E said, l'orientalisme-l'orient crée par l'occident, la couleur des idées (seuil),la france , 2005, p14.

(140): Ibid, p15.

(141): جاد عويدات، مرجع سبق ذكره.

(142): نصر الدين لعياضي، الصورة في الأخبار التلفزيونية العربية بين النظر والرؤية، المجلة التونسية لعلوم الإتصال، عدد53-54، جويلية 2009، جوان 2010، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس ص 27.

(143): ناجية أقجوج، الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي، ط1، أنفو برانت، فاس، 2009، ص 41.

(144): محمد الشرقاوي، الإسلام والمسلمون في الإعلام الأمريكي: الصورة النمطية والمتخيل الراهن، مركز الجزيرة للدراسات، 2016/02/22 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2016/2/22/20162294237173734Islam-Muslims-Americanmedia.pdf

أطلع عليه بتاريخ :2016/02/22 .

(145): حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الإعلامي الأوروبي، مركز الجزيرة للدراسات،2015/12/23 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2016/1/11/20161111256976734refugee%20issue.pdf

أطلع عليه بتاريخ :2016/02/22 .

(146):نفس المرجع ،(الجزيرة للدراسات).

(147): محمد خلوق، الإسلام والقضية الفلسطينية في الإعلام الألماني: رؤية نقدية، مركز الجزيرة للدراسات،2014/11/16 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2014/11/17/20141117655334157 34Islam-Palestinian.pdf

أطلع عليه بتاريخ:2016/02/25 .

(148): patrick yves badillo et dominique bourgeois, l'impact des médias sur les médias:un essai d'analyse quantitative de la perception des médias arabes par les médias occidentaux, institut de presse et des sciences de l'information avec la fondation konrad adonauer ,tunis,2006,p136.

(149): Edward.e said,opcit,pp 320,321.

الفصل الثالث

القنوات التلفزيونية الفضائية العربية

تمهيد:

يتطلب فحص القرار الإعلامي لأي مؤسسة إعلامية النظر في السياقات التي يصنع فيها هذا القرار، فبدون النظر في السياقات لا يمكن استخلاص المعنى على الوجه الصحيح. إن هذه السياقات هي بالنسبة لنا ما يصطلح على تسميته ببيئة الإتصال، التي لاشك لها أثرها على هيئة المخرج النهائي للعملية الإعلامية، وبناء على ذلك فقد سلكنا مسلكا بحثيا فيما يرتبط بالفضائيات العربية عموما والإخبارية منها خصوصا، يهتم بالحاضنة الكبرى التي نمى في كنفها الإتصال التلفزيوني الفضائي العربي، حيث سيتبين سريعا أن هذه الحاضنة هي النظام الرسمي العربي، الذي نقل تبعا لذلك إلى الفضاء الإعلامي كل انتكاساته وأزماته البنيوية، التي تولدت أساسا من طبيعة تشكله أول مرة نظرا للظروف النفسية- الإجتماعية للعالم العربي، وهي ظروف التخلف متداخلة العلاقة مع العامل الإستعماري.

المبحث الأول: سياقات فهم الإتصال التلفزيوني الفضائي العربي.

المطلب الأول: نشأة وتطور الفضائيات العربية.

ينبغي مبدئيا التعرف على التلفزيون كوسيط إعلامي، لأنه أحد أبرز مشمولات الإعلام الفضائي وهو مقصدنا الأساسي ومدار انشغالنا حين استخدام لفظة أو مصطلح الفضائيات.

أولا: التلفزيون كخصوصية تكنولوجية.

يتمثل الأساس التكنولوجي للتلفزيون في تحويل الصورة والصوت، أي تحويل الإشارات الضوئية إلى نبضات كهربائية يتم تحويلها إلى موجات كهرومغناطيسية تبث في الفضاء، وعبر جهاز خاص (التلفزة وتوابعها) يتم تحويل هذه الموجات مرة أخرى إلى صوت وصورة، وعن طريق عرض هذه الصورة بسرعة معينة تبلغ 25 لقطة في الثانية تظهر هذه اللقطات المتفرقة وكأنها متصلة أي تظهر الحركة. لقد استعار التلفزيون من تقنيات المسرح والسينما والإذاعة، حيث أخذ الشاشة من السينما وكذا طريقة التعبير والحركة، وأخذ عن المسرح الحركة والتمثيل والحوار أيضا، كما أنه أخذ عن الإذاعة الصوت والإنتشار الواسع والولوج داخل البيوت، إذ أنه يقدم مادته في مكان محدد يتمتع بقدر كبير من الخصوصية، وهذا المكان عامة هو غرفة المعيشة في المنزل وهي غرفة الإستقبال، ويستتبع ذلك أن التلفزيون يقدم مادته لجمهور خاص ومحدد هو أفراد الأسرة، دون أن نغض الطرف عن تغلغل وانتشار ظاهرة الفردانية أو الفردية، إلا أن عادة المشاهد الجماعية لاسيما منها تلك التي تحدث في غرف المعيشة لمنازل الجماهير مازالت تفرض وجودها.

يتمتع التلفزيون بمقدرة خاصة على الوصول إلى أماكن الأحداث وعلى تقديم الحدث صوتا وصورة، وبالتالي فهو يتمتع بقدر كبير من الوثائقية والمصداقية، الأمر الذي يعطي المشاهد إحساسا بالمشاركة في صنع الحدث، وهذا ما يزيد من فعالية وقوة تأثير التلفزيون، لكن وفي الآن نفسه لابد من التأكيد على أن إيصال البث التلفزي إلى مناطق بعيدة يكلف نفقات باهضة.

لقد انعكست مجموعة السمات الخاصة بالتلفزيون كتكنولوجيا لها فرادتها على الصحافة التلفزيونية، فالصوت البشري في التلفزيون عبارة عن جزء من منظومة متكاملة يضاف إليه

بالتأكيد الصورة والحركة، ولابد أن تأخذ الصحافة التلفزيونية هذه الحقيقة بقدر كبير من الإحترام والجدية، وذلك لأن أي إهمال لها أو تجاهل سيحول النص التلفزيوني إلى نص إذاعي أو صحفي (مكتوب)، وهو ما يفضي إلى فقدان الخصوصية التلفزيونية الإعلامية، التي منها الحجم الصغير للشاشة التلفزيونية المتناسب مع مكان العرض الذي هو غرفة المعيشة في البيت العصري، وليس القاعات الواسعة على غرار ما يحدث في المؤسسة السينمائية أو المسرحية، كما أن هذا الحجم الصغير للشاشة ترك آثاره الهامة على كثير من جوانب الصحافة التلفزيونية، مثل الموضوع المعالج وعدد الشخصيات وكذلك توزيع الإطار والمقدرة على تقديم التفاصيل والمشاهد العامة ونوعية اللقطات الواجب استخدامها. إن اعتماد التلفزيون على حاستي السمع والبصر جعله يستحوذ على اهتمام كبير وخاصة لدى فئة الأطفال، كما أن سرعة الوصول وسرعة التقديم زادتا من جماهيريته، ولكنهما فرضتا سرعة التناول للموضوع وسرعة المعالجة للحدث، وكذا سهولة الأسلوب واللغة وطريقة العرض، أي فرضتا مضمونا وشكلا جديدين مناسبين للخصوصية التكنولوجية التلفزيونية، أي فرضتا وجود صحافة تلفزيونية متميزة، ويتبع هذا أيضا أن شخصية المذيع التلفزيوني وطريقته في الإلقاء والتقديم والإنطباع الذي يأخذه المشاهد على شكل المذيع ومظهره الخارجي، كلها أمور بالغة الأهمية وتترك آثارا هامة على مدى وصول وفعالية وتأثير المادة الإعلامية التلفزية، و"الواقع أن تفحص البرامج التلفزيونية من حيث صناعتها يفيد أن مقومات تخييل الواقع في التلفزيون تعلو على مقومات عكس الواقع ، وبارتباط مع هذا المعنى، هناك انتقادات عديدة توجه إلى التلفزيون تحيل كلها على خاصية صناعة الفرجة، والرضوخ عبرها لسلطة المعلنين وللهموم التجارية لمالكي القنوات التلفزيونية[1].

ثانيا: ظهور التلفزيون في العالم العربي.

إن التلفزيون كخصوصية تكنولوجية يمثل عصر الكهرباء بخلاف الصحافة المكتوبة التي قيل أنها إنتاج عصر الميكانيك، ففي صباح السابع من شهر جويلية للعام 1936 ظهرت الصورة للمرة الأولى على الشاشة، وصرح ساعتها "ديفيد سارنوف" مؤسس شركة RGA بالولايات المتحدة الأمريكية التي شوهدت فيها أول اللقطات "ياله من اختراع عظيم أصبح في متناول أيدينا، لقد ساهم بشكل مؤكد في اختصار المسافات الشاسعة"[2]. بعد ذلك بشهر تم نقل فعاليات الدورة الأولمبية

الصيفية المقامة في برلين في أول تجربة بث مباشر، ووصل حينها عدد ساعات البث إلى ثماني ساعات يوميا، وفي نهاية العام نفسه وصل التلفزيون إلى لندن مع بدء الخدمة المصورة لهيئة الإذاعة البريطانية، التي نقلت في أولى ساعات البث فيلما حمل خبر وصول خدمات البث التلفزي إلى المملكة المتحدة، ثم تعطل بعد ذلك انتشار وازدهار هذه التجربة التكنولوجية الإعلامية المميزة بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية لست سنوات كاملة، لكن التلفزيون عاد وانتشر بسرعة أكبر بعد انتهاء الحرب ليصل مدى انتشاره إلى العالم العربي، وفيه كانت الصحف والإذاعات بمثابة الوسائل الأساسية لنقل الأخبار، حيث كانت الصحف في الغالب من نصيب الفئة المثقفة في حين كانت الإذاعات وسيلة العامة من الناس، ونادرا ما شاهد المواطن العربي الأحداث المهمة عبر صور حية باستثناء بعض الخدمات النادرة، التي كانت تقدم تقريرا إخباريا يصور أهم الأحداث في صالات العرض السينمائي.

جسدت سنة 1947 إعلان نية للحكومة المصرية آنذاك لبناء أول استديو تلفزيوني يوفر خدمة البث في القاهرة وكان ذلك في 13 من شهر فيفري، حيث أعلنت صحيفة Le progries Egyptien الناطقة بالفرنسية عزم الحكومة المصرية اعتماد مبلغ 200 ألف جنيه مصري لتحقيق المشروع، هذا الأخير الذي تأخر حتى عام 1951 حيث أجرت الشركة الفرنسية لصناعة الراديو والتلفزيون أول تجربة للبث التلفزي في مصر، نقلت خلالها وقائع حفل زفاف الملك فاروق من زوجته الثانية الملكة ناريمان، وقد امتدت خدمات فرنسا إلى المغرب عبر شركة "تلما"، حيث بدأ أول بث على الشاشة في فيفري من العام 1954 وسط دعوات للمقاطعة ترى في المشروع وسيلة دعائية للمستعمر الفرنسي، لاسيما وأن البث اقتصر على اللغة الفرنسية وضمن نطاق محدود، ولعل في الوضع الجزائري ما يصدق على هذه الحالة حيث "عمل الإستعمار الفرنسي في 1956/12/24 على تأسيس محطة للتلفزيون بالجزائر العاصمة، تكون دعما فعالا للراديو في بث البرامج الفرنسية الكفيلة بانتزاع القيم الوطنية لدى الجزائري والقضاء على شخصيته الوطنية، وهكذا لم تكن محطة التلفزيون المقامة في الجزائر إبان عهد الإحتلال إلا مجرد محطة إرسال فرنسية، تعتبر صدى لمحطات التلفزة الفرنسية المؤسسة في باريس وتعبر قبل كل شيء عن المجتمع الإستعماري وقيمه"[3]، وبالعودة إلى الحالة المصرية حيث وإثر نجاح ما سمي بثورة يوليو العام 1952 ووصول

جمال عبد الناصر إلى السلطة، تم تكليف وزير الإعلام حينها بإعداد مشروع اتحاد للإذاعة والتلفزيون، لكن هذا المشروع تعطل بسبب العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، ليفتح المجال للعراق كي يكون أول بلد عربي شهد ولادة تلفزيون رسمي ببث منتظم داخل أراضيه في الثاني من شهر ماي 1956، وهو التاريخ الموافق لعيد الملك فيصل الثاني، وقد سبق ذلك توزيع عدد من أجهزة الإستقبال في مناطق ومحلات معينة في بغداد من طرف شركة BAY البريطانية على الأرجح[4]، ثم شهد لبنان بداية الإرسال والبث التلفزي عام 1959 بعد تصريح من الحكومة لأجل إنشاء شركة في هذا الشأن بشراكة فرنسية، وبدأ بعدها البث الرسمي في مصر شهر جويلية من العام 1960، وكان هذا البث لمدة 4 ساعات فقط يبتدئ بالقرآن الكريم مرورا بخطاب لعبد الناصر وبعده نشرة الأخبار ثم ختاما بالقرآن الكريم. وكانت الكويت أول دولة خليجية تبث خدمة تلفزيونية بإمكانات بسيطة ولمدة بث تمتد لأربع ساعات بداية بشهر نوفمبر من العام 1961، وبعده بعام أطلق التلفزيون الرسمي المغربي بثه وبأربع لغات:العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وبصورة مقلوبة بدأ البث التونسي نهاية شهر ماي عام 1966، وتزامنا مع ما سمي بالنكسة تأسس التلفزيون الأردني من خلال فريق من الـــ BBC وهو واضع الأسس المهنية الفعلية للتلفزيون الأردني، وقبل ذلك كانت مجموعة من التقنيين التونسيين قد تدربت في التلفزيون الفرنسي وعلى إثر ذلك انطلقت التجربة التلفزيونية التونسية. ومع انطلاقة البث التلفزيوني المنتظم رسميا في عديد الأقطار العربية، بدأت هذه الأخيرة تشهد انتشارا متفاوت الكثافة لأجهزة التلفزيون التي شكل امتلاكها نوعا من الرفاهية بسبب أسعارها المرتفعة، فقد كان عدد الأجهزة المبيعة في العراق مثلا 120 جهازاً منتصف العام الذي بدأ فيه البث، ليصل إلى 1040 جهازا مع نهاية العام، ثم بعد ذلك إلى 16943 جهازا خلال العام 1962، وفي مصر تم استيراد 10 آلاف جهاز مبدئيا تلتها 10 آلاف أخرى بعد تأسيس ما سمي بمصنع النصر[5].

ثالثا : التلفزيون الفضائي العربي.

ظل التلفزيون داخل الدول العربية يعتمد على تقديم خدماته الأرضية عبر عدد محدود من القنوات حتى عام 1984، عندما تم إطلاق القمر الإصطناعي العربي عربسات 1، ليدخل التلفزيون العربي عصر الفضاء في مدة زمنية قصيرة من تاريخ معرفة العرب للتلفزيون الأرضي، وولدت

فكرة إنشاء قمر اصطناعي عربي في اجتماع لمجلس وزراء الإعلام العرب عام 1967 في مدينة بنزرت بتونس. وقد تبنى إتحاد إذاعات الدول العربية فكرة الإستعانة بتكنولوجيا أقمار الإتصال في أول اجتماع له في الخرطوم عام 1969[6]. إن فكرة البث التلفزي عبر الأقمار الإصطناعية إلى أجهزة التلفزيون المنزلي دون تدخل المحطات الأرضية نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، في مقال من خيال مهندس الإتصالات البريطاني"أرثر كلارك" نشر في مجلة عالم اللاسلكي في عام 1945، حيث اقترح في مقالته إطلاق قمر اصطناعي يدور حول الأرض يمكنه نقل الإشارات من أي مكان في الأرض على ارتفاع 36 ألف كيلو متر فوق خط الإستواء[7]، وبدأ بعد ذلك ما يمكن أن نعتبره تنافسا بين الإتحاد السوفييتي(آن ذاك) والولايات المتحدة الأمريكية في إطلاق الأقمار الإصطناعية، حيث أطلق السوفييت في 1957/10/04 القمر سبوتنيك1 وفي العام التالي أطلق الأمريكيون أول أقمارهم إكسبلورر1، وتتالى إطلاق الأقمار إلى أن جاء القمر الإصطناعي الثامن للولايات المتحدة الأمريكية والمسمى "سكور" في العام 1958 وكان مخصصا للإتصالات، لكن أول برنامج متلفز تمت مشاهدته عن طريق تلقي بث قمر اصطناعي كان مساء العاشر من شهر جويلية 1962 في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا واسم القمر "تكستار"، بعد ذلك بعامين تأسست المنظمة الدولية لأقمار الإتصال وكانت تعرف بـــ: INTEL SAT بعضوية 148 دولة على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ومقرها واشنطن، وهي أكبر منظمة للتزويد بخدمات النقل الفضائي أطلقت أولى أقمارها عام 1965. أما الطفرة التكنولوجية الأبرز على هذا الصعيد فكانت بدء عصر الأقمار الإصطناعية ذات البث المباشر، مع إطلاق القمر الإصطناعي البريطاني المختص بالبث المباشر عام 1986، وقد قامت شركة أقمار التلفزيون الأمريكية STL في العام نفسه بإطلاق قمرين للبث الإذاعي والتلفزي المباشر في الولايات المتحدة الأمريكية، وسارت باقي الدول الأوروبية على نفس المنوال وكذلك الدول الأسيوية على غرار أندونيسيا والهند واليابان وغيرهم، ثم شهد عقد التسعينات تطورا ملحوظا في مجال البث التلفزيوني الفضائي المباشر إثر ظهور النظام الرقمي(ديجيتل)، وظهور أقمار اصطناعية متقدمة ذات إرسال رقمي متميز في الصوت والصورة[8]، ولا يزال الإبداع في مجال تكنولوجيا الاتصال عبر الأقمار الإصطناعية يشي بالمزيد. لقد دخل البث التلفزيوني الفضائي إلى العالم العربي من جهة المغرب (العربي)، التي غطاها البث التلفزي الأوروبي في أوائل عقد الستينيات، حيث نقلت كل من المغرب والجزائر

إرسال قنوات تلفزية فرنسية، كما سمحت تونس باستقبال الإرسال الأجنبي، وسمحت هيئة التلفزيون الإيطالية بإقامة محطة تقوية في تونس العاصمة، فضلا عن هذا فقد شاركت 12 دولة عربية في تأسيس المنظمة الدولية للإتصالات "أنتلسات" واستفادت من خدماتها[9]، وكانت هذه الظروف مثلما أسلفنا في البداية محفزا لقيام الإتحاد العربي للمواصلات السلكية واللاسلكية بتشكيل لجنة فنية مع اتحاد إذاعات الدول العربية، وأوصت في عام 1974 بتبني مشروع القمر الإصطناعي العربي وبقيام مؤسسة عربية متخصصة تقوم على تنفيذه وهي المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية، التي أقرت من طرف وزراء المواصلات العرب في عام 1976 كمنظمة شخصية قانونية مستقلة في إطار جامعة الدول العربية[10]. وفي فجر السبت 1985/02/09 انطلق عربسات من قاعدة فرنسية، ثم أطلق القمر الإصطناعي الثاني عربسات B1 في جوان 1985 وهو مرتبط بمحطتين أرضيتين واحدة في السعودية والأخرى في تونس، وبدأ البث بنقل شعائر الحج من مكة المكرمة في 1985/08/22، وفي 1992/02/27 أطلق القمر عربسات C1 وهو الثالث من الجيل الأول. والذي ينبغي أن يقال هنا أن البث الفضائي العربي لم يكن مجرد نتيجة للحتمية التكنولوجية بقدر ما كان حاجة سياسية ملحة، لاسيما بعد إعلان "دونالد ريغن" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1980 في خطاب له عما سماه global television، وبالتالي ظهرت الحاجة إلى وسائل عابرة للدول ومتجاوزة للحدود الجغرافية، حيث انطلقت تبعا لهذا المعنى القناة المصرية الفضائية كقناة إخبارية يصل بثها الفضائي خارج الحدود المصرية في ديسمبر من العام 1990، وسط أجواء سياسية متوترة (على المستوى الإقليمي)، وكان الهدف نقل وجهة نظر القاهرة السياسية إلى محيطها الإقليمي، وقد انطلقت بعدها عدد من الحكومات العربية في نفس الإتجاه حتى أصبح لها جميعا قنوات ارتبط معظمها بوزارات الإعلام أو جهات رسمية أخرى، "فالكويتية بدأت بثها عام 1992 وقناة دبي الفضائية وتونس وأبو ظبي في العام نفسه أيضا، وشهد عام 1993 إطلاق القنوت الفضائية اللبنانية والأردنية والمغربية والعمانية، وفي العام 1994 ظهرت قنوات عربية أخرى هي السودانية والجزائرية والموريطانية، وشهد العام 1996 انطلاق القناة الفضائية السورية، وفي العام الذي أعقبه انطلقت قناة ال بي سي اللبنانية والقناة الليبية ثم اليمنية وقناة الشارقة الفضائية، ثم كانت قناة عجمان الفضائية سنة 1998، أما القناة العراقية فقد تأخرت حتى تاريخ 1998/07/17"[11]. وهكذا يتضح أن الأقمار الإصطناعية ساهمت في دفع الدول العربية إلى تأسيس

فضائيات خاصة بهم إذ وفي خضم ذلك تم إطلاق الجيل الثاني من عربسات، ثلاثة أقمار كما في المرة الأولى وأطلقت على التوالي خلال أعوم 1998/1997/1996، وتمت هذه العمليات بناء على قرار اتخذه مجلس إدارة المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية في القاهرة العام 1996، وقد تم أيضا في:1998/04/22 إطلاق القمر الإصطناعي المصري الأول نايل سات 101 عن طريق شركة فرنسية، والثاني في:2000/08/17 بعدما قامت بتصنيعه شركة "ماتراماركوني" الفرنسية في: 1999/02/28.

رابعا : تكاثر الفضائيات العربية.

مع دخول العالم العربي عصر الإتصال التلفزيوني الفضائي أخذ عدد القنوات الفضائية العربية يزداد يوما بعد يوم، والأكيد أن ذلك ناجم عن أسباب بعينها منها الإنخفاض التدريجي (مع تقدم الزمن) في تكاليف البث المترافق مع تطور تجهيزات هذا البث، الذي مكن في الآن نفسه من تسهيل استقبال الإشارات التلفزيونية من طرف السكان في المنطقة العربية. وهناك جملة من الأسباب الوجيهة الأخرى أتى على ذكرها التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي لسنة 2014، الذي تعده اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية في اتحاد إذاعات الدول العربية حيث يذكر :

1- التغييرات التي حصلت فيما يتعلق بالتشريعات الخاصة بالبث الفضائي في بعض الدول العربية، وذلك قبل بروز ما سمي بالربيع العربي، والتي تخلص المنطقة العربية من احتكار الدولة للبث التلفزيوني بصفة عامة، علما أن وجود هذا الإحتكار لم يصبح حاجزا أو عائقا كبيرا، إذ أن بعض القنوات العربية وحتى قبل ما سمي بالربيع العربي أنشئت خارج حدود المنطقة العربية، لبث برامج موجهة إلى المشاهدين في هذه المنطقة .
2- الرغبة الملحة في استخدام التلفزيون الذي يعتبره البعض أكبر أداة للتواصل من قبل عديد الأطراف(سياسيون، ناشطو المجتمع المدني، ممثلو بعض الأقليات، رجال أعمال، مؤسسات دينية و ثقافية...) لتمرير رسائل معينة والتأثير على الرأي العام أو حشد الطاقات.
3- وجود فائض لا يستهان به من الأموال التي سمحت به الموارد الطبيعية وبخاصة الطاقة، وارتفاع أسعار هذه الأخيرة في السوق العالمية على الأقل بالنسبة إلى بعض الدول العربية.

إن هذه الأسباب وتلك وأسباب أخرى قد تكون على مر الأوقات خفية لا تدرك إلا عبر إعمال أدوات التحقيق العلمي الدقيق، الكفيلة بفهم حالة التكاثر المتزايد للقنوات التلفزيونية الفضائية العربية التي تنوعت حسب معايير متعددة، فمنها ما يتعلق بالمضمون ومنها ما يرتبط بطبيعة الجهة المالكة للمشروع الإعلامي، ومعيار آخر ذو صلة بمسألة إخفاء أو إظهار المضمون الإعلامي على الملأ، ويتدخل حتى معيار اللغة وإن كانت العربية هي الجامعة فإن ضمن الفضاء العربي تتواجد عديد اللهجات التي نعتبرها فسيفساء الفضاء الثقافي والحضاري العربي ذي الإمتداد الإسلامي. في إمكاننا أن نترجم المعايير التي تتنوع الفضائيات العربية حسبها وفق الآتي:

1- فضائيات جامعة وأخرى متخصصة، حسب معيار نوعية المضمون، والمتخصصة بدورها تتفرع إلى قنوات إخبارية وأخرى ترفيهية وكذلك دينية ووثائقية، بالإضافة إلى القنوات الرياضية التي عرفت ازدهارا ملحوظا تبعا للميل الجماهيري العام إلى الممارسات الرياضية لاسيما منها المتعلق بكرة القدم، وقد تنوعت اختصاصات القنوات الفضائية العربية حتى دخلت مجال تخصص التخصص، فالترفيه مثلا يتجسد في قنوات للأفلام وأخرى للمسلسلات وغيرها للموسيقى والغناء وحتى المسرح، ويدخل في نطاق ذلك مجال برامج الأطفال والرسوم المتحركة، وقد ظهرت مؤخرا قنوات خاصة فقط بفن الطبخ، يضاف إلى هذا المشهد التعددي من حيث المضامين القنوات التعليمية التي أعادت إنتاج الفضاء الأكاديمي والعلمي عموما إعلاميا، وقد يطول بنا المقام لسرد مختلف التفريعات التخصصية لمضامين القنوات الفضائية العربية.

2- قنوات عمومية وأخرى خاصة حسب معيار الجهة المالكة للمشروع الإعلامي، وقد دخل القطاع الخاص مجال الإستثمار في الإعلام التلفزيوني الفضائي في مرحلة مبكرة قياسا على البداية الفعلية لهذا الإعلام، وكان مركز تلفزيون الشرق الأوسط MBC أول قناة عربية يمتلكها القطاع الخاص برأسمال سعودي ومقرها لندن، حيث بدأت إرسالها عام 1991، واتسع نشاطها لينتج قنوات أخرى هي MBC2 و3 و4 وقد "عرضت القناة برنامجا وثائقيا من سبع حلقات عام 1997 عن عملية عاصفة الصحراء في حرب الخليج عام 1990-1991، وكانت طريقة عرضها لها وقع هام للكثيرين في موضوع كهذا له حساسية في العالم العربي، ومن الأفلام

الوثائقية التي بثتها هذه الفضائية أيضا فيلم بعنوان حرب الخمسين عاما: إسرائيل والعرب، وإلى جانب برامجها الإخبارية تنتج القناة برامج الحوارات والموسيقى والأفلام والمسلسلات، كما أنها كانت شريكة مع إذاعة صوت أمريكا في إنتاج برنامج بعنوان "حوار مع الغرب"[12]. بعد هذه القناة ظهر ما يسمى بقنوات راديو وتلفزيون العرب ART التي بدأت بثها عام 1993، بهدف خدمة العرب المقيمين خارج بلدانهم ولتتخذ من إيطاليا مقرا لها، وتجاوز عدد قنواتها العشرة (10) مع تنوع البرامج والأهداف وسعة التغطية عالميا[13]، وقد انتقلت مكاتب هذه الشركة إلى مصر لتكون بذلك قريبة من الجماهير العربية فضلا عن كون ذلك ساهم في تسهيل إنتاجها للبرامج، وبتكاليف أقل مما كانت عليه في إيطاليا، حيث يذكر أن القناة اعتمدت– بعد أن كانت تبث برامجها مجانا– نظام الإشتراكات، وهي في الأصل مملوكة لأثرياء عرب مما جعلها مدعومة ماليا للمستثمرين الشخصيين من العالم العربي، وهو الحال نفسه مع شبكة ORBIT التي بدأت بثها في العام 1994، إذ يملكها أثرياء سعوديون، وقد اعتبرت من القنوات الرائدة في العالم العربي التي اعتمدت نظام الإشتراكات رغم الصعوبات التي واجهتها في البداية إثر اعتماد هذا النظام. برامجها لها طابع برامج وأفلام القنوات الفضائية الأمريكية، وبدأت بث البرامج الإخبارية بالتعاقد مع خدمة BBC العربية الكائنة في لندن، أما البرامج الترفيهية فشبكة ORBIT اعتبرت شريكا إقليميا يوفر الحصول على برامج شبكة STAR TV التي تقوم بتقديم برامج الشبكة الأمريكية المعروفة NBC وقنوات الكابل CNBC، و شبكة STAR TVهي جزء مما سمي إمبراطورية ميردوخ الإعلامية. إن شبكة أوربت لا تمثل قناة بالمعنى التقليدي المتعارف عليه في خدمة الجمهور العربي بقدر ما تمثل اتجاها تجاريا ربحيا بحتا[14]، وقد ذهب البعض إلى التفكير بالطريقة ذاتها فيما يتعلق بشبكة الأخبار العربية ANN حيث يعتقد حضور رأس المال السعودي إلى جانب البث من العاصمة البريطانية لندن، والآن يثبت التقرير السنوي حول وضعية البث الفضائي العربي لسنة 2014 والصادر عن إتحاد إذاعات الدول العربية، أن هناك 758 هيئة عربية تبث قنوات فضائية، منها 29 هيئة عمومية و729 هيئة في القطاع الخاص، وتتولى هذه الهيئات بث أو إعادة بث 1294 قناة تتوزع إلى 165 قناة عمومية و1129 قناة خاصة[15]. وهكذا يتضح أن القطاع الخاص له الهيمنة الكبرى على مجال البث الفضائي العربي بالنظر إلى الهيئات وحجمها و كذا حجم الإجمالي من

القنوات، كما يظهر بوضوح العدد الكبير للفضائيات العربية الذي لاشك مازال في تزايد تبعا لأسباب بعينها، وهذا العدد متركز أكثر في القنوات المتخصصة منه في القنوات العامة أو الجامعة التي يمتلك معظمها كنتيجة طبيعية لما سبق أشخاص طبيعيون أو معنويون خواص، وإذا شئنا مواصلة التعليق على المعطيات من خلال ربط المتغيرين ببعضهما، بمعنى متغير نوعية المضمون وطبيعة المالك، فإن ذات التقرير السنوي يدرج ما يسمى بالقنوات الفضائية الربحية في المرتبة الأولى كأهم مجال يشمله البث الفضائي العربي، وهي قنوات تتولى إعلانات لزبائنها وتبث برامج الألعاب المتفاعل معها عبر الهواتف، كما تتولى بث حصص قصيرة تهدف عبرها إلى التعريف بمنتجات معينة، ويأتي في المرتبة الثانية القنوات الرياضية ثم قنوات الدراما وبعدها القنوات الغنائية، مع نمو ملحوظ للقنوات الدينية التي تبث برامج سنية وشيعية وقنوات تبشيرية مسيحية (مارونية وقبطية وبابوية وأرثوذكسية).

3- القنوات العربية حسب لغة البث، ويأتي التنوع في لغة البث عبر القنوات الفضائية العربية استجابة لعوامل عديدة منها ما هو خارجي (مرتبط بدول و شعوب أجنبية)، ومنها ما هو داخلي (مرتبط بثقافات محلية)، وتبقى الصدارة بطبيعة الحال للغة العربية لاسيما حين تقديم نشرات الأخبار، وتبعا لهذا الوضع تأتي اللغة الإنجليزية في الصدارة لأنها بمثابة اللغة الأجنبية الأولى بالنسبة لبلدان المشرق العربي، تماما مثلما هو الحال مع اللغة الفرنسية في بلدان المغرب العربي، ويرجع ذلك أساسا إلى العامل الإستعماري بقطع النظر عن مسألة خدمة أغراض وشواغل معينة، سواء من طرف الإعلام الموجه (العمومي) أو الخاص الذي لاشك محسوب هو الآخر على أطراف بعينها، يضاف إلى هذين اللغتين مجموعة أخرى من اللغات واللهجات المستخدمة كليا أو جزئيا إذ تحتل حيزا زمنيا من البث الفضائي العربي، وهي: الهندية والكردية والأمازيغية والفارسية والأوردو والماليزية وحتى العبرية والإسبانية والحسانية وأخيرا التركية.

لقد انطلق البث التلفزيوني الفضائي العربي بإمكانات نعتبرها بسيطة ومتواضعة مقارنة بما هو عليه الآن، سواء من حيث الأقمار الإصطناعية التي بلغت 17 قمرا متركزة بالأساس في منظومة عربسات ونايل سات ونورسات، وهو ما مكن من تغطية مساحة جغرافية أوسع وعدد أكبر

من القنوات، كما وتوفرت تقنيات أكثر تعقيدا لدى مؤسسات وهيئات البث الفضائي العربي، التي لجأت ولا ريب إلى التعاقد مع هيئات أخرى أجنبية لها السبق في هذا المجال.

المطلب الثاني : الفضائيات العربية والنظام الرسمي العربي.

تظهر نشأة وكذا تطور الفضائيات العربية تداخل عدة عوامل تظافرت كيما تتشكل في النهاية ظاهرة الإعلام الفضائي العربي، التي مركزها التلفزيون كخصوصية تكنولوجية فرضت وجود صحافة خاصة وجديدة هي الصحافة التلفزيونية ذات الإمتداد الفضائي، والحقيقة أننا سنتخذ من العوامل المسؤولة عن التمظهر النهائي وحتى الأولي للإتصال العربي المتلفز والمنقول عبر الأقمار الإصطناعية مستويات للتحليل، هذه المستويات ستزيد في عمق فهمنا للإعلام العربي في بعده التلفزيوني- الفضائي، وكما يبدو فقد تظافر من أجل ظهور الفضائيات العربية العامل الإعلامي والعامل السياسي وحتما العامل التقني، وذلك يملي علينا بالإنطلاق من الواقع السير وفق خارطة طريق من ثلاث مراحل :

الأولى: مبدئيا محاولة لتوضيح حدود التجاذبات بين ما هو إعلامي وما هو سياسي بقطع النظر عن الحالة العربية.

الثانية: الإقتراب من حقيقة النظام الرسمي العربي كإطار حاضن لظاهرة البث الفضائي في المنطقة العربية.

الثالثة: العقل التقني الغربي ومفاعيله في الحالة العربية.

إن من شأن هذه العوامل كمستويات تحليلية متداخلة أن توضح بشكل أعمق الحدود التي من المفترض أن يدرك ضمنها الإعلام العربي، والتلفزي منه على وجه الخصوص.

أولا: المخيال الشبكي والدولة.

حين مقاربة العملية الإتصالية لا يمكن بأي حال إغفال أحد أهم العناصر المساهمة في تجسيدها، أي التي تجعل منها واقعا يخضع للفحص والدراسة، بل إن العنصر الذي نقصده له أهمية مضاعفة كونه المسؤول عن مصير الإتصال كسيرورة، وأيما محاولة لفهم الإتصال مفصولا عن

هذا العنصر لن تجني سوى الإخفاق، لأنها ببساطة جانبت الواقع الذي يحتم حين الإهتمام بالإتصال دراسة البيئة التي يتم فيها، وهي تحديدا ما يسمى بيئة الإتصال، وقد وردت في نموذج "روس" التفاعلي وفق مسمى السياق، وبالتالي فمن مقتضيات فهم الإتصال فهم السياق الذي حدث أو يحدث فيه. إن السياقات تتنوع وتتعدد لذلك ستكون عملية حصرها شاقة إلى حدّ ما، حتى ولو صنفت ضمن عناصر معينة مثل النظم الإجتماعية أو الثقافية أو الإقتصادية أو غيرها من سياقات عيش البشر، ولكننا معنيون ضمن الجزئية التي بين أيدينا لاسيما ونحن منذ البداية بصدد معالجة ظاهرة الإعلام (الإتصال الجماهيري) وهي سمة خاصة بالعصر الحديث، إننا معنيون إذن بطرح تساؤل أساسي ومركزي على هذا الصعيد وهو كالآتي:

- ما هو الإطار الشامل الذي من المفترض أن تتهيكل ضمنه وتنتظم مختلف نشاطات الإنسان من حيث هو فاعل اجتماعي؟

سيكون الجواب السريع على هذا السؤال، إنه بلا شك: الدولة، من حيث هي الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والناظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، بحيث تعلو إرادة الدولة شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع، وذلك من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين واحتكار حيازة وسائل الإكراه، وحق استخدامها في سبيل تطبيق القوانين بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنظام، وتحقيق التقدم في الداخل والأمن من العدوان في الخارج. وإلى جانب الإستخدام العام للمصطلح بمعنى الجسم السياسي للمجتمع، هناك استخدام أكثر تحديدا يقتصر فيه المعنى على مؤسسات الحكم[16]، التي-لا شك- تتولى تنظيم الشؤون الخاصة بمؤسسات الإعلام، ويبرز تنظيم الدولة لوسائل الإعلام عبر مجموعة من القضايا تتمثل أبرزها في ضرورة عدم التحيز، حماية الأسرار الرسمية، قضايا السب والشتم وتشويه السمعة، الإشهار، الحرية أو الحق في الإعلام وغيرها من القضايا[17]، ومثال هذه المجموعة من القضايا يندرج في إطار إحدى الأبعاد المشكلة لمفهوم الإعلام من حيث هو أداة لصياغة السياسة، وليس المقصود ذلك الفرع المعرفي المسمى بالإتصال السياسي رغم كونه يشكل جزءا مما نسعى إلى مقاربته وتحليله، بل المقصود على نحو مركزي هو عرض التأثير المتبادل بين الإتصال كنظام فرعي والدولة كناظم للنظم الفرعية، حيث يتم النظر ضمنيا إلى المجتمع كنظام شبكي، وهو الأمر الذي تفطن له

"روجرز" بعد حوالي عشرين سنة من طرحه لنموذجه حول انتشار المبتكرات، إذ تأكد له ارتباطه الشديد (سابقا) بالنظرية الرياضية للمعلومات فلجأ إلى العدول عن النموذج التوزيعي إلى استخدام مفهوم تحليل شبكة الإتصال، واعتبر تبعا لذلك منذ سنة 1982 أن الشروط أصبحت مهيأة للتقارب والتلاقي بين الإتجاهين النقدي والإمبريقي، مبررا ذلك بكون المدرسة الإمبريقية قد أدركت ضرورة إدماج سياق الإتصال والجوانب الأخلاقية والأدبية في سيرورة الإتصال في تحليلها.

إن أحسن سبيل في تقديرنا لفهم طبيعة السياق الذي يتجسد عموما في البيئة بما تحويه من شبكة علاقات معقدة، هو ربط هذا جميعا بالمتحكم في بيئة الإتصال، أي من له سلطة الإشراف زمنيا على فضاء (حيز) الإتصال وهو الدولة. لقد وضح "هارولد إينيس" في كتابه "الإمبراطورية والاتصالات" أن الإمبراطورية الآشورية كانت رائدة في تشييد الطرق، ومما يقال في هذا الصدد أن الرسالة كانت ترسل من أي نقطة إلى مركز الإمبراطورية ويصل الرد عليها خلال أسبوع[18]، والإمبراطورية هي تجسيد لفكرة امتداد سلطة الإتصال في المكان، كما وأن ما يصوره إينيس هو إمكانيات الإتصال للتأثير في التطور الإقتصادي للدولة، بالإضافة إلى ذلك فإنه بإمكاننا دراسة تاريخ الدول من خلال أثر الوسائط، وهذا الطرح له ما يدعمه في كثير من الأحداث التي مرت بالعالمين الشرقي والغربي.

إن فكرة الدولة من حيث هي مجال نشط لشبكات الإتصال مفيدة جدا على صعيد فهم الوسائط، دون أن نغفل الأثر الحيوي لهذه الوسائط المتجلي في تكوين ما اصطلح على تسميته بالمجال الحيوي للدولة، ففي سنة 1897 وضع الألماني "فريديريك راتزل" اللبنات الأولى للجغرافيا السياسية، أو الجيوبوليتيك باعتباره العلم الذي يدرس الفضاء/المكان وكيفيات السيطرة عليه، فراتزل يعتبر أن الدولة مؤسسة متجذرة في المكان، أما مضمون هذا العلم فهو دراسة العلاقات التنظيمية التي تربط الدولة بالحيز الجغرافي، وتنتظم هذه الرؤية الجغراسياسية ضمن مفاهيم محورية كالشبكات ودوائر التبادل والتفاعل والحراك، التي تمثل تجليات الطاقة الفاعلة التي تبعث القوة في الدولة من حيث هي حيز مكاني، ففي هذا التصور عن البعد المكاني /الفضائي للقوة يصبح الفضاء/الحيز الجغرافي الفضاء الحيوي للدولة[19]. وهكذا يتضح أن الدولة قد تتجاوز موقعها المثبت في مستوى بيئة الإتصال بما له من أثر في فهم أكثر عمقا لعملية الوساطة، إلى مستخدم للوسائط

من أجل دعم المجال الحيوي لها أو خلقه أو توسيعه، ولعل هذا كان سببا وراء عدم تأويل اقتراح "روجرز" التقارب بين الإتجاهين النقدي والإمبريقي بأنه إمكانية للحوار، بل تم تفسيره بأنه إرادة بينة لنكران الخلافات ذات الطبيعة الإبستيمولوجية، من أجل إخفاء نقطة أساسية ترتبط بتعريف ما هو السياسي: شروط ممارسة السلطة والعلاقة بين السلطة والمعرفة، والأخذ بعين الإعتبار البنى التنظيمية والمؤسساتية[20]، تلك إذن هي هواجس المدرسة النقدية التي نعتقد أنها-مثلا- تنسحب حتى على مقاربة "بيير بورديو" لمفهوم الدولة، حيث يركز على معطى أساسي ومركزي بالنسبة له وهو فاعليها الأساسيين حيث يقول: يبني هؤلاء الفاعلون تدريجيا هذا الشيء الذي نسميه دولة، بمعنى مجموعة من الموارد المحددة التي تسمح لأصحابها بتحديد ما هو جيد وصالح للعالم الإجتماعي ككل، بالنطق الرسمي وعرض خطابات في الواقع هي عبارة عن أوامر، لأنها تحمل في ثناياها وتخفي وراءها السلطة الرسمية..وبعض البحوث تفسر كيف تنتج الدولة فاعليها على سبيل المثال عبر قوة التنشئة الإجتماعية ومنطق للقيم مبني على مفاهيم الخدمة العامة أو الصالح العام، تعكس وجهة النظر البورديوية أن الدولة في جزء منها تنتج عبر فاعليها، إن الدولة كمجموعة من الفاعلين الإجتماعيين الموحدين والخاضعين لمنطق نفس السيادة هي نتاج مجموعة من الفاعلين المعتمدين لممارسة السيادة وليس العكس. إن الروابط بين الدولة وممثليها أكثر تعقيدا بكثير مما تبدو عليه[21]. وحسب بورديو فإن الدولة تسمح بوجود النظام الرمزي واستمراريته عبر إنتاج وإعادة إنتاج أشكال التكامل الإجتماعي، وبذلك فهي تسمح بإنتاج وإعادة إنتاج نظام اجتماعي ممأسس وتحدد هيمنة الدولة تبعا لتوافق الآراء أو تنتقل إلى ميزتها الإكراهية[22] .

وإذا جاز لنا أن نبني على مقاربة" بيير بورديو" فإن الهيمنة والإكراه تنبعان على الحقيقة من مجموعة من الفاعلين الأساسيين، الذين يصح أن نسميهم أصحاب القرار ضمن الرقعة الجغرافية التي تمتد عبرها سلطة الدولة، وهم ما يصطلح على تسميته بالعلبة السوداء للنظام السياسي وفق مفهومه الضيق، أما المأسسة فهي الغطاء الشرعي الذي تمارس عبره إدارتهم للشؤون العامة. إننا نعتقد والحال هذه أن الأشكال القديمة للدول ومنها الدولة السلالية على سبيل المثال يعاد إنتاجها وفق طرق أكثر عصرية، ويتفاوت حسب الحالات مستوى الإفادة التي تتحقق لعامة الناس من هذا الوضع.

ثانيا: الدولة العربية كسياق اتصالي .

حتى نفهم التوسط في المنطقة العربية على نحو أكثر عمقا سيما منه المتعلق بالبث الفضائي علينا الإدراك الجيد لواقع اسمه الدولة العربية، وإننا نعتقد جازمين أن المهمة لن تتأتى على وجهها التام إذا لم يؤخذ ما يسمى بالمسألة الكولونيالية في الحسبان، وهي ذاتها –في الحقيقة– المسألة الإستعمارية. وقد يترتب عن دراسة هذه المسألة أو مناقشتها كإشكالية ارتبطت ولا تزال بوجود الدولة العربية، الإنتباه إلى إشكالية تنبثق عنها وتتلقى جزءا من تفسيرها عبرها، هذه الإشكالية هي بنية الإستبداد التي رافقت نشأة الدولة العربية وتجذرت مؤسساتيا، مما جعل قضية الديموقراطية والانتقال الديموقراطي مطروحة باستمرار سواء على صعيد البحث العلمي أو السجال السياسي الذي كثيرا ما تحول إلى نزال عسكري (عنف سياسي) مدمر، ولا يمكن – كما أسلفنا– أن نعفي اليد الإستعمارية بشكل أو بآخر من تغذية هذا الصراع على نحو ما، ومن ثم يصبح إلزاميا تقديم ما يبعث على شيء من الفهم للظاهرة الإستعمارية على الأقل فيما يرتبط بمفاعيلها إزاء الوضع العربي. وحتى نفهم ما يطلق عليه في بعض الأدبيات بالنزعة الاستعمارية علينا أن نتدارك أولا بالفهم ما هو أشمل وأعم، ونعتقد أن ذلك ينطبق على ما يسمى بالإمبريالية التي "نشأت من الناحية التاريخية كما نفهمها ونستخلصها اليوم من رحم النظام الإقطاعي، ونشوء الرأسمالية التجارية والدول القومية التوسعية في أوروبا، ومع قيام العصر الصناعي والاكتشافات العلمية وما نجم عن ذلك من زيادة في الإنتاج والسكان والحاجة إلى التفتيش عن المواد الخام والوقود، وإلى إيجاد أسواق للمواد المصنعة لتصريف فائض الإنتاج وإلى تصدير رأس المال المتراكم والفائض لجني أرباح أكثر، وما يستتبع ذلك من حرية الهجرة والاستيطان لمواطني الدول الاستعمارية، لتمكينهم من السيطرة على الموارد في المستعمرات وتنظيم التجارة والإدارة والحماية فيها مع التشبع بأفكار التفوق العنصري"[23]. هذه الظاهرة إذا هي ما خلق النزعة الاستعمارية التي تتحدد أبرز مؤشراتها في الهيمنة على الآخر ونهب ثرواته والحط من قيمته على المستويين الترابي – النفسي(الإنساني) والثقافي– الاجتماعي، وتتجسد في شكلها التقليدي في قدوم موجات متتالية من سكان البلدان الامبريالية (فرنسا، بريطانيا، إيطاليا...)، إلى المستعمرات (العالم العربي خصوصا وما سمي بالعالم الثالث عموما) بقصد استيطانها والإقامة فيها بشكل دائم أو الهيمنة على صعد الحياة

المختلفة، ويترافق مع ذلك حملات عسكرية عنيفة من أجل حماية المستوطنين وإرغام السكان الأصليين على القبول بالأمر الواقع. وقد اختلف الأمر فيما بعد لاسيما خلال المرحلة التي تشكل فيها ما اصطلح على تسميته بتصفية الإستعمار، حيث أخذ هذا الأخير أشكالا أخرى[24] تندرج تحت مسمى الإستعمار الجديد الذي يعني فرض السيطرة الأجنبية سياسيا واقتصاديا وثقافيا على دولة ما (نموذج الولايات المتحدة الأمريكية)، مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون اعتماد أساليب الإستعمار التقليدية، ومن مؤشراته:

1- القروض المشروطة .

2- إقامة القواعد العسكرية.

3- إثارة الاضطرابات الداخلية والانقسامات الطائفية والإقليمية والعرقية.

4- تشجيع الأقليات (على تنوعها) التي تتمتع بامتياز ما على الإستيلاء على السلطة.

5- استخدام المنظمات الدولية التي تقف وراءها – قطعا- الدول الكبرى للضغط على الدول النامية[25].

والدول الكبرى إجرائيا هي الدول الإستعمارية أو التي لها باع تاريخي في ذلك، وعلى العكس من ذلك – تقريبا- تعتبر الدول النامية هي الجغرافيا التي كانت بالأمس ترزح تحت الاحتلال الإستعماري. ولعل هذا يأخذنا إلى ما قارب به "إيف لاكوست Yves Lacoste" الحقائق الإستعمارية، من خلال استخدام مفهوم الجيوبوليتيك، ولاكوست هو باحث في شؤون العالم الثالث ومنه على وجه الخصوص الوطن العربي، حيث اعتبر الحملات الإستعمارية المختلفة والعمليات الإستيطانية التي فرضت تنظيماتها في الأقاليم التي احتلتها في الأساس ظواهر جيو سياسية[26]. ونحن بناء على هذا الطرح سنقبل التعاطي علميا مع واقع الدولة العربية الحديثة من خلال استخدام مفهوم ما بعد الكولونيالية، فقد كانت له كثير من المفارقات على واقع الدولة العربية على صعد الحياة المختلفة السياسية والثقافية والإجتماعية، والذي يهمنا ويعنينا من هذا كله هو القطاع الإعلامي ومنه بطبيعة الحال التلفزيوني على وجه التحديد. ففي الحالة المصرية- مثلا- كان إعلان نية الحكومة المصرية بناء أول استديو تلفزيوني يوفر خدمة البث في القاهرة، من طرف صحيفة ناطقة بالفرنسية وتسمى LE PROGRIES EGYPTIEN، وقد تحقق هذا المشروع سنة 1951 من

طرف الشركة الفرنسية لصناعة الراديو والتلفزيون، وكانت أول تجربة للبث التلفزي في مصر تنقل وقائع حفل زفاف الملك فاروق من زوجته الثانية ناريمان، والحقيقة الماثلة هنا قد لا تصح مقاربتها إلا من خلال إثبات حالة التزاوج بين المشروع المابعد كولونيالي وبنية الإستبداد. وهو ما يصدق على الحالة العراقية أيضا، حيث أول تلفزيون رسمي عربي ببث منتظم في 1956/05/02 وهو التاريخ الموافق لعيد الملك فيصل الثاني، وتحقيق المشروع كان من طرف شركة BAY البريطانية. وإلى لبنان حيث تمت التجربة بشراكة فرنسية (المستعمر السابق)، وفي تونس سبق التجربة تدريب التقنيين التونسيين في التلفزيون الفرنسي (المستعمر السابق)، وكذا حال عديد الأقطار العربية ما علمنا منه وما لم نعلم. ومع هذه الحال تتشكل جدلية العلاقة بين السياسي (الفاعل المنتج للدولة) والإعلامي (المؤسسة التلفزيونية)، وتتعاظم هذه الجدلية مع مرور الزمن حيث نشهد باستمرار وبأشكال وكيفيات مختلفة حالات التدافع السياسي والإعلامي، التي تدفع النظم السياسية (وضمنيا الإتصالية) في العالم العربي إلى القيام بعمليات التكيف.

ثالثا: الإنعكاسات الإعلامية للجغرافيا السياسية في المنطقة العربية.

إن ما يعنينا من جملة الإنعكاسات الإعلامية التي سنتحدث عنها ونوضح خصوصيتها هو فقط ما تعلق بالبث الفضائي التلفزيوني، وقد ثبت قطعا قبل الآن نشوء التلفزيون كوسيلة وكمؤسسة في بعده الأرضي في محضن الدولة العربية الحديثة، التي تفيدنا- تبعا لذلك-مقاربتها على الوجه الصحيح في فهم سيرورة الإتصال التلفزيوني. ولا نعتقد أن الأمر يختلف في حال الإنتقال إلى مباحثة ذلكم الإتصال في بعده الفضائي، لأن الثابت أيضا أن فكرة إنشاء قمر اصطناعي عربي ولدت في اجتماع لمجلس وزراء الإعلام العرب عام 1967 في مدينة بنزرت بتونس، وتم إثر ذلك تبني فكرة الإستعانة بتكنولوجيا أقمار الإتصال في اجتماع لاتحاد إذاعات الدول العربية بالعاصمة السودانية الخرطوم عام 1969. إن هذا يدعونا بإلحاح إلى القيام بمباحثة سريعة لمسألة النظام الرسمي العربي، الذي اتضحت معنا سريعا مفاعيله على ظاهرة البث التلفزيوني الفضائي في المنطقة العربية، وأحد المحددات التي تمكن من فهم طبيعة النظام الرسمي العربي مرتبط بالذاكرة التاريخية، حيث الأصل في نشأة هذا النظام يعود إلى ما عرف سابقا بالمسألة الشرقية في محطتها الأخيرة، أين تم تصفية أملاك الدولة العثمانية التي مثلت ولو رمزيا الوجود الدولي للعرب

والمسلمين، حيث قامت القوى الإستعمارية الأوروبية التقليدية (فرنسا وبريطانيا) باقتسام إرث ما سمي آن ذاك بالرجل المريض، وتم إثر ذلك احتلال واستعمار البلاد العربية من المحيط الأطلسي وحتى الخليج العربي، وقد سبق هذه الوضعية التي تجسد حالة الإستعمار الكلاسيكي ما يسمى بالإستعمار الثقافي خلال القرنين 18م و19م، عن طريق الإمتيازات التي حصل عليها (الإستعمار) من الدولة العثمانية وعن طريق إرسالياته التبشيرية والتعليمية، وبالتالي تغذيته لكل التناقضات الثانوية الكامنة في المجتمع وتحويلها إلى تناقضات رئيسية، لتصبح الأرضية الصالحة لتقبله واستبقائه أطول مدة ممكنة[27].

ومع مجيء القرن 20م وكإفراز لما سمي بحركات التحرر الوطني العربية نشأت الدولة الوطنية، بعد رحيل الإستعمار العسكري بداية من النصف الثاني من هذا القرن، و نشأ في ذات السياق جامعة الدول العربية تنظيما إقليميا يجمع الدول العربية ويعبر عنها سياسيا، وتساوق مع هذا كله نجاح المشروع الصهيوني في إقامة ما سمي بدولة "إسرائيل" سنة 1948م على أرض فلسطين التاريخية، كشكل من أشكال الإستعمار المسمى بالإستعمار الإستيطاني– الإحلالي، وتم ذلك برعاية ما يسمى بالنظام الدولي وقواه الأساسية، وقد أصبحت هذه الدولة(إسرائيل) عضوا في منظمة الأمم المتحدة التي جاء تأسيسها في السياق ذاته.

إن نشأة النظام الرسمي العربي بعناصره المجسدة له: وحداته (دوله)، تنظيمه الإقليمي (جامعته)، تفاعلاته (سياساته)، جاءت في سياق تشكل النظام الدولي عبر سياسات القوى الإستعمارية المهيمنة، أي في لحظة ولادة تاريخية ملتبسة إلى حد كبير، وفي الخطوة التالية تم إدخال النظام الرسمي العربي وإدماجه في النظام الدولي باعتباره نظاما فرعيا له، فمثلا اشترط لحصول دول النظام الرسمي العربي على الإستقلال ضرورة الإعتراف بسيادة القانون الدولي، وهي لم تشترك في وضع معظمه، فقد قبلت مثلا بقاعدة السيادة الإقليمية وقدسية الحدود بكل ما تعنيه من تكريس تفتيت الكيان الواحد وتكريس نظام الدولة القطرية، كما وأن هذا الاعتراف اعتبر بدوره شرطا لدخول مؤسسات المجتمع الدولي (الأمم المتحدة وتوابعها)، ومن ثم الالتزام بكل قراراتها(لاسيما مجلس الأمن)، وعلى المدى الزمني ونتيجة للإرث الإستعماري الأوروبي أضحت المنطقة العربية هي المنظومة الفرعية الأكثر اختراقا من بين منظومات النظام الدولي[28]، هذا

الأخير الذي يمكن فهمه رجوعا إلى ما تمت تسميته بالعصر الوستفالي العلماني الذي دشن أولى مراحله في العام1648م، بعد معاهدة وستفاليا التي فتحت عهدا جديدا في العلاقات الدولية، ومهد لنشوء الدولة الحديثة، حيث استند إلى مبدأ جوهري هو احترام السيادة، ولقد نسجت العلاقات الخارجية بين الدول على أساس احترام السيادة لكل منها، إلا أن هذا العصر لم يخل من انتهاكات واضحة لهذا المبدأ، ليس في الإطار الذي نشأ فيه (الأوروبي) وأصبح من القواعد الملزمة في القانون الدولي فحسب، وإنما نحو الدول الأخرى حيث الحملات الإستعمارية وحروب التدخل نحو الجنوب، سواء كان للبحث عن موارد جديدة وأسواق للبضائع الصناعية أو لفرض النفوذ والهيمنة من خلال القوة العسكرية[29]. لقد أنهت معاهدة وستفاليا حرب الثلاثين عاما في أوروبا مثلما أنهت معاهدة فرساي الحرب العالمية الأولى، وانتهت فيما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي كل مرة كانت تبرز قوى جديدة لتقود هيكلية النظام الدولي. وهي ما يتم تسميته بالقوى الكبرى أو العظمى أو الدول الكبرى[30]، والحال هذه، يتضح أن منشأ هذه الدول هو غربي وخلفياتها استعمارية، وهكذا قد تتضح- إلى حد ما- الحدود التي من المفترض أن تصنع في ظلها مخرجات النظام الرسمي العربي، وبالتالي طبيعة المخرجات وآثارها السياسية والإقتصادية والثقافية ومن بين هذه المخرجات التي نحن معنيون بها وبدرجة قصوى في هذا البحث هو قرار تبني تكنولوجيا البث الفضائي عربيا، وقد برز هذا القرار في صورة إرادة عربية مشتركة، وهذه الحال لا تصح في العادة بين العرب إلا عبر الإطار التنظيمي الإقليمي المسمى بجامعة الدول العربية، التي تأسست بهذا الإسم إثر إصدار ممثلي بعض الحكومات العربية (المستقلة آن ذاك) ما عرف بـــ بروتوكول الإسكندرية، وكان قيام الجامعة بتاريخ: 1945/03/22 [31].

لقد تم تثمين فكرة البث التلفزيوني عبر الأقمار الإصطناعية في أول إجتماع لإحدى أبرز مؤسسات الجامعة العربية، ومن ثم النظام الرسمي العربي، وهذه المؤسسة هي إتحاد إذاعات الدول العربية التي تعد من أعرق مؤسسات العمل العربي المشترك، وعبر هذا الإتحاد قامت المؤسسة العربية للإتصالات الفضائية التابعة لجامعة الدول العربية، وهي المسؤولة عن إطلاق منظومات أقمار عرب سات في مراحلها المختلفة. إن العمل العربي المشترك والذي انعكس بجلاء على وضعية البث الفضائي التلفزيوني لاسيما حين بدايته، والذي يدلل أيضا على إشراف وتحكم النظام

الرسمي العربي في العملية الإعلامية منذ البداية، لم يمنع من وجود بعض التنوعات التي بإمكاننا أن نصنفها في إطار التعدد الثقافي التكاملي، مثلما هو الحال مع منطقة الخليج العربي أو المنطقة الشامية أو المغرب العربي، وبين هذا و ذاك تأتي كل من مصر والسودان. لقد سعت كل جغرافيا سياسة ذات خصوصية ضمن مجال النظام الإقليمي العربي إلى تأسيس أجهزة إعلامية(تلفزيونية-فضائية) تعبر عن منطقها الثقافي الخاص والضيق، ضمن المجال الواسع (العربي)، فقنوات مركز تلفزيون الشرق الأوسط MBC و قنوات ORBIT و ART تنزع نحو البعد الخليجي بما تفرضه رؤية مالكيها، وهي مثال على امتزاج الربح المادي بالخلفية العشائرية والقطرية (السياسية) والدينية وحتى المذهبية، والأغرب في هذا جميعا استحضار البعد الإستعماري حين الإكثار من المواد الإعلامية (دراما وغيرها..) الغربية الأمريكية والبريطانية، وينسحب هذا الحال على القنوات الفضائية المحسوبة على دولة الإمارات العربية المتحدة، وفي تقديرنا يجد هذا الوضع تفسيرا جزئيا له في تأسيس دول منطقة الخليج لما سمي بمجلس التعاون الخليجي في شهر ماي من العام 1981م، تحت تأثير جملة من الإعتبارات لعل أبرزها :

أ- **على المستوى الخليجي:**

- الثورة الإيرانية.
- الحرب العراقية-الإيرانية.
- تماثل أوضاع دول المجلس.

ب- اعتبارات إقليمية :

- ضعف الجامعة العربية.
- معاهدة السلام المصرية-الإسرائيلية.
- تفكك عنصر الأمن القومي العربي الجماعي.

ج- **اعتبارات دولية:**

- دخول الخليج في إطار الحرب الباردة.
- إقتراب الإتحاد السوفياتي من المياه الدافئة.
- إنتقال السيادة النفطية إلى الدول المنتجة[32].

كما وقد برزت فكرة أخرى اقترحت من طرف ملك السعودية الراحل عبد الله بن عبد العزيز في قمة مجلس التعاون بالرياض في ديسمبر 2011، تتضمن تأسيس ما أسمي بالإتحاد الخليجي، ولعل أهم ما دفع إلى ذلك هو جملة التحولات الإستراتيجية التي عرفتها وتعرفها المنطقة العربية منذ بداية سنة 2011 تقريبا[33]. والحال نفسه مع منطقة المغرب العربي التي بدورها- كان من المفترض- أن تتهيكل ضمن نظام فرعي للنظام الإقليمي العربي وهو الإتحاد المغاربي، ورغم ذلك هناك إعلاميا ما يدلل على خصوصية وتميز هذه المنطقة من العالم العربي، فالفضائيات في هذه الجهة من الوطن العربي تميل إلى إبراز منطق ثقافي مختلف عما يسود في منطقة المشرق، ويحضر في سياق هذا المنطق ترسيخ دعائم الدولة القطرية (ضمنيا الأسرة/العشيروة) والتدين الرسمي وفق مذهب محدد، والفولكلور الشعبي دون التنكر للامتداد العربي، والأغرب دوما هو استحضار البعد الإستعماري (الما بعد كولونيالي) من خلال الإستعراض المبالغ فيه أحيانا للطابع الفرانكوفوني في مضامين إعلامية مختلفة، درامية، سياسية، ترفيهية وحتى دينية، ويتحكم في ذلك كله مالكي المشاريع الإعلامية الذين لا نعفيهم بأي حال من أي ارتباط مع جهة معينة مسؤولة بوجه أو بآخر عن عملية صنع القرار السياسي، وقد رأينا كيف تحولت منافسة كروية بين فريقي كرة القدم لكل من الجزائر ومصر خلال إقصائيات كأس العالم لسنة 2009، إلى سجال إعلامي حاد بين مجموعة من القنوات الفضائية المصرية الخاصة من جهة، وصحيفة جزائرية خاصة، حيث برز تماه واضح وجلي لاسيما لدى الجانب المصري مع النظام السياسي، و"السلطة بطبيعتها تجنح للتسلط، والتسلط معناه أن تدغم في صلبها كل الفضاءات لاسيما المناهضة لها، أو المتطلعة إلى الإستقلال عنها أو الدوران في فلك غير فلكها، لهذا السبب نرى الدول الديموقراطية تحاول استرضاء الإعلام بهذه الطريقة أو تلك، ونرى النظم الكليانية تحاول أن تستقطب الإعلام المتمرد أو الجانح للتمرد بغرض ترويضه أو تقليم أظافره أو إخضاعه للمنظومة[34].

إننا في النهاية نشاطر ما ذهبت إليه نهوند عيسى القادري، ونقر أن قراءة متأنية لثقافة الفضائيات العربية تفضي إلى أنها (الفضائيات) وقفت فعلا على تخوم التفكك[35]، لكننا في الآن نفسه ندعو وبشدة إلى ضرورة دراسة اللحظة التاريخية وفهم مفاعيلها على السيرورة الإعلامية، وقبل ذلك فهم الظروف النفسية- الإجتماعية التي أنتجت تلكم اللحظة.

المطلب الثالث: الفضائيات العربية والمسألة الطائفية.

تتدخل لتحديد الخريطة الإدراكية إزاء الفضائيات العربية مجموعة من العوامل التي منها ما يندمج عادة ضمن مسمى بيئة الاتصال، ونعتبر أن هذه الأخيرة تتحكم فيها وإن بكيفيات مختلفة الدولة كجهاز ناظم لحقول الثقافة والسياسة والإجتماع والإقتصاد والدين، وغيرها من الحقول التي تتغذى وتغذي مفاعيل الظواهر المختلفة التي تتعلق بالكينونة الإنسانية النازعة نحو الإتصال، بمقتضى وضعية العمران البشري وفق التعبير الخلدوني. وتعتبر المسألة الطائفية إحدى أبرز مظاهر ما يحل بالدولة العربية الحديثة من أزمات بنيوية، لذلك تصح تسميتها وفق اجتهادنا الخاص وقياسا على الظروف التي ولدت فيها تلكم الدولة بمسألة النظام الرسمي العربي أو **المسألة الشرقية الجديدة**، التي امتدت آثارها قطعا إلى ميدان الإعلام الذي يتمظهر من خلال الدولة كناظم لتداول وتدوير المعلومات.

ولا يمكن مطلقا– والحال هذه– أن نستبعد مناقشة العامل الإستعماري وتغذيته بشكل أو بآخر للمسألة الطائفية سواء في بعدها التاريخي أو البنيوي، وقبل أن نستجلي بعضا من الآثار الإعلامية (التلفزيون الفضائي) للمسألة الطائفية علينا أولا تقديم تحليل مفهومي لهذه المسألة يفضي إلى إدراكها بالشكل السليم، وبالتالي سيفضي ذلك حتما إلى فهم أكثر معقولية لظاهرة البث الفضائي العربي، لاسيما منذ مطلع سنة 2011 وإلى غاية يومنا هذا.

أولا : الطائفية أو تصفية الدولة الوطنية.

ورد في المعجم الوسيط بخصوص لفظة "الطائفة" ما يلي:

أنها الجماعة والفرقة، وفي التنزيل الحكيم "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" ، وطائفة معناها جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، والطائفة هي الجزء والقطعة، والطائفية (كلفظة محدثة) تعني: التعصب لطائفة معينة[36]. وهو عين ما نبني عليه مقاربتنا لمصطلح الطائفية، بمعنى أن المؤشر على فهم سديد لمعنى الطائفية فيما نعتقد هو التعصب للطائفة، وهذه الأخيرة هي جماعة (مجموعة أفراد) الرابط بينها هو مذهب ما أو رأي تمتاز به. وإذا جاز لنا أن نستعير الأداة الخلدونية لتوصيف أكثر دقة لهذه الوضعية قلنا أن الرابط بين أفراد هذه

الجماعة هو الرأي أو المذهب عموما، ولهذا المذهب علاقة وطيدة بشكل أو بآخر بالدين، ومن ثم يفضي معنى الطائفية إلى التعصب المذهبي–الديني. وعليه فإننا نقصي كل ما ليس له علاقة بالدين من الحدود الدلالية لمفردة الطائفية، التي تتشكل مفاهيمها بغية مقاربة مجموعة من التموضعات في الحالة العربية ومنها :

- أقباط ومسلمون في الحالة المصرية.
- شيعة وسنة في العراق.
- دروز وموارنة في الحالة اللبنانية.
- مسيحي ومسلم في الحالة السودانية.
- إباظي ومالكي في الحالة الجزائرية.

وغيرها من الحالات التي تتغير وتتبدل تبعا لظروف معينة، والتي تدفعنا إلى فهم الطائفية في هيأتها المعاصرة كمشروع سياسي مساو لما يمكن أن نسميه تشظي القوة، وفي المحصلة تشظي الدولة الوطنية، لأننا نستحضر ضمن الحالات التي ذكرناها مسألة تقاطع الداخل مع الخارج، بمعنى عدم إمكانية إعفاء العامل الإستعماري بأي حال من تأثيراته المزمنة في الأوضاع العربية خصوصا والإسلامية عموما، هذا التأثير الذي بات من الصعب أحيانا فرزه ضمن سيرورة التطور السياسي والإجتماعي العربي، فالظاهرة مركبة ومعقدة منذ نشأتها وازدادت مع مرور الزمن تعقيدا نظرا لعامل تراكم الظروف والمعطيات، لكنها في الأصل سياسية وتداخلت (وتدخلت) لإنتاجها عوامل إقليمية واستعمارية بمفهومنا المعاصر، لذلك فنحن لا نتفق تماما مع مسمى الطائفية السياسية[37]، أو الإسلام السياسي، لأننا نرى أن ذلك ينم عن سوء علاقة وكذا سوء إدراك للدين في حد ذاته، واستجلاب عفوي لمقاربة مصنوعة تبعا للمعمار الفكري الغربي الذي بدأ في التبلور منذ ما سمي بالعصر الوستفالي العلماني.

لقد تم الحد من نفوذ الدين على ميادين الإجتماع البشري في العالم العربي لاسيما في المجال السياسي، ورغم ذلك بقي له حضور متفاوت القوة تبعا للظروف والملابسات التاريخية، كما أن قوة هذا الحضور مثلما يبدو في حالة النظام الإقليمي العربي تتبع المعطيات الجيوسياسية داخل إطار هذا النظام، وينعكس ذلك على الوضع الإعلامي بصورة جلية، فالقنوات الدينية تحتل المرتبة

الخامسة من عموم القنوات الفضائية العربية بـــ 95 قناة، حسب التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي الصادر لسنة 2014، وهي بذلك تتقدم حتى القنوات الإخبارية (68 قناة)، وقد فسر ذلك مثلا من طرف أحد الباحثين[38] بـــ:

1- سعي كل دولة عربية إلى إنشاء قناتها الدينية من أجل فرض فهمها الوطني للدين والإسلام.
2- اتساع مطالبة النخب الليبرالية بضرورة إصلاح الفكر الديني حتى يواكب العصر.
3- توجه رأس المال العربي الخاص إلى الإستثمار في الفضائيات الدينية أو التي تدعي ذلك.

إننا نعتبر هذه أسبابا عادية لنمو عادي ومفترض للقنوات الدينية حسب حالة العمران البشري في المنطقة العربية، لكن التزايد السريع والذاهب في اتجاه الاختلاف السلبي الذي يأخذ طابع الصراع لا تفسره هذه الأسباب بأي حال، بل تفسره فقط حالة الإستقطاب الطائفي التي تسود المنطقة العربية، والتي تتجلى في أوضح صورة فيما سمي بالصراع السني-الشيعي، وهذا الصراع هو عنوان المسألة الطائفية في المنطقة العربية وله تداعيات خطيرة على كيان الدولة الوطنية، ومن ثم النظام الرسمي العربي، الذي قد يزول مثلما زالت الدولة العثمانية قبل حوالي (100) مئة عام.

ثانيا: تفكيك مرتكزات الخطاب الطائفي في القنوات الفضائية العربية الدينية.

حتى نفهم عملية التوسط لابد علينا من الفهم الجيد والإدراك العقلاني لبيئة عمل الوسائط، فلا شك أن خصوصية تلكم البيئة لها انعكاساتها على عملية التوسط، وهنا تحديدا تبرز الحاجة الملحة لمباحثة العلاقة وطبيعتها بين النظامين الإتصالي والسياسي، فكلما كانت هذه العلاقة أكثر تركيبا وتعقيدا كلما تعقدت الرسالة الإعلامية. إن حاجتنا لفهم عملية التوسط الفضائي في المنطقة العربية لم تكن لتغض الطرف عن المسألة الطائفية مجسدة بالأساس في حالة الصراع السني-الشيعي، وتداعياتها الخطيرة على النظام الرسمي العربي، هذا الأخير الذي تتملكه حالة من الإنهاك والإرباك الشديدين في كل من العراق وسورية واليمن بدرجة قصوى، ولبنان والسعودية والكويت والبحرين بدرجة أقل، ثم باقي الدول العربية بدرجات متفاوتة الأثر والخطورة، حيث امتد لها على نحو سري ما سمي بالمد الشيعي. إن فهم الدولة العربية الحديثة من حيث هي كيان جيو سياسي يساعد على فهم كثير من القرارات الإعلامية لعديد الفضائيات المحسوبة بشكل أو بآخر على النظام

الإقليمي العربي، لكننا والحال هذه مطالبون بفهم أكثر عمقا لتركيبة الدولة كسياق اتصالي في الحالة العربية، بمعنى أنه بات لزاما استحضار أبعاد جديدة كانت مستترة أو ضمنية أو لنقل اعتبرت في وقت من الأوقات هامشية في تكوين الدولة القومية العربية، ثم تم استدعاء هذه العوامل من الهامش إلى المركز بدفع من أطراف محددة تعتبر مسؤولة عما آلت إليه أوضاع العالم العربي اليوم. إننا نقر مسبقا بكوننا نعي هذه العوامل بحكم التاريخ والجغرافيا وما لا يخرج عن نطاقهما من حالات التدافع السياسي والعقدي والإقتصادي وكذا الثقافي، لكننا نفضل أن ندع هذه العوامل تعبر عن نفسها في خطاب كثير من الفضائيات العربية الناشطة في المجال الديني، وهذا من شأنه أن يوضح بجلاء تأثيرات الجغرافيا السياسية، مطعمة بعوامل التاريخ في الرسالة الإعلامية للقناة الفضائية العربية أيا كان نوعها في الحقيقة. وسنستفيد على هذا الصعيد من نتائج دراسة ميدانية أجراها الباحث نصر الدين لعياضي[39]، على عينة من القنوات الفضائية المصطلح على تسميتها بالدينية، من التيارين السني والشيعي، حيث توصل إلى حصر مجموعة من الأطروحات التي تعبر عن تصور كل تيار (عبر قنواته) للتيار الآخر.

أ- صورة السنة لدى القنوات الطائفية الشيعة، وتتركز في الأطروحات التالية:

- فرقة عمرية.
- أمويون (ظلموا آل البيت).
- أتباع أبي العباس السفاح.
- سلفيون وهابيون، دواعش (إرهابيون).
- مصدر الظلم في العالم الإسلامي.
- أداة بيد أمريكا.
- أشد خطرا من اليهود.

ب- صورة الشيعي لدى القنوات الطائفية المحسوبة على السنة، وتتركز في الأطروحات التالية:

- مجوس.
- روافض.
- كفار.

- فرقة ضالة.
- باطنية.
- التقية (منافقون).
- أخطر على المسلمين من اليهود.
- أداة بيد أمريكا لتخريب الدول العربية.

بإمكاننا الآن تصنيف مجموعة الأطروحات لكلا التيارين ضمن محاور كبرى، أضحت بمثابة المحدد الأساس لكثير من القرارات الإعلامية الصادرة عن عدد معتبر من الفضائيات العربية على اختلاف اهتماماتها وتوجهاتها (خطها الإفتتاحي).

المحور الأول: ونصطلح على تسميته بالمشكلة الإيرانية (الفارسية) التي تتحدد إيحائيا من خلال ملفوظات عديدة في الخطاب الطائفي، ومن هذه الملفوظات المجوس–الباطنية. و يطرح هذا المحور أيضا وعلى نحو ضمني البعد التاريخي أو المقاربة التاريخية.

المحور الثاني: ونصطلح على تسميته بالمشكلة الشيعية، التي تتحدد هي الأخرى من خلال ملفوظات روافض– التقية – كفار– فرقة ضالة، ويتضمن هذا المحور أيضا بعداً تاريخيا.

المحور الثالث: وهو ما نسميه بالمشكلة السياسية، التي ترتبط تحديدا بمنصب الخلافة أو الإمامة أو مشكلة الحكم عموما وما أثاره ذلك من جدل عبر التاريخ، وهو لاشك جدل اختلط بالسياسة وتداخل معها لذا يبقى البعد التاريخي يفرض نفسه، لاسيما من خلال ما يسمى في بعض الأدبيات البحثية الحديثة بالدول السلالية[40]، وملفوظات هذا المحور هي: فرقة عمرية، أمويون (ظلموا آل البيت)، أتباع أبي العباس السفاح، مصدر الظلم في العالم الإسلامي.

المحور الرابع: ونصطلح على تسميته في حدود اهتمامنا البحثي بالمشكلة السعودية–الخليجية، وملفوظها الدال ضمن الخطاب الطائفي هو: سلفيون– وهابيون. ولا يستثنى التاريخ كبعد من هذه المشكلة.

المحور الخامس: وهو مشكلة التطرف، ووفق اشتقاق تاريخي يمكن أن نسميها "المشكلة الخوارجية"، لذلك تأتي وفق ملفوظ دواعش– إرهابيون في الخطاب الطائفي فالخلفية التاريخية

حاضرة بقوة لأنها تطلق فقط على المتطرفين في الجانب السني، والأمر له علاقة بظهور فرقة الخوارج في التاريخ.

المحور السادس: وهو المشكلة الإستعمارية- الإمبريالية التي يتقاذفها الخطابان الطائفيان، ويدلل على ذلك عبارة أداة بيد أمريكا لدى الطائفيين الشيعة، والأخرى أداة بيد أمريكا لتخريب الدول العربية لدى الطائفيين المحسوبين على تيار أهل السنة والجماعة، حيث تختلف المعاني باختلاف المباني ومرد ذلك إلى حجم المكونين السني والشيعي في العالم الإسلامي والتموضع الجيوسياسي لكل منهما.

المحور السابع: ونسميه بالمسألة الإسرائيلية، المتجسدة في جدلية الوجود الإسرائيلي في قلب المنطقة العربية وما طرحه ويطرحه من تحديات، دفعت إلى استخدام ملفوظات دالة عليه في كلا الخطابين من قبيل: أخطر على المسلمين من اليهود لدى الخطاب الطائفي المحسوب على السنة، وأشد خطرا من اليهود لدى الخطاب المقابل، واختلاف المباني هنا دليل على اختلاف المعاني، ومرد ذلك إلى عوامل موضوعية تتعلق بطبيعة كل مكون على حدى وكذلك نظرة كل منهما- بمنطلق ديني- إلى الآخر.

إن هذه المحاور جميعا تشكل مرتكزات لأطروحات الخطاب الطائفي السائد على مستوى قطاع معتبر من الفضائيات العربية، وهي محاور ترمز إلى عوامل شديدة التداخل فيما بينها وتطرح بقوة ضرورة استحضار واستيعاب اللحظة التاريخية والظروف النفسية-الإجتماعية التي مثلتها. أما المترسب اليوم في ظروفنا التي نعيشها فهو صراع إرادات سعودي- إيراني، تتمترس خلفه جميع العوامل التي تم ذكرها بكيفيات ومقادير متباينة ومتغيرة حسب ما تقتضيه المصالح الجيو-استراتيجية لكليهما، وهما على الحقيقة من يدير حالة الإستقطاب الطائفي التي كلفت ولا زالت تكلف المنطقة العربية فاتورة باهظة من الخسائر في الأرواح والممتلكات والبنى التحتية، لاسيما في سوريا واليمن والعراق وفق خصوصية معينة. وهذا الوضع هو ما سيقوض أركان النظام الإقليمي العربي ويخلق ما سمي بحدود الدّم، كما أطلق عليها المستشرق الأمريكي برنارد لويس المهتم ببلقنة الوطن العربي، وتكريس ما بات يسمى في كثير من الأدبيات بالشرق الأوسط الجديد أو الكبير، وهو ما يعيدنا فوراً إلى طرح البعد الكولونيالي والمابعد كولونيالي من جديد، فقد

غزت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا منفردتين العراق وقامتا باحتلاله عام 2003، وتم إثر ذلك إسقاط نظام صدام حسين، وتم بعدها حل الجيش العراقي والمؤسسات العراقية وحل حزب البعث من طرف الحاكم الأمريكي "بول بريمر"، مما تسبب في دخول البلاد دوامة من العنف حصدت مئات الآلاف من الضحايا، وقد صرح بريمر في تدخل له عبر قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ: 2016/04/08 أن نظام المحاصصة الطائفية الذي تم تأسيسه في عراق ما بعد صدام كان خياراً اضطراريا، واعتبر أن ذلك بسبب تركة صدام حسين الذي خرّب–حسبه– النسيج الإجتماعي للدولة العراقية، في حين أنه عندما سئل "السيستاني"–مثلا– بعد الإحتلال، هل كان صدام طائفيا؟ قال: لا، لم يكن طائفيا بل كان دكتاتورا[41]. تم إذن تصفية الدولة العراقية الوطنية ببنيتها الإستبدادية المابعد كولونيالية، وتم تكريس نظام طائفي باتت ترعاه مثلما يتضح من الوقائع الجمهورية الإيرانية، وكمؤشر جزئي على الخلفية الفكرية لهذه التصفية هو الخطاب المتلفز لبوش الإبن بتاريخ: 2005/10/06، الذي أطلق فيه تحذيره مما أسماه إمبراطورية إسلامية راديكالية، يريد المتطرفون بناءها من إسبانيا وحتى أندونيسيا، وأن جبهة العراق هي الجبهة الرئيسية ضد هذا المخطط الشرير. وقد سبق أن وصف ذلك مستشار الأمن القومي الأمريكي (سابقا) "زبيغنيو بريجنسكي" بالهلال الإسلامي الذي يمكن أن يشكل أكبر كتلة اقتصادية بامتداد غير محدد العالم[42]. وكتب في ذات السياق كل من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في كتابه "مكان تحت الشمس"، وشمعون بيريز وتأصيله لفكرة الشرق الأوسط الجديد أو الكبير[43]. وجميعها تفضي إلى تقسيم الوطن العربي من جديد لكن هذه المرة على أسس عرقية وطائفية (مذهبية)، وهو عين ما أنجزه بول بريمر في العراق، وقد كان قبيل التحاقه بمهمته في العراق مديرا لشركة استشارية تسمى Kissinger Associates، ومؤسسها هو هنري كسينجر أول يهودي يتولى منصب وزير خارجية في أمريكا، ومن مواليد مقاطعة بافاريا في ألمانيا وله ماضي عسكري واستخباراتي في الجيش الأمريكي[44]، مثلما له ارتباطات بمجموعة "بيلدربيرغ"، كما لبريجنسكي ارتباطات بما يسمى الهيئة الثلاثية ومجلس العلاقات الخارجية[45].

إن هذه المنظومة من العلاقات التي لا يجب أن يغفلها البتة البحث الإمبريقي، لم تكن لتغفل أو تتغافل عن المعطيات التي أطاحت بالشاه وأوصلت الخميني إلى الحكم في إيران، إثر الأحداث التي عرفتها بين 1977 و 1979.

- فقد ثبت انتشار رجال المخابرات المركزية الأمريكية في ربوع إيران وجمعهم البيانات حول تصريحات الخميني من آراء الشارع الإيراني.
- وجود الجنرال "هاوزر" نائب القائد العام لقوات حلف شمال الأطلسي في إيران من 1979/01/05 حتى 1979/02/08، وانحصرت مهمته في منع الجيش من القيام بانقلاب لإنقاذ العرش[46].

أما بريطانيا، فقد ساندت هيئة الإذاعة البريطانية الخميني بشدة وكانت تبث الدعوة لقلب نظام الشاه بصورة مباشرة، بالإضافة إلى إذاعة بيانات الخميني وخطبه ومحاضراته المتضمنة تحريضه ضد الشاه.

ونفس الشيء مع فرنسا التي أرسل لها سفيرها في طهران تقريرا في شهر ماي 1978 يؤكد فيه أن أيام الشاه باتت معدودة، وأجرى بعدها مراسل صحيفة لوموند أول حديث سياسي أدلى به الخميني للصحافة العالمية والغربية بصفة خاصة، وكانت الجريدة تبرز الخميني للعالم بوصفه زعيما جديدا لإيران، وضمن الخميني قبل الثورة تأييد فرنسا له، وقد وصل إلى طهران في 1979/02/01 على متن طائرة فرنسية بعد هروب الشاه[47]. وفي سورية وتحت ستار الأيديولوجيا القومية شبه العلمانية لحزب البعث العربي الإشتراكي، آلت السلطة إلى نخبة عسكرية سياسية اقتصادية ذات ملامح عائلية و طائفية و جهوية[48]، وهي صورة للدولة بمفهومها المابعد كولونيالي لذلك هي مبرمجة اليوم ضمن حالة الإستقطاب الطائفي المدمر، وتنسحب هذه الوضعية على حالة الدولة السعودية التي تأسست في ظروف تاريخية ملتبسة والتحفت من البداية ما سمي بالمذهب الوهابي، الذي هو قطعا شكل من أشكال إدراك الدين الإسلامي في إطار المنظومة العقدية والفقهية السنية.

أما لبنان فنعتقد أن وضعه أمسى غنيا عن كل تعريف أو إضافة، وهو يعاني اليوم في إطار الإستقطاب الطائفي الحاد الذي تعانيه المنطقة العربية لاسيما في جزئها الشرقي، من شلل في مؤسسات الدولة، يشمل تحديدا (وفي العادة) فراغا في منصب رئيس الجمهورية وتعطلا في عمل البرلمان. وانتهاء بالحالة اللبنانية التي تتخذ دوما نموذجا حين الحديث عن مشكل الطائفية من منطلق كونها كيانا مبرقشا. فقد تم استبعاد قناة المنار من طرف إتحاد إذاعات الدول العربية وإيقاف بثها على العرب سات، وهو تعبير عن حدّة الأزمة داخل أطر النظام الإقليمي العربي، حيث تتبع هذه القناة لمنظمة حزب الله اللبناني الذي يقاتل في سورية إلى جانب قوات بشار الأسد، وتم على إثر ذلك وبمجهودات من السعودية داخل الجامعة العربية اعتبار حزب الله منظمة إرهابية وهو ما امتنعت عن التصويت له وكذا تحفظت كل من العراق ولبنان والجزائر.

المبحث الثاني: صناعة الرأي العام في المنطقة العربية .

- ثنائية الفضائيات الإخبارية والحراك الشعبي 2011 كإطار للتحليل-

يفرض علينا تناول ظاهرة الرأي العام في الحيز العربي لاسيما حين ربطها بالوسائط الإعلامية ومنها الفضائيات على وجه التحديد مزيدا من التعمق في تحليل النظام الإتصالي العربي، ومن شأن هذا كله أن يجلي الكثير من الغموض حول سيرورة الإتصال في بعده التلفزيوني- الفضائي، وكذا طبيعة ما يمكن أن يسمى رأيا عاما في المنطقة العربية وعلاقة الإثنين معا. يأتي هذا كله منظورا إليه في سياق الأحداث التي عرفتها المنطقة العربية منذ نهاية سنة 2010 وأسميت إعلاميا بـــ: "الربيع العربي"، وما تمخض عنها من تداعيات إلى يومنا هذا، وجميع هذه التداعيات مرتبط- بلا ريب- بشكل أو بآخر بمشكلة الحكم والسلطة، وقيمة "الرأي العام وأثره يتجليان كأوضح ما يتجليان في الفترات التي تسبق الوصول إلى الحكم أو تعاصر إجراء تغييرات تمسه"[49].

وسنحاول تحقيق أغراضنا عبر ثلاثة مسارات، حيث نخصص المسار الأول مبدئيا لمناقشة مسألة الفضاء العمومي العربي التي يتمركز ضمنها وجود الرأي العام، ثم ننتقل لعرض وضعية الفضائيات الإخبارية العربية التي هي معنية بالدرجة الأولى بقضية الرأي العام، ونستفيد من هذا جميعا في تحليل وتفسير نموذج لفضائيتين إخباريتين ستكونان محط انشغالنا الأساسي في الجانب الميداني من دراستنا وهما : الجزيرة والميادين.

المطلب الأول: الفضاء العمومي العربي وجدلية السلطة الإتصالية والسلطة الإدارية.

ترتبط بمفهوم الفضاء العمومي الكثير من الإشكاليات التي تم طرحها ومناقشتها وجرت في الآن نفسه محاولات للخروج بفهم سليم أو/و وضع سليم لما سمي بالمجال العام أو الفضاء العام، وكان ذلك في السياق الغربي أين نبت المصطلح أو ظهر لأول مرة، ونعتقد أن حجم الإشكاليات سيتضاعف أو على الأقل سيختلف في الحالة العربية، بسبب كثير من العوامل التي ليس أقلها اختلاف الكينونة العربية في حد ذاتها عن نظيرتها الأوروبية (الغربية) لأسباب موضوعية، ويقع الاهتمام بالرأي العام في اللب أو المركز من جهة الإهتمام بالمجال أو الفضاء العمومي.

أولا : في تكوينيه مفهوم الرأي العام.

نعتقد أن الإهتمام بظاهرة الرأي العام ليس وليد المرحلة التي نعيشها على الإطلاق، ونرى أن ذلك بدأ قديما (أفلاطون وأرسطو) وفق كيفيات وأشكال مختلفة لم تشر إلى المصطلح مباشرة، وقد استمر في مرحلة التاريخ الوسيط (الفارابي وابن خلدون) والحديث (هيجل وماركس)، وتمت الإشارة إليه قبل ذلك من طرف ميكيافيلي في كتابه "الأمير" وكذلك استخدمه جون جاك روسو، وكانت المرحلة الأخيرة التي نعتبرها ما بعد الحديثة [50]، وأشهر من نذكرهم على هذا الصعيد غرامشي وهابرماس لدواع معينة مرتبطة بخصوصية بحثنا، وقد آثرنا أن نبدأ نقاشنا حول المفهوم انطلاقا من المرحلة ما بعد الحديثة وتحديدا مع المفكر والفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، من منطلق أن الحاضر يستدعي الحديث عن الماضي الذي هو المؤسس الحقيقي للحظة التاريخية، وعلى هذا الأساس فإننا بداية نتفق مع الفصل (من الإنفصال) الذي أحدثه عزي عبد الرحمن حين تصديه لتقديم مفهوم الرأي العام[51]، فهناك على الأقل نوعين من التعريفات الخاصة بالمصطلح، وهذان النوعان هما تعبير عن البعد الإشكالي إزاء طرحه في السياق العربي الإسلامي (مثلا)، ولذلك أمكن تعريفه :

أ- **من حيث المبدأ:** أي وفق ما توحي به دلالة الملفوظ، فمفهوم الرأي بحد ذاته يمكن أن يعبر عن حكم فردي مؤكد أو هو يعبر بالعكس عن حكم فردي غير مؤكد و ذاتي، أو هو يعبر عن فكرة مسبقة أو معتقد ما أو هو معبر عن موقف مفكر به سلفا ، وكما يمكن أن يكون ذلك فرديا يمكن أن يكون جماعيا، فالرأي العام بالإضافة إلى كونه تعبير المجتمع عن رأيه و مشاعره وأفكاره ومعتقداته فهو أيضا صورة من صور السلوك الجماعي التي تمخضت عن تفاعل بين أفراد الجماعة، فهو وجود معنوي يمثل انفعال المجتمع ويعكس شحنته النفسية عن أي أمر من أمورها، كما أنه يمثل سلوكا جماعيا أو استجابة هامة لمثيرات اجتماعية في المجال السلوكي الجماعي[52].

ب-**وفق اعتبارات أيديولوجية /ثقافية:** يتحدد تعريف الرأي العام بأنه :

- المحرك الذي يجعل الديموقراطية تتحقق.
- حكم اجتماعي لمجتمع واع في مواجهة قضية هامة بعد مناقشات علنية وعقلانية[53].

وهكذا تتحدد بوضوح حتمية الخوض في نقاش تكوينية مفهوم الرأي العام كمرحلة هامة جدا، لتقييم ومناقشة اللحظة التاريخية التي يعيشها العالم العربي، فيما يرتبط بسيرورة التوسط الإعلامي- الفضائي وأثرها على الجمهور، وأفضل بداية لهذا النقاش في تقديرنا تكون مع فكرة الفضاء العمومي وضرورة الإحاطة إلى حد ما بمشمولاتها.

استخدم فضاء عمومي في أطروحة هابرماس التي نشرت سنة 1962 تحت عنوان الفضاء العمومي: أركيولوجيا الدعاية (الإشهار- الرأي العام) كمكون (بعد تكويني) بنيوي للمجتمع البورجوازي، وقد عرّف ألان لوتورنو Alain Letourneau الذي لخص هذا الكتاب الفضاء العمومي كالآتي: "يتكون الفضاء العمومي من خواص يجتمعون بهدف التداول في مسائل ذات المصلحة المشتركة، وتقوم هذه الفضاءات بدور الوسيط بين المجتمع والدولة عن طريق إشهار هذه المداولات". وهذا الفضاء المفتوح هو فضاء رمزي يعكس حقيقة الديموقراطية التي تعبر عن الآراء والمصالح والأيديولوجيات المختلفة[54].

إن هابرماس في أطروحته هذه "يكشف البنى الإجتماعية التي هيأت تحول الأفراد المستقلين والبورجوازيين بالدرجة الأولى إلى جمهور عمومي، له رأي سياسي وقادر على فرض أحكامه والوقوف في وجه الهيئات الحاكمة، وهو يعتمد في بحثه هذا على تحليلات هيجل وماركس وماكس فيبر حول التحولات الإقتصادية التي كانت مصدرا للنظريات الليبرالية والرأسمالية في المجتمع الأوربي الحديث[55]. ولعل أهم المستخلصات التي تعنينا- من الناحية المبدئية- مما طرحه يورغن هابرماس هو أن الطبقة البورجوازية كانت قوام الفضاء العمومي الذي شخصه هابرماس مفهوما وواقعا، تلكم الطبقة (البورجوازية) هي الطبقة المهيمنة في المجتمع الرأسمالي، وفي النظرية الماركسية يستخدم هذا المصطلح بصورة دائمة في مقابل مصطلح بروليتاريا حيث يشير إلى ملاّك رأس المال المنتج، والشيء الذي يميز الطبقة البورجوازية أن أفرادها لا يحتاجون إلى بيع قوة عملهم لكي يعيشوا[56]. ولعلها المعادل لما يسمى الآن بالطبقة الوسطى وقد ينسحب مفهومها على كبار البيروقراطيين.

إن اللحظة التي أرّخ لها هابرماس حين تناوله لقضية شديدة الإرتباط بالإتصال هي ببساطة لحظة تشكل الدولة بمفهومها الحديث في أوروبا، وهو يعتقد أن الشيء الأهم في مسار الحداثة

السياسية هو التمييز الذي تم في مراحل مختلفة من التطور الإقتصادي والسياسي في أوروبا بين الدولة والمجتمع المدني[57].

وهكذا بات جليا للعيان أننا بصدد مناقشة قضية تتمفصل عنها- ضرورة- مجموعة من القضايا والظواهر التي لابد من الإلمام بها ولو بالحد الأدنى، لكن الأهم أن جميعها مربوط بمرحلة مهمة على الصعيد التاريخي وتاريخ أوروبا تحديدا وهذه المرحلة هي الحداثة. فمن الواضح أن نشوء مفهوم المجتمع المدني على الأقل قياسا على طرح هابرماس جاء في ركاب الدولة الحديثة (تشكلها)، واستخدم المصطلح من طرف عديد الفلاسفة الذين واكبوا بشكل أو بآخر مرحلة فلسفة الأنوار وربما كان بعضهم من روادها، وقد نظر كل من هيجل وماركس إلى مفهوم المجتمع المدني من منظور منظومة الحاجات (الإقتصادية)، وخالفهم في ذلك هابرماس حين اعتبر موضوع التبادل العلائقي المتدفق ضمن الفضاء العمومي ليس اقتصاديا وحسب، بل يمتد ليشمل الأخبار والآراء والإنطباعات والمشاعر. وهو (أي هابرماس) في إطار مخالفته هذه يقترح تعريفا لمفهوم المجتمع المدني يشير إلى "الجمعيات، المنظمات، والحركات التي تستقبل، تركز وتعكس بواسطة التضخيم صدى المشاكل الإجتماعية في فضاءات الحياة الخاصة، إن جوهر المجتمع المدني مشكل إذن من نسيج جمعوي يمأسس في إطار الفضاءات العمومية المنظمة النقاشات التي تهدف إلى حل المشاكل الناشئة التي تخص مواضيع الصالح العام[58]. ويقول هابرماس إن وظائف المجتمع المدني تعني لدى غرامشي الرأي العام غير الرسمي أي الذي لا يخضع لسلطة الدولة، وفي ذلك تأثر لغرامشي بماركس حين مناقشته لنقاشات البرلمان التي هي مصدر عيشه حسب تعبير ماركس[59]. تحيل فكرة المجتمع المدني إذن إلى ظاهرة الرأي العام التي اتضح أنها بعد بنيوي للطبقة البورجوازية، التي أصبحت تبعا لذلك (أي تحولت) إلى جمهور عمومي بإزاء الدولة، يخوض غمار السياسة من أجل الحد من تأثير السلطة السياسية والمحافظة على الإستقلال الخاص، هذا الأخير الذي بني عليه النظام الضريبي كأساس اقتصادي للدولة. وفي غمرة هذه السلسلة من المترابطات جميعها لا ينبغي بأي حال أن نغفل عن حلقة جد هامة فيها وهي المسماة بثورة الاتصال الثانية [60]، مجسدة في ظهور الطباعة، وما أحدثه ذلك من مفاعيل على صعد الحياة المختلفة لاسيما منها السياسي والديني، فقد ساهم ظهور الطباعة في نشأة وتطور وكذا إذكاء روح النقاش(فيما بعد) للطبقة البورجوازية، وكان

من أعظم ما نعتبره إنجازا لانتشار الطباعة حركة الإصلاح الديني التي ولدت البروتستانتية وما ترتب عن ذلك مما سمي بالحروب الدينية في أوروبا والتي تمخض عنها ظهور الدولة القومية، وبذور لما سمي بالنظام الدولي بعد اتفاق وستفاليا الشهير. وفي هذا السياق "يركز ماكس فيبر في تحليله للدولة على ظاهرتي العنف والإدارة البيروقراطية، فقد بين أن الإنفصال عن النظام الإقطاعي كان بالأساس نتيجة لتركيز السلطات العسكرية، وذلك بالاعتماد على جيش لا يتوقف على علاقات الولاء بل على الأجر المنتظم الذي يقدمه الحاكم"[61]، وهنا تبرز فكرة ماكس فيبر عن العنف المادي المشروع بمعنى الذي تحتكره الدولة فقط من حيث هي نظام للقوة، كما تبرز فكرة أخرى لها أهميتها ضمن النموذج التفسيري المركب لدى ماكس فيبر حيال التغييرات التي حصلت، وهي فكرة الترشيد أو العقلنة المرتبطة بالرأسمالية، المرحلة المعبرة عن استعادة المدينة في النسق الغربي لسطوتها وسيطرتها وانتقالها بذلك من الهامش (في ظل النظام الإقطاعي) إلى المركز، حيث تبلورت بشكل ما الطبقة البورجوازية ومعها الدولة القومية الحديثة أو الدولة– الأمة كبناء سياسي يجمع بين الإطار القانوني والإنتماء العرقي، بمعنى دولة مواطنيها، وقد أدرك فيبر أن الترشيد (في النهاية) يحد من الحرية الفردية ويحول المجتمع إلى قفص حديدي.. وقد وردت تنويعات على عبارة القفص الحديدي في كتابات جورج لوكاتش وجورج زيميل، كما أن صورة العالم كقفص حديدي صورة متواترة في الأدب الحداثي[62]. ويتصل مع هذا الطرح ما قدمته "حنة آرنت" حول تآكل الفضاء العمومي مع تنامي الثقافة الإستهلاكية[63]، التي تصاحب ولاشك في نظرنا معضلة فقدان المعنى وسؤال أين الحقيقة؟ يضاف إلى جملة ما أدركه ماكس فيبر وشكل نموذجه التفسيري المركب من تحليلات في أهم كتبه وهو "الأخلاق البروتستانتية والفكر الرأسمالي" الذي لاقى نقدا معتبرا، ليس فقط من أجل مخالفته الصريحة لأطروحة ماركس حول أولوية الاقتصادي على الفكري ، فقد ربط فيبر بين نمو البروتستانتية وانتشارها وكونها محضنا للفكرة الرأسمالية والنشاط الرأسمالي وبالتالي لعمليات الترشيد ومن ثم العلمنة. يبدي يورغن هابرماس نوعا من التفاؤل حين يتبنى الطرح المتمركز حول العقلنة كسمة ملازمة للتعامل الإنساني، لكنه في الآن نفسه يفرق بين ما يسمى بالسلطة الإتصالية والسلطة الإدارية، من منطلق أن السلطة بالنسبة له لا تتعلق بتنظيم النسق السياسي وإنما هي سلطة متكونة من إرادة حرّة لمجموع المواطنين، الذين يمارسونها في إطار علائقي تواصلي، وتقع السلطة الإتصالية خارج حدود كل أنواع الإكراهات والإخضاع وهي

تحتاج حسب تقديره لفضاء عام ومستقل كي تتحقق في إطاره، كونه في هذا الفضاء يصنع الرأي العام وتتبلور الإرادة السياسية، وهو المصدر والمنبع الأساس للديموقراطية والشرعية والإرادة الحرة للمواطنين الذين يؤسسونه، فهو فضاء لا يخضع لوصاية أو ولاية الدولة، إنه تجمع إرادي وحر يتخذ أشكالا متعددة (جمعيات، مبادرات مدنية، حركات رفض واحتجاج..)، وهذه التجمعات الحرة والإرادية هي التي تؤسس السلطة الإتصالية والفعل الإتصالي، في حين تمارس السلطة الإدارية في حقول الإخضاع والتراتب (ماكس فيبر)، ولذلك فالمتحكم في السياسة هي الفعالية والعقلانية الممأسسة، في حين أن السلطة الإتصالية تعني ممارسة الضغط والفعل على سيرورة اتخاذ القرار وتكوين الأحكام وتشكيل التصورات، وبذا فإن الرأي العام يتشكل ضمن التمفصل بين فضاء الحوار والنقاش وفضاءات اتخاذ القرار[64]. إن مفهوم هابرماس حول السلطة الإتصالية مستند على مفهوم العقل التواصلي لديه والمعتمد على مبادئ :

- **أخلاقيات الحوار والمناقشة** : اللغة (النظرية الحجاجية) كمعيار للإنتساب الإجتماعي.
- **العقلانية التواصلية:** المستندة إلى الخلفية الكانطية (كانط) حول التنوير ونقد العقل الخالص.
- **الإشهار:** ومضمونه ممارسة التفكير على الأشهاد كي يتم التمييز بين ما هو عقلاني وما هو غير عقلاني[65].

تأخذنا أفكار هابرماس حول الفضاء العمومي إلى التفكير في مشكلة الحقيقة في حد ذاتها، واعتبار الرأي العام هو الحقيقة التي تفرزها الديموقراطية التشاورية، والفيصل في ذلك كلّه هو مؤسسة اللغة. ولا ندري والحال هذه هل انتبه يورغن هابرماس إلى مقدار التلاعبات التي عادة ما تطرأ وتسري على الحدث الخطابي الإنساني. فقد انتبه والتر ليبمان–على الأقل– إلى هذه المشكلة، وهو انتباه رجل خبر الحياة والعمل ضمن نسق السلطتين الإتصالية والإدارية (بالمفهوم الروتيني) في الولايات المتحدة الأمريكية، التي من المفترض أنها النموذج المحتذى على صعيد الحريات وفعالية الرأي العام. اكتشف ليبمان مقدار التلاعب بوسائل اللغة على مستوى أجهزة الترميز المتوافرة آن ذاك والمنتجة للخطاب الإعلامي الذي أضحى الصانع الأساسي للرأي العام، وتحدث من هذا المنطلق عن الصحافة كبيئات زائفة تماما مثلما تحدث عن وهم الرأي العام، الذي لن يكون

في مقدوره مطلقا استيعاب تعرجات السياسة وملتوياتها، وهنا وكمحصلة ترجح كفة أطروحة القفص الحديدي من الناحية التحليلية على كفة الفعل التواصلي.

ثانيا: محددات صناعة القرار في الوطن العربي و مآلاتها.

بعيدا عن المعاني الحرفية للكلمات فإن كلا من الرأي العام والفضاء العمومي هي مفاهيم حداثوية بامتياز، والعرب–عموما– لم يدخلوا مرحلة الحداثة وإن استخدموا أدواتها، وبناء على هذا الأساس ينبغي توخي الكثير من الحذر حين استخدام هذه المصطلحات في السياق العربي. فهل يعني هذا في المحصلة أنه لا وجود فعلي لعوالم ومباني رمزية وهيكلية من قبيل: الرأي العام، المجتمع المدني، الفضاء العام، في الوطن العربي؟

من البداية نقول وبالقطع أيضا أن هذه المسميات جميعها لها مدلولاتها بشكل أو بآخر في العالم العربي والإسلامي ومنذ القدم أيضا، وهو وجود (لهذه المسميات) متكيف مع طبيعة الدولة السائدة في كل حقبة زمنية، ونعتقد أن أرقى مراحل تمظهر طوبوغرافيا الفضاء العمومي فيما سلف تجلت بوضوح خلال دولة الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)، التي حكمها بنو أمية لفترة معتبرة من الزمن، حيث لم تكن تلكم الدولة عصبوية بالمعنى الخالص للكلمة، وإن كانت كما يتم توصيفها اليوم في الأدبيات البحثية المعاصرة بالدولة السلالية، فإن لها سياقها الذي يجب أن تدرس ضمنه، كيما يتبين بوضوح معالم المجتمع المدني آن ذاك وحدود آثاره في صناعة القرار السياسي، الذي لم يكن البتة يهمل رأي عموم الرعية، هذه الأخيرة التي هاجت بالحكام في أواخر أيام ما سمي بالدولة العامرية كآخر مرحلة لحكم بني أمية، حيث ضاقت الرعية باستبداد وطغيان ما سمي بالحرس العامري آن ذاك، وقد انجر عن ذلك في آخر المطاف انفراط عقد الدولة وتشكل ما سمي –تاريخيا– بدويلات ملوك الطوائف.

ولعلنا بعد هذا التحليل المقتضب المستند على الواقع التاريخي نقارب وضعا شبيها به يمر به العالم العربي في هذه الأيام، وهو ما سادت تسميته إعلاميا بـــ "الربيع العربي"، الذي انطلقت أحداثه من تونس بعد حرق الشاب محمد البوعزيزي لنفسه ووفاته إثر ذلك، حيث تمثل هذه الحالة ردّة فعل مؤلمة جدا على المستويين المادي والمعنوي على الظلم المتراكم اجتماعيا وسياسيا

واقتصاديا، من طرف الحاكم ممثلا في شخص الرئيس، على المحكوم ممثلا في عموم الشعب التونسي، وقد قامت على إثر هذه الحادثة حركة احتجاجية امتدت تدريجيا في عموم تونس، لتتحول إلى انتفاضة عارمة مركزها وسط العاصمة التونسية، وامتدت لأيام خلال شهر ديسمبر 2010 تخللتها مواجهات عنيفة مع قوات الأمن (الشرطة) وانتهت بتاريخ 2011/01/14، بهروب الرئيس التونسي من البلاد، والدخول في مرحلة انتقالية ثم حالة من عدم الإستقرار النسبي على المستويين السياسي والإقتصادي وبروز ظاهرة الإرهاب والإغتيالات السياسية. لم تقف الإحتجاجات المطلبية التي سرعان ما تتحول إلى انتفاضات مطالبة بإسقاط النظام (الرئيس غالبا) عند حدود تونس، إذ سرعان ما امتدت إلى مصر وليبيا وسوريا واليمن، وبشكل محدود في كل من المغرب والبحرين ثم العراق بشكل من الخصوصية، والمحصلة الأبرز لكل الأحداث والتداعيات التي انطلقت مطلع سنة 2011 هو:

- حرب أهلية بمفاعيل دولية وإقليمية في كل من سوريا واليمن، وتتخذ لها في كثير من الأحيان عناوين طائفية.
- حرب أهلية في ليبيا، وتهلهل مقومات وجود الدولة، مع حضور دائم للعامل الإقليمي والدولي (الإستعماري) المتدخل من البداية حيث تم إسقاط حكم الرئيس الليبي بمساعدة فعالة من طرف حلف شمال الأطلسي (الناتو).

لقد اعتبر"مارك لينش" أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة جورج واشنطن بأن أحد التغيرات الهيكلية المهمة التي مهدت للربيع العربي وواكبته هو التغيير الهيكلي في الفضاء العام العربي، حيث أضعفت تكنولوجيا الإتصال قدرة النظم على التحكم في حركة المعلومات أو تغييرها بما يناسبها[66]. إن هذا الباحث كان أول من استخدم وصف الربيع العربي على الأحداث التي عرفت تونس انطلاقتها، لكن الغريب والأبرز– وهو ما يجب على البحث الإمبريقي أن يأخذه على محمل الجدية– هو توقيت وصف هذا الباحث للأحداث في العالم العربي وكذلك نوعية هذا التوصيف، فقد كتب مارك لينش مقالا بعنوان : "الربيع العربي الأوبامي" في مجلة سياسة خارجية بتاريخ 2011/01/06، أي بعد مدة وجيزة جدا على بداية الإحتجاجات حيث لم تتمخض عنها بعد نتيجة واضحة[67]. ثم إن حضور العامل الدولي (الإستعماري) موحى به صراحة في عنوان مقالة

الباحث المذكور، رغم أننا قد لا نحتاج لإيحاءات مارك لينش لنفهم كما ينبغي ما الذي حدث ويحدث في العالم العربي من محيطه إلى خليجه.

لقد كان الحراك الشعبي الذي عرفه الوطن العربي تزامنا مع مطلع سنة 2011، إفرازا لرأي عام (بمعناه الحرفي على الأقل) يندرج- في تقديرنا- ضمن إحدى الأنواع التالية للرأي العام في علاقته بالسلطة:

1- نمط الخضوع والإستكانة إلى درجة السكون والجمود.
2- نمط الرفض والعصيان السياسي الذي يصل إلى درجة الخروج و الثورة.
3- نمط الترقب والتحفز والإنتظار[68].

وهذه الأنواع تدفعنا بإلحاح ومن جديد كيما نفكر في النظام الرسمي العربي وفق مفهوم بنية الإستبداد، إلا أن هذا المفهوم لا يمكن بأي حال أن يفسر بمفرده حالة الدولة-الأمة العربية إذا لم يعضد بمفهوم مابعد الكولونيالية.

هذان المفهومان في رأينا سيكونان خير معين لتوصيف ومن ثم تفسير أي حراك مهما كان نوعه على الساحة العربية، وفي ضوئهما يجب فهم و قبل ذلك تحليل ما قاله مارك لينش بخصوص ما أسماه بـــ الربيع العربي، كنتيجة لأهم التغيرات في المنطقة العربية، وهو التغير الهيكلي في الفضاء العام العربي بسبب طغيان تكنولوجيا الإتصال وما أفرزته من تدفق غير مسبوق للمعلومات.

أ- بنية الإستبداد (الدولة كنظام للقوة المستحصلة لصالح الفاعلين السياسيين الأساسيين).

يأخذ هذا الفهم للدولة من نموذج ماكس فيبر لكنه يزيد عليه في شدة البأس من حيث استخدام السلطة وحمايتها حتى يقترب من نموذج إرادة القوة لفريدريك نيتشه، ولذلك عادة ما يعتبر مصدر الحقيقة-مثلا- في المذهب السلطوي هو الحاكم حيث يسمى الخبر الصحفي هنا بخبر المواقع وليس خبر الوقائع. وسنستفيد ضمن السياق التحليلي المتواجدين ضمنه من دراسة ميدانية من منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، وخاصة بكيفية صناعة القرار في الوطن العربي[69]، وقد نشرت هذه الدراسة قبل أحداث ما سمي بالربيع العربي بأشهر قليلة، حيث تضمنت دراسة حالة لإحدى عشرة

دولة عربية، ويتبين من نتائجها محدودية إمكانية الحديث عن فضاء عام عربي أو رأي عام عربي بالمعنى الحديث، فضلا عن طبيعة وجودهما في حد ذاتها، كما أنه ستتوضح إلى حد بعيد طبيعة الظروف التي هيأت وأدت في النهاية إلى انخراط قطاعات واسعة من الشعوب العربية في الحركات الإحتجاجية المطلبية، التي تدحرجت لتتحول سريعا (إثر مفاعيل معينة) إلى انتفاضات تطالب بإسقاط أنظمة الحكم أو الرؤساء على أقل تقدير. بل إن فعل المطالبة بإسقاط الرئيس الذي ساد خلال فترة الإنتفاضات المنطلقة مع بداية 2011 له دلالته، ذلك أن أطراف صنع القرار في العالم العربي تتمحور أساسا– حسب الدراسة الميدانية التي أشرنا إليها– حول دور الرئيس الذي تمنح له صلاحيات واسعة في الدستور، يضاف إليها جملة القرارات الفردية التي عادة ما يتخذها الرئيس في العالم العربي، حيث لا تكتسي صبغة دستورية ولا شورية، مثل قرار احتلال الكويت من طرف الرئيس صدام حسين وقرار أنور السادات زيارة القدس المحتلة وخطابه الشهير بعدها في الكنيست الإسرائيلي، وعموما يتجلى الدور المحوري للرئيس في صنع القرار في الوطن العربي من خلال :

- صلاحيات واسعة.
- قرارات فردية.
- قرارات بشراكة مع نواب، منظرين، بيروقراطيين، أفراد الأسرة، بيروقراطيين كبار[70].

والملمح الثاني في صناعة القرار عربيا، والذي نتج ضرورة عن سعة وقوة صلاحيات الرئيس هو محدودية دور البرلمان، فهذا الأخير ليس له ولم يعد له كبير أثر في بلورة قرارات ملفتة على مختلف الأصعدة، ولعل الملفت بعد تراجع دور البرلمان أو غيابه من الأساس هو تزايد دور أبناء الرؤساء أو أقاربهم على الأقل في عملية صنع القرار، وفق ما تطلعنا عليه الدراسة المذكورة، والسمة البارزة لهؤلاء الأبناء هي انفتاحهم على الثقافة الغربية الذي تم مبدئيا من خلال دراستهم بالدول الغربية، أو على الأقل حصولهم على تأهيل علمي غربي، ويأتي ذلك في إطار إعدادهم لكي يكونوا محاورين جيدين للغرب الذي يفترض أن يتقبلهم في الحكم[71] (مفهوم ما بعد الكولونيالية).

إن محورية دور الرئيس في صنع القرار في الدول العربية لا يلغي البتة ولا يهمش دور المؤسسة العسكرية (مرتكز نظام القوة في الدولة العربية)، فالرئيس هو في الغالب ابن المؤسسة أو محط إجماعها ورضاها، لكن اللافت أن النظام الرسمي العربي شهد تحولات متباينة الدرجات على مستواه الإقليمي خاصة في الفترة قبيل أحداث ما سمي بالربيع العربي منها :

- التراجع النسبي في دور الجيش وبروز دور رجال الأعمال.
- صعود الحركات الإحتجاجية مقارنة بالأحزاب والجمعيات وترافق هذا مع ضعف الأحزاب وتلاشي مقدرتها التعبوية، وتبجيل الولاءات الطائفية والقبلية، بالإضافة إلى القيود على إنشاء بعض الأحزاب السياسية.
- تعدد الفاعلين ذوي الخلفية الدينية.
- ما يسمى بالفاعلين الجدد ممثلين في:المرأة، الفضائيات، الغوغاء[72].

وفي المحصلة توصف عملية صنع القرار في الوطن العربي حسب المؤشرات السابق ذكرها بـــ:

1- العشوائية.

2- سوء اختيار التوقيت.

3- عدم الخضوع للتشاور إلا في الحد الأدنى.

4- عدم الإستجابة للضغوط الشعبية إلا في الحد الأدنى.

5- عدم المؤسسية.

6- فقدان المصداقية[73].

وهذه جميعها مؤشرات تجعل من العسير الحديث عن فضاء عمومي عربي أو رأي عام بالمعنى الحداثي للكلمة، كما أنه من المفيد التذكير في هذه اللحظة بالذات بأنه لا يمكن القياس إلى حد المطابقة بين وضع صناعة القرار عربيا ومآلات هذا الوضع في القرن 21 للميلاد، وبين الوضع الذي أوردنا في البداية بخصوص انهيار الدولة (الأموية) في الأندلس وميلاد عصر ملوك الطوائف، إثر الإحتجاجات العارمة لما كان يسمى آن ذاك بالرعية، ومكمن الخلاف الأساسي متمثل

في مفهوم مابعد الكولونيالية الذي ليس له أي معنى تفسيري كلما أوغلنا رجوعا في تاريخ الدولة العربية- الإسلامية، بينما تزداد قوته التوصيفية والتفسيرية للدولة العربية والدول ذات الغالبية المسلمة بداية من منتصف القرن العشرين إلى غاية يومنا هذا.

ب- **ما بعد الكولونيالية (نظام قوة العقل الأداتي).**

نعتقد أنه لا يمكن بالمطلق فهم حقيقة القرارات العربية ومآلاتها لاسيما المصيرية منها والحاسمة، بالإسترشاد فقط بنماذج نظرية تسم النظام الرسمي العربي بالاستبداد، بل إن بنية الإستبداد ذاتها في الحالة العربية لا يمكن مقاربتها حصرا ضمن سياق الوجود الجغرافي-السياسي العربي، وذلك منذ بداية ما سمي بحركات التحرر الوطنية وإلى يومنا هذا ، وبإمكاننا أن ندلل على بعض من هذه الحالة من خلال محاولة بسيطة للإحاطة ببعض الإرتباطات الخاصة بعينة من القرارات اتخذت على الساحة العربية وكانت مصيرية وحاسمة في تاريخ الوجود العربي، وهنا تحديدا نذكر:

- قرار الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين بغزو الكويت.
- قرار الرئيس المصري الأسبق أنور السادات بزيارة القدس المحتلة.

لقد قاربت الدراسة الميدانية التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية وأوردناها سابقا هذين القرارين بوسمهما بالإنفرادية، وهي السمة اللاحقة والمضافة لسعة وقوة صلاحيات الرئيس في المنطقة العربية، والمؤدية إلى ضعف ومحدودية دور البرلمان كتحصيل حاصل، فالبرلمان المصري مثلا لم يع أو يفهم شيئا من خطاب السادات الذي تضمن قراره آن ذاك الاستعداد لزيارة القدس المحتلة. لكن التدقيق في الموقفين جيدا من خلال استحضار وإعمال فعال لأدوات البحث العلمي يجعلنا نعيد النظر في تقييمهما والخروج من ثم بنتائج نرى أنها أكثر واقعية.

فبخصوص قرار غزو الكويت الذي كان له تداعيات على المنطقة العربية مازالت ماثلة إلى الآن، فإن الرئيس العراقي كان قد استدعى آن ذاك السفيرة الأمريكية "إبريل غلاسبي"، واجتمع بها بحضور وزير خارجيته وتناقشا مركزيا حول الأزمة مع الكويت، حيث أراد الرئيس العراقي معرفة نوايا الولايات المتحدة الأمريكية إن هو تحرك عسكريا تجاه الكويت، وقد ورد على لسان

السفيرة مثلما ثبت في إحدى البرقيات الدبلوماسية المسربة التي نشرها موقع ويكي ليكس أن صدام حسين يعترف بأن لحكومة أميركا مسؤولية في المنطقة، ولديها الحق في أن تتوقع إجابة من العراق عندما تسأله عن نواياه[74]. يضاف إلى هذا طبيعة شخصية هذه السفيرة في حد ذاتها التي تعتبر خبيرة في الشؤون العربية، ولها خلفية أكاديمية وحتى عائلية في هذا الشأن، ولعل لهذا الأمر علاقة بما عرف فيما بعد بأنه فخ نصبته الولايات المتحدة للرئيس العراقي لاستدراجه إلى حرب الكويت، خاصة بعد تأكيد هذه السفيرة خلال لقائها بالرئيس صدام حسين ألاّ دخل لأميركا بصراع عربي عربي.

أما بخصوص قرار أنور السادات الشهير والمفاجئ بزيارة القدس المحتلة فقد ثبت من خلال السياسي المصري والأممي بطرس غالي، أن ثلاث شخصيات فقط كانت على علم مسبق بقرار السادات، وأولها–مثلما ذكر– هو السفير الأمريكي "هيرمان آيليتس"[75]، وهذا السفير هو أيضا شخصية متميزة أكاديميا ودبلوماسيا وربطته علاقة صداقة مع الرئيس المصري أنور السادات الذي كان يخاطب أيضا "هنري كيسنجر" بالصديق العزيز[76].

وقد تلقى هذا الأخير مساعدات من هيرمان آيليتس في دبلوماسيته المكوكية التي أعقبت حرب رمضان–أكتوبر 1973، ثم إن كلاهما ألماني وخدم في المخابرات العسكرية الأمريكية في نفس الفترة.

إن البحث الإمبريقي السليم لا يمكن البتة أن يغفل أو يتغافل عن أخذ هذه المؤشرات الميدانية في الحسبان حين تقييمه لجميع مخرجات النظام الرسمي العربي، لأن لها أثرا وإن خفا على الكثيرين في صناعة القرار بل وفي صناعة بيئة القرار في حد ذاتها، ونحن نربط هذا مع ما قاله "مارك لينش" حين تحدث عن التغيرات الهيكلية في الفضاء العام العربي والتي كانت سببا قويا ووجيها في انطلاقة أحداث ما سماه بالربيع العربي، وقد أكد لينش مثلما أوردنا سابقا أن جملة التغييرات الهيكلية التي حدثت لطوبوغرافيا الفضاء العمومي العربي كانت نتاج سيرورة الإعلام الجديد، هذا الأخير الذي تمكن من كسر حواجز القفص الحديدي لنظام قوة بنية الإستبداد بتعبيرنا نحن، وبتعبيرنا أيضا نقول وفي المقابل أيضا بأنه لا يجب التساهل في مقاربة موجات الإعلام

الجديد التي تجتاح الحدود العربية من منطلق القوة الناعمة، التي اعتبرت من طرف "جوزيف س ناي" وسيلة للنجاح في السياسة الدولية[77].

لقد كان "مارك لينش" من أوائل من كتب بعمق عن دور الإعلام الجديد في إعادة صوغ الفضاء السياسي العربي، وفضلا عن ذلك فهو يتميز بكونه خبيرا في شؤون العالم العربي، لكن المثير فعلا هو كونه مقربا من الرئيس الأمريكي باراك أوباما وقد كان أحد أقطاب حملته الإنتخابية، والأغرب من هذا جميعا هو تواجده على الأرض في ميدان التحرير وغيره وصلته المباشرة بما عرف آن ذاك بالثوار[78] ويذكرنا هذا الوضع بآخر شبيه به ويتعلق بالفيلسوف الفرنسي–الصهيوني برنارد هنري ليفي الذي تواجد مع من سمي بالثوار في ليبيا وفي جبهات القتال. إن هذه جميعها مؤشرات تدعونا إلى الاتفاق مع مؤلف كتاب: الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير في أنه لا يجوز للعقل العربي نفي أو تأكيد أي قراءة تفسيرية للحراك العربي قبل الإطلاع التفصيلي على مجموعة الوثائق والمستندات ذات الصلة، و كأمثلة عليها:

1- وثيقة الأمن القومي الأمريكي الصادرة عام 2010.
2- وثيقة تعزيز قيادة الولايات المتحدة الأمريكية للعالم وأولويات دفاع القرن21.
3- وثيقة وزارة الخارجية الأمريكية لحكم الدول في القرن 21 الصادرة عام 2010.
4- دراسة معهد السلام الأميركي لتعزيز اللأمن والديموقراطية في الشرق الأوسط الصادرة عام 2010 (وضعت مخططا للإصلاح السياسي لكل الدول العربية).
5- وثيقة تقديرات مستقبل العالم حتى عام 2025 الصادرة عام 2009 عن مجلس المخابرات القومية الأمريكية NIC (تنبؤات بالتحولات العربية).
6- وثائق مؤتمر مبادرة أمريكا والعالم الإسلامي 2002-2010 (مقرها الدوحة).
7- دراسات مؤسسة البحوث الدفاعية الأمريكية RAND حول الإسلام المعتدل 2007.
8- التعميم الرئاسي الأميركي رقم 11 بعنوان "مشروع الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا" وصدر في 2010/08/12 (قبل الثورات ب 4 أشهر).
9- إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية للتوجه نحو آسيا والباسفيك 2010.
10- وثائق مشروع الجيل الجديد.

11- تكتيكات الكفاح السلمي باللاعنف والثورات الناعمة والملونة (198 تكتيكا).
12- منتدى المستقبل العربي تحت رعاية الخارجية الأمريكية (الدوحة 2006، وبودابست بهنغاريا 2010).
13- تأسيس قطر أكاديمية التغيير ومركزها الدوحة وتدريبها آلاف الناشطين العرب ويقودها د.هشام مرسي.
14- ملف وثائق فرق القناصة المتخصصة بقتل المتظاهرين لإشعال الثورة في تونس.

وهناك وثائق عديدة أخرى[79].

لعله من المفيد في النهاية التأكيد على أن واقع ما يمكن تسميته بالرأي العام العربي وآليات صناعة هذا الرأي من حيث هو مجموعة من الصور(التصورات) تخلقها المعلومات عن الواقع، لا يمكن أن يتم التفكير فيه على نحو سليم إلا عبر إطار أزمة العقل العربي التي امتدت في الزمان لأسباب عديدة، ونعتبر أن منشأ هذه الأزمة واضح وهو مشكلة ثقافة استدعت تدخلا استعماريا، أصبح بدوره بمرور الوقت مرضا مزمنا، ومشكلة الثقافة تتمظهر في النهاية من خلال الإنحرافات السلوكية، وليس الرأي العام سوى ظاهرة نفسية-سلوكية، وهذا الإطار التحليلي يشمل كذلك عملية التوسط الإعلامي في المنطقة العربية، من حيث هي عامل نشيط وفعال في صناعة الرأي العام (التصورات)، كما يشمل طوبوغرافيا الفضاء العمومي التي أصبحت ببساطة عرضة لإغراءات وإغواءات منطق إعلامي جديد، معبر ضمنيا عن نظام جديد لقوة العقل الأداتي، وعليه أمكن القول أن أزمة الفضاء العمومي العربي المترتبة عن أزمة العقل العربي هي نتاج تأثير:

- السلطة الإدارية ممثلة في نظام قوة بنية الإستبداد (العربي).
- السلطة الإتصالية ممثلة في عقلانية القفص الحديدي (الغربي).

المطلب الثاني: الفضائيات الإخبارية العربية.

يمكن فهم نشوء ظاهرة الفضائيات العربية (عموما) لاسيما منها الإخبارية على أنها تجسد تراجعا لمشروع دانييل ليرنر[80]، لصالح ضرورة فهم السياق وأخذه بعين الإعتبار، بغية إجراء أي عملية تحديثية لدول ما سمي بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهي التي نسميها نحن بالعالم العربي،

وذلك لإلحاقها- ببساطة- بالعالم الغربي، هذا الإلحاق الذي يترجم في عملية الإنفتاح اللامشروط على العالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتالي الرضوخ لمتطلبات العولمة، وهذا الإنفتاح والرضوخ لا يتنافيان أو يتعارضان مع مفهوم هيمنة الفاعلين السياسيين في الدولة العربية.

إن فكرة التخصص الإعلامي في حد ذاتها في سياق عالم الفضائيات العربية تعتبر انعكاسا لتنامي ظاهرة تكنولوجيا الإتصال من جهة، ومن جهة أخرى تنامي رأس المال والفعل التمويلي للمشاريع الإعلامية، وهذه الفضائيات المتخصصة (على غرار غيرها) تتمتع بفاعلية مؤثرات تطال أوسع مجال من الحواس ومن المحرضات التي تعني ثقافة ما، سيكولوجية ما، ظروفا ما، لا يقتصر دورها فقط على تفكيك المشاهد لشيفرات الرسالة بل على إعادة تركيبها كل على طريقته، كما وتتم عملية إعادة التركيب هذه بروح نقدية لكن وفق عوامل متجذرة في واقع المشاهد، فإذا تفحصنا هذا الواقع وجدناه مرتهنا لجملة من المصاعب:

- الإحتلالات.
- الحروب.
- الديكتاتوريات.

هذه العوامل جميعا تتحالف لإعاقة التنمية، تحالفا يقع في لب (أساس) الإستراتيجية الإعلامية، ومن هذا المنطلق يصبح الخطاب الإعلامي الإخباري العربي مرتهنا للنظم الحاكمة (في الحالة العمومية) أو مرتهنا لرأس المال المعولم الذي ينتمي أغلب أفراده إلى الأسر الحاكمة[81]، أو شخصيات مرتبطة على نحو ما بمراكز صنع القرار في الدولة. وفي كلتا الحالتين فإننا نعتقد أن صياغة واقع الفضائيات الإخبارية العربية حتى وإن حدّدته بصفة مباشرة عوامل إقليمية متعلقة بظروف النظام الرسمي العربي الداخلية والخارجية، فإن المحددّ الأكبر والأوسع متعلق بطبيعة الإندماج في النظام العالمي الجديد وبالتالي التحول نحو مجتمع المعلومات، والذي ترتب عنه حسبما يبدو وكمحصلة إسناد أدوار للنظام الرسمي العربي أو بعض وحداته من حيث هو نظام إقليمي، وفي مستطاعنا من الناحية العلمية فهم ظهور الفضائيات الإخبارية وطبيعة قراراتها الإعلامية جلّها، من منطلق الأدوار الممنوحة للنظم التي تنشط في سياقها أو تشكل هي ذراعا أيديولوجية لها.

لقد تضاعف عدد القنوات الفضائية الإخبارية العربية مع مرور السنوات ووصل إلى 68 قناة منها 4 قنوات تنتمي إلى القطاع العام، في حين يمتلك القطاع الخاص 64 قناة[82]، وهو تكاثر ترافق مع الزيادة المتواصلة في عدد الفضائيات العربية على اختلاف مجالات اهتمامها. لكننا نعود لنؤكد في سياق ما تقدم من طرح أن هذا المشهد الإعلامي الفضائي العربي الذي سمته التكاثر المتسارع، لا يخرج بأي حال عن خط وسائل الإتصال العولمية التي أصبحت متعددة الجنسيات ورأسمالية عابرة للحدود الوطنية، "حيث تتوزع الملكية الخاصة لوسائل الإتصال هذه على دوائر تتشكل وفق التصنيف التراتبي الذي وصفه إدوارد س.هيرمان وروبرت و.ماكشيسني للمؤسسات التي تسيطر على هذا النظام العولمي لوسائل الإعلام التجارية [83]، حيث يوزعانها على ثلاثة دوائر مختلفة تنتظم في تراتبية دقيقة، لكنها تتصل إحداها بالأخرى عبر عدد من الشركات المختلطة والأحلاف التي تؤدي إلى ولادة كارتل عولمي حقيقي لوسائل الإعلام، وهذه الدوائر هي :

1- المجموعات العولمية الحقيقية التي إن لم تكن كلها أمريكية بالضرورة، فإن لها جميعا مراكز قوية في الولايات المتحدة الأمريكية.
2- ثلاثة عشر من وسائل الإعلام المهمة جدّا التي تتدخل على ساحة السوق الإقليمية أو على بعض قطاعات النظام العولمي للزبائن المفضلين لدى شركات الدائرة الأولى، الحريصة على اختراق الأسواق الإقليمية.
3- مئات الشركات النافذة التي تسيطر على الأسواق الداخلية والتي تقدم خدمات لشركات الدائرتين الأوليين[84].

إن هذه الدوائر تعبر في تقديرنا وبدرجة مصداقية كبيرة على ما أسميناه بعقلانية القفص الحديدي، التي تعمل جاهدة لتوجيه أي عملية تغيير قد يضطلع بها الإعلام الفضائي الإخباري العربي، وكان من الطبيعي أن تخلف هذه الوضعية على الجانب العربي تحديدا لا عقلانية استبدادية غيرت من ملامحها مرّات عدة، كان آخرها المرحلة التي نعيشها ونصطلح على تسميتها بالمرحلة الليبرالية-الإستهلاكية، فضمن هذه المرحلة نشأت الفضائيات الإخبارية العربية وجسدت حالة من تقاطع السياسي بالإعلامي مرت هي الأخرى بمراحل عدة، والملفت في هذا أن الحرب العدوانية على العراق شكلت دوما العامل الفارق، فالفضائية المصرية الرسمية التي انطلقت وكانت الأولى

عربيا حيث اكتست طابعا إخباريا جاء ظهورها في سياق حرب الخليج الثانية، وقد انطلقت قبيل الحرب بمدة وجيزة، وتعبر مثلما تذهب إليه الباحثة حياة الحويك عن استعادة مصر لدورها الريادي في العالم العربي، وقد استعيد هذا الدور في إطار ما سمي بالتحالف الدولي (العسكري)، الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية ضد العراق بزعم تحرير الكويت أواخر العام 1990، ويجدر التذكير أن مصر كانت قد أقصيت من فعاليات النظام الإقليمي العربي بسبب اتفاقية كامب ديفيد مع "إسرائيل" والظروف العامة التي أدت إليها. ولم تمض مدة طويلة حتى أطلقت السعودية قناة MBC كمنافس للفضائية المصرية الناشئة مثلما حدد ذلك مديرها العام آن ذاك[85]، بما يعكس فعلا تنافس مصريا- سعوديا على قيادة النظام الإقليمي العربي بعد تدهور أحوال العراق وانحسار الشأن السوري. و"قد تبوأت mbc مركزا هاما في تغطية الأخبار، وكانت الأولى عربيا التي تفتح لها مكتبا خاصا في القدس (المحتلة)، كما أن هذه القناة غطت الأحداث التي كثيرا ما تتجاهلها الفضائيات الأخرى، وغطت أحداثا هامة مثل توتر الأوضاع السياسية في الجزائر العام 1992 ومحاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن عام 1997، وأحداثا كثيرة أخرى وكان لها سبق صحفي، بالإضافة إلى عرض القناة برنامجا وثائقيا من سبع حلقات عام 1997 حول عملية عاصفة الصحراء في حرب الخليج 1990-1991، وكانت طريقة عرضها لها وقع هام على الكثيرين في موضوع كهذا له حساسية في العالم العربي، ومن الأفلام الوثائقية التي بثتها أيضا فضائية mbc فيلم وثائقي بعنوان حرب الخمسين عاما: إسرائيل والعرب[86]. وإلى جانب البرامج الإخبارية لهذه القناة تأتي برامج الترفيه والموسيقى وما شاكل ذلك، فالقناة في حقيقتها ذات طابع تجاري- ترفيهي، لكن الظروف الجيو-استراتيجية في بداية عقد التسعينات وجهت مسار القرارات الإعلامية وكرست الطابع الإخباري للبرامج، وذلك إلى غاية وصول التراكم التمويلي والتكنولوجي إلى درجة أصبح فيها الذهاب نحو التخصص الإعلامي خطوة لها أهميتها السياسية والثقافية والإقتصادية. ولعل هذا ما كرس حالة من التوازن في المشهد الإعلامي الإخباري بدت بارزة أكثر في نطاق دول مجلس التعاون الخليجي، حيث أُنْشئت قناة الجزيرة كمنافس للإعلام السعودي وبعدها فضائية أبو ظبي (الإمارات) منافسا جديدا لكليهما، واللافت – في سياق الحديث عن المنظومة الخليجية للإعلام- أن رأس المال الخليجي دخل كشريك في ملكية المحطات الفضائية اللبنانية، كالشراكة بين آل بي سي (LBC) والحياة والوليد بن طلال (الأمير السعودي)، والتعاون بين تلفزيون المستقبل والmbc،

وبين محطة "زين" الشبابية التابعة لتلفزيون المستقبل وتلفزيون دبي، والتعاون بين الجزيرة و ال نيوتي في وغيرها الكثير من الشراكات المعلنة والمخفية[87]. إن هذه الشراكة تكرس في تقديرنا حالة من الإستقطاب الطائفي السني–الشيعي بالدرجة الأولى، لاسيما بعد إنشاء منظمة حزب الله كذراع لإيران الخميني سنة 1982 في جنوب لبنان وظهور قناة المنار الفضائية لسان حال الحزب.

بعد مرحلة التوازن التي ألمحنا إلى بعض مؤشراتها جرت جملة من التحولات تتسم بالتعقيد من حيث التوازنات السياسية في الإقليم العربي الشرقي منه على وجه الخصوص، ويذكرنا أهم تحول على صعيد الإعلام الفضائي العربي بالتحرك المصري قبيل الحرب على العراق عام 1990 لإنشاء محطة فضائية تتولى – في نظره – مواجهة ما سماه بالحرب النفسية أو الدعاية التي مارستها أجهزة الإعلام العراقية، وفسر ذلك بمحاولة مصر لاستعادة دورها القيادي في المنظومة الإقليمية العربية. إذ وقبيل الحرب على العراق أيضا وهي الحرب التي أدت إلى سقوط بغداد كمحصلة لإسقاط نظام صدام حسين عام 2003، أنشأت المملكة السعودية قناة إخبارية تحت مسمى العربية، وتبث من دبي على مدار 24 ساعة بهدف معلن وهو إعطاء بديل عاقل ومتوازن للجزيرة، هدف عبر عنه علي الحديثي رئيس مجلس إدارة mbc بقوله إنها بمثابة cnn مقابل فوكس نيوز، لكن منافسة الجزيرة ليست وحدها سبب إنشاء قناة العربية مثلما تذهب إليه الباحثة حياة الحويك، "فالحرب والإحتلال هي انطلاق مرحلة جديدة في المنطقة المشرقية كلّها، هي معركة الشرق الأوسط الجديد، المشروع الأمريكي الذي سيجد محورا مناهضا له تتزعمه إيران، كما سيجد تهديدا له يتمثل في المقاومات القائمة وتلك التي يمكن أن تنبثق في العراق، ولذلك ستعمل الولايات المتحدة الأمريكية على إذكاء الشرخ السني– الشيعي القادر على شق العالم الإسلامي من الهند إلى لبنان، وفي هذه المواجهة المذهبية ظاهراً السياسية ضمنا لابد أن يشكل السعوديون والقطريون الوهابيون وزنا مقابلا لإيران الشيعية وخطها، ولا بد أن يمتلك السعوديون صوتهم الإعلامي الإخباري القادر على خدمتهم وخدمة الوجود الأمريكي في المنطقة العربية، والقادر أيضا على مواجهة احتمالات رياح تغيير قد تهب على العالم العربي[88]. أما من جهتا فنظن أن هذا التحليل قد تنقصه الدقة إلى حد ما، فإذا كنا نشاطر الباحثة حيال مقاربتها للمنظومة الخليجية من الناحيتين السياسية والإعلامية وتشبثها بالمنظور الأمريكي وشراكتها في الكارتل الإعلامي العولمي، حيث المشاركة الغربية

الأنجلوسكسونية واضحة–مثلا– في إدارة محطة العربية من خلال عوامل التقنيين والخبراء والخط السياسي والمالي أو التمويلي، فإنه للمحور الذي تتزعمه إيران حساباته الضيقة أيضا، ولننظر مثلا إلى ارتباطات الجمهورية الإيرانية بملف احتلال قطرين إسلاميين هما أفغانستان والعراق، وسلوكاتها اللامسؤولة واللاأخلاقية والمشبوهة وغير المفهومة في العراق قياسا على ما يتضمنه خطابها السياسي والإعلامي المعلن، وهي التي سعت تبعا لذلك إلى إنشاء قناة العالم الإخبارية وفيما بعد قناة الميادين الإخبارية العربية، التي نرى نحن أيضا أنها أسست لمواجهة رياح التغيير في العالم العربي بالشكل الذي تستسيغه إيران التي لا نعفيها من التحالف مع المشروع الأمريكي وفق مقتضيات خاصة.

إن هذا الواقع المعقد سياسيا وعقائديا وفكريا ألقى بظلاله على عملية بناء مؤسسات للبث الفضائي الإخباري في المنطقة العربية، وبالتالي عقد من عملية صناعة الرأي العام، هذا الأخير الذي نؤكد دوما أن النقاش حوله يكتسي نوعا من الغموض طالما أن الظروف النفسية–الإجتماعية للعالم العربي هي أحد المنابع الأساسية للتعقيدات التي تغلب على المشهد السياسي العربي. لقد خلق هذا الوضع ما نرتضي أن نسميه أزمة العقل الإعلامي العربي، وهي أزمة بمفاعيل داخلية وخارجية، وسنسعى إلى توضيح ذلك دونما قطع مع ما قمنا بتوضيحه من تعقيدات ضمن الفضاء الجيو–سياسي العربي، عبر عنوانين أساسيين:

1– التلفزيون الفضائي كوسيلة اتصال حوارية.

2– الفضاء الإخباري–الحواري والفضاء العمومي العربي: إشكالية العلاقة.

أولا: التلفزيون الفضائي كوسيلة اتصال حوارية.

في هذا الإطار سيكون من الأفضل بالنسبة لنا فحص بعض المفاهيم ومقاربتها بما يخدم تصورا سليما لواقع الفضائيات الإخبارية العربية وبالتالي طبيعة القرارات الإعلامية الصادرة عنها، أو بمعنى آخر فنحن بصدد محاولة تقديم رؤى مفاهيمية للعناصر النظرية التي تشكل أساس عمل المنظومة الفضائية الإعلامية. وفي إمكاننا أن نبدأ بمفهوم الاتصال ولن نتأخر في القول أن مفهومنا للإتصال يتعدى في هذه المرحلة كونه مجرد عملية إرسال معلومات مهما تعددت الأطراف

المتقاسمة لها، إلى كونه "التقاء العقول وإحداث مجموعة من الرموز المشتركة في عقول المشاركين في الإتصال، هو كذلك لأنه بالأساس عملية إنتاج للمعنى وللتصورات، فمن خلاله نتبادل مجموعة من الصور الذهنية ومن الترسيمات السوسيو–ثقافية، وإذا كانت اللغة هي أداة الإتصال الإنساني فهي بدورها عبارة عن نظام من الرموز لها معاني محددة أعطاها إياها الإنسان"[89]، وتبرز في هذا السياق لغة الجسد ولغة الأشياء كإضافتين للفعل اللساني. إن فكرة الإتصال من حيث المبدأ هي فكرة عقلانية بامتياز، لكن المثير هو تولد نوع من اللاعقلانية في تقديرنا جراء الدخول في مرحلة الإتصال التلفزيوني، فالتلفزيون كوسيلة اتصال يمارس فعل التدفق المعلوماتي من خلال الإدخالات المبرمجة، هذه الإدخالات تجسدها النشرات الإخبارية والأفلام والبرامج المتعددة المعروضة للمشاهدة على مستوى جماهيري، وقد طرح الطابع الذي يعمل به التلفزيون إشكالا تولد أساسا من حركية الصورة التلفزيونية، التي تبث أنها تؤدي في النهاية إلى تشتيت التركيز، ومن ثم وجه النقد للتلفزيون بأنه يمارس الإلهاء وفي الحقيقة فهذا النقد يستند على إدراك الطابع المابعد حداثي للتلفزيون، والمتعلق بثقافة الإزاحة والخلع، فما يميز مابعد الحداثة هو المتشظي والعابر والسريع وهي رؤية جمالية جديدة في العالم الغربي[90]، وهكذا تتحدد طبيعة التلفزيون من حيث هو حقيقة مابعد حداثية، وهذا الأمر في حد ذاته يطرح تناقضا كبيرا، حيث أنى لنا أن نستخرج المعنى من وسيلة تجسد اللامعنى أو هي تبعا لذلك من مفرزات مرحلة غياب المعنى، أو محاولة إثبات غيابه مثلما تسعى إليه الفلسفة التفكيكية لجاك دريدا[91].

تدور المادة التلفزيونية دائما حول شيء ما وحول موضوع ما، والمشاهد يهتم في الوهلة الأولى بالأشياء التي تظهر قبل التدقيق في الموضوع، حيث أن الذي يظهر بداية هو الصورة في جمالية حركتها أو رداءة ثباتها، والمشاهد لا يهتم كثيرا لزوايا الكاميرا أو نوعية اللقطات والمونتاج وغيرها من المفاهيم المرتبطة بميدان العمل التلفزي، إذ تهمه الصورة في كليتها كشيء جاذب أو منفر. وهنا كمستوى أولي للتفاعل تتدخل الصورة الحضورية للمقدم (الصحفي) كمتغير ثان له أهميته، وتقتصر هذه الصورة على الجانبين المادي والمعنوي الذي يقصد به الشخصية الإعلامية الكاريزمية للمقدم التي تجسد ما يسمى بالحضور الركحي. ذلك أن شخصيات معينة لها القدرة على

صناعة الرأي العام في حين لا تمتلك هذه المؤهلات شخصيات أخرى، نظرا لغياب القدرة على الإقناع والتواصل الفعال وغيرها من المهارات[92].

لقد ألقت الخصوصية التكنولوجية للتلفزيون ذات الطابع المابعد حداثي بالنظر إلى السيرورة الإتصالية له بظلالها على المجال الإخباري، من حيث هو أهم وظائف الإعلام التي تندرج في إطار ما اصطلح على تسميته بمراقبة البيئة، وانعكاس الخصوصية التكنولوجية التلفزيونية على قطاع الأخبار نوقش من خلال طرحين متعاكسين إزاء فعالية التلفزيون كوسيلة إخبارية، ففي حين يذهب اتجاه معين إلى تمجيد قوة التلفزيون في مجال الأخبار انطلاقا من عامل اجتماع الصورة والصوت، وربطهما بكيفية حصول الإنسان على المعرفة، حيث ثبت حصوله عليها بنسبة 88% عن طريق حاستي السمع والبصر، يضاف إلى ذلك قدرة التلفزيون على الوصول إلى ملايير المشاهدين في نفس اللحظة عبر الأقمار الإصطناعية وشبكة الأنترنيت، ولعل ذلك كان سندا للدراسات التي أثبتت تفضيله من طرف الجمهور تليه الصحف فالإذاعات ثم المجلات في الولايات المتحدة الأمريكية، هذه الأخيرة التي ثبت بالدراسات احتلال التلفزيون للمرتبة الرابعة في ترتيب المؤسسات التي تحكمها بعد البيت الأبيض ورجال الأعمال ومجلس الشيوخ[93]، في حين اعتبر آخرون التلفزيون مصدرا إخباريا يقدم معلومات سطحية عن الحدث فهو يعطي تغطية محدودة لعدد لا محدود من القضايا والأحداث، فلا يكون أكثر من خدمة عناوين في كثير من الأحيان، حيث أن التلفزيون في رأي الكثيرين وسيلة تتفه الأخبار فهي قوة سلبية ساهمت في تقديم صورة مبتورة ومشوهة عن العديد من القضايا من وجهة نظرهم، بالإضافة إلى إبراز قضايا على حساب أخرى وتوجيه الرأي العام في اتجاه معين يخدم مصالح الجهة المالكة للوسيلة، أو سيطرة الجهات السياسية في الدولة التي تدفعها قناعتها بتأثير التلفزيون ومصداقيته لإرغام القائمين عليه لاتخاذ مواقف تناسب اتجاهها في قضايا معينة[94]. ولعله من الطبيعي ألا تكون انعكاسات الخصوصية التكنولوجية للتلفزيون قاصرة فقط على الجانب الإخباري، فهي تمتد لتشمل باقي أنواع البرامج التي يتم تمريرها عبره كوسيط إعلامي، ومن ذلك يأتي الحوار الإعلامي الذي يرتكز مفهومه على جملة الخصائص التالية:

- فن وحديث منتظم.

- عنصر أساسي في العديد من الأشكال البرامجية.
- الغاية منه الحصول على الحقائق والآراء.
- يتألف من عدة مكونات: القائم بالحوار والمستجوب وموضوع الحوار.
- له قواعد وأصول.
- يستخدم طريقة السؤال من طرف القائم بالحوار والجواب عليه من طرف المحاور[95].

وهنا من جديد تبرز خاصية الإدراك البصري لدى الجمهور المرتبطة بخصوصية التلفزيون كتكنولوجيا اتصالية، لتراقب اللغة المحكية واللغة غير المحكية في الحوارات المتلفزة، التي باتت تبعا لذلك تتمتع بالخصائص التالية :

- الأداء والتمثيل من منطلق أن الحوار دراما صغيرة فيها الموضوع والشخصيات والإخراج والحركة والإضاءة والديكور وتطور الحدث.
- سمة العرض المتعلقة بعوامل المظهر ونبرة الصوت وتعابير الوجه وما يسمى عموما بالجو المسرحي.
- الإدراك الحسي، بمعنى جعل موضوع الحوار ملموسا بالنسبة للمشاهد انطلاقا من ميزتي الصورة والصوت والحركة والألوان وغيرها.
- التنظيم الدقيق والتقيد بوقت البث، وما يفرضانه من مهارات عالية خاصة بالقائم بالحوار، خاصة إذا كان الحوار يبث مباشرة، ويستتبع ذلك ثروة معلوماتية ومخزون فكري يتيح القدرة على صياغة الأفكار لدى الصحفي المحاور.
- صعوبة استخدام النص المكتوب من طرف الضيف إلا في حالات الإستشهاد.
- جو الأستوديو وما يفرضه من قلق وتوتر لاسيما على الشخصية المستجوبة حيث يقع على عاتق الصحفي إزالة ذلك القلق[96].

كما وأن الحوارات المتلفزة ازدادت أهميتها مع مرور الوقت بسبب عوامل عديدة منها ما هو سياسي ومنها ما هو اجتماعي، وكذلك منها ما هو إعلامي، وترجمة هذه العوامل تأتي من إدراك الفاعلين السياسيين لأهمية الوسائط السمعية-البصرية، فالتلفزيون أضحى في الدول الديموقراطية (الغربية) منبرا مؤثرا في صناعة القرار (برلمان موازي)، كما أن فعاليات المجتمع

المدني وجدت فيه مجالا لإسماع صوتها، وهذه جميعا دفعت مع عوامل أخرى إلى الإهتمام الملفت بالمواد الإعلامية الحوارية في القنوات التلفزيونية الفضائية، حتى اكتسب الحوار معنى خاصا فيما أمسى يسمى بالبرامج الحوارية التي باتت تتسيد شاشات الفضائيات، وقد وضحت نهوند القادري هذا المعنى الخاص من خلال النظر إلى الحوار على أنه تفاوض يهدف إلى حل صراع ما، والهدف عند كل طرف هو إقناع الآخر بصحة موقفه وهناك نوعان من التفاوض، الجدلي والتعاوني.

والتفاوض الجدلي في نظرها هو الشائع على الشاشات، إنها لعبة نتيجتها صفر فما يربحه طرف يخسره الآخر، وهو يحصر الحوار في منطق التصعيد والثأر، ولا يعرف إلا قاعدة واحدة وهي قانون القوي، وحجج هذا الحوار فيها دعاية أكثر مما فيها نقاش. أما التفاوض التعاوني فهو عبارة عن لعبة مجموعها متنام، لأن مجموع النتائج التي يحصل عليها كل من المحاورين نتيجة اللقاء هو أعلى مما كان يمكن أن يحصل عليه المنتصر الوحيد في حالة إما كل شيء أو لا شيء، وهذا الحوار يمكن أن يفضي إلى حل الخلاف[97].

إن هناك أسبابا معينة جعلت من هذه البرامج الحوارية منطقا إعلاميا سائدا يمكن تلخيصها في الآتي:

1- تعبر عن هامش من حرية التعبير وتقرب التلفزيون مما هو مطروح في الشارع من أفكار وآراء.
2- يحقق الحوار اتصالا مباشرا مع الجمهور حين يطرح الصحفي أسئلته نيابة عن المشاهدين.
3- لاتكلف الحوارات- في الغالب- القناة التلفزيونية كثيرا مقارنة بما ستصرفه على الروبورتاج أو الأفلام الوثائقية.
4- رغبة المشاهدين في مشاهدة المشاهير والشخصيات المعروفة تتحدث بشكل مباشر بدلا من التحدث على لسانها.
5- تعزيز الثقة والمصداقية لدى المشاهدين حين الحوار مع المعنيين بالأحداث.
6- أعطى الحوار اهتماما وعشقا للمتلقي لهذا النوع من البرامج التي تستخدم أسلوب المحادثة مع أصحاب الشأن والإختصاص في كثير من الأحداث[98].

لكن هذه العوامل في الواقع خلفت مجموعة من الإشكاليات تزيد حدتها أو تنقص حسب الفضاء الثقافي الذي تنشط فيه القنوات التلفزيونية الفضائية، ويهمنا أن نتفحص طبيعة هذه الإشكالات في الحالة العربية.

ثانيا : الفضاء الإخباري- الحواري والفضاء العمومي العربي: إشكالية العلاقة.

طرأ على القطاع الإخباري العربي تطور سريع خلال عدد محدود من السنوات يتلخص في الآتي:

1- كم هائل من الأخبار المصورة تصل إلى غرفة الأخبار يوميا إضافة إلى عدد كبير من التقارير الميدانية من المراسلين عبر العالم.
2- تنوع مصادر المادة الخبرية والمعلوماتية بشكل عام وسهولة الحصول على أي نوع من المعلومات بأسرع وقت ممكن.
3- تطور فعال في المادة المساندة للصورة مثل: الخرائط والرسومات البيانية التوضيحية من خلال ما يعرف بالجرافيكس.
4- تطور التسجيل والمونتاج الرقمي ومشاركة المحرّر مباشرة في اختيار المادة المصورة الواردة عبر الأقمار الإصطناعية أو عبر الأرشيف.
5- وسائل الإتصال السريعة بالمحللين والخبراء وسهولة مشاركتهم المباشرة في نشرات الأخبار في فترة قصيرة نسبيا، إضافة إلى النقل المباشر للأحداث عبر الأقمار الإصطناعية.
6- تطور لافت للنظر في تصميم إستديو الأخبار[99].

هذه التطورات تعبر بشكل أو بآخر عن حالة الإندماج في النظام الإتصالي العالمي الجديد من طرف النظام الإقليمي العربي، و لكليهما أزمته على الصعيد النظري والأدائي الذي يتجلى في مجالي السياسات والممارسات الإعلامية [100].

لكننا نعتقد أن أزمة النظام العربي أعقد، ومرد ذلك أساسا هو تبعية هذا النظام للمنظومة الغربية العالمية، التي ألقت بتعقيداتها الخاصة والتقنية على المشهد الإتصالي العربي فضلا عن المشهدين الثقافي والسياسي.

ونستطيع تلمس آثار هذه التعقيدات لاسيما التقنية منها، من خلال النظر في طبيعة الإشكالات التي يثيرها مثلا عرض البرامج الحوارية السياسية على القنوات الفضائية، وقد استفدنا في هذا السياق مما جادت به أفكار الباحثة نهوند عيسى القادري، حيث نتفق معها إلى أبعد الحدود فيما ذهبت إليه من تحليلات بخصوص ذلك النوع من البرامج. وهي تحليلات أتت في صورة تساؤلات مشروعة، وشرعيتها نابعة في تقديرنا مما أسميناه بعقلانية القفص الحديدي، ثم يضاف إلى ذلك حزمة جديدة من التساؤلات خاصة بالحالة العربية التي ارتضينا أن نسميها بلاعقلانية بنية الإستبداد، التي تكرس في الحقبة التي نعيشها نوعا من الليبرالية الإستهلاكية التي سنوضح بعض مؤشراتها فيما بعد. وسيوصلنا ذلك كله إلى قناعة معينة بخصوص المرحلة التي تطورت إليها الفضائيات الإخبارية العربية، وهي مرحلة إعلام الحراك الشعبي العربي لسنة 2011.

أثارت نهوند القادري حول موضوع البرامج الحوارية السياسية منها بصفة خاصة في الفضائيات العربية عدة إشكالات، تتعلق عموما حسبما يبدو بعناصر العملية الإتصالية وبالإعلام في حد ذاته كظاهرة عصرية ملفتة إلى أبعد مدى، فهناك أثر بلا شك لتحالف مثلث السلطة والمال والإعلام على الحياة السياسية والإعلامية، وهذا التحالف يجسد مشكلة العلاقة بين الإعلام والسياسة والسياسيين من جهة وبين الإعلام والرأي العام من جهة ثانية. كما تبرز مشكلة انعكاسات التلفزيون كخصوصية تكنولوجية على العمل الصحفي، الذي أصبح يخضع للملح والآني والسريع والإستعراضي، وهذا العمل في حد ذاته أشاع ما سمي "الميديا قراسي" وهي ديموقراطية الرأي التي شاعت في التلفزيون في حين تراجعت الديموقراطية التمثيلية، لاسيما مع دخول العامل الإقتصادي على الخط مما أدى في النهاية إلى إفراغ الخطاب السياسي من مضمونه لصالح سيادة أيديولوجيا الإتصال.

يضاف إلى هذا وقوع التلفزيون بين حدي الجدية والإثارة بسبب اضطرار الصحافة التلفزيونية إلى الوصول إلى ما هو مشترك بين أكبر عدد ممكن من الجمهور، وهو الأمر الذي خلف حسب نهود القادري ظاهرة المسرحة السياسية القائمة على الأكشن، وهو ما أدى إلى بروز ديكتاتورية جديدة تجسدت في الإجبار على الإختلاف تحت عنوان الحوار.

وتتعلق مشكلة أخرى بالجمهور وسر انجذابه إلى هذا النوع من الحوارات الممسرحة التي تتساءل الباحثة حول الوظيفة التي من الممكن أن تؤديها[101].

إن هذه الوظيفة حسب الباحثة حياة الحويك تأتي في الحالة العربية في إطار عملية إيهام ليبرالي لخدمة أنظمة غير ديموقراطية، ويمكن أن نستجلي بعض المعنى من بعض ما تعالجه حوارات هذه الفضائيات عبر البحث عما هو مسكوت عنه، بمعنى المواضيع المغيبة مثل قضايا التعليم والأمية وغيرها التي لها أثرها في تعبئة الرأي العام، فما هو معالج حسب حياة الحويك يكرس عملية استحواذ على حرية المشاهد (المواطن العربي)، من خلال التنفيس عنه بإجراءات نفسية كالصراخ في هذه الحوارات مثلا.

إن الفائدة المنهجية والعلمية التي يمكن أن نجنيها من الإشكالات المطروحة إزاء ما سمي بالبرامج الحوارية، والفضائيات الإخبارية عموما، تتمركز في طبيعة الحقيقة السياسية والإجتماعية التي من المحتمل بلورتها من خلالها إزاء الواقع المعاش، أو بمعنى آخر طبيعة الصور التي نكونها عن الواقع الذي تتم تغطيته في هكذا حوارات تتم حيثياتها في بيئة محكومة بعوامل تقنية معينة، تستدعي تدخل العنصر الإقتصادي والسياسي على شاكلة محددة وهي الشاكلة التي تفضي–حسبما هو شائع– إلى الربح والمزيد منه على الصعيدين المادي والنفسي.

إن هذا النزوع نحو الرضوخ لمقتضيات التقنية على الصعيد الإعلامي أفرز إشكالات عديدة أخرى، تفطنت لها نهوند القادري وأحصتها فيما يرتبط بالحالة العربية، وهي تساؤلات تستحق العناية والتفكير لأنها تستند وإن لم تصرح الباحثة بذلك إلى ما اتجهنا إلى تسميته بأزمة العقل الإعلامي العربي، ويتلخص ذلك في التساؤل حول جدوى الحوارات السياسية، إذا كانت هناك قيود على حرية التعبير، مع مشاركة سياسية ضعيفة جدا، وأحزاب ديموقراطية بالتسمية وليس بالفعل، ويتبع هذه الحالة فضائيات نحت نحو الترفيه وأخرى نحو إشكالات أنظمة الغير ومحاولة إثارة المكبوتات الدينية والسياسية. والأهم هو مدى إمكانية نجاح هذه البرامج الحوارية في تطوير الفكر السياسي، إذا كانت أصلا تغتال الحوار جراء تمترسها خلف الثنائيات المطلقة، مقنعة الجمهور باستحالة التلاقي، ثم كيف تبدع الحوارات السياسية وتضيف الجديد إذا كانت الفضائيات في حمى التنافس تتقمص شخصية البرامج الأجنبية لدرجة فقدان الشخصية والغرق في الرتابة.[102]

تطرح الباحثة نهوند القادري مفهوما نراه مهما جدا على صعيد الحوارات في الفضائيات العربية، لاسيما الحوارات السياسية منها، وهو مفهوم المسرحة السياسية والأكشن السياسي، حيث لا تستبعد الباحثة في منتهى هذا السياق غير المقبول أن تتحول هذه البرامج إلى فيديو كليب سياسي، طالما أن المسألة تخضع أساسا لعامل الفرجة، القائم ضمنيا على إيهام الجمهور بالحرية والقدرة على الاختيار. إن توزيع الأدوار في الحوارات السياسية على الفضائيات العربية ومفهوم المسرحة الذي تتحدث عنه يحيلنا إلى نموذج التفاعلية الرمزية وتحليلات غوفمان حول الأدوار الإجتماعية، المنبثقة عن النظرة إلى الذات والنظرة إلى الآخرين.

وهذه الأدوار وهذه المسرحة السياسية لا تبتعد كثيرا عن واقع الأدوار التي تمارسها الأنظمة السياسية المالكة بشكل أو بآخر للفضائيات الإخبارية التي تجري الحوارات وفق خطها السياسي والأيديولوجي، وقد لا يكون في مكنتنا تجنب هذا القياس وإقصاؤه عن المرحلة التي عرفها الإعلام الفضائي الإخباري العربي، بدءا بالحراك الشعبي العربي الذي انطلق نهاية العام 2010 وبداية عام2011. لقد كانت بحق مرحلة أخرى من المسرحة السياسية والأكشن السياسي، بل إن مفاعيل هذه الظاهرة ازدادت تطورا، وهو تطور مرافق لحالة الصراع التي انبثقت عما سمي بالربيع العربي، وفي هذا السياق يقول الباحث صباح ياسين بأن الحراك الشعبي الذي نال الوصف بأنه ربيع الحرية، لم يكن هكذا على ساحة العمل الإعلامي العربي، وبوجه خاص ضمن إطار القنوات الفضائية التلفزيونية العربية ودورها، التي لم تقف خارج حدود الحدث، بل انغمست في تفاصيله اليومية وعبرت عن نبضه المتسارع. فكان أن تشظت بين موقفين رئيسيين متناقضين، الأولى التي تبنت الحراك وأضحت طرفا فيه تعبر كل لحظة عن موقفها المساند بالصورة الحية، والأخرى وهي في الغالب حكومية أو أنها تتبنى موقفا فكريا أو أيديولوجيا معبرا عن توجهات أو سياسات مغايرة، وقفت أيضا وبقوة ضد الحراك الشعبي وسعت إلى تقزيمه أو إلغاء تأثيره، وكان أقطاب الحراك ومعارضوه يتقاتلون على الشاشة بعنف لا يقل عن الصراع الذي شهدته ساحات الصراع في العواصم العربية، وأضحى التلفزيون آلة قتال معبرة عن الخارطة السياسية العربية والإقليمية[103]. فموقف قناة المنار اللبنانية التابعة لمنظمة حزب الله يصف الصدامات في المناطق السورية بالأعمال الإرهابية، في حين ترى عين القناة أن ما يقوم به المعتصمون في دوار اللؤلؤة وسط

العاصمة البحرينية بأنه تعبير عن حقهم الشرعي وواجبهم الوطني في مواجهة الإستبداد والتمييز من السلطة الحاكمة، وعلى النقيض من ذلك قناة العربية التي غالبا ما تهمل أخبار الإحتجاجات القادمة من البحرين، وتبرز الإجراءات الحكومية البحرينية في التصدي لأعمال الشغب والدفاع عن سيادة البحرين ووحدتها الوطنية، فيما تذهب مذهبا آخر تماما لما يتعلق الأمر بموضوع الحراك الشعبي السوري الذي سرعان ما انقلب إلى صدام عسكري وهو ما جرى في ليبيا أيضا[104].

لقد أدى التباين في التوجهات والغايات إلى وضوح في الإنحيازات السياسية في إطار التغطيات الإخبارية لمصلحة مواقف مسبقة التصميم ومحددة الغاية، وفي ذلك الإطار قفزت تقاطعات السياسة بقوة على سطح العمل التلفزيوني الفضائي العربي، لتساهم في تعميق الإصطراع السياسي والتنابذ الفكري بين الكيانات الرسمية العربية، وأضحت البرامج السياسية على وجه الخصوص في كلا المحورين تسعى إلى قيادة المشاهد والرأي العام العربي للإنحياز إلى خيارها الأيديولوجي والسياسي، وتحمل في الوقت ذاته شحنة من التحريض والإقصاء[105].

عند هذا الحد تحديدا يصبح موضوع صناعة الرأي العام إعلاميا على المستوى العربي محل تساؤل إجابته معقدة جدّا، وإن كان الحل ليس مستحيلا.

المطلب الثالث: فضائيتا الجزيرة والميادين: نموذج للإستقطاب الطائفي الخفي.

منطلق مقاربتنا للإعلام عموما ولظاهرة الفضائيات العربية وتحديدا معها الإخبارية، مستمدة من النظر إليها "كمساحة صراعية تتشابك فيها ثلاثة حقول لديها أسس شرعية مختلفة: الحقل السياسي والحقل الإقتصادي والحقل المهني أو الثقافي. فالإعلام يستلزم ثلاثة أبعاد متداخلة: هو سلعة رمزية إنتاجها يفترض شيئا من العمل الفكري، إنما يجب أن يكون اقتصاديا مربحا، أي قابلا للبيع الذي فضلا عن ذلك يمكن موضوعيا أن يولد آثارا سياسية، ولذا تعد استقلالية الصحافيين مزيفة لأنها ليست سوى نتاجا غير مؤكد وغير مستقر لهذه المبادئ المختلفة من الشرعية المتصارعة أو المتنافسة في الفضاء الصحفي، الذي يتميز باستقطاب ثلاثي: اقتصادي سياسي، أخلاقي"[106]. يشير عبد الرحمن عزي إلى أن الفضاء المتلفز الجديد في الوطن العربي تحول إلى مجال "استقطاب" تتنافس فيه أطراف عدة، إن في مجال تأسيس بني وصور ذهنية جديدة

وكسب عقول الأفراد وتسويق روى ذات أهداف ثقافية وسياسية معينة أو في نطاق الدعاية، بخاصة في زمن الحرب والصراعات الإقليمية والدولية[107]. ولا ينبغي بأي حال التوقف حين تقييم الصراعات على تنوعها في المنطقة العربية عند الحدود التقنية الصرفة لها، لأن خصوصية المنطقة العربية والإسلامية عموما تجعلها حلبة صراع فكري بامتياز، وهذا مرّده إلى حالة الصدام التي دامت تاريخيا بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، من حيث هما في جوهرهما مقاربتين مختلفتين للحياة، ومن ثم فإنه سيكون لزاما حين التفكير مبدئيا في تجسيد أي مشروع على الساحة العربية مهما كانت طبيعته أن ينظر إليه نظرة التغيير الإجتماعي التي تفضي في النهاية إلى التنمية، لا بمؤشراتها الترابية فحسب بل والمعنوية (القيمية) أيضا التي إن غابت فإن المجتمعات تسقط إما في مستنقع التبعية أو دوامة العدمية.

وفي حالة القناتين الفضائيتين الإخباريتين العربيتين الجزيرة والميادين، فإنهما من الناحية المبدئية مشروعان إعلاميان تم تجسيدهما في المنطقة العربية، بمعنى أن الغرض الإعلامي-الإخباري كان الهدف المباشر لإنشاء القناتين، ونحن سنحاول استظهار البنية الحقيقية لهذين المؤسستين الإعلاميتين انطلاقا من الخصوصية الثقافية للمنطقة العربية، ويتبع هذه الخصوصية مجموعة الظروف النفسية-الإجتماعية السائدة في المنطقة العربية وعلاقة كلا المشروعين الإعلاميين بهذه الظروف. وبطريقة أخرى:

- هل المؤسستان مشروع جاء لتحسين(تغيير الظروف النفسية-الإجتماعية الباعثة على التخلف في المنطقة العربية؟ أم:
- أنهما في النهاية ليسا سوى إفراز لهذه الظروف وبالتالي إعادة إنتاج الظروف نفسها في المنطقة العربية؟

وضمن مجال الإجابة عن السؤالين المطروحين تتوضح العلاقة مع المشروع الكولونيالي للحضارة الغربية الذي تجسد في المنطقة العربية بأشكال متعددة.

أولا: المحددات الجيوسياسية لنشأة وتطور قناتي الجزيرة والميادين.

أ- حالة الجزيرة:

في حالة الجزيرة فإننا ننقل عن الباحثة نهوند عيسى القادري أن نشأة القناة جاءت كفكرة إثر انهيار الشراكة الطموحة ولكن قصيرة العمر بين الخدمة العربية لتلفزيون « بي بي سي » البريطاني وبين السعوديين، ومرد هذا الإخفاق هو الخلاف حول مضمون التعاطي الإخباري الذي لم يناسب السعوديين، واستنادا إلى مصادر في الدوحة-حسب نهوند القادري- فإن العديد من أعضاء عائلة آل ثاني كانوا مهتمين بامتلاك حصة السعوديين وإدارة المحطة التلفزيونية التي تتخذ من لندن مقرا لها، ولكن أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة بعد أقل من عام على الإطاحة بوالده[108]، سأل مستشاريه لماذا نذهب إلى هناك ولا نقوم بها هنا. وأنشئت الشركة وضخت فيها العائلة الحاكمة 150 مليون دولار كقرض لمدة خمسة سنوات، لتبث من مبنى التلفزيون القطري الحكومي، وتم إلغاء وزراء الإعلام وقدمت عروض عمل مغرية يصعب رفضها على طاقم المحررين والمذيعين الذين كانوا في الخدمة العربية لـــ بي بي سي، وبدأت الجزيرة إرسالها، وكان هذا الإرسال لأول مرّة بتاريخ: 1996/11/01 من قطر ولمدة ست ساعات يوميا[109]. ومن بين العاملين في الجزيرة لا يعمل سوى عدد قليل من القطريين كإداريين وتقنيين، أما هيئة التحرير فتضم خليطا أجنبيا من المهارات العربية في تنوع فكري وسياسي، ومن الواضح أن هذا التنوع يخدم- مثلما تذهب إليه القادري- توجهات النفوذ القطري الجديد وأداء دور وساطات إقليمية في النزاعات السياسية[110].

يتضح مبدئيا من الرواية التي أخذناها عن نهوند القادري حول تبلور مشروع الجزيرة مؤشرات لحالة احتكاك من نوع ما، بين قطر والمؤسسة السعودية في شبه الجزيرة العربية، وتتضح مؤشرات هذه الحالة أكثر من خلال تصريح محمد جاسم العلي مؤسس الجزيرة الذي قال: "لقد كشف لنا الهجوم على الخفوس[111] أن الصوت الوحيد المسموع داخل مجلس التعاون الخليجي هو الصوت السعودي، أما الآخرين فهم على الهامش باستثناء عُمان التي لا تريد الإنخراط في الصراعات، والأمر الثاني المفاجئ كان في الإعلام حيث لم يقبل أحد روايتنا، سواء كان إعلاما عربيا أم غربيا فالجميع كان يردد الرواية السعودية، تحليلنا هو أن السعودية لا تريد بلدا قويا في

الخليج، لقد رأينا التهديد ولم يكن لدينا تأثير لا في مجلس التعاون الخليجي ولا في الفضاء الإعلامي، لقد كان الإعلام عجزنا الكبير"[112]. إلا أنه يبدو أن التنافس الإستراتيجي مع السعودية لم يكن هو الدافع الأوحد لنشوء الجزيرة كمشروع إعلامي متميز، كرس ما سمته الباحثة حياة الحويك عطية الوجود عبر الإعلام، فهناك فرضية أخرى قام بطرحها الصحفي الفرنسي تييري ميسان Thierry meysan إزاء نشأة الجزيرة والدور القطري المؤطر لهذه النشأة، حيث يقول في إحدى مقالاته على موقع شبكة فولتير الإلكترونية أن الجزيرة كمشروع تم تصميمه من طرف شخصيتين فرنسيتين-إسرائيليتين هما الأخوان دافيد (David) وجون (jean) فريدمان (Frydman)، بعد مقتل رئيس الوزراء الإسرائيلي يتسحاق رابين. والهدف كان خلق وسيلة إعلامية أين سيتمكن إسرائيليون وعرب من الحوار بحرية عبرها، مع تبادل الحجج وكذا التعارف، الأمر الذي كان ممنوعا تماما في كل وسائل الإعلام العربية لعدم توفر رؤية خاصة بالسلام بين الإسرائيليين والعرب[113]. وقد لجأت الشخصيتان المذكورتان إلى إقناع أمير قطر وتم الإستفادة من ظروف إخفاق الشراكة السعودية مع خدمة البي بي سي مثلما تم توضيحه سابقا. وللتدقيق أكثر في الظروف والأحداث التي رافقت إنشاء الجزيرة، فإن إدارة أمير قطر الجديد آن ذاك حمد بن خليفة المنقلب على أبيه قد عمدت إلى فتح مكتب للتمثيل التجاري الإسرائيلي في الدوحة، كما استضافت فيما بعد أكبر قاعدة عسكرية أمريكية كانت المنطلق لغزو أقطار عربية وإسلامية.

وصولا إلى هذا الحد بات لزاما علينا بناء فهم معين للدولة القطرية لأن ذلك ولا شك سيكون مفصليا في إدراك طبيعة القرار الإعلامي لقناة الجزيرة الفضائية، وإذا حاولنا بجدية أن نقترب من حقيقة الدولة القطرية فإن سبيلنا الأوضح سيتوزع بين النظر في عاملين اثنين يقودان بدورهما إلى عدة ارتباطات، وهذان العاملان هما :

- قطر كحقيقة جغرافية.
- الفاعلين السياسيين الأساسيين ضمن حدود الكيان الجغرافي.

وترجمة هذين العاملين تحيل مباشرة إلى تقديم قطر كشبه جزيرة عند منتصف الساحل العربي للخليج العربي، مساحتها 11437 كم^2 ويبلغ عدد سكانها بحسب الإحصائيات الحكومية قرابة 630 ألف نسمة[114].

قوام اقتصادها ما تزخر به من ثروات طاقوية خاصة منه الغاز، يلي ذلك استخراج اللؤلؤ وصيد الأسماك، حيث تتبعها مجموعة جزر صغيرة، ولها حدود مع الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، وقد جعلها موقعها هذا في حالة صدام أو على الأقل توتر في العلاقة مع المكون الفارسي على الضفة الشرقية للخليج العربي، تماما مثلما خضعت للنفوذ والهيمنة الإستعمارية بداية بالبرتغاليين وليس انتهاء بالبريطانيين، الذين نالت استقلالها عنهم سياسيا العام 1971 على غرار الإمارات المتحدة. أما الفاعل السياسي الأساسي على جغرافيا قطر هو أسرة آل ثاني التي تعتبر على الأرجح إحدى أنوية مجموعة من العشائر هاجرت من الكويت، واستقر بعضها أيضا بالبحرين ومنهم آل خليفة الذين دخلوا بدورهم في علاقة تنافسية مع آل ثاني حكام قطر[115]، هؤلاء الذين رفضوا بعد الإستقلال عن بريطانيا الإنضمام لا إلى الإمارات المتحدة ولا إلى المملكة السعودية، وهنا تحديدا تشكل الهاجس الأمني للمشيخة القطرية، هذا الهاجس الذي جسد المحدد الأبرز لسياسة قطر الخارجية[116]، وبالتالي طبيعة التحالفات المنسوجة بطريقة براغماتية لدرء أي خطر يتهدد الكيان السياسي للدولة أو حتى وجود الدولة ذاتها. وقد تحقق هذا الوجود في النهاية عبر القوة الناعمة، من خلال إنشاء محطة الجزيرة الفضائية، وعبر القوة الصلبة أيضا، لكن من خلال التحالف مع أكبر قوة عسكرية في العالم وهي الولايات المتحدة الأمريكية.

انطلقت الجزيرة من قطر واتخذت لها شعارا أسمته الرأي والرأي الآخر مع علامتها المسجلة "الجزيرة" المكتوبة بالحرف العربي، بلون الرمال الذهبي لشبه الجزيرة العربية. اتسم خطها التحريري من البداية بالجرأة في الطرح وسط إعلام عربي معروف بخطابه الرسمي المنحاز للسلطة، وكان هذا مدعاة لصدام مستمر بين القائمين على القناة وبين عدة أنظمة سياسية عربية، كما أن مكتب القناة في كل من أفغانستان والعراق قصف مباشرة من طرف القوات الأمريكية التي غزت البلدين واحتلتهما. وهذا جميعا يضفي المزيد من الطابع الجدلي الذي حظيت به القناة حيال موطن نشأتها وطريقة تغطياتها، حيث وبعد احتلال العراق تسلم إدارة القناة صحفي فلسطيني يدعى وضاح خنفر، كان مراسلا للقناة في كل من أفغانستان والعراق قبل الحرب عليهما من طرف الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تواصلت مسؤولية وضاح خنفر عن القناة بعد تحولها إلى شبكة من القنوات بداية بقناة الجزيرة الدولية باللغة الإنجليزية، إثر التغييرات التي أحدثها أمير قطر على

مؤسسة الجزيرة بعد العام 2005. وقد تم عزل وضاح خنفر المحسوب فكريا وسياسيا على جماعة الإخوان المسلمين مطلع العام 2011 في ذروة أحداث ما سمي بالربيع العربي، وخلفه أحد أعضاء العائلة الحاكمة الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني[117].

* **الجزيرة كفضاء تقني- إخباري**[118]:

- حصل شعار الجزيرة (علامتها) على لقب خامس أقوى علامة تجارية عالميا، كما حصلت القناة على موقع متقدم في العديد من الدراسات واستطلاعات الرأي التي أجريت من قبل جهات عربية وأجنبية.
- الاعتماد على إعلاميين متمرسين عملوا في وسائل إعلام أجنبية ومنها الخدمة العربية في BBC بالإضافة إلى الطرح الجريء للأحداث والقضايا خاصة الشائك منها.
- تعد نشرات الأخبار المحتوى الرئيسي في القناة، وعرف تقديمها فيها تحولا ملحوظا من الناحية الفنية، حيث تقدم نشرة كل ساعة تتألف من قراءة أخبار الوكالات والمقابلات والتحقيقات الميدانية وتقارير المراسلين الميدانيين، بالإضافة إلى برامج حوارية جريئة في مجالات متعددة، وهي تأخذ طابع البرامج الأمريكية في عرضها لآراء وأفكار متناقضة حول القضايا المطروحة.
- اعتمدت الجزيرة أسلوب جديد في تقديم النشرة يتمثل في وجود عناوين مصورة في المقدمة وهو ما يطلق عليه Bumpers أو قبل الفقرة الإعلانية التي تتخلل النشرة وهو Teasers تتبعها أخبار وتقارير مصاحبة لها.
- يعد الإعلان من أهم مصادر التمويل في القناة، رغم أن القناة غالبا ما تعاني من العجز في الميزانية المالية تبعا لذلك، وكمحصلة فإن الحكومة القطرية من تتدارك غالبا أي خلل مالي، وهي في مطلق الأحوال الممول الحقيقي والمباشر لمؤسسة الجزيرة.
- تذاع الجزيرة على عديد الأقمار الإصطناعية (19 قمرا كإحصاء قديم نسبيا) وبذا فهي أكثر قناة فضائية عربية تذيع برامجها من خلال هذا العدد من الأقمار.

- أنشئ موقع الجزيرة نت في يناير2001 لتعريف لمشاهدين بأهم الأحداث التي تقع في أنحاء العالم بشكل فوري وسريع، ولهذا تم اختياره ضمن أكثر خمس مواقع عالمية تتم زيارتها، ويتم استقبال البث الحي لقناة الجزيرة على الأنترنيت.
- يظهر الإهتمام بالبعد التقني في نشرات الجزيرة من خلال الحاسب الآلي الذي يظهر أمام المذيع، وهو نمط إخراج يقترب من إخراج نشرة CNN.
- أنشأت قناة الجزيرة مركز الجزيرة الإعلامي للتدريب والتطوير على أساس تجاري غير ربحي، وهدفه المبدئي تأصيل العمل الإعلامي على أسس علمية منهجية.
- امتدت شبكة الجزيرة لتشمل الجزيرة الرياضية وقناة الجزيرة مباشر والجزيرة الوثائقية وكذا الجزيرة للأطفال.

إن الأبرز فيما يرتبط بالجزيرة كفضاء تقني وإخباري هو المقدرة التمويلية الفائقة والتي مصدرها الأوضح هو الدولة القطرية، الأمر الذي مكن من اقتناء أكفء الموارد البشرية والمادية، واتضح مع هذه الكفاءات ذات التأهيل المتميز جدا مفهوم "الأنا والآخر" في التغطية الإخبارية، وقد برز ذلك من خلال عملية تأطير الحروب التي نشبت مطلع الألفية الثالثة، وتحديدا في كل من أفغانستان والعراق، حيث غطت الجزيرة هذه الأحداث بشكل متميز وملفت ويبعث في الآن نفسه على التساؤل والجدل، ففي حين اتهمها محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام العراقي خلال الحرب على العراق بأنها تسوق للأمريكان، أطلق عليها هؤلاء الأمريكان اسم " قناة طالبان" بسبب الرسائل الحصرية التي تمت إذاعتها على القناة والموقع الإلكتروني من جماعة أسامة بن لادن.

يضاف إلى هذا الجانب اهتمام قناة الجزيرة الخاص أيضا بالقضية الفلسطينية ولها في هذا المجال فقرة سنوية، موافقة لتاريخ ما اصطلح على تسميته بالنكبة يوم 15 من شهر ماي، وهو التاريخ الموافق لإعلان قيام دولة إسرائيل العام 1948 على أرض فلسطين التاريخية، حيث تبث الجزيرة سنويا فعاليات إعلامية تحت عنوان: حق يأبى النسيان، في إشارة إلى حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وأراضيهم التي أخرجوا منها عنوة.

وفي الآن نفسه تبدو القناة منخرطة بشكل ما في مشروع التسوية السياسية للصراع في الأراضي الفلسطينية المحتلة، حينما تستضيف الإسرائيليين وتفصل من الناحية اللغوية–الإعلامية بين الأراضي الفلسطينية والأخرى الإسرائيلية.

* **البنية الحوارية و الحراك العربي :**

يبرز ضمن فضاء البرمجة على قناة الجزيرة البرامج الحوارية في المجالات المتعددة وبخاصة المجال السياسي، إلى جانب النشرات الإخبارية على رأس كل ساعة، وأهمها حصاد اليوم الذي يبث مساء على الساعة الثامنة بالتوقيت الدولي والحادية عشر بتوقيت مكة المكرمة، ومن أهم البرامج التي كانت تبث مباشرة على مر أيام الأسبوع: برنامج حوار مفتوح يوم السبت من تقديم الصحفي غسان بن جدو، ويوم الأحد برنامج الشريعة والحياة، وبرنامج من واشنطن يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء البرنامج الشهير للصحفي فيصل القاسم والمعنون بالإتجاه المعاكس، ويأتي برنامج بلا حدود للصحفي أحمد منصور يوم الأربعاء، وتوقيت هذه البرامج جميعا يسبق مباشرة نشرة حصاد اليوم في المساء. يضاف إلى هذه البرامج برامج عديدة أخرى منها ما هو مسجل ومنها ما يأتي مباشرة، وتتناول مواضيع مختلفة، مثل برنامج شاهد على العصر ومراسلون وغيرها، ويأتي ضمن هذه الشبكة البرامجية الحوارية منها خصوصا برنامج "ما وراء الخبر"، الذي يبث يوميا على المباشر في حدود الساعة السادسة والنصف بالتوقيت العالمي، حيث ينتدب البرامج عددا من الضيوف لمناقشة تداعيات وخلفيات أبرز حدث أو قضية من أحداث وقضايا الساعة. وفي كل الكم الإخباري والبرامجي الذي تبثه الجزيرة، فإنها تعتمد وفق ما لخصته نهوند عيسى القادري بشكل أساسي على برهان المشهد المرتبط بالأحداث ذات الطابع الصراعي، مستخدمة أيضا النمط المشهدي الباحث عن آراء أناس خارج المألوف، منتدبة النخب للكلام انطلاقا من معتقداتهم الفلسفية والأخلاقية المتناقضة، باحثة عن الكلام الرمزي الشعاري الممثل للفعاليات الإجتماعية المتصارعة[119]. وفضلا عن كثير من التغييرات التي أدخلت على العديد من المعطيات ضمن الخارطة البرامجية في قناة الجزيرة، تمثلت في إلغاء برامج وإدخال أخرى، فقد تم مثلا خلال بداية فترة ما سمي بالربيع العربي إلغاء البرامج الحوارية، وحدّدت إثر ذلك حياة الحويك عطية مجموعة من المؤشرات التي اتسم بها العمل الإعلامي لقناة الجزيرة خلال هذه الفترة حيث:

1- اقتصر البث على النقل المباشر دون أية فقرات تحليلية عقلانية والنقل بدا عشوائيا وتلقائيا.
2- إعتماد هذا النقل على مجهول الهوية للحديث فقط عن الفضائع التي يرتكبها النظام وبخطاب طائفي ومذهبي.
3- تخلي المذيعين أنفسهم عن أي قدر من الحيادية.
4- تم التعتيم على الشخصيات المعارضة التي رفعت شعار: لا للعنف لا للطائفية لا للتدخل الأجنبي.
5- التعتيم الكامل على اتصالات مشبوهة بين بعض المعارضين (الذين تسوق لهم الجزيرة) وبين "إسرائيل"، وقد طالب بعض من هؤلاء المعارضين بنفي العلويين إلى أوروبا[120].

إن المؤشرات التي عددتها الباحثة وعمدت إلى قولبتها فكريا، تتم في تقديرنا وببساطة شديدة عن انخراط بشكل محدد للدولة القطرية في المسار الذي اختط في العالم العربي مع نهاية عام2010 وبداية العام2011، وهو ما حتم وضوح التموضع الأيديولوجي للخط التحريري لقناة الجزيرة، ولعل مصالح قطر في هذا المسار(الربيع العربي) تعكس مزيجا أكثر تعقيدا من المخاوف الجيو-استراتيجية والاقتصادية والمحلية، فضلا عن الطموحات الشخصية لقادتها، وقد تدخلت قطر في الصراع الذي نشب في المنطقة العربية إثر حراك الشعوب في بعض الدول العربية، بهدف استعراض نفوذها من خلال دعم جماعة الإخوان المسلمين التي تصورت أنها المنافس الأقوى على النفوذ خاصة في سوريا[121]، وهذا ما سرع في تقديرنا من عمليات الإنقسام والتشظي داخل المشاريع الواحدة في المنطقة العربية، على المستويات المختلفة السياسية منها والإعلامية، وهذه الأخيرة ما تهمنا مرحليا لأنها الأساس في فهم الحالة الجديدة (الثانية) التي سنهتم بتقديمها.

ب-حالة قناة الميادين:

قد لا تكون بحوزتنا الكثير من المعطيات الخاصة بهذه القناة، والتي تجعل منها بالنسبة لنا وكذا بالنسبة للقراء واقعا موثوقا بعد توثيقه، ولكن النظر في السياقات الجيو سياسية لنشأتها ومتابعة قراراتها الإعلامية بشيء من التمعن، يجعل منها واقعا مفهوما ومتفهما أيضا.

إن ظهور قناة الميادين إلى الوجود يشبه إلى حد ما ظهور قناة الجزيرة لأول مرة، ووجه الشبه تحديدا يكمن في الطريقة أو الكيفية التي من خلالها تبلور المشروع فضلا عن الأسباب التي دفعت إلى ميلاده على شاكلته التي هو عليها الآن، فإذا كان ميلاد الجزيرة قد تأسس على إخفاق الشراكة السعودية مع خدمة البي بي سي البريطانية، فإن الميادين هي حصيلة إخفاق الشراكة بين قطر ممثلة في قناة الجزيرة مع الخدمة الإعلامية لمجموعة من الإعلاميين على رأسهم الصحفي غسان بن جدو، الذي يبدو أنه بدوره انتدب لتأسيس مشروع إعلامي جديد منتصف العام2012 وهو قناة تمت تسميتها بـــ الميادين، وأصل تسميتها قد يعود إلى ميادين انتفاضات قطاعات من الشعوب العربية بداية من نهاية العام2010، وعلى رأس هذه الميادين ميدان التحرير بالقاهرة، وقد يكون أصل التسمية عائد إلى الكلمتين العربيتين ألم ويادين فهذه مدلولها ديني والأولى سياسي، وكلاهما صالح لتبرير نشأة قناة جاءت في سياق صراع سياسي ومذهبي، دفع مؤسسي القناة الجديدة إلى اختيار شعار "الواقع كما هو". وجميع المعطيات تصب في بؤرة واحدة وهي اتهام قناة الجزيرة بالتضليل والتحريف والدعاية والتحريض الطائفي والذهبي.

يعرف القائمون على قناة الميادين بمؤسستهم على أنها قناة فضائية إخبارية مستقلة، انطلقت في2012/06/11 واتخذت من العاصمة اللبنانية بيروت مقرا لها، ورغم قصر عمر القناة- مثلما يوضحون- إلا أنها أصبحت فعليا واحدة من أهم القنوات العربية انتشارا وتأثيرا، لا بل باتت القناة الإخبارية الأولى في أكثر من بلد عربي بسبب التزامها المهنية والتوازن في العمل، مما جعلها مساحة تلاق وحوار وتفاعل. تبث القناة على مدار24 ساعة مقدمة أكثر من عشر نشرات إخبارية ونحو17 برنامجا منوعا، كما ينتشر مراسلوها في عواصم عدة دول عربية وإسلامية وأجنبية أبرزها موسكو وواشنطن ولندن وطهران وباكستان وأفغانستان[122].

ويضيف القائمون على القناة عبر موقعها الإلكتروني على الشبكة الدولية أن الميادين تخرج في لحظة سياسية حرجة في تاريخ المنطقة، لتكون على حجم التحدي، مقدمة إعلاما جديدا ملتزما بالقضايا الوطنية والقومية والإنسانية، يخاطب العقل العربي بلغة التعقل ومد جسور الحوار والمعرفة، وتلتزم بوصلة وحيدة تشير إلى تحرير الأرض والإنسان العربي على حد سواء، ويشير تقديم القناة إلى مجموعة الإعلاميين المخضرمين وهم تحديدا الذين عملوا في الجزيرة ثم استقالوا

منها إثر أحداث ما سمي الربيع العربي، ومجموعة أخرى من الإعلاميين الجدد الذين يشكلون في مجموعهم الطاقم الصحفي العامل بقناة الميادين.

يبدو الاهتمام بقضية فلسطين واضحا جدا في خطاب القائمين على القناة وعلى رأسهم الصحفي غسان بن جدو مؤسس القناة ومسؤولها الأول، حيث أبدى تمنياته حين الإعلان عن انطلاقه القناة أن لو كان ذلك في إحدى مخيمات اللجوء الفلسطيني، لكن الإعلان جاء حقيقة في إحدى الفنادق التي تستغل لنشاطات فريق الثامن من آذار في لبنان، وهي أولى الحقائق التي تجعل من مشروع قناة الميادين واقعا مقربا من تيار سياسي– فكري معين، داخل حدود الدولة اللبنانية مع ارتباطات إقليمية تمر بالنظام السوري وتصل إلى النظام الإيراني، وجميع هذه الإرتباطات تتكئ على سند روسي في تحالف اتضح مع مرور الوقت أنه لا يأخذ مرجعيته من العامل البراغماتي فقط، الذي عادة ما يطبع علاقات الدول المتنافرة ثقافيا، ولكن هناك عامل فكري حضر في سياق هذه العلاقة وهو متصل بجوهر الفكر الإستراتيجي الذي يستلهم منه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في سعيه لبناء قوة روسيا كقوة عالمية.

في ثنايا أحداث ما عرف بالربيع العربي كانت معالجة قناة الجزيرة للحراك الدائر في البحرين وفي سوريا هي العامل الحاسم في الخلاف الذي أفضى إلى استقالة الصحفي غسان بن جدو من القناة، وتأسست قناة الميادين ليكون منصب مدير الأخبار فيها للصحفي سامي كليب، وهو بدوره مستقيل من الجزيرة ويقدم في الميادين حصة حوارية بعنوان لعبة الأمم، وزوجته الصحفية لونه الشبل أيضا من المستقيلين من الجزيرة مع الصحفية لينا زهر الدين، ولا تخفى ارتباطات هذا الفريق الصحفي مع النظام السوري وكذا الإيراني، حيث عمل غسان بن جدو أواخر العام 1995 مراسلا لهيئة الإذاعة البريطانية BBC في طهران، ثم حين انضمامه إلى الجزيرة عمل مديرا لمكتبها في طهران، وبعدها إلى لبنان أين أصبح مديرا لمكتب الجزيرة في بيروت عام2004 حتى خروجه منها في2011/04/24. وللصحفي غسان بن جدو علاقات مميزة لا يخفيها مع ما يسميه محور المقاومة الذي تمثله منظمة حزب الله اللبنانية وعلى رأسها أمينها العام حسن نصر الله، ولا تتوفر معلومات دقيقة حول الجهة الممولة للقناة إلا ما ترده تقارير إعلامية بين الحين والآخر عن الدور التمويلي الإيراني. وبقطع النظر عن جميع هذه المعطيات فتغطية قناة الميادين تبدو بجلاء

متحيزة إلى النظام السوري ومنظمة حزب الله والدور الإيراني في المنطقة العربية، حيث تسم في الغالب–مثلا– القتلى منهم في الصراع الدائر بالشهداء في حين تكتفي الجزيرة–مثلا– بنعتهم بالقتلى أو خسائر النظام وحزب الله.

ثانيا: الجزيرة و الميادين في ميزان الصراع الفكري في البلاد العربية.

إن أيا من المعطيات التي تتوفر ضمن نطاق الجغرافيا العربية تحديدا وتنتمي قطعا إما إلى عالم الأفكار والمعاني، أو عالم الأشياء والمؤسسات أو عالم الأشخاص، ينبغي تقديمها على نحو خاص يختلف عما إذا كان وجودها في إحدى الدول الغربية، أو حتى أمريكا اللاتينية، ذلك أن مجتمعات منطقتنا العربية دخلت منذ مدة ليست بالقصيرة في مرحلة انحطاط وتخلف حضاري عبر علاقة اشتباك معقدة جدا مع الغرب الأوروبي وبعده الولايات المتحدة الأمريكية. ونعتقد أن العلاقة مع مشاكل التنمية والبناء الثقافي هي المحدد الأساسي لحيوية الدور الذي من الممكن أن تؤديه فكرة ما أو مؤسسة ما أو شخص ما ضمن الجغرافيا العربية، ولعل هذا ما تفطنت إليه الباحثة نهوند القادري حين سعت إلى محاولتها قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، فالفضائيات على تنوعها بما فيها الإخبارية– السياسية وقفت على تخوم التفكيك للثقافة التقليدية السائدة، ولم تتمكن في غالبيتها من المرور إلى مرحلة البناء[123]. والأسباب متعددة ومتشابكة ولكنها في الغالب الأعم محصورة بين مجال مشكلة الثقافة في العالم العربي ومسألة مابعد الكولونيالية. وفي الإجمال يمكن القول أن الجزيرة أتقنت اللعبة الإعلامية المهنية السائدة عالميا بامتياز ونقلتها إلى العربية بجدارة، تلك اللعبة التي شرحها هنري مادلين Henri Madelin في بداية التسعينات من القرن20 قائلا: إن الآنية والمباشرة أعطت عامل الوقت أهمية كبيرة فأصبح مبدأ الإعلام وأصوله المنطقية وأخلاقيته في خدمة التوقيت المخيف، كل عودة إلى الوراء مضيعة للوقت، الوقت يمر كما تمر المشاهد من خلال القطار السريع، وهي تنسى بمقدار ما تسمح السرعة بإزالتها، وتصبح المعايير المفروضة هي التقدم بسرعة وتوتر نحو مستقبل مجهول[124].

فضلا عن هذا فقد نشأت الجزيرة–حسبما يبدو– كمشروع ليبرالي لا يخلو من تفاصيل رؤية إسلامية، توازن بينهما قوى براغماتية من داخل الدولة القطرية[125]. وحتى مع مجيء الصحفي وضاح خنفر واستلامه إدارة القناة فإن الاتجاه الليبرالي المطعم بشيء من الرؤية الإسلامية بقي

الغالب على هيئة القناة وطبيعة قراراتها الإعلامية. لم تقصر الجزيرة في استخدام العقل التقني الغربي نظرا للخلفية التمويلية الغزيرة التي تتولى دولة قطر زمام أمورها، لكنها امتدت لتستنسخ نفس التجارب والخطط الإعلامية للمحطات الفضائية الإخبارية الغربية ذات السمعة على هذا الصعيد وأبرزها CNN الأمريكية، ويأخذ هذا المنحى في الإعلام طابعا سلبيا إذا لم يكيف وفق خصوصية الحاجات العربية، وحقيقة هذا الطابع السلبي تتجلى:

1- على مستوى عالم الأشياء(التقنيات) في مشكلة التكديس.
2- على مستوى عالم الأفكار و المعاني في مشكلة ضياع الهوية.

وفي كلتا الحالتين تنتج التبعية للعالم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لأنه المهيمن فعليا على عالمنا اليوم.

تبدو الجزيرة إذن حقيقة حداثية، لكنها في الآن نفسه تتبع لأكثر الوحدات تقليدية داخل النظام الإقليمي العربي، ويتجسد هذا الاتجاه التقليدي :

- على المستوى السياسي في تبني نظام المشيخة-الإمارة- الملكية.
- على المستوى الثقافي في تبني دين الإسلام بمعتقده السني.

ولا تبتعد قناة الميادين كثيرا عن هذا الطرح، فبإمكاننا اعتبارها من الناحية الفكرية شبيهة بالجزيرة، وقد كان مؤسسها جزءا من قناة الجزيرة إلى أن وقع الخلاف الأساسي الذي ارتبط حصرا بمعالجة ملف الأحداث في البحرين وسوريا خلال ما سمي بالربيع العربي. وهنا تحديدا تبرز مسألة الشرح المذهبي أو الطائفي داخل النظام الرسمي العربي، وبالتالي داخل النظام الإعلامي العربي، وتفرض علينا كباحثين أن نأخذها بالحسبان حيال أي اهتمام نبديه ببعض القرارات الإعلامية لبعض الفضائيات العربية.

من الناحية المبدئية لا تبدو على صحفيي قناة الميادين التمذهب أو الطائفية بالمفهوم الديني، فمساراتهم التعليمية-الثقافية والمهنية تجعلهم إلى فعل التحديث أقرب منه إلى فعل التدين، وهذا يجعلهم بشكل أو بآخر امتدادا لمشروع الجزيرة، وقد كان لهم قبل الآن القابلية لكي يكونوا جزءا منه، لكن المفصلي في الموضوع هو العامل الجيو-سياسي الذي يدفع في لحظة ما إلى تناقض

المصالح داخل المشروع الفكري الواحد، ومن ثم يحدث الصدام والتدافع وتستخدم فيه من ضمن الأسلحة السلاح الفكري.

لقد راهنت دولة قطر من البداية على ما يسمى بتنظيم الإخوان المسلمين في أحداث الحراك الشعبي العربي المنطلق نهاية العام 2010 وبداية عام 2011، وقاد هذا في المحصلة إلى الصدام مع نظام الولاية الفقيه في إيران من خلال الإضرار بنظام بشار الأسد في سوريا، المحسوب على طائفة العلويين المقربة والمتبناه من طرف الشيعة الإمامية في إيران، لكن المسألة في حسابات العلاقات الدولية لا تقتصر على الحفاظ على الطائفة أو الدين بقدر ما تعني الحفاظ على المصالح الجيو-إستراتيجية للطائفة، وضمن هذه الحسابات لا يمكن مطلقا الحديث عن أي مشروع تحديثي بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإثر هذا الطرح فقد استضافت قناة الميادين في حلقتين من برنامج يسمى من الداخل، أحد المفكرين الإستراتيجيين المقربين من دائرة صنع القرار في روسيا واسمه "ألكسندر دوغن"، وعرفه بأنه "عقل بوتين"، ودوغن هو صاحب النظرية الأوراسية في العلاقات الدولية أو ما سماه بالنظرية الرابعة، التي أسقطها مفاهيميا على نظرية ولاية الفقيه في إيران، والمنطلق هو رفض الحداثة بمشاريعها الثلاث الليبرالية والشيوعية والفاشية، وهنا يبرز التقارب بين ولاية الفقيه في إيران والمسيحية الأرثذوكسية في روسيا، كمشاريع تدعي رفض الحداثة الغربية وهيمنتها، ووفق هذه الخلفيات يتم الاقتتال في سوريا واليمن، ويتم الصراع بين القوى الإقليمية والعالمية، وتتم تغطية ذلك إعلاميا من طرف الفضائيات الإخبارية العربية، وأبرزها الجزيرة والميادين بحسب المحاور الأيديولوجية المنتمى إليها، ومصالحها الجيو-إستراتيجية.

مراجع وهوامش الفصل الثالث:

(1): عبد الوهاب الرامي، الوظائف الإعلامية التلفزيونية: أي تمثل لوظيفة التثقيف؟ ،مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2015، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ص34.

(2): التلفزيون العربي: البدايات، حلقة ضمن سلسلة وثائقية من إنتاج قناة الجزيرة، بتاريخ: 2014/12/18.

(3): عبد الحميد حيفري، التلفزيون الجزائري واقع وآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص29.

(4): التلفزيون العربي: البدايات، مرجع سبق ذكره، فضائية الجزيرة.

(5):نفس المرجع.

(6): بشرى جميل إسماعيل، الإبداع الإعلامي في الفضائيات العربية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 186.

(7): عبد الله فتحي الظاهر وعلى أحمد المعماري، أثر القنوات الفضائية في القيم الإجتماعية والسياسية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ص 75.

(8): نفس المرجع، ص 81.

(9): نفس المرجع، ص 83.

(10): نفس المرجع، ص84.

(11): طه الزيدي وآخرون، دراسات في تأثير القنوات الفضائية على المجتمع وفئاته، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، العراق، 2013، ص 22.

(12): فارس عطوان، الفضائيات العربية ودورها الإعلامي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2009، ص 53.

(13): طه الزيدي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 23.

(14): فارس عطوان، مرجع سبق ذكره، ص 59.

(15): التقرير السنوي حول وضعية البث الفضائي العربي 2014، إصدارات إتحاد إذاعات الدول العربية، ص 12.

(16): عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 702.

(17): أنظر في هذا الشأن: ستيوارت آلان، ثقافة الأخبار، ترجمة هدى فؤاد، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2008، ص19.

(18): آسابيرغر وبيتر بورك، التاريخ الإجتماعي للوسائط، ترجمة مصطفى محمد قاسم، عالم المعرفة، 315، الكويت، 2005 ، ص 17.

(19): أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة الصادق رابح ونصر الدين لعياضي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005، ص 31.

(20): نفس المرجع، ص 176.

(21): ناديج فيزينات، حول الدولة محاضرات في الكوليج دوفرانس 1989-1992، ترجمة محمد الإدريسي، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 46/45، شتاء- ربيع 2015، ص 145.

(22): نفس المرجع، ص 146.

(23): عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص 300.

(24): من حيث المبدأ الإستعمار له أشكال متعددة.

(25): عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص 176.

(26): نقلا عن : نور الدين ثنيو، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 32، خريف 2011، ص 164.

(27): عبد الوهاب الكيالي، مرجع سبق ذكره، ص176.

(28): حامد عبد الماجد قويسي، مفهوم النظام الرسمي العربي: رؤية نقدية تحليلية، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/04/01 .

http://studies.aljazeera.net/ar/files/2009/201172122175593193.html

اطلع عليه بتاريخ: 2016/03/27 .

(29): ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، ص 412.

(30): لعل هذا يدفعنا إلى استحضار مقولة ابن خلدون التي لم تحظى بقدر من العناية والانتباه وهي قوله: في الغرب اليوم علم كبير ويعلم الله ماذا سيصير.

(31): نابي عبد القادر، دور جامعة الدول العربية في الحفاظ على السيادة الإقليمية للدول الأعضاء رسالة دكتورة(غير منشورة)، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،2015/2014، ص70.

(32): جمال عبدالله وآخرون، مسيرة التعاون الخليجي: التحديات الراهنة والسيناريوهات المحتملة مركز الجزيرة للدراسات، أفريل 2014، ص7.

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/1/15/20151514221493173 4Gulf-file.pdf

اطلع عليه بتاريخ :2016/03/16 .

(33): أنظر:عبد الخالق عبد الله ومعتز سلامة، الإتحاد الخليجي، دوافعه ومستقبله في ظل واقع خليجي متغير، المجلة لعربية للعلوم السياسية، عدد 45 و 46 ،شتاء ربيع 2015.

(34): يحي اليحياوي، التواصل السياسي أو في جدلية العلاقة بين الإتصال والسياسة، أشغال الملتقى الدولي: الاتصال السياسي في العالم العربي وأفريقيا، المقاربات وآليات الممارسة، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 2014، ص23.

(35): نهوند عيسى القادري، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية: الوقوف على تخوم التفكك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

(36): المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر،2004، ص571.

(37): إن كان المقصد منها تسييس الطائفة مثلما ورد لدى فالح عبد الجبار مدير معهد الدراسات العراقية في إطار حلقة نقاشية بعنوان: الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية– أنظر: مجلة المستقبل العربي، عدد 408، فيفري 2013.

(38): نصر الدين لعياضي، الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعياته، مركز الجزيرة للدراسات، أكتوبر 2015، ص3.

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/10/7/20151079581262158OSectarianRhetoric-religiousChannels.pdf

اطلع عليه بتاريخ: 2016/02/25

(39): نفس المرجع، الجزيرة للدراسات.

(40): فالح عبد الجبار، المشكلة الطائفية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، عدد 408 فيفري 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 16.

(41): خير الدين حسيب، الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية، مجلة المستقبل العربي، عدد 408، فيفري 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 64.

(42): عطا الله سليمان وعمر كامل حسن، الجغرافيا السياسية الجديدة للعالم العربي في ضوء العولمة الثقافية، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2008، ص 33.

(43): نفس المرجع ، ص 34.

(44): عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية–الموسوعة الموجزة ، المجلد1، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2006، ص 45.

(45): أنظر في هذا الشأن جيم مارس، الحكم بالسر: التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية و الماسونية والأهرامات، ترجمة محمد منير إدلبي، ط5، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2009.

(46): يذكرنا ذلك بوضع القوات المسلحة المصرية إزاء أحداث الإطاحة بحسني مبارك مطلع 2011.

(47): أنظر: أمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين، عالم المعرفة ،250، الكويت ،1999، لاسيما الصفحات 219،216،217.

(48): سليمن تقي الدين،الطائفية و المذهبية و آثارهما السياسية (حلقة نقاشية)،مجلة المستقبل العربي، عدد 408، فيفري 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 46.

(49): إسماعيل علي سعد، الرأي العام بين القوة والأيديولوجيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص 109.

(50): يؤرخ عبد الوهاب الميسري لمابعد الحداثة تقريبا بسنة 1965 وفيها–حسبه– بدأ الدخول التدريجي في مرحلة السيولة خروجا من الصلابة.

(51): أنظر عزي عبد الرحمن، دراسات في نظرية الإتصال، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003، ص 52.

(52): فتيحة السعدي، فعل الاتصال التلفزيوني والرأي العام: مقاربة نفسية إجتماعية أشغال الملتقى الدولي: الإعلام والرأي العام في مرآة العالم العربي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس 13–14 نوفمبر 2008، ص53.

(53): نقلنا التعريفين عن: عزي عبد الرحمن، مرجع سبق ذكره، ص 53.

(54): سلوى الشرفي، الإعلام العمومي والفضاء العمومي: لا يستقيم الواحد منهما وعود الآخر أعوج، أشغال الملتقى الدولي حول وسائل الإعلام العمومية العربية وعمليات التحول الديمقراطي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس 2013، ص 14.

(55): عبد العزيز ركح، ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، ط1، منشورات الإختلاف- دار الأمان، الرباط، 2011، ص30.

(56): أندرو إدجار وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2009، ص138.

(57): عبد العزيز ركح، مرجع سبق ذكره، ص 26.

(58): نفس المرجع، ص31.

(59): الحبيب الجنحاني، المجتمع المدني والتحول الديموقراطي في الوطن العربي، منشورات الزمن- مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص 24.

(60): عصام سليمان الموسى، الرأي العام في الغرب والعالم العربي: منظور اتصالي، أشغال الملتقى الدولي: الإعلام والرأي العام في مرآة العالم العربي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 13-14 نوفمبر 2008، ص65.

(61): عبد العزيز ركح، مرجع سبق ذكره، ص 25.

(62): عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006، ص 143.

(63): أنظر: محمد قيراط، صناعة الوفاق الإجتماعي: دور وسائل الاتصال الجماهيري في التحكم الإجتماعي وبناء الواقع، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، عدد48/47، جويلية 2006- جوان 2007 معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس، ص 107.

(64): فتيحة السعدي، مرجع سبق ذكره، ص 54.

(65): لخص الباحث هذه المبادئ من لدن: سلوى الشرفي، مرجع سبق ذكره، لاسيما الصفحات 22، 23،24.

(66): خليدة كعسيس خلاصي، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، مجلة المستقبل العربي، عدد 421، مارس 2014، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 225.

(67): حسن محمد الزين، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، ط1، دار القلم الجديد، بيروت- لبنان، 2013، ص59.

(68): حامد عبد الماجد قويسي، دراسات في الرأي العام، ط1، دار الشروق الدولية، القاهرة،2003، ص 35.

(69): نيفين مسعد وآخرون، كيف يصنع القرار في الأنظمة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، جويلية 2010.

(70): نفس المرجع ،لاسيما الصفحات من 640 إلى 642.

(71): عن تزايد دور أبناء الرؤساء في العالم العربي أنظر: نفس المرجع، ص 645.

(72): لخص الباحث هذه التحولات من نفس المرجع ، من ص652 إلى ص665.

(73): نفس المرجع ،من ص684 إلى ص687.

(74): وثقنا هذه المعلومة من موقع "الجزيرة نت" تحت عنوان: رسالة صدام إلى بوش الأب.

http://www.aljazeera.net/archive/pages/4e905f05-b179-4d79-bc6e-09a4ce958353/be59a36a-1cff-4709-8196-fe9510887fa2

اطلع عليه بتاريخ: 2016/05/03 .

(75): قال ذلك بطرس غالي في حصة شاهد على العصر التي بثتها قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ: 2005/01/11.

(76): عبد الحسين شعبان، كسينجر والتاريخ والفلسفة، 2016/02/23.

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/2/23

اطلع عليه بتاريخ:2016/04/11 .

(77): أنظر: جوزيف س ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2007.

(78): حصل الباحث على هذه المعلومات من خلال: عبد الوهاب الأفندي، كتابة وقائع الثورة المتلفزة: حضور البصر وغياب البصيرة في قراءة وقائع ثورات الربيع العربي، مجلة سياسات عربية، عدد18، جانفي 2016، ص 179.

(79): حسين محمد الزين، مرجع سبق ذكره، ص 11.

(80): كنا قد أشرنا في موضع سابق إلى مسألة اعتراف ليرنر بخطأ إهمال السياق في العمل المنهجي الإمبريقي، وقد وقعنا على سند آخر يزيد الرؤية وضوحا في هذا السياق ومتعلق بنشأة الفضائيات العربية، وهذا السند متوفر في دراسات الباحثة حياة الحويك عطية المنشورة كتابيا وعلى موقعها في الشبكة الدولية (الأنترنيت).

(81): حياة الحويك عطية، بحثا عن ثقافة ديموقراطية في خطاب الفضائيات الإخبارية العربية (2011/05/08).

http://hayathawoyek.com

اطلع عليه بتاريخ: 2016/05/07 .

(82): التقرير السنوي للبث الفضائي 2014، مرجع سبق ذكره، ص14.

(83): أدمجنا السمة التجارية في السياق لأن التربح هو الوجه الخفي لمنظومة الإعلام العالمية والإقليمية، وقد وجد الباحث ما يسند تصوره التحليلي لوضع البث الفضائي العربي لدى الباحثة حياة الحويك عطية.

(84)- mattelart kristan , la mondialisation des medias contre la censure,

نقلا عن: حياة الحويك، الإرتباط بين علوم الإتصال الجماهيري والتطورات السياسية(2012/05/15)

- http://hayathawoyek.com

اطلع عليه بتاريخ: 2016/05/07 .

(85): حياة الحويك، نفس المرجع.

(86): فارس عطوان، مرجع سبق ذكره، ص53.

(87): نهوند عيسى القادري، الفضاء اللبناني وسراب الإتصال العمومي، أشغال الملتقى الدولي الاتصال العمومي: المقاربات والتحولات والرهانات، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس،2007، ص37.

(88): حياة الحويك، الارتباط بين علوم الاتصال الجماهيري والتطورات السياسية، مرجع سبق ذكره.

(89): فتيحة السعدي،مرجع سبق ذكره، ص43.

(90): نفس المرجع، ص55.

(91): أنظر في هذا الشأن: سعيد محمد السقا، جذور الحداثة وما بعد الحداثة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، 2014، لاسيما الصفحات 224.223.222.

(92): فتحية السعدي، مرجع سبق ذكره، ص53.

(93): نهى عاطف العبد، صناعة الأخبار التلفزيونية في عصر البث الفضائي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة،2007، ص26.

(94): نفس المرجع، ص28.

(95): محسن الكناني، تقنيات الحوار الإعلامي"قناة الجزيرة نموذجا"، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص80.

(96): نفس المرجع ، ص ص108، 109.

(97): نهوند عيسى القادري، مرجع سبق ذكره، ص 163.

(98): محسن الكناني، مرجع سبق ذكره، ص 137.

(99): منصف العياري وآخرون، المعالجة الخبرية التلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسية، إتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية(58)، تونس 2006، ص 26.

(100): أنظر: عواطف عبد الرحمن، أزمة العقل الإعلامي الأكاديمي والمهني، مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2011، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ص62.

(101): أنظر: نهوند عيسى القادري، إشكالية الحوارات السياسية على الفضائيات العربية، مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2006، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، ص ص 107،108.

(102): نفس المرجع، ص 109.

(103): صباح ياسين، الإعلام الفضائي في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،2013 ، ص 157.

(104): الأغرب أن هذين المحورين اجتمعت كلمتهما حيال إقصاء محمد مرسي عن رئاسة مصر.

(105): صباح ياسين، مرجع سبق ذكره، ص155.

(106): نهوند عيسى القادري، الإستثمار في الإعلام وتحديات المسؤولية الإجتماعية (النموذج اللبناني)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 2013، ص50.

(107): نفس المرجع ، ص92.

(108): تنازل حمد بن خليفة بدوره عن الحكم لإبنه تميم وقد كان واضحا أن ذلك من بين تداعيات ما سمي بالربيع العربي.

(109): محسن الكناني، مرجع سبق ذكره، ص170.

(110): بخصوص نشأة الجزيرة أنظر: نهوند عيسى القادري، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، مرجع سبق ذكره، لاسيما الصفحتين 67 و68.

(111): مركز حدودي بين السعودية وقطر.

(112): نقلنا هذا التصريح عن حياة الحويك عطية، الإرتباط بين علوم الإتصال الجماهيري والتطورات السياسية، مرجع سبق ذكره.

(113): thierry meyssan, wadah khanfar aljazeera et le triomphe de la propagande télévisuelle, 23/09/2011.

http://www.voltairnet.net. /article17/460.Html

اطلع عليه بتاريخ: 2012/12/11 .

(114): شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2003، ص89.

(115): ديفيد.ب روبرتس، فهم أهداف السياسة الخارجية القطرية، جويلية 2012،

http://www.rsgble.org

اطلع عليه بتاريخ: 2016/06/06 .

(116): نفس المرجع.

(117): Thierry Meyssan, opcit.

(118): كثيرة هي الدراسات والبحوث التي تناولت قناة الجزيرة من خلال البنية المؤسساتية الشاملة لجوانب الإدارة وأقسام التحرير والجانب الفني والمالي وغيرها، لكن الباحث لخص مجمل تلك التفصيلات من خلال دراسة (كتاب) كل من :

- نهى عاطف العبد.
- محسن الكناني.

وقد سبقت الإشارة إلى المرجعين.

(119): نهوند عيسى القادري، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، مرجع سبق ذكره، ص 153.

(120): حياة الحويك عطية، الإرتباط بين علوم الإتصال الجماهيري والتطورات السياسية، مرجع سبق ذكره.

(121): أنظر: فريديرك ويري، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، 2014/06/12.

http://www.carnegie-mec.org

اطلع عليه بتاريخ: 2016/06/06 .

(122) : http://www.almayadeen.net /aboutus.

اطلع عليه بتاريخ : 2016/06/06 .

(123): وهذا هو الإستنتاج العام الذي وصلت إليه نهوند القادري في دراستها المذكورة سابقا.

(124): نقلا عن: نهوند القادري، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية، مرجع سبق ذكره، ص 152.

(125): تجسد ذلك في البداية من خلال المدير العام السابق محمد الجاسم الإعلامي ذي الميول الليبرالية، مع عضو مجلس الإدارة محمد السهلاوي المعروف بميوله الإسلامية، ويوازن بين الاتجاهين وزير الخارجية القطري الأسبق حمد بن جاسم بن جبر– أنظر: نهوند القادري، المرجع السابق، لاسيما الصفحتين 77 و 78.

الفصل الرابع

المسألة اليهودية وإسرائيل

تمهيد:

تشكل "إسرائيل" في المنطقة العربية الشرقية واقعا قائما لا يمكن إنكاره، وتستفيد بناء على ذلك من السمات المفاهيمية للواقع من الناحية النظرية، بمعنى أن حضورها الزمني مؤكد من خلال مؤشراته على الأرض (الدعامة الترابية). إن هذا ما اصطلحنا على تسميته في الجزء الأول من دراستنا بـــ الكينونة الإسرائيلية، التي لا شك تماثل أي كينونة إنسانية في تركيبتها وتعقيداتها، بما يجعل أي محاولة إدراكية لها تتسم بالاختزالية والتبسيط محكوما عليها من البداية بالإخفاق. إن الحضور الزمني–الترابي (الواقع) الذي سمي إسرائيل اقتضى منا ونحن نهتم بثنائية الدولة–المجتمع وارتباطاتها التي تمر من خلال عوالم الأفكار والأشياء والأشخاص وحتى عالم الطبيعة (الجغرافيا خصوصا)، أن نعرض أولا الأسس النظرية التي قامت عليها دولة إسرائيل، بمعنى منحتها مسوغات الوجود في نظر أصحاب مشروع تأسيس إسرائيل. لقد كانت جل هذه الأسس مفاهيم تشكلت ضمن بيئة الشرق الأدنى القديم، وعناوينها البارزة هي التوراة والعهد القديم (الذي يشمل الرب والشعب والأرض) واليهودية بسياقاتها التلمودية الحلولية (الباطنية)، وهذه جميعها تم إدراكها في العصر الحديث من خلال الحركة الصهيونية التي حولت المشروع من حقيقة قائمة على الأفكار وحدها إلى حقيقة مؤسساتية تأخذ بمعيار الحداثة الذي لم يلغ أبدا القيم اليهودية بجمع الإشكالات التي ترتبط بها. ولعل أبرز الإشكالات في هذا السياق هو إلغاء الوجود العربي (الإبادة) في الجغرافيا، وبمعنى ضيق في المناطق التي تأسس فيها المشروع الصهيوني وترحيله (ترانسفير) منها، وقد نتج عن هذا الوضع بناء دولة ذات نظام سياسي يعاني (ضمنيا) أزمات بنيوية على المستويين الفكري والبشري وحتى المادي، يضاف إلى هذا المظهر الاهتمام الذي بلغ حد الإفراط بعامل الأمن مما جعل الدولة تنحو نحو العسكرة، وفضلا عن هذا جميعا فإن قوام هذه الدولة من البداية كان واضحا أنه الهجرة (الرابطة العصبية الإسرائيلية) والاستيطان (المشكلة الاستعمارية).

المبحث الأول: المحدّدات الكبرى لفهم المسألة اليهودية.

المطلب الأول: التوراة والرابطة العصبية الإسرائيلية.

ما من شك أن التوراة ككتاب مقدس بالنسبة لليهود، وكجزء لا يتجزأ مما يسمى في الأدبيات الدينية اليهودية والمسيحية بالعهد القديم، هو عامل مفصلي في فهم المسألة اليهودية بكل تجلياتها التاريخية والسياسية والقومية، وكذا السلوكية–الأخلاقية المتصلة أساسا بما نقبل أن نصنفه ضمن مسمى الشخصية اليهودية. ولعلنا هنا نخالف ما ذهب إليه تكرارا ومرارا الأستاذ عبد الوهاب المسيري حول انعدام وجود خصوصية يهودية معينة، تتجلى أكثر ما تتجلى فيما يمكن اعتباره عبقرية يهودية أو فرادة وتفردا على المستويات الذهنية–العقلية أو السلوكية–الأخلاقية أو القلبية–العقائدية. والحاصل أن التتبع العميق للقضية اليهودية الذي لابد للباحث فيه أن يصحبه ارتباط خاص بالجوانب العقدية–الإيمانية، سيفرز في النهاية تصورا مفاده التسليم بخصوصية ما لليهود وللديانة اليهودية من منطلق الأحداث التي وصلتنا عبر الروايات التاريخية المتعددة. ولعل أبرز هذه الروايات على الإطلاق هي الرواية التوراتية التي يجدر بنا أن نستفيد منها إلى حد معين في هذا المقام، نظرا للجدل الذي أثير حولها من طرف الباحثين عربا وغربيين بل وحتى إسرائيليين، كما وأنها (أي التوراة) رغم التشابه الكبير بينها وبين الرواية القرآنية فيما ترويه عن سيرة بني إسرائيل ومعتقدهم ونبوة موسى عليه السلام، فإن التصادم بين الروايتين حاصل في بعض التفاصيل وكذا على المستوى القيمي، فيما يتصل ببعض التوصيفات لبعض الأنبياء الذين هم محل إجلال وإكبار في المعتقد الإسلامي على غرار داوود عليه السلام.

إن مهمتنا في هذا المقام تقتضي الموازنة التي تتجسد في الإنضباط العلمي إزاء ما جاءت به الأدبيات البحثية العربية والغربية، بخصوص نصوص التوراة وحتى الأسفار التي أعقبتها وشكلت الجزء التالي من العهد القديم، حيث نظر بعض الباحثين إلى ما ورد في بعض نصوصها ما يشجع على أخذها كمستند أيديولوجي للإستحواذ على أرض فلسطين، هذه الأخيرة التي لم تثبت الحفريات العلمية توفرها على ما سمي بالمملكة الداوودية والهيكل السليماني، وفق التوصيفات التي تمنحها لها تلك النصوص. وفي سياق هذه الطروحات فإننا سنستعين بالنص القرآني، وسيكون محمل هذه

الإستعانة في حدود ما يجعلنا نسدد ونقارب المعلومة الواردة في النص التوارتي الذي ينال اعتراف أكثر الحركات اليهودية المعاصرة، بمعنى أن ذلك لن يكون على الإطلاق فرصة للنيل من النص التوارتي المعترف به يهوديا إلا في حدود ما تسمح به الضوابط العلمية. وتتألف التوراة عموما من الأسفار الخمسة: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر التثنية، سفر العدد، سفر اللاويين .

أولا: الأبعاد الدلالية للثنائية عبراني-إسرائيلي.

وردت اللفظة عبراني في التوراة منسوبة إلى إبراهيم عليه السلام «أبرام العبراني» في سفر التكوين، ويعتقد بعض الدارسين أن التسمية عبري (نفسها عبراني) مأخوذة من عابر أحد أجداد إبراهيم مثلما يرد في السفر نفسه، وفيه أيضا وردت في مواطن كثيرة للدلالة على غربة الشعب المسمى بهذا الإسم، تماما مثلما ترد في سفر الخروج، وترد في سفر التثنية مؤكدة على أخوة العبد العبراني[1]، كما يرجح أن تكون لها علاقة بلفظتي خابيرو وعابيرو، حيث خابيرو كلمة أكادية ذات دلالات متعددة وأحيانا متناقضة، تطلق على قبائل رحل من البدو، وورد أول ذكر للكلمة في النقوش المصرية في القرنين 19 و18 قبل الميلاد، لتعني العابر والمتجول والبدوي، كما أطلقت مثلما يوضح المسيري في موسوعته الموجزة حول اليهود واليهودية والصهيونية للإشارة إلى القبائل التي كانت تهاجم قديما بلاد الرافدين وحدود مصر وعلى أرض كنعان فتثير فيها الفوضى من آن لآخر، ومن دلالاتها "الجندي المرتزق" حسبما يضيف المسيري[2]. كما أن لها في نفس الوقت مدلول اجتماعي طبقي يتضح من خلال الموقف من العبرانيين وبالذات موقف الفراعنة حسبما جاء في التوراة، من خلال قصة يوسف[3] عليه السلام حين نعتته امرأة العزيز بالعبراني كإهانة إلى أصله، وذاك في سفر التكوين "قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا" وحين صنع يوسف مأدبة لإخوته فقد أجلسهم على مائدة غير تلك التي أجلس المصريين عليها، وفي النص التوراتي من سفر التكوين " لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين "[4]، أما فيما يخص لفظة عبيرو فترد في المدونات المصرية القديمة في الفترة بين منتصف القرن15 حتى منتصف القرن 2 ق. م ومعناها عبد، وتشير الكلمة إلى العمال الذين استخدموا في السخرة[5]. ووسط جملة الإحالات الدلالية للفظة عبراني يرد في النص التوراتي ما يحيل إلى جغرافيا محددة جاءت منها جماعة بشرية تسمى بالعبرانيين، وقد جاء ذلك على لسان يوسف خلال فترته بالسجن إذ يقول

حسب النص المذكور في سفر التكوين " لأني قد سرقت من أرض العبرانيين وهنا أيضا لم أفعل شيئا حتى وضعوني في السجن"[6]. والذي يرجح من القصة التوراتية أن مهدها ومحضنها الجغرافي كان في منطقة الهضاب المركزية، التي تمتد شمال القدس فيما سمي بيهودا والسامرة، حيث ظهرت المملكة العبرانية القديمة[7]. ولعل إحالة دلالية أخرى وهي الأخيرة بالنسبة لنا في هذا المقام للفظة عبري أو عبراني تتصادم مع فكرة الموطن الجغرافي الواردة في النص التوراتي وقد تدعمها، وهي تأخذنا إلى اللغة العبرية حيث مقابل اللفظة في العربية هو الجذر الثلاثي عبر، ومعناه في العبرية انتقل، رحل، عبر من مكان إلى آخر، فيكون المعنى العبري لها المنتقل والمرتحل أو العابر، وضمن هذه الإحالة نتوصل إلى وجود لغة عبرية ومن ثم ما يسمى بالأدب العبري، الذي تم إنتاجه بهذه اللغة باختلاف العصور[8]. ولا يفوتنا في خاتمة عرض هذه المجموعة من الإحالات الدلالية للفظة عبراني، التأكيد على أن النص القرآني لم يشر صراحة إلى أي من العرقيات أو القوميات من خلال التدليل عليهما بالإسم، أو إرجاع هذه القومية إلى منطقة جغرافية معينة هي أحق بها من غيرها، عدا ما كان من قصة يوسف حين الإشارة إلى مجيء إخوته من البدو وتمييزه لنفسه في البيئة المصرية من خلال استعراضه لجذوره السلالية[9]، وكذلك ما ورد في سيرة موسى عليه السلام حين قتله بغير قصد رجلا من غير شيعته مثلما يرد في النص القرآني[10]. وعلى هذا المنوال يسير النص القرآني حين عرضه لمختلف الشخصيات ومسرح الأحداث الذي ظهرت من خلاله على مر العصور وباختلاف المواضيع، ولعل في هذا إيحاء وإحالة واضحة إلى التركيز فقط على الجانب القيمي– المعتقدي المتمثل في توحيد الألوهية لله والتوجه إليه وحده بالعبادة.

أما بخصوص اللفظة "إسرائيلي" فدلالتها المباشرة مرتبطة بالنبي يعقوب عليه السلام، فهو إسم يطلق عليه مثلما يرد في التوراة وحتى في القرآن[11]. لكن المفارقة تكمن في الظروف التي من أجلها أصبغ على يعقوب هذا الإسم، حيث تظهر هنا بوضوح الأسطرة حين تتحدث التوراة عن مصارعة يعقوب مع من تسميه الإله مثلما يرد في سفر التكوين[12]، ومصابرة يعقوب في هذه المصارعة المزعومة حتى كادت له الغلبة لولا إصابته في عرق النسا، فخلع عليه من تسميه التوراة بالإله اسم "إسرائيل" ومعناه المجاهد مع الله في سياق المعنى العبري– التوراتي، وترتب ألا يأكل بنو إسرائيل بعد هذه الحادثة المروية في التوراة عرق النسا. ومن جهة الخطاب القرآني فإن

عبارة بني إسرائيل خاصة تبعا لصاحب التسمية بسلالة يعقوب، رغم أن القرآن الكريم وتبعا لذلك المسلمون لا تتعدى نظرتهم إلى يعقوب حدود النبوة وأنه ابن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكلهم من النبيين والمرسلين برسالة التوحيد. وهكذا تصبح لعبارة بني إسرائيل دلالة خاصة ضمن الدلالة الأكبر والأعم وهي العبرانيون، كما أنها تميزهم (بني إسرائيل) عن نسل إسماعيل بن إبراهيم عليها السلام.

يحدث حين التدقيق في مجموعة الإحالات الدلالية التي أوردناها على نحو مختصر، أن تترسب في الذهن جملة من الأبعاد توحي بها مدلولات الكلمتين عبراني أو عبري وكذلك إسرائيلي، وذلك حسبما جاءت به نصوص التوراة وكل العهد القديم، وما أردفته مختلف الأدبيات البحثية في هذا السياق، وتتجلى عموما مما سبق الأبعاد التالية:

1- البعد القومي (الإثني).

2- البعد الديني.

3- البعد الجيو- سياسي.

وجميعها متداخلة مع بعضها البعض ضمن بعد يوحد بينها وهو البعد التاريخي، وسنحاول مناقشة ذلك جميعا.

1- **البعد القومي:** يقودنا هذا البعد إلى جماعة عرقية معينة وحركتها في التاريخ، وهي جماعة العبرانيين وبعدها جماعة إسرائيل أو بني إسرائيل، وتمتد حركتها في الفترة التي سبقت ظهور التوراة وتحدثت عنها التوراة بين نقطتين أساسيتين في تقديرنا المبدئي هما:

أ- الإنتماء إلى الشعوب السامية.

ب-الإنتماء إلى ما يسمى في التراث اليهودي بعصر الآباء أو البطارقة.

بالنسبة للشعوب السامية حيث يصنف العبرانيون ضمنهم، فقد سموا بذلك نسبة إلى سام أكبر أبناء نوح (عليه السلام)، وهو لفظ يطلق على مجموعة الشعوب التي عاشت على شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد الرافدين، وقد تحدثت الشعوب السامية بلغات متقاربة هي اللغات السامية، ويصنف ضمن الساميين: الآشوريون والبابليون والآراميون والكنعانيون والفنيقيون والعموريون

والموآبيون والأدوميون والعمونيون والأكاديون، وفيما بعد جزء كبير من الأثيوبيون، ويمثلهم في الوقت الحاضر أساسا العرب[13].

ولعل ما يميز هذه الشعوب وظروف الحياة في هذه الفترة هو الحركة المتجسدة في الهجرات، وهو ما ينطبق على حالة العبرانيين الذين هم أكثر من عرف بهذه الصفة، ومنهم النبي إبراهيم عليه السلام.

مع النبي إبراهيم يبدأ ما يسمى في الأدبيات اليهودية استنادا إلى القصة التوراتية بعصر الآباء أو البطارقة (بطرياركة)، مع ابنه إسحاق وحفيده يعقوب[14]، ولقب آباء يعني أنهم كانوا بمنزلة رؤساء وشيوخ قبائلهم يرتبطون معها برباط الدم والنسب والعرق[15]، رغم أن النص القرآني- مثلا- صريح في تسميتهم جميعا بالأنبياء إثر تلقيهم الوحي الإلهي، حيث لم يتنافي هذا قطعا مع توضيح نسبهم وأصولهم السلالية في القرآن الكريم، لكن التأكيد شمل كونهم مرسلين من الله لهداية الناس بالدرجة الأولى، وهو ما يلقى طابعا جدليا في التراث اليهودي مثلما سيتوضح معنا حين عرض ومناقشة البعد الديني.

يرجح أن إبراهيم عاش في الفترة ما بين القرنين 21 و 19 ق م، وانحدر من مدينة أور الكلدانية، ومنها ارتحل إلى حاران وكلاهما في عراق اليوم، ومنها ارتحل أيضا إلى بلاد كنعان[16]. وقد انتقل منها إلى مصر ليعود مرة أخرى إلى بلاد كنعان. أما النبي إسماعيل وهو الإبن البكر لإبراهيم فيركز العهد القديم على أن دمه ليس نقيا، إذ أن أمه مصرية كما أنه تزوج مصرية واندمج نسله مع المدينيين والموآبيين، الأمر الذي جعلهم خصوما للعبرانيين على الدوام[17]. كما أن قصة إبعاده وأمه من طرف أبيه نزولا عند رغبة زوجته الأولى، حسبما ترويه القصة التوراتية حدثت عند منطقة بئر السبع في فلسطين، وهو خلاف ما جاء في آيات القرآن الكريم. وفيما يتصل بالنبي إسحاق وهو أبو يعقوب فلم تكن له أهمية كبيرة في التراث الديني اليهودي، على عكس أبيه وابنه مثلما يوضح المسيري الذي يقول أن بعض دارسي العهد القديم يرون أهمية النبي إسحاق كانت أكثر بروزا في نسخ العهد القديم التي فقدت[18]. ويعقوب هو أبو الأولاد الإثنا عشر الذين تنحدر منهم قبائل بني إسرائيل الإثنا عشر وهم نواة ما سيسمى بالشعب اليهودي[19]. وقصتهم معروفة في الهجرة إلى مصر مع أبيهم يعقوب بعدما أصابهم القحط في بلاد كنعان، حيث هناك التقى يعقوب

مع ابنه يوسف الذي تآمر عليه إخوته وباعوه لإحدى القوافل، فأصبح بعد عدة محن وزيرا أعظما ومدبرا لشؤون ملك مصر، والقصة مروية في سفر التكوين.

2- **البعد الديني:** يندمج العامل الديني مع القومي (الإثني) في الرواية التوراتية المتعلقة خاصة بالآباء الأوائل كما تسميهم الأدبيات اليهودية، وهذا الوضع خلف في تقديرنا طابعا جدليا للقصة العبرانية-الإسرائيلية التي أصبحت فيما بعد قصة يهودية. إن القصة بتفاصيلها في أسفار التوراة لاسيما منها سفر التكوين وكأنها تسعى إلى إحاطة العامل الإثني- العرقي المتجسد في أصول السلالة الإسرائيلية بهالة من التقديس. وإننا نجد هذا التقديس في النص القرآني-مثلا- لا يرتبط بشخص أو عرقية ما بقدر ما يسعى إلى الإعلاء من مقام النبوة، المرتبطة باستحقاق التكريم بعد إثبات الولاء الخالص للإله الخالق، وهو المتجسد في قصة إبراهيم أبو الأنبياء ونسله إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وموسى الذي يعد خاتمة عصر الآباء كما تعتبره الأدبيات اليهودية. إن الطابع الجدلي الذي نقصده حيال النص التوراتي فيما يرتبط بتحليلنا لدلالات التسميتين عبراني وإسرائيلي، هو الإقتصار على تسمية آباء من جهة ثم تأكيد تلقي هؤلاء الآباء لوحي ما من الإله، يتمحور هذا الوحي أساسا حول ما سموه بالعهد، وبخصوص هذه الثنائية المتمثلة في الإله-العهد فإن مسألة الربوبية والألوهية في التوراة لها خصوصية تكتنفها الغرابة، فتتراوح بين خالق قادر وصانع وقاهر ومجانب للإنسان إلى شبيه به بل وضعيف مثله، حيث يشمل هذا الضعف كثيرا من الصفات الإنسانية السلبية، وهو ما يتبين خاصة من الإصحاحات الأولى لسفر التكوين.

وهو الرب نفسه الذي أعطى بداية عهده لإبراهيم بملكية أرض يسكنها الكنعانيون مثلما جاء في سفر التكوين، وفي السفر نفسه في موضع آخر يأتي وعد جديد في مرحلة لاحقة لإبراهيم أيضا، يتضمن هذا المرة مساحة هذه الأرض، وهو مقدار ما تستطيع عين المرء أن تراه، ثم تتسع الجغرافيا كثيرا لتشمل ما بين النيل والفرات كما في الإصحاح15 من سفر التكوين" وقال له أنا الرب الذي أخرجكم من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها..في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات "[20].

وقد اقتصر هذا العهد فيما بعد على إسحاق دون أخيه إسماعيل، ثم يعقوب دون أخيه عيسو، ثم بقي متوارثا في أبناء يعقوب أي إسرائيل.

3- **البعد الجيو سياسي:** الواضح أن المنطقة التي تدور أحداث الرواية التوراتية فيها، حيث استخرجناها كإحدى الإحالات الضمنية لدلالات الثنائية عبراني-إسرائيلي هي منطقة الشرق الأدنى القديم وتشمل :

- شبه الجزيرة العربية.
- منطقة الهلال الخصيب.
- مصر.

ونتفق مع المسيري في أنه لا يمكن فهم التواجد العبراني- الإسرائيلي في هذه المنطقة دون فهم سيرورة العلاقات الدولية بمفهومها الزمكاني، وقد كان توزيع القوى الكبرى في الشرق الأدنى القديم مقسما بين قوة ما بين النهرين (العراق) ومصر، وكلاهما نمتا على ضفاف الأنهار، وبين هذه وتلك برزت عديد القوى واضمحلت، ومن بينها جماعة إسرائيل التي استقرت بما يسمى تاريخيا وحتى في بعض نصوص التوراة أرض كنعان، وهي المنطقة الواقعة غربي نهر الأردن الممتدة حتى لبنان وسوريا شمالا، والبحر المتوسط وسيناء جنوبا، وكان المصريون القدماء يشيرون إليها باسم بالاستو أي فلستيا التي اشتق اسمها من أحد شعوب البحر وهم الفلستيون[21].

ثانيا: التوراة ومشكلة الإنتقال من التمركز حول الأشياء إلى التمركز حول الأفكار.

شكلت منطقة الشرق الأدنى القديم فضاء زمكانيا للديانات الوثنية وتعدد الآلهة بشكل خاص، لذلك تعتبر التوراة من حيث هي كتاب مقدس مرتبط أساسا بنبوة موسى عليه السلام، ثورة كبيرة على المستوى الروحي والفكري في الظروف الزمكانية للشرق الأدنى القديم، حيث نفترض أن الكتابة واللغة (اللسانية) كإلزام عقلي للإتصال قد حلت محل الأسطرة والكتابة الأيقونية، كما ونعتقد أن هذا لم يكن حكرا على نبوة موسى فقط من حيث هو شخصية مركزية في تاريخ بني إسرائيل، بل إن الإيمان بالإله الواحد عبر الإلزام العقلي للإتصال بمعنى استخدام رموز اللغة اللسانية كمضمون للرسالة الإرشادية، ثبت بالنسبة للنبوة الإبراهيمية مثلما يتحدد في غير موضع من القرآن

الكريم، فضلا عن ذلك ما يرد في آيات القرآن من استخدام إبراهيم للملكة العقلية في الوصول إلى حقيقة أن هناك إله واحد متجاوز للإنسان وله صفات عليا. هذه هي الحقيقة المقرر افتراضها إزاء أي من رسالات التوحيد التي مرت عبر التاريخ وسميت اصطلاحيا بالديانات السماوية، وكانت التوراة المنزلة على موسى واحدة منها. إن فكرة الإلزام العقلي للإتصال في الرسالة التوراتية سليمة من حيث المبدأ، رغم أنها استخدمت للتدليل على موضوع يتجاوز الطبيعة الإنسانية، وما كان من جدل بخصوص النص التوراتي من طرف عديد الباحثين فهو مرتبط أساسا كما نرى بالحالة المتمثلة في إقحام الإلزام العقلي للإتصال في أتون الأسطورة، ولعل هذا ما تم تحت تأثير المؤثثات الرائجة على المستوى العقدي في بيئة الشرق الأدنى القديم، وقبل هذا فإن القرآن يخبرنا كيف أن موسى نفسه لقي من قومه بني إسرائيل سلوكات أدهشته بعد أحداث خروجه معهم من مصر، فقد افتتنوا بداية بعبادة الأصنام، ثم عبدوا العجل وقالوا أرنا الله جهرة، وستظهر مفاعيل هذه الظاهرة مع تقدم مناقشتنا للنص التوراتي في ضوء الأدبيات المتوفرة. أما بخصوص شخصية موسى فإننا لا نقبل إطلاقا أيا من الإدعاءات التي تذهب إلى جعله شخصية أسطورية، أو تشكك في مصداقيته لمجرد ضعف النص التوراتي[22].

فكما أنه لم يتوفر دليل علمي صريح يقطع بذلك فإن القضايا الإيمانية لا يمكن البتة عرضها على التجارب العلمية الترابية، أضف إلى ذلك أن المذهب المادي نفسه يعجز أن يكون قاعدة إرشادية لجميع مظاهر الكون، وإلا يتم الوقوع في عقلانية القفص الحديدي وفق التعبير الفيبري.

تعتبر شخصية موسى حسب النصوص التوراتية شخصية مركزية في تاريخ بني إسرائيل والتراث اليهودي عموما، وقد كان رجل مرحلة جد حساسة بالنسبة للجماعة العبرانية–الإسرائيلية خاصة خلال ما سمي بملحمة الخروج، بعد اضطهاد بني إسرائيل في مصر من طرف فرعونها، وقد كان العهد تقادم بينهم وبين الفترة اليوسفية. وأبرز القضايا الملفتة التي نقلتها إلينا نصوص التوراة بخصوص الفترة الموسوية وملحمة الخروج هي :

- تحول اسم الإله إلى "يهوه".
- تابوت العهد وخيمة الإجتماع.
- تقديم هارون ككاهن سيختص بما سمي العبادة القربانية.

- التأكيد على مسألة الأرض الموعودة.

هكذا عاد التاريخ العبري للبروز ثانية بعد غياب قرابة أربعة قرون من الزمان على يد الرب "يهوه"، الذي انتحل شخصية إله الآباء الأوائل" ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم "، ورد ذلك في سفر الخروج، وبعد النجاح في التحرر من فرعون مصر يأتي التأكيد على قضية الأرض الموعودة " إن ملاكي يسير أمامك ويجيئ بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحوريين واليبوسيين فأبيدهم..لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة لئلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية، قيلا قليلا أطردهم وأجعل تخومك من بحر سوف (البحر الأحمر) إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر"[23]، وعلى الجبل لقن الرب (يهوه) موسى الشريعة التي ستنظم الحياة الدينية والدنيوية لقوم موسى، كما علمه كيف يصنع تابوت العهد ومسكنه وخيمة الإجتماع، التي أسهب المحّرر التوراتي كثيرا في شرح دقيق وتفصيلي لها، ولباس الكهانة التي حصرت بهارون وأبنائه ونسلهم من بعدهم كحق وراثي أبدي، وطقوس تقديم الأضاحي وتبخير خيمة الإجتماع وطقوس وشعائر العبادة، وبعد أربعين يوما قضاها موسى مع الرب، أعطى الرب موسى الوصايا العشر منحوتتين بيد (يهوه) نفسه على لوحين من الحجارة [24].

ثالثا: جدلية الوجود السياسي العبراني-الإسرائيلي في الشرق الأدنى القديم.

من الناحية المبدئية يفترض ألا تشمل نصوص التوراة على ما يحيل مباشرة إلى وجود سياسي لبني إسرائيل على أرض كنعان، فما كان في أسفار موسى الخمسة يشكل المخزون النظري المبدئي لضرورة تأسيس كيان ما على جغرافيا يتردد الإله يهوه-حسب زعمهم- في تحديدها بالدقة المطلوبة، وقد توفي موسى فعلا قبل دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة مثلما تسمى في النص القرآني، وبالتالي فإن التوراة بقيت حبيسة الجغرافيا المصرية والسينائية بشكل أكثر بروزا ووضوحا، ورغم ذلك فإنها ضرورية لفهم مرحلة بناء كيان سياسي ما من طرف الجماعة الإسرائيلية على أرض كنعان، لاسيما وأن مرحلة الخروج من مصر تحت القيادة الموسوية أعقبها أمر بالدخول إلى الأرض التي تفيض لبنا وعسلا حسب ما يرد في سفر الخروج.

وفي المرحلة الموسوية تمت من على تخوم أرض كنعان أعمال استطلاعية لتكوين تصور ما حول عملية الدخول، هذه الأخيرة التي لم تتم على حياة موسى، وجاءت بعد انقضاء فترة ما سمي بالتيه في صحراء سيناء، ولذلك فمن الناحية العملية ستفيدنا الأسفار التاريخية الإثنا عشر[25]، في فهم طبيعة المرحلة ومناقشتها في ضوء الأدبيات المتوفرة، ويقع التقاطع بين المرحلتين الخروج والدخول في سفر يوشع Josué وعبر شخصية يوشع نفسه، ويتحتم ضمن هذه الجزئية مناقشة مشمولاتها المتمثلة في :

- عصر يوشع.
- عصر القضاة.
- عصر المملكة المتحدة.

إن هذه العناصر الثلاثة تجسد في الآنين معا استمرارا للرابطة العصبية الإسرائيلية، و تأسيسها التدريجي لكيان سياسي مثلما تم تحديده في النص التوراتي، من خلال العهد المتجدد من فترة الآباء إلى الفترة الموسوية، لكن الذي يعقبها هو بداية ضعف الرابطة العصبية الإسرائيلية وتشتتها أو على الأقل عدم وضوحها بالشكل الكافي مثلما كانت في الماضي، هذا الذي تزامن مع انحرافات متراكمة عن المبدأ التوحيدي الأول، وقد بدأت بوادر الإنحرافات التي نتحدث عنها في النص التوراتي نفسه، من خلال ظهور ما أسماه عبد الوهاب المسيري بالعبادة القربانية المركزية، وهي التي ستؤسس فيما بعد حسب تقديرنا لليهودية كمسمى جديد للتراث الذي خلفه كتبة أسفار العهد القديم.

تعتبر شخصية يوشع بن نون Josué حلقة الوصل بين الفترة الموسوية وفترة التواجد العبراني–الإسرائيلي في أرض كنعان، فهو خليفة موسى وخادمه من سبط أفرايم، ولد في مصر، ويصوره العهد القديم نبيا وقائدا عسكريا قاد القبائل العبرانية إلى أرض كنعان، واقتحمها حسب الرواية التوراتية بعد معارك ضارية [26]. وكان "يهوه" يتحدث إلى يشوع مباشرة ولكن ليس بشكل مشخص كما كان الأمر مع موسى، بل بشكل مجرّد إيحائي، بعد أن غادر الرب تابوت العهد وصعد إلى السماء، وقد دعم الرب "يهوه" يشوع وشد على يده بعد أن طلب منه عبور الأردن إلى

أرض كنعان قائلا:" كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته.. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم "[27].

وأما عن المعارك الضارية التي ادعتها رواية العهد القديم فتتضح بجلاء في سفر يوشع " فاندفع الشعب نحو المدينة كل إلى وجهته واستولوا عليها ودمروا المدينة وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير"[28].

والواضح من غير ما موضع في سفر يوشع وحتى قبل ذلك في التوراة من سفر التثنية مثلا، أن المنطق الذي جرت به الأحداث في الدخول إلى بلاد كنعان هو حرب إبادة بامتياز، ولكن فيما يبدو فإن نتائج هذا السرد التوارتي عادت لتقع من جديد في التناقض، حيث يتضح من النصوص نفسها أن العبرانيين حين دخولهم أو تسللهم إلى أرض كنعان عاشوا على هوامش المدن وقمم الجبال، أو ساكنوا الأقوام التي وجدوها قبلهم في بعض مدنهم مثلما وقع مع اليبوسيين في القدس. وفي المحصلة فإن هذا التواجد العبراني–الإسرائيلي على أرض كنعان وأيا كانت طبيعته قد أسس لتواجد سياسي بشكل ما، سمي بعصر القضاة، الذي يمثل اتحادا للقبائل الإسرائيلية بما هي نواة وبداية لما سمي بالمملكة المتحدة، التي تبدأ بالملك طالوت ثم يليه كل من داوود وسليمان[29].

والقضاة هم أشخاص من الكهنة المحاربين جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية، مثلما يوضح المسيري في موسوعته الموجزة، وأشهرهم حسب الروايات التوراتية "جدعون" الذي هزم المدينيين عن طريق الهجمات الليلية ونصب الكمائن والهجمات الخاطفة، و"شمشون" الذي هدم المعبد على من فيه من الفلستيين الذين سخروا منه بعدما أوقعوه في فخ لهم، ليموت هو نفسه في هذه الحادثة، ومن هؤلاء الفلستيين "جليات" أو جالوت كما يسمى عربيا وهو الذي قتله داوود بمقلاعه، وأصبح بعد ذلك داوود رمزا وشخصية محورية تأتي بعد موسى في التراث اليهودي.

لقد أقام داوود المملكة ووطد الحكم لبني إسرائيل كما تسرد الأسفار التاريخية، وتعرض هذه الأسفار شخصيتي كل من داوود وسليمان ببعدين متناقضين، والأبرز في هذا العرض أنهما أساسا مارسا السلب والنهب وقطع الطرق من خلال ترؤس عصابات في هذا الشأن. وفي شأن مملكتهما فإننا نجد في إحدى الخرائط التي توضح حدود هذين المملكتين تحت مسمى: إسرائيل في الفترة

التوراتية أو الزمن التوراتي[30]، أن مملكة داوود تمتد من صحراء سيناء جنوبا إلى نهر الفرات شمالا، ومن البحر المتوسط إلى داخل الأراضي الأردنية (الضفة الشرقية)، وتشمل دمشق وسهل البقاع وأجزاء واسعة من سوريا، في حين تتقلص حسب هذه الخريطة مساحة مملكة سليمان لتبقى فقط في حدود الجنوبية لدمشق وسهل البقاع. لكن الدراسات العلمية الحديثة المتمثلة أساسا في الحفريات والتي قام بها إسرائيليون أنفسهم، حيث أتيحت لهم الفرصة بعد حرب 1967م التي من نتائجها احتلال القدس بالكامل، أثبتت مثلا أن ما سمي بأورشليم لم تكن سوى مدينة صغيرة معزولة، وأن سليمان حكم على رقعة جغرافية صغيرة في منطقة يهودا [31].

كما ويضيف في نفس السياق Israel finkelstein وفي نفس الكتاب "عالم حفريات في وطن التوراة" بأن: فكرة أن شرعية دولة إسرائيل (الحديثة) يمكن أن تقبل ولو على سبيل النقاش لمجرد تواجد تاريخي للعبرانيين على أرض إسرائيل (كما يسميها)، هي بكل صراحة فكرة ساذجة.

وفي المحصلة نقول: لقد اتضحت الكثير من التناقضات في نص التوراتي وما تلاه من أسفار لما سمي بالعهد القديم العبري، وهو ما يقول به من أخضعوا تلك النصوص للدراسة والتحليل، وآخر ما حصل على هذا المضمار هو ظهور ما سمي بـــ مخطوطات البحر الميت[32] إلى الوجود قبيل ما اصطلح عليه بالنكبة الفلسطينية، وتسمى هذه المخطوطات أيضا بوثائق قمران أو جماعة قمران والتي عثر عليها في كهوف خربة قمران بفلسطين الإنتدابية قرب شواطئ البحر الميت من طرف مجموعة من الرعاة، وتبين فيما بعد أنها نسخ من العهد القديم العبري، كتبت باللغات العبرية والآرامية واليونانية، وخلف ظهورها إلى غاية قيام "دولة إسرائيل" عام 1948 واستيلائها عليها جدلا واسعا، بعد محاولات التعتيم التي جرت عليها من طرف المؤسسة الإسرائيلية وكذا الكنيسة الكاثوليكية.

وقد كلف فريق دولي بدراستها ولم تتبين إلى غاية الآن نتائج البحث والدراسة، وما وصلنا عن هذه المخطوطات من طرف المتخصصين[33] هو أن نصوصها تحمل 37 نسخة مختلفة من نصوص التوراة التي نعرفها اليوم، وأن مجموع الإختلافات بينهما وصل إلى 5120 اختلافا، منها أن سفر إرمياء المخطوطاتي–مثلا– أقصر بثلث من سفر العهد القديم، وسفر إستير (وهو من الأسفار التاريخية) مفقودة في المخطوطات، وقد قدر تاريخ كتابة هذه المخطوطات من طرف "وليام

هولبرايت" مؤسس علم الآثار التوراتي بين القرنين 3 و2 ق.م ، وهي الفترة تسبق تاريخ الإجتماع الجدلي الذي قرر فيه توقيف أية إضافات من طرف الكهنة و الكتبة اليهود على النص التوراتي سنة 100م.

إن الحركة داخل النص التوراتي نفسه هي محدد أساسي لفهم المسألة اليهودية فضلا عن النص في حد ذاته، هنا تحديدا نجد أنفسنا أمام واقعة لغوية متدحرجة مثل كرة الثلج، ونجد أنفسنا في الآن نفسه بين متلازمتين كلاهما تحدد منحى فهم البنية البني إسرائيلية–اليهودية.

إننا في الحالة اليهودية وفيما يرتبط بالتوراة تحديدا أمام النص كتمعقل وأمام التمعقل كنص جديد، وفي ضوء هذا و ذاك تفهم التوراة كمنطلق إرشادي لمختلف البنى النظرية التي جاءت بعدها، وأسست لحياة يهودية على الأرض وعلى أرض فلسطين في النهاية، وكانت هذه النهاية هي تأسيس "إسرائيل" التي ورثت كل التناقضات المتراكمة تاريخيا.

المطلب الثاني : اليهودية والحلولية وضياع الرابطة العصبية الإسرائيلية.

إن التوراة كجزء مما سمي بالعهد القديم، ولاسيما من خلال طابعها الجدلي المتجلي من تمظهرها النصي، وفيما أثير حولها من نقاشات وتحليلات تفيض بها العديد من الأدبيات البحثية على المستويين العربي والغربي وحتى الإسرائيلي الحديث، هي مستند نظري على درجة كبرى من الأهمية في فهم المسألة الإسرائيلية (الحديثة)، وفي فهم حقيقة اليهودية ذات الإرتباطات التاريخية والسياسية والقومية والدينية. إننا نستفيد حقا من التمعقل النصي والنص التمعقلي كنص جديد، وذلك في الحالة اليهودية أو البني الإسرائيلية المنتجة للنص التوراتي، لكي نستخرج ليس فقط مجموعة المتناقضات بل العوامل التي لها السبق في إنتاج هذه المتناقضات أو لنقل الإنحرافات. وقد أفادنا قبل الآن النظر في مدلولات اللفظين عبري وإسرائيلي في التعرف على الأبعاد التي أسست لظاهرة اسمها المشكلة اليهودية، استمرت هذه الظاهرة في الزمان بأشكال وصور متعددة، وطرحت هذه الإستمرارية في حد ذاتها مشكلة أخرى و جدلا حول مدى صحتها وعمقها التوصيفي والتفسيري. والحاصل أننا من خلال مزيد من النظر العميق في الإرتباطات المتعددة لمدلول اللفظتين السابقتين،

رجوعا في التاريخ، سنجد أن للعامل القومي في المسألة اليهودية أسبقيته الواضحة على العامل الديني، ونظرنا هذا مرتكز دوما على التوراة كمستند مركزي لفهم اليهودية وتعقيداتها، بمعنى أن هذه التعقيدات التي لاشك تراكمت تاريخيا، مناط تبسيطها الوحيد يمكن في الرجوع إلى الحيثيات المرتبطة بالتوراة مع الإستئناس دوما بأقوال المختصين والمتتبعين الراسخين لهذا الشأن.

لقد كان النص المقدس دوما هو الحادي والمحدّد للأفهام والسلوكات في الحالة اليهودية، حتى في حالتها اللادينية كما سنرى، لكن المفارقة أن عقلا ما أنتج هذا النص ثم اقتدى به وكذلك الأجيال اللاحقة، والعقل نفسه قام بإدخال التعديلات على النص وصولا إلى سنة 100 ميلادية تقريبا، وهكذا تصبح عملية الفرز صعبة، تماما مثلما هو الحال مع البنية التحتية والفوقية وأيهما أسبق. لكن التفحص الدقيق للفترة الموسوية يجعلنا نستشف بذورا للإنحراف غرست منذ تلك الفترة، شملت هذه الإنحرافات مثلا تقبلا ما وتأثرا بالبيئة الوثنية في منطقة الشرق الأدنى القديم من طرف الجماعة الإسرائيلية، وهي نفس الجماعة التي كانت كثيرة التذمر والتمرد على القيادة الموسوية والإلهية، مثلما يسرد علينا النص التوراتي نفسه، وقد وصل هذا التمرد إلى درجة عبادة العجل الذهبي.

هنا تحديدا ندرك أننا أمام حالة مرضية مرتبطة بفئة واسعة من جماعة عرقية معينه هي جماعة بني إسرائيل العبرانية، والعقل الإسرائيلي العبراني هو من سينتج فيما بعد النص التوراتي، وسيعمل على تعديله كلما اقتضت الضرورة، وفي حكم الحاصل وبعد لحظات تدهور وتقهقر لاسيما على المستوى السياسي ظهرت اليهودية إلى الوجود، لتعبر عن عمق معين من الأزمة وصلت إليه الجماعة الإسرائيلية، التي كانت في يوم ما محضنا للديانة الموسوية من حيث هي ديانة سماوية. في لحظة ما لم يعد ما جاء به موسى (عليه السلام) تمركزا حول الأفكار أو استخداما لفكرة الإلزام العقلي للإتصال من أجل الوصول إلى الخالق المدبر والمستحق للعبادة وحده دون سواه، آخذين في الحسبان ما يرتبط بعقيدة التوحيد والإيمان بالغيب عموما من إشكالات على المستوى العقلي، الذي قد لا يستوعب كثيرا من القضايا والأحداث فيلجأ إلى تصنيفها إلى أساطير أو ميتافيزيقا، وفق المناهج التي خلفها عصر الإستنارة. لقد تحول ما جاء به موسى مع الأيام وعلى نحو تراكمي إلى تمركز شديد حول الأشياء والأشخاص والطبيعة أيضا، وكما أسلفنا فإن إرهاصات ذلك بدت واضحة في الفترة الموسوية نفسها وفق ما كتب في نصوص العهد القديم العبري، والموازنات

العلمية والفكرية التي اتخذته فضاء للدراسة والمباحثة. إذن فاليهودية تحصيلا هي انحراف عن عقيدة التوحيد على النحو الذي قبل بإدخال مجموعة من العناصر الغريبة على الجسم العقدي التوحيدي، وهنا تحديدا اختلطت واضطربت المعادلة التوحيدية.

لقد تحول لفظ يهودية في لحظة ما إلى مصطلح ذي دلالة خاصة بمعتقد معين تدين به جماعة ما ، وهذه الجماعة كانت من حيث المبدأ العبرانيين الإسرائيليين الذين استوطنوا أرض كنعان بعد موسى، وإذا أردنا الدقة قلنا بعد سليمان بن داوود (عليهما السلام)، وهو مؤشر على ظهور هذه اللفظة وهذا المصطلح بعد ما سمي بالانقسام في المملكة بعد وفاة سليمان، حيث أصبحت واحدة شمالية وسميت بإسرائيل وعاصمتها السامرة والأخرى جنوبية وسميت يهوذا وعاصمتها أورشليم[34]، وهنا يظهر بعد دلالي خاص للفظة "إسرائيل" وهو بعد سياسي، وبعد آخر مثله للفظة يهودي، فهي مسمى المملكة الجنوبية الناجمة عن انقسام مملكة سليمان بعد موته مثلما تقر به أسفار العهد القديم لاسيما التاريخية منها، ويهوذا هو اسم أحد أبناء يعقوب، وقد عمر المملكة الجنوبية نسل سبطي يهوذا وبنيامين.

إن هذه الظروف الإنقسامية التي نتحدث عنها تراكمت فيها إلى حد كبير الإنحرافات العقدية، حيث سادت العبادات الوثنية لاسيما في المنطقة الشمالية التي عبد فيها ما سمي بالإله بعل، وبدأت تترسخ الطقوس الكهنوتية التي نجد لها أصلا في نصوص التوراة من سفر الخروج، إلى أن جاءت اللحظة التي تعتبر بداية لانحسار العصبية الإسرائيلية وإيذانا بضياعها أو انعدام وضوحها وصعوبة التحقق من صدقيتها، وقد كان ذلك عام 721 ق.م مع ما سمي بالسبي الآشوري، حيث دمر الآشوريون المملكة الشمالية (إسرائيل)، وسبوا الجماعة الإسرائيلية فيها إلى مناطق متفرقة من الإمبراطورية الآشورية.

حاولت جماعة إسرائيل بعدها الإنصهار والإندماج في تكتل عقدي وسياسي واحد، وكان الملجأ هو مملكة يهوذا الجنوبية، وبدأت بعدها التسمية "يهوذي" تكتسب معنى جديدا يعادل المعنى العام الذي أعطي للتسمية "إسرائيلي"، وأصبحت التسمية يهوذي تستخدم للدلالة على من يعتقد في مجموعة المفاهيم الدينية التي كونت الديانة الإسرائيلية[35].

إن هذا ما نقبله كفرضية بخصوص التسمية يهودي، من خلال استقصاء حيثيات القصة التوراتية وأسفار العهد القديم والجدل بخصوص العقل البني إسرائيلي، أما ما كان من إجماع غالبية المصادر في تفسير القرآن الكريم حول إرجاع الكلمة "هاد" إلى الأصل تاب ورجع، فإننا نستبعده لتصادمه مع عموم الأحداث وسماتها الغالبة في سياق تاريخ بني إسرائيل، ولتصادمه أيضا مع المنطق اللغوي العبري الذي قد لا يستسيغ القبول بتسمية صياغتها عربية، ثم إن المنطق القرآني نفسه يأخذنا بخصوص اللفظة يهودي في الغالب الأعم إلى المعنى الذي يجعلها في حالة غير توافقية مع المعتقد الإسلامي–التوحيدي. كما أننا في الآن نفسه نستبعد مبدئيا الإشتقاق الوارد في قاموس أكسفورد،الذي يوحي بأنه فعل Jew الذي أخذ من كلمة اليهودي كاشتقاق لغوي معناه غش وخدع [36]. فهو مرتبط بحالة وجدانية أوروبية لاحقة في التاريخ ومتعلقة باليهودية كمركب عقدي نما تاريخيا.

لقد ترسخت التسمية يهوذي بعد السبي الآشوري لتصبح سمة دينية وكذلك سمة قومية، فهي خاصة بجماعة بني إسرائيل في تلك الفترة، هذه الجماعة التي قامت بإدخال مجموعة من الإصلاحات العقدية لتدعيم وحدتها، مع العلم أن حضور الأنبياء لم يتوقف إلى غاية هذه الفترة والتي ستليها، وهو ما سمي في الأدبيات اليهودية بعصر النبوة الكلاسيكية، لتمييزها عن الشخصيات التي ظهرت قديما وسموا بالآباء أو القضاة أو الملوك.

إن عصر ما سمي بالنبوة الكلاسيكية حسبما يبدو كان خاصا تحديدا بفترة السبى التي تعرضت لها جماعة إسرائيل العبرانية، وقد كانت المرحلة الفاصلة في هذا السبي هي مرحلة السبي البابلي عام 586 ق. م وتدمير ما عرف بالهيكل من طرف نبوخذ نصر ملك بابل. هذا السبي البابلي كان الضربة الثانية التي توجه إلى اللحمة الإسرائيلية وكذلك إلى العقيدة اليهودية، فقد باتت تعرف بهذه التسمية تزامنا مع هذه الأحداث، إذ ثبت استخدام التسمية (يهودي) قبيل السبي البابلي مثلما يرد في سفر الملوك الثاني، وورد استخدامها خلال السبي البابلي مثلما يرد في سفر إرميا وسفر إستير، حيث تذكر كلمة يهودي واليهود بوضوح [37]. وبذا يتأكد لنا أن فترة السبي البابلي كانت حساسة جدا في تاريخ جماعة بني إسرائيل، ونخمن أنها كانت فترة ضياع سياسي وقومي وعقدي، وترجع كثير من الكتابات أن فترة تدوين التوراة نفسها كانت خلال السبي البابلي، وخلال

هذه الفترة أو على الأقل بسببها بدأت تتشكل الملامح العقدية لفكرة الخلاص والمسيح المخلص والعودة إلى الأرض الموعودة وبناء الهيكل من جديد. وقد انتهت هذه الفترة (السبي) على أيدي الفرس الأخمينيين سنة 538 ق.م، الذين أعادوا اليهود إلى مركزهم وساعدوهم في بناء هيكلهم، وعرفت بعدها الجماعة اليهودية استقرارا ملحوظا على المستويين السياسي والعقدي، إلى غاية وصول حملات الإسكندر المقدوني إليهم مع سنة 332 ق.م ، وبداية التأثير الهيللنستي على الديانة اليهودية.

لقد كان هذا طرحا مبدئيا ضروريا يوضح المشهد العام الذي من خلاله ظهرت اليهودية إلى الوجود، وانحسر في سياق ذلك وضوح الرابطة العصبوية الإسرائيلية، حتى وصل الأمر بالبحث في هذا الميدان إلى طرح سؤال جوهري وحساس جدا، من هو اليهودي؟

ومهمتنا الأساسية لنا تكون بأي حال هي الإجابة عن هذا السؤال بقدر ما ستكون توضيحا لمجموعة من الأبعاد، التي من شأن الإحاطة بها أن تمنح القارئ مقدارا من الوعي بطبيعة اليهودية والشخصية اليهودية، وبالتالي ستمر مناقشتنا عبر ثلاثة محاور أساسية:

1- اليهودية من المركز إلى الشتات.
2- الحلولية والعبادات السرية.
3- المسيحانية.

أولا: اليهودية من المركز إلى الشتات.

يكتسي البحث في أصول اليهودية نوعا من الصعوبة والتعقيد، وذلك نظرا للتداخل الشديد بين العاملين أو البعدين القومي والديني فيها، حيث يمتزجان إلى درجة التوحد، ثم يرتبطان في وضع جدلي مع بعد ثالث هو البعد الجغرافي أو بالأحرى الجيو-سياسي، وقد تشكل لنا بناء على هذه الوضعية ثالوث يتمثل في :

- القومية الإسرائيلية-العبرانية.
- الديانة الموسوية كامتداد لديانة الآباء (توحيدية من حيث المبدأ).

- أرض كنعان (امتدت لتشمل ما بين النيل والفرات).

لقد خضع هذا الثالوث إلى تأثيرات شتى عبر التاريخ، بعضها خارجي مرتبط بالبيئة الزمكانية بمعنى الظروف النفسية–الإجتماعية السائدة تاريخيا، وبعضها داخلي متعلق أساسا بالنفسية الإسرائيلية–العبرانية، والتي تشكل بدورها جزءا لا يتجزأ من البيئة نفسها. إن هذا الوضع برمته ساهم في تشكيل النص التوراتي وأسفار العهد القديم، ومنح بذلك بنيته النصية طابعا جدليا أفسح المجال لدخول عديد الإفتراضات البحثية، التي أمسى لا مناص منها لتشكيل تصور محكم إزاء اليهود واليهودية، وفي مرحلة لاحقة الصهيونية وإسرائيل كدولة أنشئت في القرن 20 م، بناء على الإفتراضات والتصورات نفسها التي نسعى إلى فهمها من خلال وضعها في سياقها المناسب.

وتبعا لهذا كله فإن أنسب سياق سيكون مدخلنا لفهم اليهودية ومشكلاتها هو ما نسميه بالنظام الكهنوتي، ونعتقد أن هذا النظام تبلور بشكل أكثر وضوحا بل وقوة بعد الفترة السليمانية وهي التي سميت في الأدبيات البحثية المستندة إلى أسفار العهد القديم بعصر المملكة المنقسمة. لقد كان للفعل الكهنوتي دوره الفاعل في إنشاء اليهودية وتزامن ذلك عكسيا مع ضياع وانعدام متزايد لوضوح الرابطة العصبية الإسرائيلية.

تجسد النظام الكهنوتي في المؤسسة الكهنوتية المرتبطة عضويا بالمؤسسة السياسية، والمركز بين هذه وتلك هو ما يسمى بالهيكل، ويسبح في تلك هذا النظام ما عرف بجماعات الرائين والحالمين والعرافين والأنبياء الكذبة وكذلك ما سمي بأنبياء المعبد. وفي استطاعتنا القول أن هذا النسق بكامله وقف على الضد والنقيض من الظاهرة النبوية في بعدها التوحيدي، التي تجسدت في النبي ومجموعة أنصاره وكذا دعوته إلى الإصلاح والعودة إلى الطريق القويم، حيث يقع غالبا التحريض ضد النبي وأتباعه من طرف الطبقة أو الفئة الكهنوتية، مما ينجم عنه في أحيان كثيرة التصفية الجسدية للنبي، الذي يفترض أنه مرتبط برسالة سماوية لا كهنوتية.

إن هذا يفرض علينا الآن تقديم مفاهيم محددة للأنساق الفرعية المكونة للفعل الكهنوتي، وهو الفعل نفسه الذي اصطلح المسيري على تسميته بالعبادة القربانية المركزية، تمييزا لهذه المرحلة عن سابقتها (عصر الآباء) التي سماها بمرحلة عبادة "يسرائيل" هذه الأخيرة التي لا نتفق فيها معه، إذ

أن أقل حياد علمي تجاه المرحلة المذكورة (عصر الآباء) يجعلنا نسميها بـــ عصر ديانة الآباء، وهو أقل ما تقتضيه موازنة النص التوراتي.

1- النظام الكهنوتي المركزي العبراني-الإسرائيلي:

بالنسبة للفظة كهنوت وأصلها من الفعل كهن، فقد ورد في المعجم الوسيط كهن له كهانة أخبره بالغيب فهو كاهن وجمعها كهّان وكهنة. وعند اليهود والنصارى من ارتقى إلى درجة الكهنوت، وهي وظيفة الكاهن الذي يتولى تقديم القرابين والذبائح ويتولى الشعائر الدينية، ورجال الكهنوت هم رجال الدين عند اليهود والنصارى ونحوهم[38]، وهؤلاء رجال الدين هم من يسمون أيضا بالإكليروس. والكاهن في العبرية كوهين هو سبيل الكهانة، أي الأداة المقدسة المختارة للواسطة بين الإنسان والخالق، وقد كانت أسرة معينة تختص بالقيام بأعمال الكهانة والجوانب السرية في العلاقة بين الإله وأتباعه[39]، وذلك طبعا في عبادة "يهوه"، وللمؤسسة الكهنوتية وظيفتها المحددة المعروفة في الدين الذي سيسمى يهوديا فيما بعد، وهي القيام بالوظائف المرتبطة بالمعبد والقيام بأداء الطقوس المختلفة، وهي مرتبطة في نشأتها بتطور المجتمع الإسرائيلي القديم وتحويله من مجتمع بسيط إلى مجتمع معقد اجتماعيا ودينيا[40].

ولا شك أن مناط وجود هذه المؤسسة الكهنوتية هو المعبد أو ما تسميه الأدبيات اليهودية بالهيكل، التي يقابلها في العبرية "بيت همقداش" أي بيت المقدس أو "هيخال" وتعني البيت الكبير في كثير من اللغات السامية، ومن أهم أسمائه بيت يهوه، ويحج إليه اليهود في أعيادهم: الفصح والمظال والأسابيع[41]. ويضيف المسيري أن المصدرين الأساسيين لوصف هذا الهيكل الذي يقال أن سليمان بناه، هو كتاب الملوك الأول والأخبار الثاني، حيث يقدمان عنه صورتين مختلفتين في كثير من التفاصيل، وهناك مصادر أخرى مثلما يضيف تناقض هذين المصدرين، ويتألف في الغالب من المدخل والبهو المقدس وقدس الأقداس الذي هو أقدس الأماكن، وهو مكعب حجري مصمت بلا نوافذ أقيم على مستوى أعلى من الجزء المسمى الهيكل في هيكل سليمان ويضم تابوت العهد.

أما مراسم العبادة فتشمل عموما قيام الكهنة بتنظيف ضريح القرابين من الرماد، ثم إذكاء النار وبعدها تقديم القرابين الجديدة، في حين يدخل الكاهن الأعظم البهو المقدس وينظف الشمعدانات

ويحرق البخور ويقدم ما يسمى بقربان خبز الوجه، وفي يوم الغفران كما يسمونه كان الكاهن الأعظم يدخل قدس الأقداس و ينطق باسم يهوه وهو ما كان يعد ذروة العبادة.

ويتبين سريعا من خلال هذا العرض الموجز أن هذا المكان المسمى الهيكل هو مكان له خصوصيته، إذ هو مرتبط فقط بنخبة معينة هي الطبقة الكهنوتية، وهذا ما يكرّس عامل السرية في هذه العبادة التي تتمحور حول الطقوس القربانية، ولأجل هذا ربما أطلق المسيري على مرحلة النظام الكهنوتي المركزي مسمى العبادة القربانية المركزية. لكن الجديد في المسألة هو انقسام هذا النظام الكهنوتي في مرحلة ما، وهو ما لم يكن ممكنا في حالة الهيكل لأن المفترض أن مقره هو بيت المقدس أو أورشليم كما تسمى في الأدبيات العبرية، مما اضطر أصحاب القرار في المملكة الشمالية المسماة "إسرائيل" إلى بناء معابد خاصة ونسبوا لها خصوصية تاريخية جعلتها مربوطة بأعمال وطقوس قام بها الآباء الأوائل.

2- السبي البابلي و تداعياته.

تعتبر مرحلة السبي حاسمة في فهم المسألة اليهودية، لأننا نعتقد أنها المسؤولة عن التسريع في إضفاء صفة اليهودية على معتقد الجماعة الإسرائيلية ومن ثم تهويد هذه الجماعة نفسها، وكان ذلك بعد تعميم الإسم يهوذا وهو اسم المملكة الجنوبية على جميع بني إسرائيل وديانتهم (التي باتت كهنوتية)، حيث سار ذلك مع خطة إصلاحية تضمنت تقريب المعتقدين الجنوبي والشمالي. وهذا كله بعد أن صار الجزء الشمالي من الكيان الإسرائيلي-العبراني على أرض كنعان في حكم المنتهي تماما، فقد قام الآشوريون بتدمير ما سمي بمملكة إسرائيل وسبي سكانها إلى منطقة ما بين النهرين (بلاد الرافدين) وهذا ما اصطلح على تسميته بالسبي الآشوري سنة 721 ق م. خلف هذا السبي (الآشوري) في تقديرنا عدة مسائل مهمة على صعيد فهم المشكلة اليهودية هي:

- أسباط بني إسرائيل العشر المفقودين (سكان المنطقة الشمالية).
- ظهور فرقة السامريين (فرقة دينية- قومية).
- تسمية النظام الكهنوتي الذي عاد مركزيا في بيت المقدس باليهودية وأصحاب هذا النظام باليهود.

بقي الصراع قائما بين النظام النبوي والنظام الكهنوتي (اليهودي) إلى أن جاء السبي الثاني لمن باتوا يسمون باليهود، على يد البابليين وملكهم نبوخذ نصر عام 586 ق.م وهو ما تعارف عليه بالسبي البابلي، الذي أنهى أورشليم كرمز يهودي، وأخذ اليهود إلى منطقة بابل في بلاد الرافدين.

بعد هذه المرحلة بات في مكنتنا القول أن بداية تواجد اليهود رسميا خارج فلسطين (بلاد كنعان) هو في العراق القديم، وتحديدا في منطقة بابل ومحيطها مثلما سنوضح، لكن الوجود الأسبق كان قبل ظهور الإصطلاح يهودي وكان في منطقة شمال العراق أين تفرقت الجماعة الإسرائيلية، وظهرت قضية الأسباط العشر المفقودين. وما يذكر بخصوص الأسباط العشر المفقودين، أنهم وطنوا في منطقة كردستان العراق والجبال المتاخمة لها في كل من إيران وتركيا، بمسمياتها القديمة إبان حكم الآشوريين، وأنهم طبقا للأبحاث الحديثة لباحثين أجانب هم أنفسهم المسيحيون النساطرة[42].

ومما يذكر أن هناك إمارة واسعة ازدهرت في القرن الأول بعد الميلاد في نفس منطقة كردستان التي نقل إليها جماعة من بني إسرائيل الذين سباهم الآشوريون، تدعى إمارة حدياب Adiabene وبالعبرية "حزة"، وهي من ضمن أراضي آشور القديمة تقع شرقي نهر دجلة في منطقة كردستان وتمتد بين نهر دجلة وأذربيجان، ثم توسعت لتشمل بلدة نصيبين غربا، أما عاصمة الإمارة فكانت مدينة أربيل [43].

وعلى عكس ما فعله الآشوريون قام البابليون بإسكان اليهود الأسارى في جوار مدنهم وقراهم، مما مكنهم من التجمع في المنفى والإستمرار في ممارستهم الثقافية، ويضيف أحمد سوسة في نفس السياق في كتابه أبحاث في اليهودية والصهيونية، أنهم اقتبسوا لغة الكلدان ثم العربية التي حلت محل الآرامية التي كانت شائعة في كل بلاد الشرق الأدنى، وبذا يصح حسبه أن نسميهم اليهود المستعربين، لأنهم أصبحوا هكذا مع الزمن.

الملفت أن هؤلاء اليهود نظموا أنفسهم في مدن أربعة رئيسية حول بابل أهمها المسماة سورا، التي قطنها رأس الجالوت (ريش جالوتا) وهو رئيس الطائفة اليهودية التي اعتبرت في حكم

الجالية، وأسسوا في تلك المدن مدارس دينية كبرى تولى التدريس فيها أحبار يهود نزحوا من فلسطين في مراحل لاحقة، وأفلحت هذه المدارس في إخراج ما سمي بالتلمود البابلي.

3- العودة من السبي.

يفترض في مناقشتنا لقضية العودة من السبي في زمن الفرس الأخمينيين العام 538ق.م ، أنها تجعلنا أكثر قربا من فهم محدد لجزء هام من المشكلة اليهودية، وهو المتعلق أساسا بقضية شتات بني إسرائيل، وسيادة اليهودية كسمة لمعتقد جماعة بشرية باتت تسمى باليهود. بمعنى أننا أصبحنا في هذه المرحلة ندقق في الأصول السلالية وفي الآن نفسه ندقق في المعتقد، وبناء على هذه الوضعية ظهر ما يسمى بالفرق اليهودية (القديمة)، وأول هذه الفرق هم السامريون.

يعبّر ظهور فرقة السامريين بعمق عما بات يسمى بالصفاء العرقي أو نقاوة الدماء، وقد استتبع ذلك شك في المعتقد نفسه. لقد ظهر هذا حين عودة قطاعات من اليهود إلى فلسطين بإذن من ملك الفرس آن ذاك، الذي ساعدهم على إعادة بناء ما بات يسمى بالهيكل الثاني، وأفرزت هذه العودة تصادما مع فئة يفترض أنها من بقايا سكان المنطقة الشمالية سميت بـــ السامرية، نسبة إلى عاصمة الإقليم الشمالي سابقا، اعتبر السامريون أنفسهم ورثة إسرائيل الحقيقيين (عرقيا) وأن توراتهم هي الحقيقية أيضا، ولم يعترفوا ببقية الأسفار عدا سفر يوشع ولا ببقية الأنبياء، في حين اعتبروا من طرف اليهود العائدين من بابل وعلى رأسهم عزرا ونحميا أنهم من بقايا المستوطنين الذين جلبهم الآشوريون إلى المنطقة الشمالية، أو أنهم اختلطوا بهم على الأقل. بدأ الشتات السامري مع مجيء الإسكندر عام 323 ق.م، حيث هاجر بعضهم إلى مصر وسالونيكا وروما وحلب ودمشق وغزة وعسقلان، ويؤمن السامريون بقدوم المسيح المخلص ولا يقدسون جبل صهيون ولا يعترفون بالشريعة الشفوية التي ستنتج فيما بعد اليهودية الحاخامية. كما وأنه وفي نفس هذا السياق الزمني المتصل بالعودة من السبي تحت حكم الفرس الأخمينيين، ظهرت ما سمي في التاريخ بمستوطنة "جزيرة الفيلة" اليهودية في مصر، وتسمى باليونانية إليفانتين Elephanitine ويرجح أنها محميات يهودية للفرس أسست على النيل على الحدود الجنوبية المصرية مقابل أسوان[44].

4- المواجهة مع الهللينستية:

أبرز سمة للمرحلة التي تلت الحكم الفارسي لمنطقة الشرق لأدنى هي تزايد الفرق اليهودية تزامنا مع تزايد الإنتشار اليهودي خارج حدود أرض كنعان، وقد أعقب الوجود الفارسي في المنطقة الوجود اليوناني مع وصول غزوات الإسكندر المقدوني سنة 332 ق.م إليها، حيث وقع اليهود فيما بعد تحت حكم السلوقيين حين انقسام الإمبراطورية اليونانية، واستأثر البطالمة بالمنطقة المصرية، وقبل هذا كان الإسكندر قد وطن جماعة من اليهود في الإسكندرية.

يفترض أن فترة الحكم الفرسي الأخميني لفلسطين كانت فترة استقرار لليهودية، وهو استقرار طال في واقع الأمر النظام الكهنوتي الذي تأسس من جديد حول ما سمي بالهيكل الثاني، وقد وجدت مجموعة من المؤسسات في كنف هذا النظام الذي أعيد بعثه، أهم هذه المؤسسات :

- **السنهدرين:** الذي يعد بمثابة هيئة قضائية عليا وقراراته بالأغلبية وأعضاؤه 71 عضوا.
- **المجمع الكبير:** (كنيست هجدولا) وهو مجلس تشريعي يبلغ عدد أعضائه 120 عضوا.

وقد ظل النظام على حاله مع مجيء اليونانيين، والذي نفهمه ونستشفه من خلال المصادر والأدبيات البحثية المختلفة في هذا المجال، لاسيما التي اعتمدنا عليها من البداية، أن الموقف من النظام الكهنوتي القائم أفرز العديد من الفرق اليهودية، وذلك عبر تأثير واضح للثقافة الهللينستية اليونانية والرومانية فيما بعد. ونتيجة لهذا الوضع فإن فرقة يهودية تسمى بالصدوقيين سيطرت من البداية على النظام الكهنوتي، وهي كما يصفها المسيري في موسوعته الموجزة فئة من الأثرياء اليهود المتأغرقين والمتمدنين وغير المعترضين على الطابع الهللينستي، في حين أن النزعة الهللينستية هي المسؤولة عن إنتاج فرق يهودية أخرى مضادة للصدوقيين، وأبرزهم الفريسيون الذين قوام حركتهم فقراء الكهنة وشراح الشريعة من أبناء المناطق الريفية، وهم ورثة لفرقة يهودية أخرى سمية بالحسيديين، وجميعهم يعارضون الخط الصدوقي ونظامه الكهنوتي، وقد انبثق عن الفريسيين فرقتين أخريين هما الغيورون وعصبة الخناجر الذين ثاروا ضد الوجود الروماني فيما بعد، تماما مثلما دعم الحسيديون والفريسيون الثورة الحشمونية-المكابية ضد السلوقيين في القرن 2ق.م[45].

إن استناد الفريسيين على الشريعة الشفوية في مقابل الصدوقيين الذين لا يعتدون بغير الشريعة المكتوبة، أفرز في النهاية ما سمي باليهودية الحاخامية، ففي حين انتهى الوجود الصدوقي عمليا بعد هدم ما يسمى بالهيكل عام70م من طرف الرومان، استمر الوجود الفريسي بشكل جديد لأنهم طوّروا من البداية العبادة خارج الهيكل، وابتكروا مفهوم السيناجوج أو المعبد المنفتح على عامة الناس (اليهود).

كما تجدر الإشارة إلى فرقة أخرى سميت بالأسينيين وهم من يعتقد أن لهم علاقة بمخطوطات البحر الميت، التي عثر عليها في خربة قمران، وهي كذلك إحدى الفرق المحتجة على النظام الكهنوتي للصدوقيين، ويبدو أنها اعتزلته في مرحلة مبكرة.

5- اليهودية بين التبشير والتهجير.

إن مآلات المفاهيم الدينية لجماعة بني إسرائيل في ظروف زمكانية بعينها أفرزت على نحو تراكمي واقعا معقدا اسمه اليهود واليهودية، وبات السؤال مطروحا- بناء على ذلك الواقع- من هو اليهودي؟

إن تتبع تلك الظروف الزمكانية هو ما من شأنه- في تقديرنا- أن يزيل بعض التعقيد، ويكون في الآن نفسه خارطة طريق تصلح لأن تكون بمثابة التصور الذي تفهم من خلاله المشكلة اليهودية في جانبها الهوياتي في الفترة التي نعيشها. وقد وجدنا أن مفهومي التبشير والتهجير يصلحان لتوصيف وكذا تفسير مآلات حركة جماعة بني إسرائيل، وإطارها الثقافي (الديني- اليهودي) في التاريخ، هذه المآلات التي أخذت بعدا تراكميا جعلت المسيري مثلا ينظر إلى اليهودية كتركيب جيولوجي ذي طبقات [46]، ونحن إذ نوافقه الرأي فإننا نوافق أيضا على فرضية الباحث أحمد سوسة حينما اعتبر جميع مظاهر التهويد التي ظهرت في مناطق متعددة قديما وإلى غاية منتصف القرن 13م، إنما هي نتاج عمليات تبشير يهودية، ومن هذه المناطق منطقة شبه الجزيرة العربية، وقد أثبت المؤرخون حركة تبشيرية دؤوبة من طرف اليهود في بقاع عديدة منها البلاد الرومانية، حيث تعاظمت أهمية الإرتداد نحو اليهودية في بداية العصر المسيحي، وكان من المغري

بالنسبة للكثيرين أن ينضموا إلى المجموعة التجارية المزدهرة الواسعة، كما و يقال أن زوجة "نيرون" نفسه آمنت باليهودية[47].

وما يدعم به أحمد سوسة طرحه هو تبني واعتناق الإمبراطور قسطنطين أوائل القرن 4م للمسيحية وإجبار شعبه على اعتناقها، وبالتزامن مع ذلك في القرن5م اعتنق ملك اليمن أبي كرب اليهودية وأجبر شعبه على اعتناقها، وبالتالي فإن فرضية التبشير تفسر كثيرا من مظاهر انتشار اليهودية في العالم، دون أن يكون لفرضية التهجير دخل في ذلك، بمعنى أن كثيرا من يهود العالم ليسو بأي حال سليلي اليهود الذين هجروا تحديدا من منطقة فلسطين، دون أن يكون ذلك مانعا لنا من التصريح أن حركة تهجير اليهود التي بدأت مع السبي الآشوري، ساهمت بدورها في انتشار سلالة بني إسرائيل خارج مدار الشرق الأدنى القديم، من شمال العراق ومنطقة جنوب شرقي الأناضول وغرب إيران ومنطقة الإسكندرية وأسوان وغيرها إلى مناطق أخرى، حيث لا نعلم بالتدقيق كيف ومتى تمت الحركة نحو مناطق أبعد، خاصة في العالم الغربي. وليس في مكنتنا أن نؤكد أو ننفي إمكانية أن تحتفظ الجماعة الإسرائيلية بسلالة أسباطها الإثنا عشر على مرّ التاريخ وبطرق سرية، فمجمل ما يمكننا افتراضه إلى حد الآن على نحو علمي هو أن مآلات اليهودية لاسيما بعدما سمي بخراب الهيكل الثاني سنة 70م في الحقبة الرومانية، نقسمها بناء على فرضيتي التهجير والتبشير إلى مستويين:

أ- المستوى الإثني (العرقي).

ب-المستوى العقدي (الديني).

أ- **المستوى الإثني.**

أبرز من يعرف على المستوى الإثني (العرقي) من اليهود هم يهود الخزر، وشعب الخزر (وأصلهم تركي) من الشعوب القوقازية التي كانت ديارها بين بحر الخزر (قزوين) والبحر الأسود، وقد تهود شعب الخزر عند اعتناق الملك الخزري "بولاف" للديانة اليهودية، وذلك في القرن8م أثناء خلافة هارون الرشيد وفترة حكم شارلمان في القارة الأوروبية[48]. وهؤلاء انتهت دولتهم مع نهاية القرن10م، ويرجح أنهم انتشروا بعدها في القارة الأوروبية وتركزوا خاصة في جهتها الشرقية، وهم بذلك سلف يهود الأشكيناز.

- **يهود الأشكيناز:** تطلق بالدرجة الأولى على يهود ألمانيا ولغتهم اليديشية، لكن المصطلح بات علما على يهود بولندا ودول أوروبا الوسطى.
- **يهود السفارديم أو السفارد:** وهم يهود شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا والبرتغال) ومنهم طائفة المارانو وهم من اليهود المتخفين ولغتهم اللادينو، ومنهم أيضا يهود الدونمة الذين عاشوا في سالونيك (اليونان) خلال حكم الدولة العثمانية.
- **اليهود الشرقيون:** وهم يهود العالم الإسلامي المعاصر ويهود الفلاشا (أثيوبيا)، ويهود الهند والصين من غير الدول الأوروبية والغربية.

ب- **على المستوى العقدي (الديني).**

نتج من تدافع الفرق اليهودية القديمة في ظل الظروف الإقليمية وتأثيرات القوى الكبرى آن ذاك، على المستويين الثقافي والعسكري، أن نتجت تدريجيا فرق يهودية جديدة، فقد اختفت الصدوقية بعد زوال الهيكل الذي هو محور وجودها، وظهرت اليهودية الحاخامية كوريثة للفريسيين تحت تأثير الثقافة الهللينستية، في حين ظهرت فرقة أخرى سميت بالقرائين تحت تأثير الحضارة العربية الإسلامية وهي فرقة ناصبت العداء لليهودية الحاخامية (التلمودية) المسماة أيضا باليهودية التقليدية.

ما ينبغي التأكيد عليه أن اليهود القراؤون يستندون على الشريعة (التوراة) المكتوبة ولا يعترفون بالشريعة الشفوية التي هي مرتكز اليهودية التلمودية (الحاخامية)، هذه الأخيرة التي هيمنت على اليهودية بعد تحول جماعة القرائين إلى جماعة هامشية[49].

ثانيا: الحلولية والعبادات السرية.

يرتكز مفهوم الحلول حول جدلية الإله كقوة سامية يفترض أنها متجاوزة تماما للبعد الطبيعي- الإنساني للوجود، فبينما يفترض في هذه القوة أن تتحكم في الوجود وتقهره تصبح في لحظة ما جزءا منه، وتدخل من ثم داخل أطر الزمكان، وبالتالي تصبح جزءا من الواقع.

وإننا لنعثر على مؤشرات هذا المفهوم المتصل بحقيقة الذات الإلهية في أسفار التوراة ومنذ اللحظة الأولى، وذلك حين تقديم سفر التكوين- مثلا- لرب الآباء الأوائل وقصة استحقاق لقب

إسرائيل بناء على مصارعة مع من تسميه التوراة بالرب أو الإله، ومؤشرات أخرى نستشفها من تأسيس خيمة الإجتماع وصناعة تابوت العهد والفهم اليهودي لهما، وقد آل الأمر في النهاية إلى بناء الهيكل الذي هو مركز الحلول الإلهي حسبهم، وليس مكان العبادة الذي يغشاه عامة الناس، وهو ما يدلل على طابع السرية الذي يكتنف العبادة القربانية التي أمست يهودية، حيث يختص بها نظام كهنوتي مغلق على نفسه.

إن السرية والحلول إذن مرتبطان من البداية ومؤشراتهما ماثلة للعيان في القصة التوراتية، وارتباطهما يتأكد من خلال حادثة عبادة العجل التي بقدر ما تنبؤنا عن النفسية الإسرائيلية الجانحة نحو التجسيد (المادية) أو حلول الإله في الطبيعة والأجساد، بقدر ما توجهنا أيضا إلى حجم تأثير البيئة الوثنية من خلال عبادة الطوطم، الذي هو الرمز الذي يمنح الإنسان القوة، وقد أخذ الطوطم شكل الحيوان أو النبات، حيث تدريجيا يصبح لكل عشيرة أو قبيلة طوطمها الخاص، الذي تقام له الطقوس وقواعد العبادة التي هي في الحقيقة صورة أخرى للسحر البدائي[50].

لقد كان لمجموعة المؤشرات المتداخلة وذات الإرتباط بمفهومي الحلول والسرية الماثلة منذ البداية في نصوص التوراة، مآلات تبلورت تاريخيا على المستويين العقدي والإثني لجماعة بني إسرائيل، بقطع النظر عن موقفنا من زمن كتابة نصوص التوراة والعهد القديم التي يرجح أنها كتبت أصلا من طرف النظام الكهنوتي خلال فترة السبي البابلي وماتلاها.

إن المآلات التي نتحدث عنها والخاصة بالإرهاصات والمؤشرات الأولى للحلولية والسرية تمثلت خلال لحظة ما في العناصر الآتية:

- التلمود (اليهودية الحاخامية).
- القبالاه (التصوف اليهودي).
- الحسيدية (تجسيد صوفي مباشر).
- الهسكلاه (تجسيد صوفي غير مباشر).
- الإرتباط بالحركات (العبادات) السرية الباطنية.

1- **التلمود:** كلمة مشتقة من الجذر العبري "لامد" الذي يعني الدراسة والتعليم كما في العبارة "تلمودتورا" أي دراسة الشريعة، ويعود كل من كلمة تلمود العبرية وكلمة تلميذ العربية إلى أصل سامي واحد، والتلمود من أهم الكتب الدينية عند اليهود وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) [51].

ويفهم من الأدبيات البحثية في هذا الشأن أن أصل وجود التلمود هو الخلاف القديم بين طوائف اليهود حول وجود شريعة شفوية أعطاها الرب (يهوه) لموسى كما أعطاه الشريعة المكتوبة، وهما بنفس المنزلة، وقد ظلت الشريعة الشفوية تتناقل شفاها وفيها تفسير ما ورد في النصوص المكتوبة (التوراة)، ثم بدأت تدوينها تدريجيا مطعمة بشروح وتفسيرات الحاخامات (الربانيون) الذين خلفوا الفريسيين بعد اندثار الصدوقيين بهدم ما يسمى الهيكل. ومن البداية كان الفريسييون يمثلون الإتجاه التقدمي في اليهودية، وبالتالي كانوا دوما على استعداد من حيث المبدأ مع من خلفهم وحل محلهم للتعديل والتحويل في اليهودية تماشيا مع الظروف الزمكانية. وقد تم تدوين التلمود على مرحلتين، انتهت الأولى بنهاية القرن 2 للميلاد في فلسطين وسميت النصوص التي كتبت في 6 مجلدات باسم المشنا، وتعلقت أساسا بقضايا الزراعة والأعياد والأحوال الشخصية والعبادات وقضايا الطهارة، وسمي فقهاء المشنا بـــ التنائيم. كما يفهم من تتبع حركة الهجرة اليهودية خاصة من فلسطين، أن الإنتهاء من الصيغة الأساسية للتلمود كان في العراق حيث ظهر ساعتها ما سمي بالتلمود البابلي، الذي بات يتكون من المشنا والجمارا التي بدورها شرح للمشنا واكتسبت قداستها، وأصبح التلمود بالتالي سجلا للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية الفقهية اليهودية في بابل حول :

- المواضيع القانونية (هالاخاه).
- المواضيع الوصفية والأسطورية (هاجاداه).

ولم تتوقف على الأرجح محاولات إضافة الشروح والتفاسير على متن التلمود تاريخيا،إلى أن ظهر كتاب "شولحان عاروخ" الذي وضعه الحاخام يوسف كارو في القرن 16م وهو مصدر رئيس للتشريع. ولا يفوتنا في هذا السياق أن ننبه إلى وجود تلمود آخر سمي بالتلمود الأورشليمي، يشترك مع البابلي في المشنا ويختلفان في الجمارا، إلا أن البابلي أكبر حجما وأكثر قيمة ومن ثم

بات هو المعتد به من دون الأورشليمي، ويذكر أن التلمود بتركيبته عنصري ومسيء للمسيح وأمه عليهما السلام، كما أنه المسؤول عن عزلة اليهود في الجيتو في أوروبا، ومنطلق ذلك نزعة استعلائية عنصرية يهودية [52].

لقد سيطر الفكر التلمودي (اليهودية الحاخامية) على الفضاء الوجودي اليهودي بين القرنين 9م و18م تقريبا، وبخاصة في منطقة شرق أوروبا أين يقطن يهود اليديشية، حيث بات الحاخام (الحكيم) أو (الفقيه) أو الرباني هو أمير الجماعة اليهودية، دون أن يجعله ذلك وسيطا بين الإله والإنسان بالمعنى الحرفي للكلمة، لكن ذلك لا يمنع من القول أن مظاهر الحلولية باتت أكثر من ذي قبل، حيث تتجلى في منح الإله قداسته لشعبه (اليهود) دون الأغيار (باقي الأمم)، الذين يفترض أنهم خدم وعبيد لإسرائيل شعب الله المختار.

2- **القبالاه:** تشكل القبالاه حسب فهمنا لها استمرار للفكر التلمودي على هيئة جديدة، وهي تمثل النهج الغيبي في تفسير العهد القديم، وبخصوص المنابع الرئيسية التي استقلت القبالاه منها مادتها، يقول الحاخام بوكس في كتابه تراث إسرائيل (ص328) أنها الروايات الباطنية التلمودية، ومذهب التصوف الذي راود الغاؤونيم والفلسفة العربية الأفلاطونية[53]، والغاؤونيم حسب أحمد سوسة هم آخر حلقة من فقهاء اليهود الذين أشرفوا على التلمود ووظيفتهم تمحورت حول الإفتاء. ويبين المسيري في نفس السياق من خلال موسوعته الموجزة في مجلدها الثاني، أن المصدر الأول للقبالاه هو الحلقات التلمودية في القرنين 1 و2 ميلادية في منطقة فلسطين التي أسست لظهور أدب الهيخالوت، وقد انتقل هذا الأدب إلى جنوب إيطاليا ثم إلى ألمانيا في القرن 12م، وظهرت بمعناها الحالي في فرنسا التي ظهر فيها كتاب الباهير، وانتقل بعدها مركز القبالاه إلى إسبانيا، ووصل الفكر القبالي قمته مع كتاب الزوهار (هزوهار) لـــ موسى دي ليون المتوفى عام 1305م، وأصل لفظة الزوهار معناها النور استنادا إلى ما ورد في بعض نصوص العهد القديم، وهو مركز الفكر القبالي (الصوفي)، وقد برز في القرن16م الحاخام "إسحاق لوريا" ليضيف رؤية جديدة للقبالاه، مفادها أن الخلاص يتحقق على يد الشعب الذي يتعين عليه إصلاح الهياكل المتحطمة خلال عملية الخلق وبالتالي تجتمع الشظايا المتفرقة للروح القدس من خلال الالتزام بالوصايا، والخلاص كما هو معلوم مرتبط بظهور المسيح

(الماشيح) والعودة من المنفى وبناء الهيكل. وتتحدد الفترة التي بدايتها ما بين 1630 و1640 على أنها الفترة التي أحكمت فيها القبالاه اللوريانية سيطرتها شبه الكاملة على الفكر الديني اليهودي[54].

وكما أن التفكير الفلسفي عند اليهود نحى منحى حلوليا، فقد ارتبط التصوف اليهودي (الحلولي) بالسحر، فداخل القبالاه كحركة، برزت حركة التصوّف العلمي التي تعتقد إمكانية التأثير في القوى العليا من أجل الشفاء أو هكذا (السحر). ومما لفت انتباهنا في هذا السياق الفكري- التاريخي هو تغلغل تعاليم القبالاه وقت الذروة في فترة ما دعي بالعصر الوستفالي- العلماني، وذلك حين اطلاعنا عبر موسوعة المسيري الموجزة على حادثة ادعاء "شبتاي تسفي" أنه المسيح المخلص، تزامنا مع حوادث اضطهاد لليهود في بولونيا العام 1648م، وهو تاريخ توقيع اتفاقية وستفاليا التي أسست لنظام دولي وحدته الأساسية هي الدولة- الأمة. وشبتاي تسفي كان شابا من إزمير(تركيا) لا يتجاوز عمره 22 سنة، وهو قبالي متحمس لتعاليم الزوهار كما يصفه المسيري، وقد انكفأت حركته بعد أن أحدثت رجّة قوية في الأوساط اليهودية وأربكت الحكم العثماني في إسطنبول. وقد أعلن شبتاي إسلامه بعدها وتسمى باسم محمد أفندي، ولعل هذا كان تمويها مستندا على تعاليم قبالية باطنية قد لا يستسيغها المنطق العقلي السليم.

3- **الحسيدية (الحسيديم):** تعتبر الحركة الحسيدية تكريسا جديدا للفكر القبالي اللورياني، فهي حركة صوفية ظهرت في منتصف القرن 18م، ويرجح أن معنى حسيديم أتقياء[55].

طرحت هذه الحركة مفهوم الصديق (التقي) كوسيط المرء والرب ونسبت لهذا الصديق الخوارق. ومؤسس هذه الحركة هو "بعل شيم طوف"(1700م-1760م)، وهو التساديك (الصديق) الحسيدي "إسرائيل بن أليعازر" المولود في بولندا. وقد عمت الحسيدية تقريبا بحلول عام 1815. ويذكر حسبما جاء في كتاب تاريخ الديانة اليهودية وموسوعة المسيري أن الحركة ظهرت كرد فعل على خيبة الأمل التي سادت بعد إخفاق وزوال الحركة الشبتانية، وظهور ما سمي بالحركة الفرانكية التي جسدت ارتدادا آخر عن الديانة اليهودية إلى المسيحية، من طرف شخصية أخرى تسمى "يعقوب فرانك" وأتباعه، كما تمثل الفترة انحسارا لليهودية الحاخامية وانكماشها، رغم عداء الحاخامية للحركة الحسيدية.

4- **الهسكلاه و العلمانية:** لقد اتحدت اليهودية الحاخامية مع الحسيدية وذلك درءا لخطر جديد ظهر على الساحة اليهودية، وهو حركة جديدة سميت بـــ الهسكلاه. والهسكلاه هي كلمة عبرية اشتقت منها كلمة سيكيل بمعنى نور، ثم استخدمت الكلمة بمعنى استنارة، والإسم منها مسكيل وجمعه مسكليم[56].

بدأت حركة التنوير اليهودي في ألمانيا ثم انتشرت خارجها، وقد بدأت كحركة أدبية ثم تحولت إلى العقلانية المادية، ومن ثم فإنها دعت إلى تحديث اليهود ونزع الخصوصية عنهم وإدماجهم في مجتمعاتهم الأوروبية العلمانية، بعد تبلور النظام الوستفالي بشكل ما، وخاصة على مستوى مفهوم الدولة القومية، وعلى هذا بات لزاما أن نشير إلى أن حركة الهسكلاه ظهرت في ركاب حركة الاستنارة الأوروبية، التي يمثل فكرها نسقا فكريا متكاملا يستند إلى ركيزة أساسية، وهذا النسق هو "مادية عقلية" تعد تجليا للنموذج الحلولي الكموني الواحدي في صيغته المادية[57].

إن العلاقة بين حركة الإستنارة الأوروبية والهسكلاه والتي تبدو منطقية وعادية إلى حد ما، تثير في تقديرنا إشكالية ذات ارتباطات متشعبة، وحلها يبقى كامنا فقط في مجموعة من الإفتراضات التي تستجيب لحالة التعقيد التي تكتسيها الظاهرة اليهودية خاصة في العالم الغربي.

والسؤال المطروح هو: ما حقيقة الدور اليهودي في حركة الإستنارة الأوروبية ؟

تجيبنا الأدبيات سريعا وخاصة منها تلك المتعلقة بإنتاج عبد الوهاب المسيري أن الهسكلاه هي نتيجة منطقية لحركة تاريخية أوروبية بالدرجة الأولى، ولعل هذا ما يفهم مبدئيا من كتاب يورغن هابرماس المعنون بـــ الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي[58]، حيث يتبين الأثر اللاحق لفلاسفة يهود (ألمان) في نظرية المعرفة، ويستشف من ذلك الأثر النسق الحلولي-المسيحاني في التفكير، لكننا نتساءل مجددا هل كان ذلك الأثر لاحقا فقط؟ بمعنى نتيجة لتربية (تنشئه) غربية علمانية لمجموعة من اليهود أصبحوا فلاسفة ومفكرين علمانيين، دون أن يتخلوا عن انتماءاتهم القبالية.

إن هذا يدعونا إلى إعادة التفكير في المسألة على نحو أكثر عمقا، بمقدار عمق الوجود اليهودي في الواقع الأوروبي (الغربي) ثقافيا وسياسيا، فقبل موسى مندلسون الذي هو أهم مفكري

الهسكلاه والإستنارة الأوروبية، وقد أصبح كذلك بفضل ارتباطه بمفهوم يهود البلاط آن ذاك، وهو شكل خاص يقف بين الإستنارة والتقليدية، يوجد "باروخ إسبينوزا" الذي يعتبر أحد منابع الإستنارة الأوروبية وهو يهودي يظهر نسق تفكيره الحلولي على إنتاجه، وذلك باعتراف المسيري نفسه الذي يقدم لنا في أحد كتبه إسقاطا لمفهوم الحلولية الكمونية على مفهوم العلمانية الشاملة، من خلال الربط مع مفهوم الجماعات الوظيفية[59].

وهذا يأخذنا إلى اعتبار الفكر القبالي الباطني هو أحد المرتكزات الأساسية لظهور العقلانية المادية، التي تكرّس التحييد والترشيد والتعاقدية ونزع القداسة عن العالم. إن هذه العقلانية المادية هي نفسها التي تشاءم ماكس فيبر من مآلاتها وسمى هذه المآلات بالقفص الحديدي، وقبل ذلك فإن ماكس فيبر لاحظ انتعاش الفكر الرأسمالي في مناطق انتشار البروتستانتية التي هي ولاشك أحد الثمار الأولى للإستنارة الغربية، التي توجت في مراحلها الأولى باتفاقية وستفاليا عام 1648م بعد حروب دينية طاحنة. وإذا كانت الثورتين الأمريكية والفرنسية هما أحد أهم ثمار حركة الإستنارة الأوروبية كما يقول المسيري[60]، أفلا يجدر بنا أن ننظر في الفرضيات الخاصة بالمرابين الدوليين (اليهود) التي يطرحها "وليام جاي كار" في كتابه الشهير أحجار على رقعة الشطرنج[61].

إن هناك على الدوام صعوبة ما وتشويشا يكتنف الموقف من جعل اليهود في موضع السبب أو النتيجة، ولعل ذلك هو أحد أوجه المسألة اليهودية في حدّ ذاتها.

5- **الحركات (العبادات) السرية:** يأخذنا الفكر اليهودي القبالي-الحلولي إلى ضرورة فحص الفرضيات الخاصة بارتباط اليهود بالحركات السرية والغامضة، والتي وصل تأثيرها بحسب كثير من التخمينات (الغربية) إلى عالم السياسة، ولعل الجيتو الأوروبي هو أوضح رمز على السرية اليهودية التي تتكرّس في الإنزواء والإنعزال، ويتكرس في الجيتو معنى الحلولية حينما تحل قداسة الإله في شعبه (إسرائيل) دون غيرهم من الناس.

ومن الحقائق الإحصائية التي قد تكون لها علاقة بموضوع العبادات الجديدة (السرية)، أن نسبة أعضاء الجماعات اليهودية في الجمعيات السرية في العالم هو 30%[62]. ورغم خضوع هذه الإحصائيات إلى عامل التغير زيادة أو نقصانا فإن الثابت بالنسبة لنا، حسبما تعرضه الأبحاث في

هذا الشأن هو الحضور غير العادي والملفت جدّا للرموز القبالية اليهودية في كثير من طقوس العبادات (الحركات) السرية، وعلى رأسها جميعا تأتي الماسونية.

تعرف الماسونية بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التي تمارس هذه التعاليم، والتي تضم البنائين الأحرار والبنائين المقبولين أو المنتسبين أي الأعضاء الذين لا يمارسون حرفة البناء[63]. ويبدو أن هذا التعريف بني على أساسين الأول هو أصل الكلمة free massonry حيث mason تعني بناء وfree تعني حر، وتصير بذلك منظمة البنائين الأحرار. أما الأساس الثاني فهو إرجاع أصل هذه المنظمة إلى العصور الوسطى حيث عرف تشكل نقابة للحرفيين البنائين نوعا من الخصوصية، تتجلى في عدم تقيدهم بمكان محدد (قار) لعملهم، وقد اضطروا حسب هذا الطرح إلى تأسيس أماكن يجتمعون بها لتبادل أسرار المهنة، لاسيما وأنهم ارتبطوا ببناء صروح المسيحية (الكاتدرائيات) في هذه الفترة، وسميت أماكن الإجتماعات مع مرور الزمن بالمحافل.

إن هذا الطرح- في تقديرنا- يبقى قاصرا عن تفسير أو توصيف واقع الماسونية كمنظمة ظل يشوبها الغموض لقرون طوال، وقد استند جيم مارس في كتابه الحكم بالسر(ص 350) أنه لا يمكن تتبع أصول الماسونية إلى أي مصدر، ولكن النظام نتج عن تركيبة من التقاليد والتحدرات التي دارت واندمجت على مدى فترة معينة.. ولكن مصدر الإلهام الذي لا يمكن إنكاره هو القبالاه اليهودية، وتبقى الحقيقة أنه عندما تم وضع الطقوس الماسونية وقوانينها في عام1717م، بالرغم من أن مقاطع معينة من العقائد المصرية والفيثاغورسية القديمة ظلت محافظا عليها، فإن النسخة اليهودية من التقاليد والتحدرات السرية كانت تلك المنتقاة من طرف مؤسسي المحفل الكبير ليبنوا عليه نظامهم[64].

تتمركز الماسونية كما يفهم من الأدبيات البحثية في هذا الشأن حول ممارسة طقوس غامضة تتميز بالرمزية الشديدة، خاصة تلك المتعلقة منها بالتكريس (انتساب عضو جديد)، وأغلب الرموز مستمدة من عالم الهندسة، حيث يحتل موضوع ما سمي بهيكل سليمان مكانة هامة فيها، ومن الملفت أن الماسونية قد انتشرت (أكثر) في البلاد البروتستانتية، لأن البروتستانتية -حسب المسيري- هي شكل من أشكال علمنة المسيحية الكاثوليكية، كما أن معدلات العلمانية فيها

مرتفعة[65]. يضاف إلى هذا أن أبرز وجوه الثورة الفرنسية (1789م) ومفكري عصر التنوير كانوا من الماسونيين[66]، لذلك يذكر أعضاء المحافل الماسونية كأبرز دعاة الإستتنارة، مع جماعات سرية أخرى هي: الإيليومياتي (المتنورون) والروزيكروشيان (الصليب الوردي) [67]. وجميعها تشترك في ميزية الممارسة الغنوصية المرتبطة بالفكر الباطني، ولها تشابه بنيوي بمنظمات أخرى قديمة مثل فرسان الهيكل والحشاشين، وغيرهم من المنظمات السرية الغامضة التي ظهرت في التاريخ وسعت بشكل أو بآخر إلى الوصول إلى الحكم. وفي إمكاننا العودة إلى جيم مارس لتتبع الأصول الثيوصوفية للحزب النازي الألماني، حيث امتزج الفكر القبالي (عقيدة السحر الأسود) وعقيدة الشعب المختار، وهو نموذج واضح ومتجدد لاختلاط البعدين الديني والقومي.

وإننا لنجد نموذجا آخر لما يسمى بالعبادات أو الحركات السرية الباطنية في العالم الشرقي، وهذا النموذج هو الديانة البهائية التي سميت في وقت سابق بالبابية. وهو نموذج واضح للغنوصية والحلولية كما يفهم من الأدبيات التي تناولتها بالدراسة، ولها علاقة وثيقة باليهودية وبالمؤسسة الإسرائيلية التي قامت على أرض فلسطين التاريخية عام 1948م. وقد كان منشأ هذه العقيدة السرية بين العراق وإيران، حيث دعا إليها شاب شيعي مولع بالرياضات الروحانية والفلسفات القديمة يدعى علي محمد الشيرازي، حينما أعلن أنه الباب إلى المهدي المنتظر بتاريخ 1844/05/23م، وأن منه أشرقت على العالم الرغبة المعصومة للإمام المستور، وزعم أن جسم المهدي اللطيف قد حل في جسده المادي الكثيف[68]. وقد تلقى الشيرازي هذه العقيدة السرية عن شخص يدعى كاظم الرشتي، جمع بين التصوف والفلسفة والشريعة ومزج بينها، وجمع بين اعتقادات الشيعة الإمامية والإسماعيلية والأصول الفلسفية على نحو جديد[69]، وهو بدوره تلقاها على من يفترض أنه مؤسسها الأول ويدعى أحمد الأحسائي.

والحاصل أن الشيرازي تلقى تفسير حلم دانيال الوارد في العهد القديم من الإرساليات التبشيرية في المنطقة، والحلم متمحور حول نبوءات عن المخلص والخلاص، وتذكر مفردات عديدة مثل الأرض البهية وجبل بهاء القدس وتاج بهاء وغيرها، وقد جاء في كتاب البهائيين المسمى بـــ الأقدس: بشرى الوعد لصهيون بظهور البهاء[70]. وقد لاحظنا باهتمام أن ظهور الحركة البهائية على الساحة السياسية والدينية في العالم الإسلامي تزامن بالتدقيق مع بداية مرحلة سميت بعصر النهضة،

وهي شكل من الإستجابة لمقتضيات ما سمي بالإستنارة في العالم الغربي، ونجد أن هناك تماثلا في الحالة بين الهسكلاه والحركة الحسيدية، ونعتبر حسب معرفتنا بالظاهرة اليهودية أن مآلات الحالتين كانت متشابهة ومتناقضة في الآن نفسه، فالتشابه يكمن في ظهور الدولة القومية (الحديثة)، والتناقض يكمن في تجمع اليهود في مركز واحد وتفرق المسلمين والعرب إلى مراكز عديدة ومختلفة.

ثالثا: المسيحانية.

الكلمة مسيح (messie) تأتي في اللاتينية ميسيا messias، وفي العبرية ماشياح mashiah ودلالتها لغويا مسموح، حيث تترجم في اليونانية christos، وقد كان لفعل المسح بالزيت(الخاص بالملوك الإسرائيليين) قيمة رمزية كبيرة[71]. ولا يمكن فهم المسيحانية كحركة وكمعتقد خاص بالديانة اليهودية إلا بوضعه ضمن سياقاته التي أفرزته، هذه السياقات التي تؤدي فيها النفسية الإسرائيلية– اليهودية دائما أدوارا جدلية.

من الناحية المبدئية نعتبر المسيحانية ظاهرة سياسية–كهنوتية، وقد أصبحت في مرحلة لاحقة من تاريخ جماعة إسرائيل صيغة رمزية للتعبير عن محاولة العيش خارج أطر الزمان والمكان، إلى أجل لم تتضح تسميته بالشكل الدقيق والواضح. لقد ولدت العقيدة المسيحانية المرتبطة أساسا بمفهوم الخلاص، حينما بدأت علامات التفكك تظهر على الروابط العصبوية وحتى الدينية لجماعة بني إسرائيل، وجاء منصوصا عليها في مرحلة النبوة الكلاسيكية لاسيما خلال وبعد السبي، وبالتالي فإن عقيدة انتظار المسيح المخلص بقدر ما باتت تمثل في الوجدان اليهودي ضرورة وحتمية رمزية لاستعادة الملك، بقدر ما هي في الآن نفسه تعبير عن مقدار الألم والإنكسار النفسي لضياع الملك وتفكك الروابط في مرحلة تاريخية مبكرة. لكن السؤال الملح المتجدد كلما تقدم وتقادم الزمن هو: ما مقدار الوضوح في الروابط العصبوية الإسرائيلية التي تود المسيحانية اليهودية تجميعها في فلسطين من أجل تأسيس مملكة جديدة وتحت قيادة ملك جديد من نسل داوود؟.

ولعله سيكون مفيدا لنا قبل محاولة الإجابة عن هكذا تساؤل التأكيد على مسألة مهمة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمسيحانية كما حّددتها الديانة اليهودية، وهذه المسألة تتمثل في إمكانية التأثير التي

مارستها النظرة إلى الملك في الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) بأنه ابن الإله(أو الإله) على الوعي الإسرائيلي– العبراني، الذي أسس له كيانا ما في أرض كنعان، لاسيما وأن القوة المصرية آن ذاك كانت لها ولفترات متقطعة الهيمنة على منطقة الشرق االأدنى[72]. والتأثير نفسه يذكر بالنسبة لبيئة الحكم في بلاد مابين النهرين (العراق القديم) في تبلور فكرة المسيحانية. ذلك أن المسيح الذي تتحدث عنه الأدبيات اليهودية والإسرائيلية لاسيما المقدسة منها بالنسبة لهم هو إنسان بمقاييس إلهية، حيث تتجلى فيه القدرة الإلهية وهو ابن الإنسان كما يسمونه ومن نسل داوود، وقد يسبقه المسيح ابن يوسف الذي حين يموت متألما فإنما يمهد الظروف للمسيح ابن داوود الذي سيعم السلام والأمن في مملكته[73]. وبذا يظهر الإرتباط الوثيق إلى حد التطابق بين الحلولية والمسيحانية، ولذلك كانت أغلب المحاولات المتأخرة لادعاء المسيحانية من طرف أشخاص ينتمون إلى الفكر الحلولي اليهودي القبالي تحديدا، وجل المحاولات هي من أصول سفاردية، إذا استثنينا ما تحدث عنه الأستاذ عمر الغول في إحدى محاضراته التي أشرنا إليها سابقا حول ظهور ثمانية مشحاء تزامنا مع ظهور عيسى (عليه السلام). إلا أن المحاولات المتأخرة التي نتحدث عنها تتعلق أساسا وبداية بإدعاء المسمى أبو عيسى الأصفهاني أنه المسيح، مع نهاية الدولة الأموية وبداية العباسية، وقد حسم أمره الخليفة أبو جعفر المنصور، ثم ادعاء شبتاي تسفي عام 1648م ودخوله الإسلام فيما بعد (ولو ظاهرا)، واستمرار حركته الشبتانية التي خرج من تحت عباءتها مدع آخر اسمه يعقوب فرانك، الذي بدوره اعتنق المسيحية في مرحلة لاحقة، والملفت حقا أن هؤلاء الأشخاص والحركات التي تأسست باسمهم يتحركون فجأة بين منطلقين متناقضين، ولا تفسير لذلك سوى الفكر القبالي– اللورياني الذي تشبعت به أغلب الحركات المشيحانية، من داخل اليهودية وحتى خارجها على مر التاريخ. ووصولا إلى هذا الحد يصعب تدقيقا تعيين من هم بنو إسرائيل على الحقيقة، الذين سيعيدهم المسيح المخلص في آخر الأيام إلى ما سموه بالأرض الموعودة، رغم افتراضنا مسبقا إمكانية الإحتفاظ بالنسب الذي قد يكون بقي طي الكتمان والصمت، وهي الفرضية التي لا نستبعدها بقدر ما نفترض أن التبشير باليهودية لعب دورا ما في إيجاد ما يسميه المسيري بالجماعة اليهودية.

المطلب الثالث: الصهيونية ومحاولة استعادة الرابطة العصبية الإسرائيلية.

إن النظام الكهنوتي- الحلولي، الإسرائيلي- العبراني، الذي تـــأسس بناء على تأثير الظروف النفسية- الاجتماعية لبيئة الشرق الأدنى القديم، قد عاش أزمته الوجودية الخاصة بتمظهره الديني- التقليدي إثر اصطدامه بالثقافة الهللينستية، ونحن نرى في ذلك تصادما بين وحدة وجود روحانية وأخرى مادية (غربية)، إذا جاز لنا استخدام مصطلحات المفكر عبد الوهاب المسيري، ورغم الظهور الأسبق لأزمة السامريين فنحن وإن كنا لا نقلل من شأن تأثيرها، فإنها تبقى رهينة الأثر الشرقي (البابلي- الفارسي) على المستويين العقدي والقومي، وهي في تقديرنا ليست أزمة وجودية بالنسبة لليهودية، في حين أن التصادم مع الهللينستية خلف أثرا عميقا واستدعى تبعا لذلك تدخلا عاجلا، كانت نتيجته إحداث تعديلات جوهرية، وهي وإن كانت كذلك فإن اليهودية تستوعبها طالما أنها أشبه بالتركيب الجيولوجي.

لقد تجدد الصدام الذي حدث في الأزمنة القديمة، وهذه المرة بين اليهودية الحاخامية (وريثة الكهنوت الحلولي) وبين المادية العقلية (وريثة الهللينستية)، ولكن الصدام الجديد يحتاج في رأينا إلى تحليل معمق وأكثر حذرا، لأن الأسس الهليلنستية القديمة لم تلبث في الحقيقة أن تم تمسيحها (من المسيحية) ثم تم - مع تتالي القرون الطوال- استيعاب تلك الأسس من جديد بعد أن مر بها أثر الحضارة العربية الإسلامية، وكان هذا الإستيعاب ممثلا بداية في فكر حركة الإستنارة ثم العلمانية الشاملة نهاية، وهي عينها عقلانية القفص الحديدي التي تحدث عنها ماكس فيبر. وهذا الطرح كله لا يعفينا البتة من طرح التساؤلات تلو التساؤلات حول :

1- أثر اليهود في المسيحية التي تبنتها الإمبراطورية الرومانية.
2- أثر اليهود في فكر حركة الإستنارة الذي قاد مباشرة إلى عقلانية القفص الحديدي.

إن التنقيب العلمي حول المسألتين من شأنه أن يجعلنا أكثر إطاحة بالمسألة اليهودية وأكثر فهما لحقيقة الحركة الصهيونية، هذه الأخيرة التي لا يمكن مطلقا إدراكها دون إحاطة واسعة، بمفهوم اليهودية وحركتها في التاريخ، ولعلنا الآن في لحظة نحن فيها أحوج ما نكون إلى طرح سؤال مهم للغاية وهو:

كيف تحولت اليهودية من مشكلة شرقية تماما إلى مسألة خاصة بالحضارة الغربية؟

إن مشروعية طرح هذا السؤال الذي نراه ضروريا جدا تأتي من الناحية المبدئية من تعريف الصهيونية ذاتها، أو على نحو آخر من تعريف الحركة الصهيونية، ولنقدم هذا التعريف علينا أولا معرفة معنى كلمة صهيون.

* **صهيون:** إسم علم يعني تحديدا جبل صهيون جنوبي غربي القدس، ويحج إليه اليهود هاتفين " رنموا للرب الساكن في صهيون"، ولكن الكلمة تتسع في معناها ورمزها لتشير إلى مدينة القدس، بل هي أيضا أم إسرائيل التي سيولد الشعب اليهودي من رحمها، وهكذا نجد الكلمة تشير إلى الشعب والأرض معا لتشمل كل فلسطين، فيشكل الحنين إلى صهيون حلم اليهود في العودة إلى أرض الميعاد[74].

أما الصهيونية فتعرف على أنها دعوة وحركة عنصرية- دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين، بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية. والإشتقاق من صهيون أحدث عام 1890م[75].

وقد قدم المسيري في موسوعته ما سماه بالصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة وذلك – حسبه- لعمومية التعاريف المقدمة في الموسوعات الأجنبية وضعف مقدرتها التوصيفية والتفسيرية، وتتمثل هذه الصيغة في الآتي:

1- اليهود شعب منبوذ غير نافع يجب نقله خارج أوروبا ليتحول إلى شعب عضوي نافع.
2- ينقل إلى أي بقعة خارج أوروبا ليحل محل سكانها الأصليين بعد طردهم أو إبادتهم.
3- يتم توظيف هذا الشعب لصالح العالم الغربي[76].

وقد تم حسب المسيري تهويد هذه الصيغة فأصبحت خاصة بفلسطين من منطلق أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض، وهذه المقولة حسبه هي صياغة معلمنة لرؤية إنجيلية تقول أن فلسطين هي الأرض المقدسة واليهود هم الشعب المقدس، فلابد إذن من عودة هذا الأخير إلى أرضه. وقد

طرحت الصهيونية نفسها من البداية على أنها رؤية كاملة وشاملة للحياة اليهودية والتاريخ اليهودي والإنسان اليهودي، وعلاقته بالطبيعة(الأرض) وبذاته(هويته)، أي أنها طرحت نفسها كرؤية للكون[77]. ومن هذا المنطلق باتت الصهيونية منظومة من التصورات والأفكار المتلائمة والمتماسكة، تعطي معنى معينا للعلاقات الإجتماعية، وهو التعريف الذي أعطاه عالم الإجتماع الأمريكي غاي باجويت للأيديولوجيا، حيث قصد بجملة " تعطي معنى" أن ذوي العلاقة المشتركين في هذه العلاقات يجدون تلك الأيديولوجيا طبيعية ومقبولة وصحيحة ومبررة ومشروعة، وباختصار يجدونها معقولة ومفهومة وليست خرقاء[78]. و"بالضرورة فالحركة التي تطورت من هذه الأيديولوجيا (الصهيونية) لابد أن ترتبط بالإمبريالية، وأنها لكي تحقق أغراضها لابد أن تخرج عرب فلسطين من ديارهم"[79].

إلى هذا الحد يكون قد اتضح معنا ولو بالحد الأدنى أن الصهيونية كحركة وكأيديولوجيا معاصرة، هي تعبير عن مشكل ما بخصوص اليهود في العالم الغربي، وقد عبر عن ذلك بالمسألة اليهودية في بعض الأدبيات التي نطالعها أحيانا، وفي الآن نفسه اتضحت مشروعية سؤالنا السابق عن كيفية تحول اليهودية من مشكل نشأ في البيئة الشرقية قديما، إلى مشكل خاص بالعالم الغربي حديثا. ولعله من المفيد لاستحصال إجابة مرضية عن هذا السؤال استخدام فرضيتي التبشير والتهجير، اللتان قمنا بطرحهما مسبقا، لكن الأهم في تقديرنا هو الوقوف مليا عند لحظة المواجهة مع الهللينستية قديما وتتبع مآلاتها بدقة، ذلك أن المواجهة الجديدة التي حدثت بين اليهودية (التقليدية) وبين المادية العقلية (ذات الأصول الهللينستية) تأتي هذه المرة ضمن الفضاء الجيو–سياسي الغربي، وتفكيرنا المتفحص في طبيعة هذه المواجهة (الحديثة) يجعلنا نعيد النظر ليس فقط في التعاريف التقليدية للصهيونية والتي قمنا بتقديمها ابتداء، بل إنه سيكون في مكنتنا أيضا تجاوز الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة والمهودة اللتان طرحهما عبد الوهاب المسيري، لأنهما محكومتان بالنموذج البنيوي الذي قدمه المسيري والخاص بالجماعات الوظيفية والدولة الوظيفية. ونحن نرى أن هذا النموذج يفتقد إلى العمق التحليلي اللازم الخاص بالظاهرة اليهودية، وقد وقع صاحبه في فخ الإختزالية حينما نظر إلى القوى الكبرى في الشرق الأدنى القديم النظرة نفسها لتلك

المتواجدة في عالمنا المعاصر، لاسيما حيال تعاملها مع الجماعة اليهودية (العبرانية الإسرائيلية قديما).

إن الأزمة الوجودية لليهودية التي نتجت بعد الصدام مع الهللينستية قديما لم تكن بالعمق الذي نتج بعد الصدام معها في حالتها المادية العقلية، فقد أصبح سؤال من هو اليهودي؟ مثل المتلازمة حين التعامل مع الظاهرة اليهودية من داخلها أو من خارجها، وتجسدت الأزمة المتمحورة حول هذا السؤال في تداعي اليهودية الحاخامية (المعيارية) وتشظيها إلى عدة فرق يهودية معاصرة هي :

- اليهودية الإصلاحية.
- اليهودية الأرثوذكسية.
- اليهودية المحافظة.
- اليهودية التجديدية (حركة إعادة بناء اليهودية).

وبرزت اليهودية التقليدية كتحفظ على التجديدية، كما برزت الأرثوذكسية الجديدة كانفتاح على الإصلاحية[80].

لقد برزت جميع هذه الفرق الدينية (الحاخامية) مطلع القرن 19م إلى مطلع القرن 20م، وجسدت نتيجة الاصطدام بالمادية العقلية الأوروبية، خاصة في ألمانيا أين استمكنت حركة الهسكلاه (التنوير اليهودي). في هذا المناخ تحديدا بدأت تتبلور الفكرة الصهيونية وحركتها التي ستحسم مشكلة المعنى في النهاية، وقد كان الحسم نيتشويا بامتياز، ولعله السبب الذي جعل حل مشكلة المعنى لدى اليهود وخاصة منهم يهود شرق أوروبا يأتي من خارج المؤسسة الحاخامية، فقد كان رواد الصهيونية الأوائل نخبة علمانية وأكثرهم ملحدون، وفي الحقيقة لقد كانت الصهيونية وريثة الحركة الشبتانية كما قامت على أنقاض الحسيدية.

هذه هي جدلية العلمانية واليهودية المتشعبة والغامضة والتي حاول المسيري رغم تضلعه في المسألة اليهودية حلها عبر نموذج الجماعات الوظيفية وبعدها الدولة الوظيفية، وهو غير كاف تماما خاصة إذا أشرنا مثلا إلى طروحات إيلي ليفي أبو عسل حول الصهيونية، في كتابه يقظة العالم اليهودي[81]، وهو يهودي من خارج النسق الغربي تماما. إن هذا يدعونا بحق إلى تدقيق البحث في

فرضيات الأثر اليهودي في النسق الهللينسيتي، الذي تحول في النهاية إلى عقلانية مادية هي والصهيونية صنوان كما أنها واليهودية لا تختلفان، خاصة إذا علمنا أن جميع الفرق اليهودية المعاصرة وعلى رأسها اليهودية الأرثوذكسية (المتشددة) قد انضوت في النهاية تحت راية الصهيونية بعد أن كانت ترفضها رفضا قاطعا. وعبر هذا الجهد التدقيقي ستتوضح إلى حد ما الهوية الحقيقية للصهيونية، وسيكون ذلك على مرحلتين:

- الأولى نتناول فيها: الأصول البروتستانتية الإسترجاعية لنظرية المعرفة الصهيونية.
- الثانية نتناول فيها: الهجرة والإستيطان في ظل الإمبريالية الغربية.

أولا: الأصول البروتستانتية الإسترجاعية لنظرية المعرفة الصهيونية[82]

تعرف الصهيونية عادة بأنها مجموعة المعتقدات التي تهدف إلى تحقيق برنامج بازل الذي وضع عام1897م بشكل عملي، وبناء عليه فالصهاينة هم أولئك الذين يعتبرون اليهود شعبا قوميا مستقلا ينبغي إعادة توطينه ككيان سياسي مستقل في فلسطين، لكي يقيم هناك دولة قومية خاصة باليهود وحدهم[83]. وبرنامج بازل يشير ببساطة إلى مجموعة القرارات التي توج بها المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام1897م، حينما تبلورت الفكرة الصهيونية بشكل ما تحت قيادة اليهودي النمساوي تيودور هرتزل (1860-1904م)، وملخص تلك القرارات وهو ما نقلته إلينا الأدبيات البحثية هو الآتي:

تستهدف الصهيونية إنشاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام[84].

وسيكون منطلقنا لتحليل الصهيونية هو آخر ما ورد في ملخص القرارات، ونقصد تحديدا عبارة حماية القانون العام، التي يجب أن تخضع في رأينا إلى تدقيق علمي متأني، لا يهمل أيا من المؤشرات التي قد تساعد في النهاية في وضع فرضية (تصور) له مقدرة توصيفية وتفسيرية عالية فيما يرتبط بظاهرة الصهيونية.

إن عبارة القانون العام لها بعد اصطلاحي يتجلى عصريا في القانون الدولي، فكيف تضمن الصهيونية بكل أريحية حماية القانون الدولي؟ وهو ما حدث فعلا فيما بعد. إن هذا يعيدنا إلى

التباحث حول ظهور النظام الدولي نفسه، والذي تعتبر نواته الأساسية اتفاقية وستفاليا، التي دشنت ما يسمى بالعصر الوستفالي العلماني، وسمته الأساسية ظهور الدولة القومية وخفوت صوت الكنيسة الكاثوليكية في العالم الغربي، ومن ثم فإن هذا النظام بدأ في حقيقته غربيا، وقد أعقب حروبا دينية طاحنة في القارة الأوروبية انتهت بالإتفاقية المذكورة في العام 1648م، وكان من بين أبرز وأهم أسباب هذه الحروب هو نتيجة حركة الإصلاح الديني في أوروبا، حيث انقسم اللاهوت المسيحي إلى كاثوليكية وبروتستانتية، هذه الأخيرة التي تعني في مدلولها الحرفي الإحتجاج أو الإعتراض، وبدأت حركتها في ألمانيا وانتشرت في أنحاء أوروبا وكان لها استقرار وفعالية في إنجلترا لاسيما مع من سموا بالبيوريتانيين (المطهرين).

مفاد البروتستانتية هو ثورة على مفاهيم الكنيسة الكاثوليكية وتفسيراتها المجازية للعهد القديم التي جعلتها "إسرائيل الجديدة"، وبالتالي فإن البروتستانتية معنية بالتفسير الحرفي للعهد القديم (أصولية دينية) الذي ينظر إلى اليهود المعاصرين كوحدة عضوية (شعب/قومية) تمثل امتدادا للعبرانيين القدامى، وأنهم المقصودون والمعنيون مباشرة بالعودة إلى الأرض المقدسة التي منحهم إياها الرب. وهذا بالضبط هو جوهر ما سمي بالفكر الإسترجاعي (العقيدة الإسترجاعية) أو العصر الألفي السعيد، الذي عبر عنه عالم اللاهوت توماس برايتمان (1562-1607م) في كتابه Apocalypses، حيث اعتبر برايتمان الأب الروحي لعقيدة بعث اليهود (في بريطانيا)، ومن أتباعه السير هنري فنش henry finch سياسي وعضو برلمان اعتبر حجة عصره في القانون، ونشر كتابه المثير للجدل آن ذاك بعنوان "البعث العالمي الكبير" عام 1621م، وجاء فيه: حيث تذكر إسرائيل ويهودا وصهيون والقدس فإن الروح المقدسة لا تعني إسرائيل الروحية أو كنيسة الله التي تتكون من المسيحيين أو اليهود أو منهما معا، ولكنها تعني إسرائيل التي انحدرت من صلب يعقوب، وينطبق الشيء نفسه على عودتهم لأرضهم وقواعدهم القديمة وانتصاراتهم على أعدائهم[85]. ولم تقتصر دعوات توطين اليهود(الأوروبيين) في فلسطين على شخصيات دينية وسياسية علمانية بريطانية فقط، فقد برز على هذا الصعيد نابليون بونابرت خلال غزواته المبكرة للشرق الإسلامي عام 1798م، وظهر فيما بعد الكولونيل البريطاني جورج جاولر(1796-1869م)، واللورد بالمرستون(1784-1865م) حينما شغل منصب وزير خارجية بريطانيا، ولما أصبح رئيسا

للوزراء كان يأخذ دوما بمشورة شقيق زوجته اللورد شافتسبوري (1801-1888م)، وهو زعيم حزب الإنجيليين الذي من خلال مقولاته تطورت المقولة الشهيرة للصهيونية عن فلسطين أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض[86]. ومن أهم هؤلاء جميعا وليام هكلر (1845-1931م) الذي ولد في جنوب أفريقيا وكان يعمل رجل دين في السفارة البريطانية في فيينا، حيث يقول عنه المسيري أنه كان غارقا حتى أذنيه في الحسابات القبالية الخاصة بنهاية العالم وبتحقيق الأمل المنشود في تنصير اليهود[87].

لقد كانت البروتستانتية مثلما تقول ريجينا الشريف حركة بعث قومي وديني لليهودية، وبعثا هوياتيا شمل اللغة العبرية كلغة للعهد القديم لا يفهم إلا بها، كما تم الإنكباب على دراسة الفكر القبالي من بين النصوص العبرية المدروسة[88]. وإزاء هذه الحيثيات بخصوص البروتستانتية والفكر الإسترجاعي الألفي السعيد كما تمت تسميته، نتفاجأ بحقيقتين إحداهما يشترك فيها كل من المسيري وريجينا الشريف اللذان اعتمدنا بشكل أساسي على معلوماتهما، وحقيقة أخرى يقدمها المسيري كملاحظة وقد تشاركه فيها ريجينا الشريف حسبما يبدو من طريقة تناولها للموضوع واتجاهها نحوه.

الحقيقة الأولى: عالم الأشخاص والمؤسسات الأوروبي الذي تبنى أطروحات الفكر الإسترجاعي، وتم تصنيفه على أنه صهيونية مسيحية و/أو غير يهودية سبقت الصهيونية السياسية اليهودية، فعل ذلك بناء على دوافع سياسية براغماتية (غربية) بالدرجة الأولى.

الحقيقة الثانية: الدعوات الناجمة عن الفكر الإسترجاعي البروتستانتي لم تلقى استجابة تذكر في الأوساط اليهودية وبقيت فاترة.

ونحن نرى أن كلا الحقيقتين المؤسس لهما في فكر أدبيات المسيري وغيره من الباحثين والمفكرين، تفتقر إلى الدقة العلمية المطلوبة المرتبطة بأوسع إحاطة بالمسألة اليهودية، ما يتطلب استحضار معطيات عديدة حين تحليل أي واقعة خاصة بتلك المسألة.

فبالنسبة للحقيقة الأولى فلعله من غير المعقول اختزال حركة تاريخية ثورية ثقافية مثل البروتستانتية في مجموعة دواعي برغماتية وسياسية خاصة بمستلزمات الواقع الإمبراطوري

(الأوروبي)، الذي يدرك فلسطين بمنظار المصالح الجيو–استراتيجية فقط، وهذه الدواعي وإن كانت مقبولة فإنها لا تتنافى البتة مع العامل الديني كمحرك أيديولوجي، إذ أنه حتى بعض نصوص العهد القديم نفسها تتحدث عن الأرض الموعودة التي تفيض عسلا ولبنا، وبالتالي فلا مناص من أن تكون العوامل البراغماتية محفزا لتكريس البعد الديني للمسألة، وفي إمكاننا العودة إلى مقولات جورج واشنطن ودافيد جورج رئيس الوزارة البريطانية التي أعلنت وعد بلفور، وكذلك جورج بوش الأب والإبن وغيرهم، التي وردت في كتاب "كليفورد لونجلي" المعنون بـــ الشعب المختار[89]. وفيما يرتبط بنابليون بونابرت فلا بد على البحث العلمي أن يدقق في فرضيات ارتباطه بالماسونية، وفي حيثيات الثورة الفرنسية وارتباطات روادها الفكرية والسياسية.

أما بالنسبة للحقيقة الثانية فإننا قد اقتبسنا عن المسيري نفسه قبل الآن معلومات خاصة بأحداث الحركة الشبتانية المشيحانية عام 1648م، وهي حركة نشأت في وسط اليهود أربكت مركز السلطنة العثمانية إلى حين إخمادها، ومن ثم فإن مقولة فتور الإستجابة للفكر الإسترجاعي لدى اليهود تنتفي علاقتها بالواقع، لأن المصدر الوحيد الذي من المفترض أن يكون الفكر الإسترجاعي قد تسرب بواسطته إلى الكنيسة الكاثوليكية هو اليهود دون غيرهم. والأهم من هذا كله أن فتور الفكر الإسترجاعي لدى اليهود خلال هذه الفترة إذا قسناه بمعيار الحركة الشبتانية، فإننا نصل إلى نتيجة واحدة وهو تواجد الدولة العثمانية في الميدان، الأمر الذي شكل حائلا قويا في وجه المد الإسترجاعي بشقيه المسيحي واليهودي اللذان استوعبهما الفكر القبالي كما يبدو، وقد تزامن فعلا تزايد المد الإسترجاعي (الصهيوني) الذي سماه إيلي ليفي أبو عسل بيقظة العالم اليهودي مع ظهور ما سمي بالمسألة الشرقية، وانتهت المسألة في الأخير بتصفية الدولة العثمانية وتشكيل نظام دولي جديد تأسست إسرائيل تحت حمايته.

التشكيل الخطابي الصهيوني.

نقصد بالتشكيل الخطابي الصهيوني مجموعة التصورات التي بدأت تتبلور مع مطلع القرنين 19م و20م من طرف شخصيات يهودية، بإزاء قضية البعث القومي اليهودي التي أثارها بداية الفكر البروتستانتي المسيحي، فالواضح أن نخبا يهودية من خارج المؤسسة الحاخامية قد استلمت الفكرة من الأوساط المتدينة والعلمانية التي كانت سباقة إلى المشروع الصهيوني، وأصبحت في هذه

الآونة تمثل قوى عالمية بعد الثورة التجارية والصناعية وازدهار الرأسمالية، والتي بدورها بعض النخب اليهودية كان لها دور فيها بشكل أو بآخر، حينما مارست عملية الإقراض بالربا (الفوائد) التي سمحت لكميات ضخمة من الأموال بأن تتكدس تحت أيديها، وقد ترسب نتيجة لهذا في ذهن الأوروبيين خاصة في فترة القرون الوسطى أن اليهودي هو التاجر أو هو المرابي، وكان هذا جزءا حساسا من المشكلة اليهودية في الحضارة الغربية. وفي إمكاننا أن نعبر عن التشكيل الخطابي الصهيوني الذي رمزنا له بنظرية المعرفة الصهيونية عبر مجموعة أنواع الخطاب الصهيوني التي صاغها عبد الوهاب المسيري في موسوعته[90]، وتشمل:

1- الصهيونية العملية (التسللية).
2- الصهيونية السياسية (الدبلوماسية) "تيودور هرتزل".
3- الصهيونية العمومية (حاييم وايزمن 1846-1952م).
4- الصهيونية التصحيحية (فلاديمير جابوتنسكي 1880-1940م).
5- الصهيونية العمالية (موسى هس 1812-1875م).
6- الصهيونية الإثنية العلمانية (آحاد هاعام 1856-1927م).
7- الصهيونية الإثنية الدينية.
8- الصهيونية التوطينية.
9- الصهيونية الإستيطانية .
10- الصهيونية التوفيقية.

إن هذه جميعا تشكل مفاهيم حول الصهيونية، رابطها الوحيد والأساسي هو الهدف وهو فلسطين والقدس، ومحل اختلافها هو طريقة تجسيد هذا الهدف. وقد سيطر في النهاية وهيمن على برنامج الصهيونية فكر وأفكار تيودور هرتزل وأتباعه من بعده، الذين تحالفوا مع الإمبريالية الغربية الإستعمارية، وقد كانوا في الحقيقة يتحالفون مع البرجوازية اليهودية التي تمول هذه الإمبريالية وتقودها أحيانا. ولعله من المفيد أن نضيف في هذا الشأن أن خطاب الصهيونية الذي صاغه هرتزل (المستنير الألماني) وسبقه إليه موسى هس، كان إلى حد بعيد خطابا إستشراقيا-عنصريا[91]، وهو ما يدعم مشروعية طرحنا المبدئي للسؤال الخاص بكيفية تحول اليهودية من

مشكلة خاصة بالشرق إلى مسألة غربية خالصة، فإن كانت المسألة خصوصية غربية مطلقة ولا تفهم إلا في هذا السياق، فكيف تدعي الأصولية المسيحية والخطاب الصهيوني غير اليهودي واليهودي الذي تأسس عليها ضرورة توطين اليهود الذين هم من نسل يعقوب (إسرائيل)؟

إن هذا هو جوهر التناقض الذي وقعت فيه الصهيونية من البداية، ولعله ما جعل خطابها الأساسي المرتبط بتيودور هرتزل مراوغا إلى حد ما، لتسوية جميع الخلافات المتصلة بكيفية تنفيذ المشروع الصهيوني. لقد بدأت هذه الخلافات مبكرة حين تأسيس جمعية أحباء صهيون التي ضمت أكبر جماعة يهودية، وتكرست من خلالها الصهيونية التسللية، ما دفع أحد الشخصيات المحورية في تاريخ الحركة الصهيونية إلى الخروج عن هذه الجماعة وهو "أحاد هاعام" مؤسس ما عرف بالصهيونية الروحية أو الثقافية، وقد كتب بعدها مقاله الشهير "ليس هذا هو الطريق"، ومكمن الخلاف بينه وبين صهيونية هرتزل فيما بعد هو في كيفية عملية بعث الشعب اليهودي. ومع هذا فإن الصهيونية منذ العام 1896م أصبحت هي الحركة السياسية التي أسسها تيودور هرتزل على أنها مذهب قومي، حيث يقول هرتزل صراحة: إنني لا أخضع لأي وازع ديني فأنا غنوصي[92]. فالغنوصية[93] إذن ببعدها الكهنوتي–الحلولي هي بمثابة كلمة السر للدخول إلى نظرية المعرفة الصهيونية، ومن خلالها نفسر تلاقي وتعايش المؤسسة الحاخامية الغربية بفرقها المعاصرة، مع الصهيونية بتياراتها المختلفة داخل بوتقة واحدة في فلسطين المحتلة، تماما مثلما تعايش الصدوقيون والفريسيون وغيرهم داخل السنهدرين كما تفسر الغنوصية ذات الأصول الكهنوتية–الحلولية تحالف القيادة الصهيونية العلمانية العمالية فيما بعد مع اليهودية الأرثوذكسية التقليدية المتشددة، التي كانت ترى في الصهيونية تعجيلا بالنهاية. لكن الإشكالية التي بقيت عالقة ولم تلقى لها حلا في الأصل الغنوصي للصهيونية، هو مدى وضوح الرابطة العصبية الإسرائيلية (اليعقوبية) في اليهود الذين تريد بعثهم من جديد، عبر استيطانهم أرض فلسطين.

ثانيا: الهجرة والإستيطان اليهودي في ظل الإمبريالية الغربية.

تعتبر الهجرة إلى فلسطين واستيطانها من طرف اليهود الحقيقة المادية الوحيدة التي يتمحور حولها الفكر الصهيوني، وهذا يغرينا كيما نقول أن الصهيونية تنتهي تلقائيا حينما تكتمل عملية الهجرة وتأسيس الدولة اليهودية بشكل كامل على أرض فلسطين التاريخية، دون أن ننسى أن فكرة

الإستيطان من حيث معناها الأساسي قائمة على الإستقرار في أراض (جغرافيا) خالية تماما من السكان، وهو ما يتفق مع الشعار الأيديولوجي الذي طورته الصهيونية حول فلسطين، على أنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. وهو الأمر الذي جعلها تصطدم بالواقع في تمظهره الماضي والحاضر والمستقبل، لأن فلسطين لم تكن يوما خالية من سكانها، ثم إن هذا جعلها (أي الصهيونية) حقيقة استعمارية من منطلق أن الإستعمار هو حقيقة جيو–سياسية كما يقول "إيف لاكوست". ونظرا للمنشأ الغربي للصهيونية فإن ارتباطا عضويا جمعها مع حركة الإستعمار الأوروبية خاصة والغربية عموما، وساد تصور حول توظيف الإمبريالية العالمية للحركة الصهيونية كتشكيل طليعي متقدم في القلب من العالم الإسلامي ذي السمة المشرقية، لكن هذا الإعتقاد قد يخلو من الدقة إذا تمت مراجعة كثير من المعطيات السياسية والثقافية والدينية ولاسيما الإقتصادية، وتتبع حركتها التاريخية، بل إن تتبع تطور المؤسسة الصهيونية (الإسرائيلية) في أرض فلسطين في المرحلة التي تلت نجاح المشروع الصهيوني جزئيا، سيجعل من الصعب الحسم في مسألة الإرتباط العضوي بين الصهيونية والتشكيل الحضاري الغربي ذي النزعة الإستعمارية. وحسبنا أن نشير ضمن هذه المرحلة من البحث إلى حقيقتين بحثيتين لهما درجة من الأهمية في تشخيص عملية الإستيطان اليهودي في فلسطين، ومركزيتها في الفكر اليهودي الغربي والوعي الإستعماري الأوروبي بصفة عامة، وهذان الحقيقتان هما:

1– صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration fund.

2– موجات الهجرة اليهودية التي سبقت الإعلان عن قيام المؤسسة الإسرائيلية في فلسطين.

بالنسبة لصندوق استكشاف فلسطين الذي أنشئ في لندن عام 1865م برعاية الملكة فكتوريا ورئاسة رئيس أساقفة "كانتر بري"، فقد لعب دورا هاما في تزويد الساسة والعسكريين البريطانيين بالمعلومات الجغرافية والتاريخية والسياسية التي كانوا يحتاجونها لمد نفوذهم الإستعماري على المنطقة، وكان من بين خبراء هذا الصندوق رجل الإستخبارات البريطاني الشهير بـــ لورانس العرب، وهو T.E.Lawrence، وقد قام الصندوق عام 1892م بإصدار كتاب بعنوان المدينة والأرض the city and the land وهو عبارة عن مجموعة من الدراسات كان أهمها دراسة لـــ وولتر بيسانت W.Beasant، جاء فيها قوله: كنا نستعيد مجد فلسطين في عهد هيرودس، كنا

نستعيد بلاد داوود ونرد إلى الخارطة أسماء المدن التي دمرها القائد العظيم يوشع، لقد أعدنا إلى القدس مكانتها ومجدها وفخامتها، لقد أعدنا البلاد إلى العالم بالخارطة والأسماء والأماكن المذكورة في التوراة، عندما وضعت الأسماء في أماكنها أصبح في وسعنا تتبع سير الجيوش في زحفها[94].

إن هذه العينة مما أنتجه صندوق استكشاف فلسطين ذي المرجعية الإستعمارية الغربية، تأخذنا إلى الإقتراب من الجزم بتداخل ثقافي كبير بين الشخصية الأوروبية التي تكونت منذ بداية العصر الوستفالي العلماني، وبين الشخصية اليهودية القبالية لاسيما تلك التي تلقت خطاب الهسكلاه بالقبول.

أما بالنسبة لموجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتي تعتبر مجهودا موازيا لصندوق استكشاف فلسطين ومترتبا عن نشاطاته أصلا، فنميز مع الباحث أمين محمود موجتين من الهجرة سبقتا قيام الحرب العالمية الأولى[95]:

- **الموجة الأولى:**(1882-1903م) تراوح عددها بين 25 إلى30 ألف مهاجر، وقد مهدت لإرساء الأسس التي قام عليها الإستيطان اليهودي المنظم في فلسطين، حيث نجح هؤلاء المستوطنون في إقامة حوالي22 مستوطنة زراعية يبدو أن جلها كان تحت إشراف البارون "إدموند دي روتشيلد" وإدارته، إذ أنه الممول الأساسي للنشاط الإستيطاني في هذه الفترة.
- **الموجة الثانية:** (1904-1914م) تراوح عددها من 35 إلى 40 ألف مهاجر واقتصرت تقريبا على المهاجرين الروس ممن شكلوا طليعة الصهيونية الإشتراكية (العمالية). وهؤلاء الذين خرج من بينهم دافيد بن غورين وليفي أشكول، قادة المؤسسة الإسرائيلية فيما بعد، وأنشئ في هذه الفترة نوعان من المستوطنات الزراعية وهما الكيبوتز (ملكية مشتركة للأرض) والموشاف (مزارع تعاونية)، وقد وصل عدد سكان المستوطنات إلى 12000 يضاف إليها حوالي 70 ألف يقطنون المدن وخاصة القدس.

إن هؤلاء جميعا شكلوا نواة صلبة للهجرة اليهودية التي ترتبت فيما بعد عن تفاقم ما سمي بالمسألة الشرقية، ومعها استصدار وعد بلفور الشهير، الذي يعبر حسب عبد الوهاب المسيري عن العقد الصامت بين الحضارة الغربية والصهيونية، ونحن نذهب إلى أنه يعبر عن تشابك واضح في

المصالح السياسية والثقافية (الدينية) والإقتصادية، إلى الدرجة التي يتماهى فيها الطرفان فيصبح من الصعب جدا التمييز بينهما، ورغم ذلك فإنه بالإمكان تبني نصف الطرح الذي قدمه المسيري بخصوص العلاقة بين الغرب الإمبريالي (بريطانيا خصوصا) والصهيونية، وهو صفة الصمت التي أضفاها على هذه العلاقة.

إن هذه الصفة يصلح حقا أن نخلعها على طريقة خروج بريطانيا من فلسطين إثر انتهاء فترة ما سمي بالإنتداب عام1948م، وبعد قرار تقسيم فلسطين الصادر عن هيئة الأمم عام 1947م، فقد انسحبت بريطانيا في صمت دون أن نعلم يقينا طبيعة السلطة التي تسلمت رسميا إدارة فلسطين، وهو ما تقتضيه الأعراف والقوانين عامة، إلى أن ظهر ما سمي آن ذاك بالعصابات الصهيونية الممثلة أساسا في الهاجاناه، الشتيرن، الأرغون، البالماخ وغيرها، وهي التي خاضت حربا تطهيرية ضد الشعب الفلسطيني في كثير من القرى والمدن [96]، وترتب عن ذلك الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في منتصف شهر ماي من العام 1948م.

المبحث الثاني: إسرائيل: جدلية الدولة ونظام الإحتلال.

المطلب الأول: النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية.

يجسد قيام دولة إسرائيل عام 1948م على أرض فلسطين التاريخية، الرؤية الصهيونية للخلاص الذي استوعبته من اليهودية الحاخامية، هذه الأخيرة التي رأت بدورها في مفهوم الصهيونية للخلاص (المشيحانية) تعجيلا بالنهاية، طالما أن المنفى هو عقاب للتكفير عن الذنوب وطالما أن ذلك ينتهي بظهور المسيح (الماشيح) في آخر الأيام، وهو الأمر الذي اعتبرته الصهيونية سلبية حيث عمدت إلى ابتكار الآليات المادية الكفيلة بتحقيقه، ومنها الصندوق القومي اليهودي لشراء الأراضي في فلسطين، ثم فيما بعد من خلال طرد واستبعاد الفلسطينيين وحتى إبادتهم، وهو الذي حدث بالتحديد قبيل الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في فلسطين بتاريخ 14/ 05/ 1948م. وقد أسمى الصهاينة حرب الإبادة التي قاموا بها "حرب الإستقلال"، وهي في الواقع كانت تنفيذا لخطة سميت رمزيا بالخطة دالت (الخطة د)، التي وضعت في 1948/03/10م من طرف مجموعة من قدامى العسكريين الصهاينة وضابطين عسكريين شابين، حيث اقتضت الخطة ما يلي:

- إثارة رعب واسع النطاق.
- محاصرة وقصف قرى ومراكز سكانية.
- حرق منازل وأملاك وبضائع.
- طرد وهدم بيوت ومنشآت وغيرها.
- زرع ألغام وسط الأنقاض لمنع السكان المطرودين من العودة إلى منازلهم.[97]

وقد تم تزويد كل وحدة عسكرية بقائمة تتضمن القرى والأحياء[98]المحددة كأهداف لها في الخطة الكبرى المرسومة، التي عكست مثلما يوضح المؤرخ الإسرائيلي "إيلان بابيه" المصير الذي كان الصهاينة يعدونه لفلسطين وبالتالي لسكانها الأصليين.[99]

وبعد اتخاذ القرار استغرق تنفيذ المهمة ستة أشهر، ومع اكتمال التنفيذ كان أكثر من نصف سكان فلسطين الأصليين أي ما يقارب 800 ألف نسمة قد اقتلعوا من أماكن عيشهم، و531 قرية دمرت، و11 حيا مدنيا أخلي من سكانه. إن هذه الخطة حسب إيلان بابيه تشكل مثالا واضحا جدا لعملية تطهير عرقي، وتعتبر في نظر القانون الدولي جريمة ضد الإنسانية. لكننا إذا عدنا قليلا إلى الوراء وجدنا أن ملخص قرارات المؤتمر الصهيوني الأول هو إقامة الدولة اليهودية تحت حماية القانون الدولي، وهذا الأخير احترمته جيوش الجامعة العربية التي لم تتجاوز حين دخولها فلسطين حدود قرار التقسيم الصادر عن هيئة الأمم المتحدة عام 1947م، وبالتالي فإنها عمليا سمحت لحرب الإبادة والتطهير أن تتم في هدوء وصمت، وكان اشتباكها مع العدو الإسرائيلي محدودا، وحتى في إطار هذا الإشتباك المحدود فإن بعض طائرات الجيوش العربية أسقطت (أو أبعدت) من طرف السلاح البريطاني، إذ لم يكن للعصابات الصهيونية آن ذاك طائرات حربية. وهنا يحق للبحث العلمي أن يتساءل حول مسؤولية النظامين الدولي والإقليمي العربي عن حرب إبادة الفلسطينيين عام 1948م، أي عن قيام دولة إسرائيل؟

لقد تحدثت القصة الإسرائيلية التاريخية التي جرى تلفيقها كما يقول إيلان بابيه عن انتقال طوعي جماعي، أقدم عليه مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين قرروا أن يهجروا بيوتهم وقراهم مؤقتا، من أجل أن يفسحوا الطريق أمام الجيوش العربية الآتية لتدمير الدولة اليهودية الوليدة. ومع ذلك نجح المؤرخون الإسرائيليون التصحيحيون باستخدام الأرشيفات العسكرية الإسرائيلية أساسا، في إظهار سخف وكذب الإدعاء الإسرائيلي أن الفلسطينيين غادروا بمحض إرادتهم، واستطاع هؤلاء المؤرخون أن يوثقوا حالات كثيرة لطرد جماعي من القرى والمدن، وأن يبينوا أن القوات المسلحة اليهودية ارتكبت عددا كبيرا من الأعمال الوحشية، بما في ذلك مجازر شنيعة[100] . من أشهر هذه المجازر مذبحة دير ياسين بتاريخ 1948/4/9م في قرية قرب القدس تسمى دير ياسين، حيث هاجمت فجرا وحدتان عسكريتان تنتميان الى المنظمتين السياسيتين–العسكريتين السريتين:

- إرغون تسفائي لي أومي، وهي المنظمة العسكرية الوطنية التي يتزعمها "مناحيم بيغن".

- ليحي، وهي اختصار الأحرف الأولى لـــ لوحامي حيروت إسرائيل، أي المقاتلون لأجل حرية إسرائيل، المشهورة في الغرب تحت إسم مجموعة شتيرن، والتي كان يشغل المركز الثاني فيها إسحاق شامير.

هوجمت القرية من طرف الوحدتين اللتين قتلتا ما لا يقل عن 254 رجلا وامرأة وطفلا [101]. إن وقائع هذه المذبحة العينة وظروفها وملابساتها أثبتها العقيد "مائير باعيل"، وهو ضابط احتياطي (في الجيش الإسرائيلي) وأستاذ التاريخ العسكري في جامعة "تل أبيب"، وقد أدلى بحديثه حولها لصحيفة "يديعوت أحرونوت" الإسرائيلية يوم 1972/04/04م، من منطلق أنه كان متواجدا خلال وقوع المذبحة في دير ياسين بصفة ضابط ارتباط للهاجاناه، أي للقوة المسلحة النظامية الرسمية التابعة للقيادة الصهيونية العمالية [102]. وشهادة هذا الضابط تثبت تورط الهاجاناه إلى جانب الأرغون وليحي في المذبحة، من خلال تزويد الوحدتين السريتين بقوة من البالماخ (تابع للهاجاناه) الذي ساهم في تذليل إسقاط القرية، من خلال القذائف المدفعية (الهاون وغيرها)، وهذا يدحض ادعاءات التكذيب والإستنكار للهاجاناه كقوة عسكرية وكهيئة هي الأكثر رسمية للصهاينة آن ذلك، وعلى رأسها "دافيد بن غوريون" الشخصية التي ستتلو بيان إعلان قيام دولة إسرائيل فيما بعد.

لقد كانت هذه المنظمات العسكرية المسلحة والمدربة جيدا من خلال استفادتها من المشاركة في الحرب العالمية الثانية وتسليح الدول الغربية، هي النواة الصلبة التي تأسس من خلالها نظام سياسي واقتصادي يتسم بطابع جدلي، حيث تزداد سمته الجدلية كلما ازددنا عمقا نزولا نحو قاعدته الإجتماعية الفسيفسائية إثنيا وثقافيا وأيديولوجيا. لقد قامت الوحدات العسكرية التابعة للمنظمات الصهيونية المختلفة وبأوامر مباشرة من قادتها، ممن سموا بالحرس القديم أمثال بن غوريون وبيغن وشامير وغيرهم، قاموا بمذابح وحشية بحق الفلسطينيين مع إرغام شطر واسع منهم على المغادرة قسرا، خوفا من آلة القتل التي لم تكن تفرق بين طفل وامرأة وشيخ ورجل مقاتل، وكان المثل الأعلى للقيام بهذه الأعمال الوحشية المروعة هو المخزون التوراتي الوارد تحديدا في سفر يوشع، " وهكذا هاجم يشوع كل أرض الجبل والمناطق السهلية والسفح ودمرها وقتل كل ملوكها، ولم يفلت منهم ناج، بل قضى على كل حي كما الرب إله إسرائيل" سفر يوشع الإصحاح10، وهذا الذي سماه روجي غارودي بخرافة التطهير العرقي[103]. وإننا لنضطر من أجل تحقيق التدقيق العلمي أن نعيد

طرح إشكالية العلاقة بين الصهيونية كرؤية وكحركة علمانية (لادينية)، وهي إلى الحداثة والإلحاد أقرب، وبين الدين ممثلا في اليهودية التقليدية، وسوف لن يكون حل الإشكالية صعبا ومعقدا أبدا إذا توفرت الإحاطة الموسوعية بطبيعة الديانة اليهودية، ومشكلة الغنوصية الكامنة فيها. إن المنطلقات الدينية واردة بقوة في أفعال الصهاينة وترد في أقوالهم أيضا منذ تشكل الفكر الصهيوني اليهودي في شرق أوروبا ووسطها، على يد أمثال "أشير تسفي جيزنبرغ" الذي سمي نفسه "أحاد هعام" أي أحد عامة الشعب، وعلى يد تيودور هيرتزل وقبله موسى هس ومارتن بوبر وجميعهم علمانيون وإلى الإلحاد أقرب، لكنهم يذكرون الإله بحرارة في لحظات معينة حيث يختلط شعورهم الديني بالقومي في توليفة معقدة، مفتاح حلها الوحيد كامن في الغنوصية. أما بخصوص الصهاينة وأغلبهم العماليون الذين أقاموا المشروع عمليا في عام 1948م، فإننا نستشف من أقوالهم بين الحين والآخر إستنادا ورجوعا الى النص التوراتي لتملك فلسطين، وكانت الإشارات الأولى لهذا الإستناد على النص التوراتي (الكتاب المقدس) ماثلة خلال فترة الإنتداب البريطاني على فلسطين، لاسيما خلال فترة الثلاثينيات التي عمت فيها العمليات الإرهابية الصهيونية ضد العرب وحتى ضد القوات البريطانية لتسريع جلائها، وكان "مناحيم بيغن" نفسه في قوائم المطلوبين، حيث مثل من البداية كما يبدو الجناح المتطرف داخل الحركة الصهيونية. وفي سياق المناخ السياسي للثلاثينيات يقول "أوردوينجت" الضابط البريطاني الصهيوني الذي مارس الإرهاب ضد العرب، أنه استخلص الكثير من حيله العسكرية من جدعون [104]، وهو أحد أبرز قضاة بني إسرائيل الذين أعقبوا يوشع بن نون بعد الدخول الى أرض كنعان (فلسطين)، هذا الدخول الذي سجلت في سفر يوشع ملاحمه الإبادية، وقد أجرى العالم ه.تامارين إستفتاء في عدد من مدارس" تل ابيب" ومدن ومستعمرات إسرائيلية أخرى حول الأساليب الهمجية التي تروى عن يوشع، وجاء في النتائج أن 66 إلى 95% يؤيدون أساليبه، وأن 30% من التلاميذ يؤيدون بصورة قطعية إبادة السكان العرب تماما في المناطق المحتلة[105]. يضاف إلى هذا أقوال بعض القادة الصهاينة السياسيين والعسكريين ممن شغلوا مراكز عليا لصنع القرار ضمن المؤسسة الإسرائيلية، وأبرزهم "جولدا مائير" التي ترأست الحكومة الإسرائيلية مطلع السبعينيات، حيث أعلنت في صحيفة لوموند بتاريخ 1971/10/15م أن هذه الدولة (إسرائيل) وجدت لتحقيق العهد الذي قطعه الله نفسه، ومن السخرية أن نطالبه بكشف حساب حول شرعيته، وهي مثال على شخصية تدعي أنها حصلت على أرض من رب لا تؤمن به [106].

والمقصود بهذا العهد ما يرد بين الحين والآخر في أسفار التوراة والعهد القديم حول الأرض الموعودة التي منحها الرب لشعبه " إسرائيل"، ومثاله "سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى النهر الكبير نهر الفرات" كما يرد في سفر التكوين من الإصحاح 15. وبناء على ذلك فهذا الجنرال "موشي دايان" قائد جيوش إسرائيل التي احتلت القدس، وما تبقى من أرض فلسطين ومعهما الجولان السوري وسيناء المصرية في حرب 1967م، يكتب في صحيفة جيروزاليم بوست بتاريخ 1987/08/16م قائلا: إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة.[107]

هذا هو مختصر الرؤية الصهيونية للخلاص أو المشيحانية كما جسدتها الحركة الصهيونية، وريثة الحركة الشبتانية المتشبعة بأفكار القبالاه اللوريانية، إنها مشيحانية دون ماشيح، وقد أفرزت نظاما سياسيا ذا علاقة جدلية بالقوى الدولية، لكنه أخذ على الأرجح عن هذه القوى طابعها الحداثي وحتى مابعد الحداثي، ويهمنا جدا أن نتفحص علميا مآلات المنطلقات الحداثية لنظام الحكم الإسرائيلي، المرتبط عضويا وفق علاقة جدلية بالنظام الدولي.

أولا: جدلية الديموقراطية والدولة اليهودية.

في رسالة كتبها إلى نجله "عاموس" بتاريخ 1937/10/5م على إثر معاتبة هذا الأخير له بسبب قبوله بخطة تقسيم فلسطين، صاغتها "لجنة بيل" الملكية البريطانية، يقول بن غوريون[108]" إنني لا أشعر مطلقا بالإهانة من جراء إقامة دولة يهودية حتى وإن كانت صغيرة، أنا بالتأكيد لا أرغب في تقسيم الأرض..إن السؤال المصيري هو: هل إقامة الدولة اليهودية تساعد أم تعرقل تحويل الأرض إلى يهودية؟.. أنا متحمس جدا لإقامة الدولة–حتى وإن كانت تلزمنا الآن الموافقة على التقسيم–لأنني أرى أن الدولة اليهودية المنقوصة ليست النهاية، بل هي البداية" [109]. وفعلا ففي جلسة علت فيها الصورة الحائطية لـــ تيودور هرتزل، أعلن بن غوريون بتاريخ 1948/05/14م وعلى الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة عن قيام الدولة اليهودية في فلسطين، وقد أخذ مدة 32 دقيقة كاملة ليعلن قيام الكومنولث اليهودي الثالث أو الجمهورية العبرية [110].

إن استخدام مصطلح الكومنولث اليهودي المتداول في الأدبيات الغربية وترتيبه زمنيا، يحيل إلى استحضار التاريخ التوراتي من خلال ما عرف بفترة الهيكل الأول ثم الهيكل الثاني. وبن غوريون نفسه أعلن بعد ما عرف بالعدوان الثلاثي على مصر عام 1956 م عن إقامة ما سماه بـــ مملكة إسرائيل الثالثة[111]. لكن الملفت هذه المرة أن إسرائيل الثالثة نظامها السياسي يختلف عن سابقيه ولو ظاهريا، فهو نظام ديمقراطي–برلماني مبني على تعدد الأحزاب، حيث تحدد العملية الإنتخابية الشعبية شكل الحكومة التي ستقود الدولة مباشرة، وعلى هذا الأساس فإن أعمدة الحكم الإسرائيلي تتجلى في المؤسسات التالية:

- الرئاسة.
- الكنيست (البرلمان).
- الحكومة (الكابينيت).
- مراقب الدولة.
- السلطات المحلية.
- الهيئات القضائية.

والكنيست هو برلمان الدولة وأعضاؤه 120 عضوا، حيث يتكون من غرفة واحدة تنتخب مرة كل 4 سنوات عن طريق الاقتراع العام [112]. ويتم من خلاله اختيار مراقب الدولة ورئيسها الذي له سلطات محدودة مقارنة برئيس الحكومة الذي له الصلاحيات الكبرى في الدولة، وفق مقتضيات الديمقراطية البرلمانية من جهة وخصوصية المؤسسة الإسرائيلية من جهة ثانية، التي اقتضت استحداث المجلس الوزاري المصغر (الكابينيت) كدائرة ضيقة لصنع القرار، أبرز مكوناتها رئيس الوزراء ووزير الدفاع والخارجية، ولعل أبرز ما يحيل إلى الخصوصية في نظام الحكم الإسرائيلي هو غياب الدستور الذي استعيض عنه بالقوانين الأساسية، وفي الوقت ذاته غياب حدود واضحة للدولة، وقد كان بن غوريون من الذين نصحوا بذلك إلى جانب مطالبته بجعل القدس عاصمة الدولة (الأبدية)[113].

إن بن غوريون في العرف الصهيوني يمثل التيار البراغماتي، حسبما يبدو من نص رسالته لإبنه الذي أوردناه ابتداء، رغم أن تأسيس "إسرائيل" ومحاولات ترسيخ وجودها فيما بعد كان على أيدي الصهيونية العمالية وتحت قيادة بن غوريون نفسه، الذي اشترك في تأسيس الهستدروت كنقابة عمالية ووسيلة استيطان وترأسه من سنة 1921م إلى غاية 1932م، كما ساهم في عام 1930م في إنشاء حزب الماباي، وهو حزب "عمال إسرائيل" الذي خاض أول انتخابات وفاز فيها، وكانت له اليد الطولى في تسيير الدولة الوليدة وتشكيل وعي أفرادها [114]. وقد نافس هذا الحزب على الحكم أحزاب عديدة يكتسي تدافعها فيما بينها جميعا طابعا من الخصوصية والغرابة والشذوذ، ولعل ذلك نابع بالأساس من طبيعة الدولة في حد ذاتها، بمعنى طبيعة التصور الذي يروم الصهاينة أن تتهيكل الدولة على أساسه، وهو الوارد في الإعلان المسمى بوثيقة الإستقلال، حيث الإشارة الصريحة إلى يهودية الدولة، كما أن كلمة استقلال في حد ذاتها تطرح علامة استفهام كبرى حول جدواها. أما العوامل الأخرى التي نرى أن لها الأثر المباشر في تكوين الخصوصية الإسرائيلية على المستوى السياسي فتتمثل في:

1- التناقض الصريح مع المحيط الجيو-سياسي العربي.

2- تناقض بنيوي على المستوى الإجتماعي.

3- الارتباط الجدلي مع القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هذه العوامل جعلت من ألوان الطيف السياسي الإسرائيلي باهتة إلى حد بعيد، إذ لا يمكن مثلا الحديث عن يسار إسرائيلي طالما أن هناك مواقف قومية (عنصرية) متدرجة في التطرف إزاء المكون العربي في فلسطين وخارجها. ثم إن الصهيونية العمالية-الإشتراكية عملت سوية تحت إشراف القوى الليبرالية العالمية بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، لتوطيد الحكم الإسرائيلي في فلسطين. يضاف إلى هذا أن الإتجاه الليبرالي الذي ذهب نحو اليمين المتطرف ممثلا في جابوتنسكي، ومن بعده "مناحيم بيغن" قد اشترك مع الإتجاه العمالي-الإشتراكي في القيام بمذبحة دير ياسين عشية الإعلان عن قيام الدولة، وكلا الإتجاهين يشكل المؤسسة الأشكينازية الحاكمة لدولة إسرائيل، وهذا الحكم لا يستقر في الغالب دون التحالف مع القوى ذات الإتجاه الديني، ممثلة في التشكيلات التابعة مباشرة الى المؤسسة الحاخامية

الأرثذوكسية ويسمون بـــ الحريديم، أو من يسمون بالصهاينة الدينيين. إن هذا يشجعنا على طرح التصنيف التالي للقوى السياسية (الأحزاب) الإسرائيلية:

- معسكر اليمين بشقيه الديني والعلماني.
- المعسكر العمالي وهو أكثر براغماتية [115].

وقد انتهى ميدانيا حكم العماليين بوصول مناحيم بيغن للسلطة عام 1977م، وهو التاريخ الذي نرى أن المؤسسة الإسرائيلية في فلسطين بدأت منه تتجه نحو اليمين، واليمين الأشد تطرفا في أيامنا هذه، مع تغيرات بنيوية على الصعيدين الإثني والفكري. إن الصراع الذي حسم عام 1977م لصالح اليمين المتطرف الذي التزم بنوع من البراغماتية التي تمليها مقتضيات الحكم، كان داخل المؤسسة الأشكينازية العلمانية ذات الأصول الأوروبية على ما يبدو، لكن التحولات البنيوية العميقة التي ما انفكت تطال الإجتماع الإسرائيلي العام، جعل ذلك الصراع المحسوم يصب مع الأيام في صالح الفئات المتدينة والأكثر تدينا (الحريديم [116])، ويمكن لبعض العناصر السفاردية والشرقية من الوصول الى بعض مراكز صنع القرار. هذا الوضع برمته يعبر عنه داخل المؤسسة الإسرائيلية وقاعدتها الجماهيرية بـــ التناقض بين العلماني والديني، وبين الشرقي والأوروبي، وكذلك بين السفاردي والأشكينيازي، وبين البيض والسود (يهود الفلاشة)، فضلا عن التناقض الرئيسي مع الوجود العربي داخل ما سمي بالخط الأخضر (حدود 1948م) وفي الضفة الغربية والقدس وغزة وهي المناطق المحتلة التي يطلق عليها حدود 1967م. ولعل هذه المظاهر كانت من البداية بذورا للأزمة الكامنة في الفكر الصهيوني والحركة التي نشأت عنه، لكن أحدا لم يتنبأ ساعتها أن الحركة الصهيونية التي بدت للوهلة الأولى غربية علمانية، حيث صرح مؤسسها الأبرز بألا وازع دينيا يحكمه، ستؤول إلى دولة دينية وتحت سيطرة سفاردية أو حتى شرقية خالصة [117]. وقد لمس الباحث إحساسا بهذه المشكلة ملفتا ومعبرا للغاية في الأوساط الإسرائيلية، من خلال مقال في صحيفة هآرتس الإسرائيلية بتاريخ: 2015/04/15م وعنوانه: الوداع للغرب[118]. لكن غرابة المسألة قد تزول تماما إذا ما توفرت الإحاطة السليمة بطبيعة الديانة اليهودية، ثم التتبع الدقيق لمآلاتها الروحية، أضف إلى ذلك أن البيان الذي قرأه بن غوريون يعلن فيه قيام الدولة، ينص صراحة على يهودية الدولة، وهذا في حد ذاته يلغي جميع النقاشات التي ظهرت على الساحة بعد

اقتراح القانون الأساسي المتعلق بالدولة القومية للشعب اليهودي في الكنيست رقم 18و19، فقد كان الخلاف حول القانون المذكور من ضمن الأسباب التي دعت الى حل الكنيست رقم 19، والإعلان عن انتخابات مبكرة جرت بتاريخ 2015/03/17م، وفاز فيها حزب الليكود (اليميني) برئاسة "بنيامين نتنياهو"على المعسكر الصهيوني المعبر عن تحالف حزب العمل مع يمين الوسط[119] لقد أفرزت هذه الإنتخابات الحكومة الإسرائيلية رقم 34، حيث تعبر بوضوح عن نزوع الإجتماع الإسرائيلي العام بشدة نحو اليمين الأشد تطرفا[120]، مع نمو واضح لسيطرة المتدينين القوميين و الحريديم، وهذا يجعلنا بعد فهم عميق لليهودية ننظر إلى الديمقراطية الإسرائيلية على أنها واجهة حداثية لحكم ثيوقراطي.

ثانيا: الإقتصاد المتطور ذو الأعمدة الخارجية.

إن البناء السياسي الذي تمت إقامته على أرض فلسطين التاريخية منذ 1948م جرى دعمه من خلال بنية تحتية تضاعفت قوتها مع مرور الزمن، إلا أن الواضح أن هذه القوة لا تتحكم فيها العوامل الذاتية (الإسرائيلية) على نحو تام، فمنذ تأسيس إسرائيل كان الدعم الغربي وخاصة الأمريكي له الكلمة الفصل في استقرار الإقتصاد الإسرائيلي، إضافة إلى بعض الموارد التي تزخر بها أساسا الجغرافيا العربية ونذكر هنا مباشرة عنصر المياه، التي تعاني إسرائيل ندرتها على المدى المتوسط والطويل. وعموما هناك شبه إجماع على تكوين دولة الرفاه القائمة على الإقتصاد المختلط حكومي–هستدروتي خاص، مع ميل إلى تنمية القطاع الخاص[121]، ويأتي هذا كله ضمن إطار جامع يمكن تسميته بالإقتصاد السياسي القومي، أي الداعم للمشروع الصهيوني بشكل من الأشكال.

ونحن بدورنا وبناء على هذا المعطيات وجدنا أن حقيقة الإقتصاد الإسرائيلي يمكن أن تتأسس على ثلاثة عناصر صنفناها كالآتي:

1– المنطق العملي الإسرائيلي (الفنيات الذاتية).

2– المساعدات الخارجية /الأمريكية.

3– استغلال المياه العربية.

وهذه العناصر ثلاثتها تستجيب لخصوصية الوجود الإسرائيلي في المنطقة الشرقية من العالم العربي، مثلما أن هذه الخصوصية تنسحب على مناقشة القضايا الإقتصادية الصرفة على غرار النمو والبطالة والدين العام والعجز في الميزانية وغيرها.

1- بالنسبة للمنطق العملي الإسرائيلي، والذي نقصد به الفنيات الخاصة بالقوة العاملة الإسرائيلية، فذلك مرتبط-ولا ريب-من الناحية المبدئية بمعدل النمو السكاني وكذلك معدل التنمية البشرية، وقد يدخل في حساب هذه العوامل قوة العمل العربية الفلسطينية التي تعبر بوجه ما عن حالة الخصوصية الإسرائيلية في الجانب الإقتصادي.

وصل عدد السكان الإسرائيليين (اليهود) إلى 6.104.5 مليون نسمة مع سنة 2013، وقد كان عددهم سنة 1948م حوالي 649.6 ألف نسمة [122]، ويدخل في حساب هذا العدد المتضاعف عاملا الهجرة والزيادة الطبيعية، كما أن حجم اليهود الذين تجمعوا في فلسطين يمثلون غالبا نسبة تقل أو تساوي من هم خارج فلسطين، وضمن الذين تجمعوا في فلسطين (الإسرائيليين) تقدر نسبة القوة العاملة منهم حوالي 60% يتم استيعاب حوالي نصفها في قطاعات الإقتصاد المختلفة، ويرجح أن ذلك راجع إلى استيعاب النصف الباقي في القطاع العسكري[123].

في العقود الأولى لإقامتها تبنت دولة إسرائيل نظاما اقتصاديا مركزيا شبه اشتراكي صهيوني.. لكن بالتوازي مع احتكار الدولة للإقتصاد وتطويره لم تعاد الدولة القطاع الخاص بالمطلق وهو لم يعادها، بل كان هناك تعايش وتوافق فيما بينهما، بحدود إطار اللعبة التي رسمتها الدولة كونها اللاعب الأقوى في الحلبة الإقتصادية والسياسية [124]. لقد شكل حزب مباي الحاكم (على رأسه بن غوريون) وبعض الأحزاب الصغيرة الشريكة في الائتلاف الحكومي، مصدرا لكافة النخب السياسية والحزبية والبيروقراطية والأمنية والعمالية والإقتصادية والمالية، وقد سيطرت تلك النخب على كافة مؤسسات الدولة، وعملت بالأساس وفقا لمصالح الحزب والمشروع الصهيوني. أما القطاع الخاص فقد كان صغيرا وتألف من مصانع ومصالح اقتصادية عائلية، أو شراكات بين العائلات، لكن تأثيرهم الإقتصادي والسياسي كان ضئيلا [125]. في هذا السياق جاء الإهتمام مبدئيا بقطاع الزراعة إلى غاية سنة 1954م ثم أعقبه نمو اقتصادي عالي نتيجة للدعم الغربي حتى عام 1972م، وبدأ مع حرب 1973م تراجع في الإقتصاد مع زيادة في الإنفاق العسكري إلى غاية

1985م [126]. ومنذ تسعينيات القرن المنصرم تبدلت المعادلة بين القطاعين العام والخاص، فقد تغيرت النخب الإقتصادية المالية والصناعية وتغيرت وظائفها وأدوات عملها وأسلوبها في وساطة المصالح، وتبدلت معظم ملكية الشركات والمصانع مثلما تراجعت مكانة وأهمية تلك التقليدية القديمة، وارتفعت مكانة الفروع المالية والإتصالات وصناعة التقنيات الحديثة والمعلومات والحوسبة، التي نشأت بالأساس من الصناعات الأمنية والعسكرية التي خصخصت في الثمانينيات، أو بادر إلى إقامتها مبادرون تخرجوا من الصناعات العسكرية أو الجيش[127]. لذلك يتبين أن قطاع الخدمات وبالخصوص ما يسمى بـــ الهايتيك (التكنولوجيا العالية)، أصبح يستأثر بالحصة الأكبر من القوة العاملة اليهودية، مقارنة بقطاع الصناعة ثم قطاع الزراعة الذي تراجع مع الوقت أداؤه في الناتج المحلي الإسرائيلي [128]. كما أن هذا الأداء في حد ذاته يتسم بالجودة والنوعية التي تقترب مما هو متوفر في البيئة الأوروبية والغربية، نتيجة لارتفاع معدلات التنمية البشرية التي تتأثر بدورها بدرجة النمو الإقتصادي الذي يفوق نسبة النمو السكاني، فالمسألة تخضع دوما لنوع من التشابك والتعقيد المرتبط بطبيعة المؤسسة الإسرائيلية وعلاقاتها الجدلية بمحيطها الجيو-سياسي والدولي، الأمر الذي يلقي بظلاله على كثير من المؤشرات الاقتصادية[129] على غرار:

أ- معدل النمو الذي بلغ مثلا 3.3 %و2.6% و2.3 % خلال سنوات 2013 و2014 و2015 على التوالي، ويرجح أن يبقى حجمه في ذات المستوى في المدى المنظور.

ب- نسبة البطالة التي انخفضت من 5.9 %عام 2014 إلى 5.3% خلال عام 2015، مع الأخذ في الحسبان تزايد العاطلين عن العمل، واليائسين من إيجاد عمل لدى الجانب العربي (الفلسطيني)

ج- نسبة العجز في ميزانية الحكومة بلغت 2.15% والدين العام بلغ 64.9% من الناتج المحلي وذلك خلال سنة 2015، دون أن ننسى أن من سمات الإقتصاد الإسرائيلي أيضا الموازنات المالية (السنوية) المرتفعة، وكذلك الناتج المحلي المرتفع مقارنة بالدول العربية، وهو ما يؤثر على حجم معدل الدخل الفردي.

إن جميع هذه المعطيات المتعلقة بالمنطق العملي الإسرائيلي، ارتبطت في النهاية وكمآل لحقائق الإقتصاد الإسرائيلي ذي الخصوصية الوجودية بنخب مالية واقتصادية يبدو أنها آخذة في تحديد المسار الإسرائيلي، لا على المستوى الإقتصادي فحسب بل حتى على المستوى السياسي، وهم من تتم تسميتهم في الأدبيات المهتمة بالشأن الصهيوني بـــ حيتان المال[130]. فهؤلاء على ما يبدو هم الرديف الإقتصادي للتجمع السياسي اليميني المتطرف بشقيه العلماني والديني، الذي أمسى يحكم المؤسسة الإسرائيلية فعلا، ولعل التحالف الخفي والعلني أحيانا بين ما سمي بـــ حيتان المال ونخب صنع القرار السياسي يقف وراء استفحال ظاهرة الفساد السياسي وتراجع الدعم الإجتماعي، الأمر الذي خلف موجة من الإحتجاجات الإجتماعية العلنية مع سنة 2011.

2- المساعدات الخارجية/الأمريكية: يشكل الدعم المادي الغربي وبالأخص منه الأمريكي لإسرائيل حقيقة واضحة، كثيرا ما تتم من مناقشتها على المستوى الإعلامي، ويفسر هذا الدعم من الناحية النظرية من خلال جدلية الإرتباط العضوي بين المؤسسة الإسرائيلية والإمبريالية الغربية، وتشير بعض المصادر إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت لإسرائيل ما بين عامي 1948و2002 ما قيمته 80 مليار دولار كمساعدات، منها 61% على شكل مساعدات عسكرية والباقي مساعدات اقتصادية، حيث يتكيف هذا الدعم مع الظروف والمؤشرات التي تتعرض لها المؤسسة الإسرائيلية على مر التاريخ، ومن ذلك مثلا أن الولايات المتحدة عوضت إسرائيل عن خسائرها العسكرية في حرب 1973م، فبلغ مجموع قيمة الدعم العسكري نحو 2482.2 مليون دولار، أي ما مقداره 66% من مجموع المساعدات العسكرية خلال الفترة الممتدة من 1965م وإلى غاية 1974م [131].

3- استغلال المياه العربية: يعد توفير المياه اللازمة لتحسين أداء الإقتصاد الإسرائيلي مشكلة حادة واجهها الإسرائيليون، ولا يتوقف حجم المشكلة على الأداء الإقتصادي فحسب، بل وعلى معدل الإستهلاك اليومي للمياه من طرف الأفراد، ففي حين يعاني الفرد العربي الفلسطيني من شح واضح في معدل هذا الإستهلاك يتضاعف الأخير لدى الفرد الإسرائيلي-اليهودي. ومرد هذا كله أن للمياه العربية مكانة هامة في استراتيجية إسرائيل، حتى تبقى عوامل الجذب قوية ليهود العالم إليها، ولم ينصرف أصحاب القرار والمخططون الإسرائيليون يوميا عن البحث في رسم

السياسات من أجل السيطرة على أكبر حجم ممكن من المياه العربية والفلسطينية على نحو خاص، وبذلك فإن المياه هي التي حددت جغرافية إسرائيل وتوسعاتها منذ عام 1948م، وهي التي ستحدد حدودها النهائية أيضا، الأمر الذي يفسر مسار الجدار العازل الذي التهم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية، وسيحجز في الوقت ذاته أهم الأحواض المائية الفلسطينية من الجهة الغربية للجدار لمصلحة الإسرائيليين واستخداماتهم المختلفة [132].

إن مشكلة المياه بالنسبة للإقتصاد الإسرائيلي وأدائه خاصة على المستوى الزراعي لم تنفك تطرح ضمن كثير من التقارير الدراسية الإقليمية وحتى الدولية، والتي طرحت إلى جانب الإستخدام الإقتصادي استغلال المستوطنات بمستوطنيها المتطرفين لمنابع ومصادر المياه الفلسطينية في منطقة الضفة الغربية، واستغلال المؤسسة الإسرائيلية عموما وأطماعها في منطقة الأغوار[133].

المطلب الثاني: نظرية الأمن الإسرائيلية.

ننطلق في تناولنا لنظرية الأمن الإسرائيلية مما نسميه البداهة الصهيونية. إن أول من استحضر هذه البداهة عمليا هو أول رئيس للوزراء في المؤسسة الإسرائيلية وأول وزير دفاع لها في الآن نفسه، وهو ديفيد بن غوريون، حيث قدر منذ قرار تقسيم فلسطين الشهير عام 1947م أن حربا وجودية وصراع بقاء بات وشيكا، وأنه ينبغي تركيز كافة الجهود من أجل الدفاع عن الدولة الفتية التي ستقوم في وجه غزو عسكري وقوات عربية غير نظامية، حيث لم يكتف بن غوريون بالمعرفة النظرية في المجال العسكري فأخذ لنفسه إجازة للدراسة المعروفة باسم " السيمينار"، درس من خلالها وبحث في القدرات الدفاعية للييشيوف اليهودي[134]وجهوزيته، والوسائل التي بحوزته وطرق التزود الهامة بالسلاح في المستقبل، وكشخص واقعي درس أيضا قدرات العدو ونواياه وتعرف على حدود القوة لديه أيضا[135]. إن منطلق بن غوريون لم يكن عسكريا بحتا رغم إيمانه العميق بالقوة ممثلة أساسا في الجيش،الذي يقول عنه أنه خير مفسر للتوراة وأن يهودا سقطت بالدم والنار وبالدم والنار ستقوم ثانية [136]. لقد كان في أجندة بن غوريون كثير من الأفكار والتصورات التي تتجسد في عقد الإتفاقيات مع الأطراف الإقليمية والدولية المختلفة، وغير ذلك مما يصنف في

خانة الفعل البراغماتي، وهذا يجعل نظرية الأمن الإسرائيلية لا تتلخص في عامل القوة العسكرية وحده، بل إنها تشمل كما صيغت في كتب وأعمال بن غوريون وقرار الحكومة الإسرائيلية في أكتوبر 1953م خمسة قواعد أساسية وهي:

- التفوق النوعي التقليدي.
- الردع القائم على حيازة السلاح الذري.
- علاقات خاصة بدول عظمى كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.
- التفوق الإقتصادي والتقني.
- الحصانة القومية المعتمدة على هجرة الشعب اليهودي إلى "إسرائيل" [137].

إن هذه القواعد والأسس موجهة بصفة مركزية نحو التناقض الرئيسي الذي تواجهه الصهيونية ومن ثم إسرائيل بخصوصية وجودها، هذا التناقض الذي يبدو جليا أنه العروبة والإسلام وبالتالي فهو يتمثل عمليا في الدول العربية والإسلامية عموما. لقد دخلت المؤسسة الإسرائيلية منذ اللحظة الأولى لوجودها في المنطقة العربية في مواجهة حادة مع المحيط العربي-الإسلامي، وكان واضحا منذ البداية أن صراع البقاء والوجود هو الصبغة المهيمنة على التدافع العربي الإسرائيلي، ولعله ما جعل في المقابل الصبغة العسكرية-الأمنية (الإستخباراتية) من جهة إسرائيل بالخصوص تطغى على عنوان الصراع، وفي الآن نفسه على نظرية الأمن الإسرائيلية، رغم أنه يمكن الجزم بالقول أيضا أن منظور القوة واستخدام العنف [138] والميل إلى منطق الأشياء كامن في الفكر الصهيوني-الإسرائيلي، وقبل ذلك في المخيال اليهودي-البني إسرائيلي، ونستحضر بخصوص هذه الحالة ما نعتقد أنه أبرز مثال عليها، ويتجلى في موقف إحدى الشخصيات الصهيونية المؤثرة التي شكلت منبعا ومنهلا فكريا لتصورات رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو، حول العلاقة مع الفلسطينيين والمحيط الإقليمي وحتى الدولي. إن هذه الشخصية هي والده بن تسيون نتنياهو[139]، الذي تطرق إلى العرب في مقابلة أجرتها معه صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ 2009/04/03 أكد فيها أنه لا يؤمن بوجود شعب فلسطيني، ومن ثم فليس من حل في رأيه سوى

القوة والحكم العسكري القوي، مشبها الصراع الإسرائيلي العربي بقوله إن "العرب واليهود مثل عنزتين تلتقيان على جسر ضيق، بحيث أن إحداهما مضطرة إلى القفز في النهر، لكنهما لا تريدان ذلك لأن القفز يعني خطر الموت، ولذا فإنهما تتناطحان على الجسر ولا تقفزان والمناطحة مستمرة من دون توقف، وتؤمنان أحيانا أنه في نهاية المطاف ستنهك إحداهما وتضطر إلى القفز عن الجسر، وعندها طبعا يتقرر أيا منهما هي الأقوى التي سترغم الضعيفة على القفز، وسيتم الحسم في هذه المرحلة من خلال حتمية البقاء" [140].

ويتباهى نتنياهو (رئيس الوزراء) في أغلب المناسبات بأنه يتبنى المبادئ التي رباه والده عليها، وكان ترعرع عليها من تعاليم زئيف جابوتنسكي وبنيامين زئيف هيرتزل (تيودور)، كما فعل أخيرا عندما طرح أمام الحكومة مشروع قانون الدولة القومية اليهودية والمبادئ العامة التي يؤمن بأنها يجب أن ترشد عملية سنه.. وهو يرى أنه مكمل درب هيرتزل والمحلل المعاصر له، حيث يقول عنه في إحدى المناسبات "لم يكن هيرتزل يهوديا منغمسا في البيئة المحيطة وغريبا عن الحضارة اليهودية، وكأن معاداة اليهود وحدها جعلته يفقه ما يتعرض له الشعب اليهودي، ولقد نشرت مؤخرا دراسة مهمة أظهرت عمق الجذور اليهودية لدى هيرتزل، حيث أنه كان يرتاد الكنس مرات عديدة مع والده، وتلا مقطعا من التوراة بمناسبة بلوغه الثالثة عشر من العمر (طقس يهودي ديني يحلل انتقال الصبي إلى عالم الكبار). إن نبضات التاريخ اليهودي قد دقت في شرايينه، كما أنه أدرك الحاجة الماسة إلى الربط بين كنوز الماضي القديمة الكامنة لدى شعبنا والرؤية الحديثة التي تصون وجودنا مستقبلا" [141].

إن المبادئ العامة التي تتقيد بها تصورات بنيامين نتنياهو إزاء الوجود اليهودي في المنطقة العربية عموما والعقيدة الناجمة عن ذلك أمنيا بوجه خاص، رغم أنها تنهل من فكر اليمين المتطرف سليل تصورات جابوتنسكي، فإنها في الآن نفسه لا تقطع مع تصورات هيرتزل[142] البراغماتية المراوغة، بل تمجدها وتبني عليها، ولا تقطع أيضا مع تصورات بن غوريون التي حكمت من خلال منطق العمالية والهستدروت، وهو ما ألمح إليه نتنياهو نفسه في سياق خطاب ألقاه خلال مراسم إحياء ذكرى وفاة بن غوريون في مستعمرة "سديه بوكير" في النقب بتاريخ 2014/11/27 [143]. إن هذا الوضع الخاص بالخطاب الصهيوني يجعلنا على يقين أنه خطاب موحد بديباجاته

اليهودية، أما ما يجعله متعدد الأوجه فهو فقط منطق القوة الذي يحكم ميزان الصراع في المنطقة العربية. لقد تأرجح هذا الميزان لفترات زمنية متفاوتة الأحجام بداية من سنة 1948م، ورغم أنه كان دوما وعلى نحو ظاهر لصالح المؤسسة الإسرائيلية، فإن مفاهيم هذه الأخيرة عن الأمن والإستراتيجية الأمنية ظلت عرضة للتحديث أو على الأقل للنقاش التحديثي، الذي شمل أيضا أدوات تحقيق تلك الإستراتيجية.

بدأ الصراع العربي الإسرائيلي بحرب محدودة سنة 1948م بين ميليشيات صهيونية مسلحة ومدربة ومدعومة من الغرب وتحديدا بريطانيا، وبين عدة جيوش لدول عربية لم تتضح بعد معالم استقلالها السياسي عن الغرب وتحديدا بريطانيا، وانتهت المواجهة بقيام إسرائيل.

قامت المواجهة الثانية في إطار ما سمي بالعدوان الثلاثي على مصر، وتسمى في أدبيات أخرى بـــ "حرب السويس" ويسميها الإسرائيليون بـــ "عملية قادش"، حيث هاجمت كل من إسرائيل وفرنسا وبريطانيا مصر بعد تأميمها لقناة السويس في 1956م.

أما المواجهة الأكبر فكانت حرب عام 1967م التي اشتهرت بحرب الأيام الستة، بين الدول العربية تحت قيادة مصر وبين إسرائيل، وحققت فيها إسرائيل نصرا حاسما على العرب، نتج عنه احتلال القدس بالكامل والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء المصرية وهضبة الجولان السورية. استمرت المواجهة متقطعة بين مصر وإسرائيل خلال ما عرف بحرب الإستنزاف إلى أن قامت الحرب من جديد عام 1973م، وأسفرت عن نصر عسكري محدود للقوى العربية لم يظهر له أي استثمار سياسي واضح، عدا ما اتضح فيما بعد بداية من سنة 1977م بشأن المفاوضات بين الجانبين المصري والإسرائيلي، والتي كللت باسترجاع سيناء وإقامة علاقات ديبلوماسية بين المؤسسة الإسرائيلية في فلسطين وبين الحكومة المصرية إثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد الشهيرة عام 1979م، وترتب عن هذا الوضع خروج مصر من حسابات الصراع مع "إسرائيل".

في عام 1982م قامت إسرائيل باجتياح جنوب لبنان لطرد و/أو استئصال المقاومة الفلسطينية (الشعبية) بقيادة زعيمها الراحل ياسر عرفات، وقد وقعت إثر ذلك مجازر مروعة في بعض مخيمات اللجوء الفلسطيني في لبنان، عرفت بمجازر صبرا وشاتيلا [144].

بعد هذا التاريخ شهد عقد التسعينيات[145] من بدايته ثم تحديدا مع منتصفه إبرام اتفاقيات سلام وتطبيع العلاقات مع المؤسسة الإسرائيلية، بداية مع حركة فتح بقيادة ياسر عرفات وعرفت باتفاقيات أوسلو، فالمملكة الأردنية وعرفت باتفاقية وادي عربة عام 1994م. نتج عن هذا الوضع ظهور ما عرف بأنه سلطة فلسطينية في مناطق للحكم الذاتي، شملت نظريا القدس في قسمها الشرقي والضفة الغربية وقطاع غزة.

إن السياق الزمني (الثمانينيات) الذي مهد لإبرام الإتفاقيتين المذكورتين شهد أحداثا مفصلية على المستوى الشعبي في كل من فلسطين ولبنان.

- في فلسطين، انتفاضة أطفال الحجارة التي توجت بقيام حركة حماس عام 1987م.
- في لبنان، تشكل منظمة حزب الله بإشراف إيراني إثر الإجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982م.

لقد تبلور حسبما يبدو بعد منتصف التسعينيات مساران للصراع العربي الإسرائيلي هما:

1- مسار السلام (التسوية) المعبر عنه بالمفاوضات والإتفاقيات وعنوانه الأبرز مسار أوسلو، وتحقيقه يتم بشكل جلي مع المستويات الرسمية.

2- مسار المقاومة ويتم على المستويات الشعبية، حيث يعبر عنه بالعمليات العسكرية الخاصة (فدائيين، حرب عصابات..إلخ) من الجانب الفلسطيني والعربي، ويجابه بالرد العنيف من المؤسسة الإسرائيلية يصل إلى حد الحرب المفتوحة ضد قوات غير نظامية.

على إثر هذا الوضع واجهت إسرائيل بشكل أبرز منظمتين عسكريتين شعبيتين هما حماس (حركة المقاومة الإسلامية) في فلسطين وحزب الله في جنوب لبنان، وترتب عن ذلك:

- العدوان على لبنان عام 2006 (سماها اللبنانيون حرب تموز).

- العدوان على غزة عام 2008(سماها الإسرائيليون عملية الرصاص المصبوب).
- العدوان على غزة عام 2012(سماها الإسرائيليون عملية عامود سحاب).
- العدوان على غزة عام 2014(سماها الإسرائيليون عملية الجرف الصامد).

إن هذه الأشكال من الصراع مع المؤسسة الإسرائيلية في المنطقة العربية حددت بوضوح طبيعة المفاهيم وطبيعة الأدوات الإجرائية اللازمة لتحقيقها على صعيد الأمن، وهذا في حد ذاته يجعلنا أكثر جهوزية من ذي قبل لعرض هذه المفاهيم وعرض وسائل تكريسها.

أولا: العدة المفاهيمية للأمن الإسرائيلي.

يذكر عبد الوهاب المسيري في موسوعته حول اليهود واليهودية والصهيونية أن العالم العربي من المنظور الإستراتيجي الصهيوني الإسرائيلي مقسم إلى أربعة أقسام:

1- دائرة الهلال الخصيب وتتناوب كل من سوريا والعراق قيادتها.

2- دائرة وادي النيل وتمثل مصر الدولة الرائدة فيها.

3- دائرة شبه الجزيرة العربية وتمثل السعودية الدولة القائدة فيها.

4- دائرة المغرب العربي وعلى رأسها المغرب والجزائر.

وتتمثل الإستراتيجية الإسرائيلية للتعامل مع هذه الدوائر من خلال العمل على منع التقائها أو تعاونها، لما يشكله هذا التعاون من خطورة على الأمن الإسرائيلي [146].

وبالنظر إلى ما يقوله المسيري في هذا الشأن فإن الفكر الإستراتيجي الإسرائيلي أعد لهذه الدوائر الأربع مشروعا واحدا ووحيدا، وهو التقسيم على أسس عرقية وطائفية، وهو على ما يبدو المشروع الأكثر فعالية لتكريس "إسرائيل الكبرى" أحادية القومية (اليهودية)، وتتمحور حوله تلك المفاهيم الأمنية التي إن شئنا وصفها قلنا إنها مباشرة وميدانية، طالما أنها متعلقة بوقائع الصراع المتغيرة على الأرض، إنها مفاهيم ميدانية مرتبطة ومتمفصلة عن المفهوم الأبرز وهو إضعاف

الخصم (العربي) بشتى الوسائل والطرق. تطلق بعض الأدبيات على هذه المفاهيم تسمية مثلث الأمن، لأنها تشمل أساسا المفاهيم التالية:

- الردع – الإنذار – الحسم.

بالنسبة لمفهوم الردع يرمي في جوهره إلى التأثير في متخذي القرارات عند العدو لتأجيل دخول المواجهة. أما الإنذار فيتوجه في الأصل إلى التعرف على نوايا واستعدادات دول لإجراء عسكري في مجابهة إسرائيل، وقد توسع المفهوم ليشمل جميع أنواع التهديدات الممكنة من تطوير مشروع ذري عسكري، إلى تحديد نية رجل واحد لتنفيذ عملية. في حين يشير الحسم إلى النصر السريع في المعارك وقصر مدة الحرب عموما. وقد أضيف إلى هذا الثالوث الأمني مفهوم رابع استجابة لمقتضيات تغير الصراع، ويعرف هذا المفهوم بـــ: الدفاع عن النفس[147]. وفي سياق الإستجابة الإسرائيلية لمقتضيات الصراع أشارت دراسة صادرة عن معهد أبحاث الأمن القومي الصهيوني سنة 2010، بضرورة تحديث المفاهيم الأساسية للتصور الأمني الصهيوني من خلال إضافة مفاهيم أخرى تتمثل في: التشويش أو المنع، الإحباط، التعويق، الإتفاق، التعاون الأمني. حيث يمكن أن نلحظ مؤشرات عديدة في المحيط الجيو–سياسي العربي وحتى خارجه، تنطبق عليها عدة مفاهيم مثلما يتصورها الإستراتيجي الصهيوني، من هذه المؤشرات:

- الغارات المتكررة على مواقع سورية يفترض أنها استراتيجية.
- الإغارة على المفاعل النووي العراقي عام 1981م.
- العلاقات مع جنوب السودان (المنفصل على السودان).
- العلاقات مع القوى الكردية في شمال العراق (المستقلين عمليا عن العراق).
- الغارات المتكررة على ورشات الحدادة في قطاع غزة المحاصر.
- العلاقات مع أثيوبيا وأثرها على حصة مصر من مياه النيل. إلى غير ذلك من المؤشرات.

ثانيا: ثنائية القوة الإسرائيلية: الجيش والإستخبارات.

تقابل العدة المفاهيمية للأمن الإسرائيلي عدة أخرى مادية (ترابية) أخذت بها المؤسسة الإسرائيلية، منذ اللحظات الأولى لوجودها في المنطقة العربية، كما أخذت مع الوقت في تطويرها بالتوازي مع تطور مفاهيمها عن الأمن في هذه المنطقة. ولا ينبغي بأي حال مثلما أوضحنا ذلك في البداية أن نجزم ادعاء بأن العدة المادية الإسرائيلية الخاصة بالأمن تقتصر فقط على الأشياء العسكرية أو الأمنية الخالصة والبحتة، فالمفهوم الواسع للأمن الإسرائيلي يشمل من الناحية الشيئية والطبيعية المقاييس التالية للتفوق لاسيما على المحيط العربي:

- الوفرة المالية.
- الوفرة الإقتصادية.
- الوفرة المائية والغذائية.
- الوفرة البشرية المؤهلة.
- الوفرة المكانية (الإقليمية/الجغرافية).
- الوفرة الديبلوماسية .

وجميع ذلك تحظى "إسرائيل " بجله وتضعه في وارد الخطة الإستراتيجية الأمنية، لكن العنوان الأبرز لهذه الخطة يظل القوة العسكرية بامتدادها الإستخباراتي، لأنها ببساطة الدرع الواقي لجميع مكتسبات القوة المختلفة الأخرى، كما أنه لا معنى لمختلف المفاهيم الأمنية لاسيما إن كانت ذات مستوى عال إن لم تواكبها أدوات ميدانية في نفس المستوى من الدقة أو التفوق.

لقد راهنت المؤسسة الإسرائيلية في فلسطين من البداية على رجحان ميزان القوة لصالحها في جميع الأصعدة، وذلك طبعا ضد الفلسطينيين أولا والعرب ثانيا ثم الدائرة الإسلامية الأوسع عموما، لكن الصعيد الأبرز لاكتساب القوة كان بامتياز الميدان العسكري-الإستخباراتي، إلى الدرجة التي اعتبر فيها الجيش الإسرائيلي بمثابة "عجل بني إسرائيل الذهبي" الذي عبدوه بعد غياب

موسى (عليه السلام) عنهم[148]. إن هذا الوضع يدعونا بإلحاح إلى القيام بمحاولة للإحاطة ولو بشكل محدود بواقع المؤسستين العسكرية والإستخباراتية الإسرائيليتين، لتتضح إلى مدى معين ارتباطاتهما-كمحصلة-بواقع الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية.

1- الجيش الإسرائيلي.

تتطلب عملية الإحاطة بطبيعة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية المرور قسرا عبر مدخل خاص، يستمد خصوصيته حصرا من طبيعة الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وهذا المدخل هو مفهوم عسكرة المجتمع الإسرائيلي، الذي لا يعني للوهلة الأولى هيمنة المؤسسة العسكرية على الإجتماع الإسرائيلي العام من خلال تغلغل عناصرها في الهيكل السياسي والإقتصادي للدولة الصهيونية فقط، وإنما هو أمر أكثر عمقا مثلما يوضح المسيري، فمن يدرس الظواهر الإسرائيلية ابتداء بالنظام التعليمي وانتهاء بأكثر الأمور تفاهة سيلاحظ الأبعاد العسكرية خلفها، فالبعد الإستيطاني مرتبط تماما بالبعد العسكري، والهاجس الأمني يسيطر على السياسة العامة في كل القطاعات وعلى سلوك الإسرائيليين، بل على أحلامهم وأمراضهم النفسية فالمجتمع /القلعة لا بد أن يكون مجتمعا عسكريا يحاول أن يحتفظ بالمادة البشرية في حالة تأهب عسكري دائم، إذ يحتم البقاء حسب شروط الصهيونية قهر العرب[149].

إن صفة المجتمع/ القلعة هي تحصيل حاصل في تقديرنا للوجود الإسرائيلي المعتمد على فلسفة القوة وحيازة أكبر قدر منها، بقطع النظر عن الطبيعة الثقافية للإجتماع الإسرائيلي العام والتي في جوهرها فسيفسائية إثنيا وفكريا، وتلك أزمة أخرى بنيوية للصهيونية. يتميز المجتمع الإسرائيلي بصبغة عسكرية شاملة قوية فجميع القادرين على حمل السلاح رجالا ونساء يؤدون الخدمة الإلزامية، وتنطبق على هذا المجتمع وصف "المجتمع المسلح" أو الأمة المسلحة كما يصف الإسرائيليون أنفسهم، أو جيش في إجازة كما قال أحد الأدباء الإسرائيليين[150]. وفي هذا السياق تأتي مقولة لأحد رؤساء هيئة أركان الجيش الإسرائيلي (رفائيل إيتان)، وقد كانت على شكل إهداء في مقدمة كتابه المعنون بـــ الحلم وتحقيقه.. قيادة وعمل لأجل الصهيونية، الذي أصدرته وزارة الدفاع الإسرائيلية سنة 1979م حيث يقول فيها "إلى قائد جيش الدفاع الإسرائيلي: الدولة هي أنت، فأنت تحدد مستواها وطابعها في الحاضر ولأجيال قادمة"[151]. إن هذا القول ومؤشراته الواضحة في

مفاصل حياة المؤسسة الإسرائيلية يكشف عن إحدى أهم وأبرز خلفيات دولة إسرائيل، إنها الخلفية العسكرية التي تتجلى أساسا في قدوم أغلب القيادات السياسية من المؤسسة العسكرية، أمثال موشي دايان وإسحاق رابين وآرييل شارون وإيهود باراك وحتى بنيامين نتنياهو الذي خدم في الوحدة الخاصة المسماة "سرية الأركان"، ناهيك عن القيادات الأولى أمثال بن غوريون وبيغن الذين جمعوا بين الوزارة الأولى ووزارة الدفاع، وكانوا بالأساس قادة ميدانيين لميليشيات عسكرية. إن هذه الميليشيات (الهاجاناه،الإرغون، الشتيرن..الخ) هي في واقع الأمر ما شكل النواة الصلبة لما سمي فيما بعد جيش الدفاع الإسرائيلي (تساهال)، بأمر من بن غوريون بتاريخ 1948/05/26 [152]. وأصدر الكنيست عام 1976م قانونا أساسيا عرف فيه الجيش بأنه جيش الدفاع الإسرائيلي وهو جيش الدولة الخاضع لإمرة الحكومة [153]. يضم هذا الجيش في هيئته كل القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية ومسؤوله الأول هو وزير الدفاع بتكليف من رئيس الحكومة، أما رئيس هيئة الأركان العامة فهو بمثابة القيادة العليا للجيش الخاضع لسلطة وزير الدفاع، حيث يتألف هذا الجيش من أربعة أنوية أساسية:

الأولى: نواة صغيرة من الجنود الدائمين في الخدمة، والذين يشكلون الهيكل القيادي العام، إذ يدربون جنود الخدمة الإلزامية مع الإشراف على كل التجهيزات والخدمات الفنية التي يحتاجها الجيش.

الثانية: الجيش النظامي يتجند فيه كل الشباب والفتيات عند بلوغهم السن القانوني.

الثالثة: جنود الإحتياط الذين يستدعون بين الحين والآخر بموجب أيام محددة وسنويا للقيام بتدريبات من منطلق الإستعداد الدائم للحرب.

الرابعة: سلسة تحصينات دفاعية على طول الحدود مع الدول العربية المحيطة بفلسطين.

وفي سياق هذا التركيب العام، يقوم رئيس هيئة الأركان بترؤس هيئة مكونة من خمس قيادات:

1- قيادات ميدانية في ألوية الشمال والوسط والجنوب.

2- سلاح الجو.

3- سلاح البحر.

4- قيادة الجيوش البرية.

5- فرق عسكرية متخصصة في قطاعات عسكرية محددة في تركيبتها ومهامها [154].

وقد أرسى بن غوريون تقليدا بموجبه تضع وزارة الدفاع الإستراتيجية الشاملة أو المفهوم الأمني القومي، وتضع هيئة الأركان العقيدة العسكرية القتالية والمتطلبات العملياتية والتكتيكية[155]. ولعل أهم ما صدر عن المؤسسة الإسرائيلية العسكرية في هذا الشأن وبصورة علنية هو الوثيقة المسماة بـــ إستراتيجية الجيش، التي تصدرت عناوين الصحافة العالمية أوائل شهر أوت 2015، حيث جرى توزيعها على وسائل الإعلام الإسرائيلية، فيما جرى الإحتفاظ بالنسخة السرية لصناع القرار الإسرائيلي فقط. وقد حصل الباحث على نسخة مترجمة من هذه الوثيقة نشرها مركز الزيتونة للدراسات في سبتمبر 2015، حيث عمل على ترجمتها الباحث عدنان أبو عامر، وأهم ما تضمنته الآتي:

1- تراجع التهديد على "إسرائيل"من طرف دول المنطقة العربية مقابل زيادة تهديد المنظمات الإسلامية.

2- اعتبار انتصار الجيش الإسرائيلي يكمن في تحقيق الأهداف المحددة وليس تقويض سلطة العدو أو احتلال أراضيه.

3- علاقة الجيش مع المستوى السياسي الإسرائيلي تتركز بشخص رئيس هيئة الأركان، كونه المسؤول عن تنفيذ قرارات المستوى السياسي التي يجب أن تؤخذ من خلال الحوار بين الطرفين.

4- الجيش لن يبادر بالحرب ضد أعدائه، ولكن إذا فرضت عليه الحرب فهو سيختار الهجوم وليس الدفاع.

5- في حال نشوب مواجهة جديدة، سيتم قصف عشرات الآلاف من الأهداف في أراضي العدو(لبنان وغزة)، وعلى الجيش الإسرائيلي إقامة بنك أهداف خاص[156].

إن هذه الوثيقة تعكس أهم تحديثات المؤسسة الإسرائيلية العسكرية على مفاهيمها للأمن والمبادئ العملياتية المنبثقة عنها، بعد آخر حلقة صراع مع المحيط العربي تمثلت في العدوان على قطاع غزة الذي تحاصره إسرائيل منذ سنوات، وهي الحرب التي سمتها بالجرف الصامد سنة 2014 حيث دامت أكثر من خمسين يوما، وهو ما يعكس تراجع القدرة الإسرائيلية على الحسم والردع وحتى الإنذار، رغم ثبات مؤشرات القوة المتجلية بشكل بارز في:

- صناعة أمنية متطورة (دعم غربي).
- خيار الأسلحة النووية (مفاعل ديمونا).
- ميزانية دفاع مرتفعة قياسا إلى الناتج المحلي.

2- الإستخبارات:

في أواسط سبعينيات القرن العشرين، أجاب قائد هيئة أركان الجيش الإسرائيلي عن سؤال طرحه عليه أحد الصحفيين الإسرائيليين في حصة إذاعية، بخصوص الشيء الوحيد الذي كان سيصطحبه معه إذا توجب عليه الذهاب إلى جزيرة صحراوية، فقال بشكل تلقائي وعفوي، ضابط استعلامات[157].

وقد عكس هذا لدى بعض الباحثين في هذا الشأن قوة اعتماد المؤسسة الإسرائيلية العسكرية على العامل الإستخباراتي، وهو يعكس عندنا اعتماد العقلية الإسرائيلية (المتعسكرة) على عنصر الإستخبارات القائم أساسا على الجوسسة والجوسسة المضادة، ولعل مرد ذلك على نحو أعمق إلى إحدى السمات المندرجة ضمن إطار الخصوصية اليهودية، وتسمى هنا بالجاسوسية اليهودية[158]، التي قد تكون السبب الأبرز للتفوق الإستخباراتي الإسرائيلي الذي مكن الجيش الإسرائيلي من هزيمة الجيوش العربية عام 1967م في مدة قصيرة، وكذلك ضرب المفاعل النووي العراقي وتدميره بالكامل عام 1981م[159]، مما يجعلنا نستنتج أن مفاهيم الردع والإنذار والحسم وكذلك

التعويق والإحباط والمنع والتشويش، تقف خلفها قوة الإستخبارات التي هي بمثابة العين الثاقبة للقوة العسكرية، إذا قمنا بغض الطرف عن وجود سلاح خاص يسمى بسلاح الإستخبارات. ووفقا لدراسة إسرائيلية نشرها مركز الزيتونة للدراسات[160]، يوجد لدى الإسرائيليين خمسة أجهزة مخابراتية وهي:

1- شعبة المخابرات في هيئة الأركان العامة في الجيش (أمان).

2- هيئة الأمن العام (الشاباك/الشين بيت).

3- مؤسسة الإستخبارات والمهام الخاصة (الموساد).

4- مركز الأبحاث السياسية بوزارة الخارجية (مماد).

5- مخابرات الشرطة الإسرائيلية.

وتعتبر الأشهر من بين هذه الأجهزة الخمسة: الموساد والشاباك وأمان.

المخابرات العسكرية: "أغاف مودعين" واختصارا أمان، تم تأسيسها كقسم في هيئة الأركان بتاريخ 1948/06/30م، وعرفت حينها بالإسم العبري "ماهلكيت مودعين"، وفي ديسمبر 1953م سميت بـــ مديرية الإستخبارات العسكرية وعرفت باللغة العبرية "أغاف مودعين" (أمان)، ومن مهامها جمع المعلومات عن الجيوش العربية وهي مسؤولة عن تقييم الأوضاع الإستخباراتية في حالتي السلم والحرب[161].

جهاز الإستخبارات السرية الإسرائيلية (الموساد)، وتم تأسيسه بتاريخ 1949/12/13م كهيئة لتنسيق المعلومات، وهو بالأساس جهاز خاص بالعمليات الخارجية[162].يختلف عن أمان في كونه هيئة مستقلة بذاتها،ويختلف عن الشاباك في كون مهامه ليس بها مسؤوليات محددة فيما يتعلق بالأمن القومي، فهو ذراع عمل سري خارج البلاد، ينفذ مهاما تلقى على عاتقه من جانب رئيس الوزراء مباشرة، وتسهم قدراته في عمل الأجهزة الأمنية الأخرى التي عادة ما تصطدم به نظرا لسعة استقلاليته[163].

جهاز الأمن العام الإسرائيلي (الشاباك) "شيروت بتحوف كلالي" ويعرف أيضا اختصارا بـــ الشين بيت، وقد أنشئ منذ قيام إسرائيل، وكان معروفا بالوحدة 184 في الجيش الإسرائيلي، حيث كان طاقمه جميعا من ضباط الجيش وجنوده، وفي عام 1950م تم نقل مسؤوليته من الجيش إلى وزارة الدفاع ثم إلى مكتب رئيس الوزراء، وتتمحور مسؤوليته الحالية في درء الأخطار (الإرهابية) أو الثورات العنيفة التي تتهدد المؤسسة الإسرائيلية، كما له مسؤولية في تزويد الجيش الإسرائيلي بالمعلومات حول عمليات قتالية في الضفة الغربية أو قطاع غزة، ومسؤولية الجوسسة المضادة[164].

المطلب الثالث: الهجرة والإستيطان.

وجه بن غوريون انتقادات إلى الحكومة الإسرائيلية بعد حرب عام 1967م، لأنها لم تسارع إلى الإستيطان في المناطق التي احتلتها، وقال "إذا كنا نرغب في ضمان أن تبقى القدس في أيدينا إلى الأبد علينا الإستيطان بسرعة في شرقها وشمالها وجنوبها"، وحذر من أن "الإنتصار ليس الكلمة الأخيرة، إننا ملزمون بالإستيطان بسرعة في المناطق الجديدة"[165]. إن هذا النقد البنغوريوني لحكومة دولته بعد الحرب المذكورة يأتي في سياق معتقد ديفيد بن غوريون بعدم أهمية الأمم المتحدة، حيث يقول في هذا الشأن "ليس مهما ماذا يقول الأغيار وإنما ماذا يفعل اليهود"[166]. هذا هو مفهوم الإستيطان من منبعه الإسرائيلي وهو أشبه إلى حد المطابقة بما تمت تسميته بسياسة فرض الأمر الواقع، وقد حدث هذا تدريجيا منذ سنة 1882م حيث بدأت الهجرات والتسلل اليهودي إلى فلسطين حينما كانت ولاية عثمانية، وقد تشكل الييشوف (التجمع الإستيطاني اليهودي في فلسطين قبل قيام الدولة) بناء على هذه الهجرات الإستيطانية. لقد وجه بن غوريون نقده المذكور إلى الحكومة الإسرائيلية حيث كان في سنوات عمره الأخيرة، بمستوطنة "سديه بوكير" بصحراء النقب الفلسطينية، يعكف على شرح التوراة وكتابة تاريخ اليهود في العصر الحديث[167]، وقد فسر هذا التصرف من بن غوريون (السكن في الكيبوتس) على أنه تكريس (ولو متأخر) لمبادئ الصهيونية العمالية التي قاد حركتها، والأهم من هذا من الناحية الرمزية دوما هو الإشارة إلى تعمير النقب

(الصحراء) كأرض بلا شعب، فإن وجد أثر لهذا الشعب فهم بدو لا مناص من تمدينهم (النظرة الإستشراقية) أو ترحيلهم (الترانسفير) حسب النظرة الصهيونية الغربية.

لقد كانت لفتة ذكية من بن غوريون لتكريس الخطاب الصهيوني بأبعاده الإستشراقية-الإحلالية، الذي سيفضي في النهاية إلى التموقع في أقصى اليمين من خلال الإمعان في سياسة فرض الأمر الواقع، عبر إقامة المزيد من المستوطنات على الأراضي الفلسطينية التي تم احتلالها عام 1967م، دون إعارة أدنى اهتمام لما يسمى بالمجتمع الدولي. أما صحراء النقب ومعها باقي جغرافيا فلسطين ممثلة في منطقة الجليل ومدن حيفا ويافا واللد والرملة وعسقلان، فإنها كانت محلا سابقا لفرض الأمر الواقع عبر الييشوف الذي نال فيما بعد اعتراف الأمم المتحدة على أنه "دولة إسرائيل".

أولا: الييشوف أو التجمع الإستيطاني اليهودي.

يشير مصطلح الييشوف إلى الإستيطان باللغة العبرية وفوق ذلك فيه إشارة أخرى صريحة للتجمع الإستيطاني اليهودي، الذي شغل مساحة من أرض فلسطين منذ منتصف القرن 19م وإلى غاية سنة 1948م، وترتبط مسألة الييشوف حين التطرق إليها بمستويين من النقاش المفاهيمي في تقديرنا، أما المستوى الأول فمتصل بمجموعة المفاهيم التي تعكس الواقع المسؤول عن تشكل الييشوف، وأما المستوى الثاني فمتعلق بمجموعة المفاهيم التي تعكس واقع الييشوف نفسه.

أ- المستوى الأول.

تشكل التجمع الإستيطاني اليهودي في فلسطين (الييشوف) نتيجة لعاملين أساسيين لهما ارتباط عضوي، بما يجعلهما في حالة من التقاطع والتداخل المستمر وهما:

- الهجرة والتهجير.
- الإستعمار.

على مستوى النقاش النظري نتبنى تعريف الهجرة أنها من ناحية علم السكان "الديموغرافيا" الإنتقال المكاني لفرد أو جماعة، أما التهجير فهو الإرغام على الهجرة بالقوة والتهديد[168]. وفيما

يخص المفهوم الثاني والمتعلق بالإستعمار كواقع فإنه في نظرنا حسبما تعرضه بعض الأدبيات يحتاج إلى المزيد من التدقيق، بمعنى أننا نحتاج إلى بعض المجهود على المستوى النظري لنجعله أكثر تجريدا وفي الآن نفسه أكثر مقدرة على التوصيف والتفسير. إن المفهوم الذي يقدم للإستعمار عادة يجعله علما (إسما) لظاهرة خاصة نشأت حصرا لدى العالم الغربي، وفضلا عن هذا ومن الناحية القاعدية فإن تركيبة المصطلح لها نوع من الإيجابية على المستوى الدلالي للكلمة "استعمار"، فهي تحيل إلى طلب إعمار (عمار) الأرض التي يبدو أنها في حالة خواء أو بوار أو بين المنزلتين، وبذا أصبح لنا منبعان للطابع الجدلي لمصطلح استعمار. إن مفهومنا للإستعمار يرتكز على مؤشرات قاعدية واضحة يتم التماسها أساسا في مقتضيات استقواء الإنسان على أخيه الإنسان، فأيما جماعة بشرية استخدمت عنصر القوة القاهرة للإستيلاء على إقليم جماعة أخرى من أجل السيطرة عليه ونهب ما فيه من خيرات لصالحها، مع ما يستوجب ذلك من حرمان لأهل الإقليم الأصليين من وافر حقوقهم الترابية والمعنوية، فإن تلك هي أول مراتب ما تمت تسميته بالإستعمار، ونحن نرى أن أدق تسمية لهذه المرتبة هي الإحتلال، وهو ما يشار إليه عادة بالإستعمار التقليدي الذي يكتفي باستغلال البلاد وحكمها بواسطة جيوشه وعملائه[169].

إن ما ينتقل بالإحتلال ليصبح استعمارا هو وحده العامل الثقافي، حينما تعمل القوة المتغلبة على محاربة هوية المغلوب، ومحاولة محوها لأجل خالص المحو وهو ما يفضي إلى الإفناء الثقافي، أو لأجل إبدالها بثقافتها (كثقافة منتصرة) وهو ما يفضي إلى الإلحاق الثقافي (التبعية)، وفي كلتا الحالتين تتحمل الجماعة (الأمة) المغلوبة مغارم كثيرة على المستويين المادي (الترابي) والمعنوي (القيمي). إن هذا هو مفهومنا للإستعمار على الرغم من جدلية الكلمة على المستوى الدلالي المباشر، وقد عرف المصطلح رواجه وشهرته إثر موجات الحروب التي شنتها البلدان الأوروبية على بلدان أفريقيا وآسيا وعلى من سموا بالهنود الحمر في القارة الأمريكية، حيث جاءت هذه الحروب في ركاب نمو ما اصطلح على تسميته بالإمبريالية الغربية. وعادة ما تضاف عدة صفات للإستعمار لمنح خصوصية ما للحركة الإستعمارية مثل: الإستعمار الجديد، الإستعمار الاستيطاني، الإستعمار الإلكتروني...الخ. إن جميعها مسميات لحركات تاريخية غربية، إذ تعبر عن

استمرار الفعالية التاريخية للحضارة/التقنية الغربية، التي تمتلك نخبها الحاكمة ثقافة سيطرة (هيمنة).

إن أبرز صفة للإستعمار لها تقاطع دلالي واضح معها كلفظة هي صفة استيطان، التي تكتسي هي الأخرى طابعا جدليا يتجلى في دلالتها المباشرة، وذلك طبعا إذا ما تم دمجها في إطار الحركة الإستعمارية، فالإستيطان يشير إلى اتخاذ بلد ما موطنا، أو إعمار الأماكن المهجورة، ويطلق –حين استحضار العملية الإستعمارية–على ظاهرة محاولة القضاء على وطن ودخول عنصر أجنبي بهدف الإستيلاء على قسم من الأرض[170]. إن أبرز مثال على هذه الحالة فيما يبدو هو التجربة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر، فقد كان استعمارا استيطانيا واضحا تتجلى فيه كل مؤشرات المفهوم القاعدي[171]للإستعمار من: قوة القهر، نهب الثروات، محاربة الهوية، يضاف إليها توطين جماعة بشرية في الإقليم المستحوذ عليه تكون على شكل طليعة استعمارية، وتجسد في الآن نفسه من الناحية النظرية دوما التمظهر الجيو–سياسي للنشاط الإستعماري .

إن هذا التمظهر الجيو– سياسي المعبر عنه بالإستعمار يتحمل بلا أدنى ريب جزءا معينا من المغارم التي من المفترض أن تنوء بأكثرها الأمة المغلوبة، مثلما أوضحنا ذلك آنفا حين عرضنا للمؤشرات القاعدية لمفهوم الإستعمار. فإذا شئنا أن ننتقل بالنقاش إلى مستواه الميداني قلنا أن الجنرال ديغول نفسه كان في حيرة من حجم هذه المغارم، ولذلك أشار عليه بن غوريون بأن يخوض في المناطق الساحلية للجزائر تجربة كالتي خاضتها العصابات الصهيونية في فلسطين قبيل شهر ماي 1948م وحتى بعده، وهي ببساطة خطة دالت (د) للتطهير العرقي مثلما أثبت ذلك طائفة من المؤرخين الإسرائيليين الذين تمت تسميتهم بـــ المؤرخين الجدد.

لقد كان رد ديغول على اقتراح بن غوريون واضحا بأنه لا يريد أن يخلق إسرائيل أخرى[172]، وهذا يجعلنا نربط مسألة البيشوف على ضوء ما قاله ديغول بمستوى وتجربة جديدين من الإستعمار، وهو الإستعمار الإحلالي أو الإستعمار الإستيطاني–الإحلالي، الذي يسعى في إبادة جماعة بشرية تماما ليحل محلها جماعة بشرية أخرى غريبة عن المنطقة (الإقليم)، حيث يتم جلب الجماعة الغريبة بإحدى طريقتين، فإما أنها هاجرت طواعية وهو ما أسميناه في البداية بالهجرة،

وإما أنها استحضرت مدفوعة بالخوف من القتل أو التهديد بالقتل، وفي كلا الحالتين فان الإرهاب ما دفعها إلى التخلي عن مواطن إقامتها الأولى، وهذه الحالة يصح أن نسميها بالتهجير.

إلى هذا الحد من المحاولة للدخول في النقاش الميداني حول المفاهيم المرتبطة بالييشوف، تبدأ تترسب لدينا صورة التعاون والتعاضد بين عاملي الهجرة والتهجير في آن واحد مع الإستعمار بصوره المتعددة من جهة ثانية.

ب- المستوى الثاني.

أخذ الييشوف الذي تشكل في فلسطين بداية من منتصف القرن 19م صورا متعددة، وهذه الصور لا تلغي كون الييشوف هو في الأساس مجموعة معتبرة من المستوطنات اليهودية في فلسطين، مع وجود يهودي (ناتج عن الهجرة والإستعمار) ضمن بعض التجمعات السكانية الحضرية الفلسطينية، ونحن سنهتم باثنين من أبرز أشكال التجمع الإستيطاني اليهودي في فلسطين قبل عام 1948م وحتى بعده بسنوات.

1- الكيبوتس: تعرف الموسوعة الخاصة بمركز مدار للدراسات "الكيبوتس" بأنه شكل من أشكال الإستيطان الصهيوني والإسرائيلي ، تعتمد فيه الحياة على الإشتراكية التامة في الإنتاج والإستهلاك والتعاون المتبادل بين أعضائه مهما كانت مستوياتهم، ويقدم الكيبوتس التربية والتعليم كخدمات متساوية لجميع أعضائه، الذين ينتسبون إليه بمطلق حريتهم بعد أن تتوفر فيهم المعايير المطلوبة. تتخذ فيه القرارات بالإجماع، وإدارته التنفيذية بيد سكرتاريا يتم اختيارها بعد الإجتماع العام، حيث توزع السكرتاريا مهام إدارية على لجان تتولى القيام بها، على غرار أمين صندوق مالية الكيبوتس ولجنة التربية والتعليم ولجنة المصالح والعمل وغيرها.

2- الموشاف (موشاب): هو تجمع استيطاني زراعي للعمال الصهاينة وفقا للأسس التعاونية في الإنتاج والإستهلاك والتسويق، وتتراوح مساحته بين 3 إلى 4 هكتارات من الأراضي(التي اشتراها) الصندوق القومي اليهودي، وتديرها مجموعة من العائلات دون الإستعانة بالعمل المأجور، وتشكل العائلة بعكس الكيبوتس مركز النشاط، ويمتلك كل فرد منزله كما يمتلك قطعة

من الأرض يعمل فيها مع أسرته، بينما تعتبر المنشآت المركزية والمعدات ملكية عامة، أما الموشافا فهي مستوطنة زراعية في فلسطين مبينة على أساس الملكية الخاصة للأرض والمزرعة، وهي الصورة الأولى بين المستوطنات الزراعية التعاونية في فلسطين[173].

يتطلب استيفاء فهمنا للييشوف أو على الأقل لظروف تكوينه كنواة لقيام دولة إسرائيل عام 1948م، ضرورة دمج المستويين المفاهيميين اللذين فتحنا للتو النقاش حولهما في السيرورة التاريخية التي ارتبطا بها منذ البداية، وسيقتضي ذلك أن نستعرض مجموعة من المراحل[174]المترابطة والمتداخلة على مر التاريخ منذ حوالي النصف الثاني من القرن 19م، والتي تمت من خلالها عملية الهجرة ثم التهجير للعنصر اليهودي إلى فلسطين، عبر الإستفادة من مجموعة من الآليات الفرعية التي ما كان لها أن تشتغل لولا الآلية الرئيسية وهي الإستعمار بصوره المتعددة، وسنترك ملاحظاتنا الإستنتاجية في آخر العرض.

- الييشوف القديم: يشير مفهوم الييشوف القديم الى الكيان الإستيطاني اليهودي الذي نشأ في فلسطين قبل 1882م؛ حيث تكون إثر هجرات يهودية غير منظمة يبدو أن العامل الديني كان محفزها الأبرز، لأن هذا الييشوف(الإستيطان) كان مكونا من يهود متدينين من طائفتي السفارد والأشكيناز، موزعين في مدن القدس، الخليل، صفد، طبرية، وقد بلغ عددهم حوالي 24 ألف نسمة عاشوا غالبيتهم على الصدقات والمعونات من يهود أوروبا.

- الييشوف الجديد: بدأت مع سنة 1882م مرحلة جديدة من الإستيطان اليهودي في فلسطين، ففي هذه المرحلة ظهرت جمعية أحباء صهيون الشهيرة، وبدأت عملية الهجرة تأخذ طابعا تنظيميا يزداد دقة مع مرور الوقت، رغم محاولات وجهود التصدي التي قامت بها الدولة العثمانية، فقد استفاد مثلا كثير من اليهود الذين جاؤوا بغرض الحج والزيارة من حماية قنصليات أجنبية (بريطانيا خصوصا)، كي يبقوا في فلسطين بعد انقضاء المدة المحددة لإقامتهم. وفضلا عن هذا وصل إلى فلسطين بين عامي 1882م و1903 م دفعتين من المهاجرين قدرت بحوالي 25000 يهودي معظمهم من روسيا ورومانيا، منهم 450 من يهود اليمن وصلوا عن طريق عدن بواسطة بريطانيا واستقروا في يافا. وقد تم توطين حوالي 10 آلاف يهودي في عدد من

المستوطنات الزراعية (كيبوتس وموشاف)، إذ تم اشتراء حوالي 35 ألف هكتار من الأراضي، وقد تولى البارون إدموند دي روتشليد الإنفاق على بعض المستوطنات بين عامي 1886م-1890م.

الهجرة الثانية ضمن اليشوف الجديد كانت بين عامي 1904م-1918م وفيها قامت المنظمة الصهيونية العالمية وأشرفت على الهجرة؛ حيث بلغ عدد المهاجرين حوالي 40 ألف معظمهم من روسيا ورومانيا، ومنهم حوالي 1500 يهودي يمني تم توزيعهم على المستوطنات الزراعية، وقد تم رفع شعار" العمل العبري " وبلغ عدد المستوطنات 44 مستوطنة زراعية مع مساحة أرض تقدر بـــ 41800هكتار، ذاك أنه تم في هذه الفترة إنشاء الصندوق القومي اليهودي الذي عمل على شراء الأراضي، فقد باعت بعض العائلات الإقطاعية في فلسطين مساحات شاسعة من الأراضي لليهود على غرار عائلة "سرسق" اللبنانية التي باعت في منطقة مرج ابن عامر ما يعادل 3 % من مساحة فلسطين وهي من أجود الأراضي الزراعية.

تبدأ المرحلة التالية من الهجرة ضمن اليشوف الجديد من بداية الإنتداب البريطاني على فلسطين إلى غاية الإعلان عن قيام المؤسسة الإسرائيلية في فلسطين رسميا سنة 1948م، وفي هذه المرحلة عرفت دفعات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ذروتها نتيجة لعاملين أساسيين هما:

- تسهيلات حكومة الإنتداب البريطاني(وعد بلفور أحد أبرز أوجه التعاطف والتسهيل).
- ظهور النازية في ألمانيا وأوروبا.

أما تسهيلات حكومة الإنتداب البريطاني فقد مكنت حسب التقديرات الصهيونية الواردة في موسوعة السياسة والإجتماع (عبد الوهاب الكيالي) من استجلاب:

- حوالي 35 ألف مهاجر بين 1919م -1923م من روسيا وألمانيا وبولونيا وليتوانيا وألمانيا وأمريكا.
- حوالي 89 ألف مهاجر بين 1924م – 1932م أكثر من نصفهم من بولونيا ومعظمهم من أبناء الطبقة الوسطى.

في حين تتضح أعداد المهاجرين بسبب الظروف التي أوجدها النازيون في ألمانيا وأوروبا وفق الآتي:

- 215 ألف مهاجر بين 1933م – 1939م معظمهم من أقطار وسط أوروبا، ومن ألمانيا وحدها 45 ألف مهاجر.
- 120 ألف يهودي دخلوا فلسطين بين سنتي 1940م–1948م.

مع انتهاء الانتداب البريطاني كان عدد اليهود في فلسطين قد فاق 600 ألف نسمة حسب مصادر متعددة، وهو ما يقارب ثلث سكان البلاد، ضمن هذه الظروف خاضت عدة مجموعات مسلحة صهيونية أبرزها الهاجاناه بقيادة بن غوريون حرب إبادة ضد السكان الفلسطينيين في القرى والمدن، وكان من الواضح أن ذلك يتم تحت رعاية القوة البريطانية التي انسحبت في نفس الوقت من محل الصراع دون سابق إنذار.

وفي الواقع كانت هذه الحرب الإبادية الصهيونية للعنصر العربي الفلسطيني ضرورية في نظرهم من الناحية المبدئية، لإسكان الفائض اليهودي المتوفر والذي تم جمعه بشتى الأساليب.

بعد هذه اللحظة تحول الييشوف إلى ما سمي بـــ دولة إسرائيل التي استمرت في استقبال وفود المهاجرين، منهم 203 ألف مهاجر خلال سنة 1948م من 24 دولة، لكن المصدر الأهم للهجرة كان:

- معسكرات اليهود المشردين في أوروبا وقبرص.
- يهود أوروبا الشرقية.
- يهود البلاد العربية لاسيما العراق واليمن ولاحقا المغرب، الذين هجروا بالآلاف بالإتفاق مع حكومة اليمن وسمى الإسرائيليون العملية بـــ "البساط السحري"، ومع حكومة نوري السعيد في العراق وسميت العملية بـــ "عزرا ونحميا" أو "علي بابا"، وجاءت هذه الأخيرة إثر تعرض مناطقهم في العراق الى عمليات تفجيرية مدبرة ومنظمة.

وهكذا أمكننا أن نلاحظ من البداية:

- بداية الهجرة مع قرب وصول ضعف الدولة العثمانية إلى ذروته، إثر استفحال نظام الإمتيازات والقناصل الأجنبية (الأوروبية).

- بداية الهجرة كانت برعاية بارونات المال (المرابين) اليهود العالميين بإشراف استعماري (بريطاني خصوصا).

- انتقلت مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية الخصبة إلى اليهود عبر الأسر الإقطاعية المتهالكة، التي مارست الصيرفة والقمار، ومنها عائلة سرسق اللبنانية وهي من طائفة الروم الأرثوذكس.

- التسهيلات المباشرة للإستعمار الإنتدابي البريطاني في فلسطين للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

- فعالية الظروف التي أوجدتها النازية في أوروبا وألمانيا بالخصوص في دفع اليهود نحو الهجرة إلى فلسطين، وهو ما نعتبره في حكم التهجير تحت تأثير عامل استعماري معاكس، وهو وإن كان كذلك فإن الوقائع تشهد بتعاون وثيق بين الصهيونية والنازية شمل استفادة متبادلة، تمثلت في حصول الصهيونية على المادة البشرية اليهودية النافعة مقابل كسر طوق المقاطعة الذي كان مفروضا على ألمانيا آن ذاك من الناحية الإقتصادية، ودليل ذلك اتفاقية أو شركة "هعفراه" التي استثمر فيها كل من: بن غوريون وموشي دايان وجولدا مائير وغيرهم من الصهاينة[175].

- تعاون رسمي عربي مع الصهاينة، إثر تهجير آلاف من اليهود اليمنيين عبر مدينة عدن والعراقيين مباشرة من بغداد إلى اللد في فلسطين بعد قيام دولة إسرائيل، والبلدان العربيان المذكوران هما جزء من النظام الإقليمي العربي الذي من المفترض أنه خاض في ذات الفترة حربا ضد الصهاينة لتحرير فلسطين.

إن هذا الوضع برمته ينبئ عن تعقيدات مضاعفة إزاء سيرورة العلاقات في النظام الدولي الذي تم تكوينه بعد الحرب العالمية الثانية.

ثانيا: جدلية الخط الأخضر وحدود عام 1967م.

إن الحدود الجغرافية التي تحول ضمنها البيشوف في فلسطين إلى "دولة اسرائيل" أصبحت تسمى دوليا بالخط الأخضر، وهي حدود سنة 1948م لسببين ضمنيين أولهما أيديولوجي مرتبط بعدم الرغبة في الإلتزام من طرف الصهاينة بوضع حدود معينة للدولة الوليدة ،و ثانيهما تاريخي ومترتب عن الأول حيث احتلت الدولة الوليدة (إسرائيل) ما تبقى من مساحة فلسطين التاريخية، ممثلة في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة والجزء الشرقي من القدس، وزادت عليها في ذات الوقت شبه جزيرة سيناء المصرية وهضبة الجولان السورية، وذلك سنة 1967م بعد الحرب التي سميت بـــ حرب الأيام الستة، فأصبح هنالك حدود أخرى هي حدود 1967م، وسميت المناطق الجديدة التي تقع ضمن هذه الحدود بالأراضي المحتلة في العرف الدولي، ونستثني منها طبعا منطقة سيناء بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها إثر اتفاقية كامب ديفيد.

بعد هذا الحد من أحداث الصراع في فلسطين والمنطقة العربية بات واقع وجود العرب الفلسطينيين مقسما بين عدة دوائر:

- داخل ما سمي بالخط الأخضر وهي المساحة الجغرافية التي حكمتها المؤسسة الإسرائيلية ونالت الإعتراف الدولي فيها، حيث ظلت فيها قلة من الفلسطينيين متركزة في منطقة الجليل والقدس.
- منطقة الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تتم تسميتهما معا (دوليا) بالأراضي الفلسطينية المحتلة وتسمي الدوائر الإسرائيلية منطقة الضفة الغربية بـــ يهودا والسامرة (تسمية دينية/أيديولوجية).
- مخيمات اللجوء في الدول العربية المجاورة لاسيما لبنان وسوريا.

ومن المفترض بعد التوصل إلى عقد اتفاقية أوسلو سنة 1993م بين الحكومة الإسرائيلية وحركة فتح بقيادة الراحل ياسر عرفات، أن تكون المساحة المكونة من الضفة الغربية وقطاع غزة والجزء الشرقي من القدس وفيه المسجد الأقصى إقليما لدولة فلسطينية مستقلة، دون البت في مسألة أساسية وهي حق العودة الفلسطيني للأراضي التي هجروا منها قسرا، وتقع ضمن حدود ما سمي بالخط الأخضر. لكن الحاصل اليوم رغم غرابة وشذوذ الشكل الذي تتخذه سلطة

فلسطينية تحظى بما يفترض أنه حكم ذاتي داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، هو تضاعف المجهود الإستيطاني الإسرائيلي (هذه المرة) في منطقتي القدس والضفة الغربية، بعد تفكيك مستوطنات قطاع غزة إثر خطة فك الإرتباط أحادية الجانب التي اعتمدها آرييل شارون عام 2005، ثم محاصرة القطاع بعدها إثر فوز حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الإنتخابات التشريعية التي أقامتها سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية، حيث لا يزال الحصار ساريا إلى الآن وقد تكرس أكثر إثر الانقسام السياسي بين حركتي فتح وحماس، والمتجلي في النهاية في استقرار الأولى في الضفة والثانية في القطاع .

إن خلاصة الوضع الذي تكرس داخل حدود ما سمي بالخط الأخضر وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967م هو الآتي:

– تهميش واضح للفلسطينيين داخل ما سمي بالخط الأخضر، رغم اعتبارهم رسميا من طرف المؤسسة الإسرائيلية مواطنين إسرائيليين.

– استفحال متزايد للنشاط الإستيطاني الإسرائيلي في القدس والضفة الغربية

– استمرار محاصرة قطاع غزة الذي دمرت إسرائيل قسما معتبرا من بنيته التحتية بعد العمليات العسكرية العدوانية التي شنتها منذ سنة 2008 والى غاية 2014.

وبناء على هذه الحال نجد أنفسنا ملزمين – في حدود مطلوبنا النظري – بمحاولة للسعي في استظهار صورة على قدر من الوضوح للوضع في القدس والضفة الغربية، فيما يتعلق بالنشاط الإستيطاني الإسرائيلي الذي امتدت خططه في الآن نفسه لتشمل الترحيل القسري للسكان الفلسطينيين البدو في صحراء النقب، فيما عرف بـــ نكبة فلسطين الثانية بعد النكبة الأولى عام 1948م[176].

وهذا الأمر في حد ذاته يجعل التطرق إلى مسألة الإستيطان في الضفة والقدس غير مفصول عنه في الأراضي الفلسطينية داخل ما سمي بالخط الأخضر، كما لا نستثني في الآن نفسه مسألة الهجرة الإسرائيلية منذ سنة 1948م وإلى غاية سنوات الألفية الثالثة[177]، وهي إلى ذلك دافع إلى

الإستيطان في أراضي الضفة الغربية والقدس، بل إن هجرة جديدة تكونت، وهي لليهود الإسرائيليين من داخل ما سمي بالخط الأخضر والى أراضي الضفة والقدس تحت تأثير عوامل عديدة، منها الدافع الأيديولوجي القومي، والدافع الديني والدافع الإقتصادي المنفعي. وفي مطلق الأحوال فمنذ احتلت إسرائيل الضفة الغربية و قطاع غزة وما تبقى من مساحة القدس التي عليها يقع المسجد الأقصى، فإنها لم تتوانى عن الشروع في بناء المستوطنات[178]، التي تعاملت معها حكومات إسرائيل المتعاقبة على أنها جزء من الدولة، مع ما يستلزم ذلك من دعم على كافة المستويات، في حين أن إقامتها متناقضة والقانون الدولي من منطلق إقامتها على أرض واقعة تحت احتلال عسكري، وهو موقف معظم دول العالم. لكن البدء في بناء هذه المستوطنات كان قد سبقه أو على الأقل تساوق معه ظهور حركات وتنظيمات استيطانية ، شكلت ولا تزال قوة ضاغطة على صناع القرار الإسرائيلي[179].

ومن ثم فإننا نصل سريعا إلى نتيجة مبدئية إزاء النشاط الإستيطاني في الضفة والقدس، تتلخص في مظهرين أساسيين وهما متشابكان في الحقيقة إلى حد بعيد، رغم ما قد يبدو للوهلة الأولى من انفصال بينهما في التوجه والحركة.

- المظهر الأول هو الموقف الرسمي الحكومي وأثره الميداني.

- المظهر الثاني هو موقف حركات الإستيطان وتنظيماته، التي في مجملها يمينية متطرفة سواء كانت علمانية أو دينية.

أ- الموقف الرسمي: بالنسبة للموقف الرسمي لابد من الإشارة مبدئيا أن حكومات إسرائيل المتعاقبة منذ العام 1967م قادتها نخب حزبا العمل وهو أشبه بتيار يسار الوسط، والليكود وهو حزب يميني أقرب إلى التطرف، وكلاهما يشترك في دعم التوجه الإستيطاني في أراضي الضفة والقدس ويتضح ذلك من خلال المراحل التي مر بها النشاط الإستيطاني منذ عام 1967م إلى غاية كتابة هذه السطور حيث:

- المرحلة الأولى: 1967م -1977م: حكم فيها حزب العمل وتأسس ضمنيا وفق ما عرف بخطة ألون (نسبة إلى وزير العمل الإسرائيلي يغئال ألون) التي اقتضت بناء مستوطنات على

طول نهر الأردن وفي القدس، وقد بلغ عدد المستوطنين حوالي 6000 باستثناء القدس يعيشون في 28 مستوطنة.

- المرحلة الثانية: 1977م –1993م: ومثلت بداية حكم حزب الليكود بقيادة مناحيم بيغن، حيث تم تعديل خطة ألون بناء على نشاط فعال قام به آرييل شارون كمسؤول عن قطاع الزراعة ثم الإستيطان، فتم توسيع الإستيطان والإنتقال من الزراعي إلى المدني، مما نتج عنه ازدياد كبير في عدد المستوطنين الذي بلغ 111600 يسكنون في 122 مستوطنة في كافة أنحاء الضفة الغربية، بالإضافة إلى 153 ألف في القدس وحدها.

- المرحلة الثالثة من 1993 إلى غاية الآن: حيث قارب عدد المستوطنين حسب الإحصاءات الفلسطينية 650 ألف مستوطن، في حين تشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى 531 ألف منهم 341 ألف مستوطن في الضفة مع نهاية عام 2012، وأكثر من 190 ألف في الجزء الشرقي من القدس وهم موزعون على:

  - 125 مستوطنة اعترفت بها وزارة الداخلية الإسرائيلية.
  - 100 بؤرة استيطانية (تجمعات سكانية لم تسوى وضعيتها القانونية حسب الإسرائيليين).
  - عدة تجمعات استيطانية يهودية داخل مدينة الخليل.
  - 12 حيا استيطانيا في أنحاء الضفة.
  - عدة مسورات من المستوطنين في قلب الأحياء الفلسطينية في القدس[180](الجزء الشرقي).

لقد انتهجت الحكومات الإسرائيلية من خلال المراحل السابقة عدة أساليب هي في الآن ذاته واقع جديد مثير للغرابة والاستهجان في الضفة الغربية والقدس منها:

1- تطويق المدن الفلسطينية بتجمعات استيطانية تشكل سورا يحيط بها، ونفذ هذا حول جنين ونابلس ورام الله والخليل وبيت لحم.

2- تقطيع الضفة عرضيا بطرق تمتد من داخل ما سمي بالخط الأخضر حتى المستوطنات لربطها مباشرة بالبنية التحتية للمؤسسة الإسرائيلية.

3- اللجوء إلى الطرق الإلتفافية وصولا إلى المستوطنات، بما يحيد القرى الفلسطينية ويجعلها في النهاية خاضعة للمراقبة العسكرية.

4- سلسلة مستوطنات على طول الأغوار الغربية لنهر الأردن (خطة ألون).

5- مستوطنات التلال، من تلال بيت لحم وهضابها شرقا حتى بيسان شمالا، أي شمال جنين (وفق مشروع موشي دايان).

6- مستوطنات التلال الغربية من القدس وحتى جنين شمالا (وفق مشروع شارون)[181].

بعد هذه الأساليب (الواقع الجديد) سيحدث تلقائيا تفكيك القوة الديموغرافية الفلسطينية وجعلها بلا فعالية، لاسيما حين نشوب مواجهة عسكرية؛ يضاف إلى هذه الحال العبء الذي يشكله جدار الفصل العنصري الذي أقامته المؤسسة الإسرائيلية لمنع تسلل الفلسطينيين إلى داخل ما يسمى بالخط الأخضر، وعبء سرقة المياه الفلسطينية والعبء الإقتصادي ومفارغ صرف المياه القذرة للمستوطنات وغيرها.

ب- الحركات الإستيطانية (المستوطنون): إن الواقع الجديد الذي فرضته المؤسسة الإسرائيلية (الرسمية) في الضفة والقدس والذي تجلى في تقطيعهما عرضيا وطوليا، بما أفضى إلى جعل القوة الديموغرافية الفلسطينية في المدن والقرى بلا فعالية، أضحى قوامه قوة بشرية تسمى بـــ "مجتمع المستوطنين" لتمييزهم عن غيرهم ممن باتوا يسمون مواطنين إسرائيليين داخل ما عرف بـــ الخط الأخضر، هذا المجتمع الإستيطاني في الضفة والقدس يتكون من:

1- متدينين أرثوذكس(حريديم) يعيشون في 4 مستوطنات كبرى.

2- متدينين صهاينة يعيشون في عشرات المستوطنات المقامة على الهضاب والتلال والجبال على طول الشارع 60 الذي يشق الضفة من الشمال إلى الجنوب.

3- العلمانيون، ويسكنون المستوطنات الملاصقة للخط الأخضر، وتسمى الكتل الإستيطانية مثل مدينة آرييل[182].

والمميز لهذا المجتمع من البداية أي منذ العام 1967م أن أغلبه من تيار الصهيونية الدينية، وهم القوميون المتدينون على غرار حزب "المفدال"، وهؤلاء جميعا محسوبون على التيار اليميني المتطرف الديني بالأخص، وقد أسس هؤلاء أول مستوطنة (بعد مستوطنة غوش عتسيون في القدس) بالقرب من مدينة الخليل وسموها "كريات أرباع"، وذلك عشية ما يسمونه بـــ عيد الفصح من سنة 1968م، وأقر الكنيست الإسرائيلي ذلك بتاريخ 1970/03/25م[183]. من القوة البشرية لهذه المستوطنة (كريات أرباع) تأسست حركة "غوش إيمونيم" الإستيطانية المتطرفة سنة 1974م، ذات التوجهات المسيحانية (الميسيانية) التي ترى الخلاص في طرد العرب وتأسيس إسرائيل الكاملة، وترجع جذور هذه الحركة إلى المدرسة الدينية (أكاديمية تلمودية، بيشيفا) المسماة "مركاز هراب" في القدس تحت إرشاد أحد الحاخامات[184]. كما أن مستوطنة كريات أرباع هي مقر لمنظمة "كاخ" المتطرفة التي أسسها المسمى "مائير كاهانا"؛ حيث تدعو الى كراهية العرب وطردهم، وقد قام على إثر ذلك أحد أعضائها ويسمى "باروخ غولدشتاين" بارتكاب مجزرة في الحرم الإبراهيمي بالخليل عام 1994م، حيث قتل جمعا من المسلمين حين أدائهم لصلاة الصبح، وقد تم حظر الحركة قانونيا بعدها من طرف المؤسسة الاسرائيلية. لكن أعمالا مشابهة لنشاط هذه الحركة عاودت الظهور؛ وتتمثل فيما تقوم به مجموعات من الشباب المسمون بـــ شباب التلال أو جماعات تدفيع الثمن (تاغ محير) الإستيطانية، الذين يقومون بالإعتداء على أملاك الفلسطينيين في الضفة والقدس وفي حيفا أيضا داخل ما سمي بالخط الأخضر، حيث نبشوا عدة قبور في مقابر المسلمين منها قبر الشيخ عزالدين القسام، مع كتابة عبارات نابية ومغالية في العنصرية. وهذه الجماعات هي المسؤولة عن حرق الطفل علي سعيد الدوابشة في جويلية 2015، وحرق الطفل محمد أبو خضير في جويلية 2014 [185]، ويشكل نشاطها أرضا خصبة لما يسمى بـــ حركات جبل الهيكل، التي تريد هدم

المسجد الأقصى وإقامة هيكلها (معبدها) محله، ومؤشر ذلك هو الإقتحامات المتكررة لساحات المسجد الأقصى بحماية قوات الأمن الإسرائيلية.

ونؤكد في النهاية حسب ما تورده بعض التحقيقات الصحفية والدراسات الميدانية [186]، بالنسبة للموقفين الرسمي الإسرائيلي والحركي الإستيطاني أنهما لا يتعارضان في الواقع إلا بقدر ما تمليه مقتضيات النهج البراغماتي، حيث ظروف السياسة الدولية والظروف التي تتشكل بفعل حركة المقاومة الفلسطينية على الأرض.

مراجع وهوامش الفصل الرابع:

(1): محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص22.

(2): دلالة الجندي المرتزق المرتبطة بلفظة عبراني تخدم نموذج المسيري حول الجماعات الوظيفية اليهودية والدولة اليهودية الوظيفية، وقد وردت تفصيلاته الدلالية للفظتي خابيرو وعبيرو في المجلد الأول من موسوعته الموجزة: اليهود واليهودية والصهيونية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2006،ص ص 395،396.

(3): دخول يوسف (عليه السلام) إلى مصر يرجح أنه كان على أيام الهكسوس، وهم الملوك الرعاة وليس على أيام الفراعنة مثلما جاء في المرجع الذي أخذنا عنه فكرة التفاوت الطبقي والاجتماعي وهو الآتي:

(4): إسماعيل ناصر الصمادي، نقد النص التوراتي، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 2009، ص147.

(5): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ص396.

(6): إسماعيل ناصر الصمادي، مرجع سبق ذكره ، ص147.

(7): Israël Finkelstein, un archiologue au pays de la bible, traduit de langlais par Sophie Gallé - soas, bayard , paris, 2008, P7-8.

(8): محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره، ص23.

(9): أنظر: الآيتين 38 و 100 من سورة يوسف.

(10): أنظر: الآية 15 من سورة القصص.

(11): الآية 93 من سورة آل عمران والآية 58 من سورة مريم.

(12): أنظر: محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره ، ص24.

(13): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص392.

(14): Bernard Reich ,a brief history of israel, s end ed, facts on file, New York, 2008, P01.

(15): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص399.

(16): Bernard Reich, op cit, P01.

(17): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص 400.

(18): نفس المرجع، ص401.

(19): Bernard Reich, op cit, P 02.

(20): أنظر: تفصيلات ذلك لدى: إسماعيل ناصر الصمادي، مرجع سبق ذكره ، ص138.

(21): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص396.

(22): ذهب سيغموند فرويد وغيره من الباحثين إلى ذلك.

(23): هذه المقاطع من سفر الخروج والتعليق عليها منقولة عن إسماعيل ناصر الصمادي، مرجع سبق ذكره، ص238.

(24): نفس المرجع ، ص158.

(25): أنظر في هذا الشأن: علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1981، لاسيما الصفحتين11،12.

(26): عبد الوهاب الميسري، مرجع سبق ذكره ، ص 403.

(27): إسماعيل ناصر الصمادي، مرجع سبق ذكره ، ص245.

(28): أنظر: روجي غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ،ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص7.

(29): elisa silverman, understanding israel today, mitchell lane, usa, 2015, P15.

(30): Bernard Reich, op cit , P 03.

(31): israel finkelstein, op cit ,P 22.

(32): Israël knohl, the messiah before jesus, university of California press, usa, 2000

(33): محاضرة لـــ د.عمر الغول حول مخطوطات البحر الميت.

http://www.youtube.com/watch?v=p6201fabxik

اطلع عليه بتاريخ: 2016/06/23..

(34): هكذا تصرح نصوص العهد القديم، مع التأكيد على الموازنات العلمية المذكورة في هذا الشأن والتي وإن لم تنف فإنها تحيل إلى ضرورة النظر في حجم الكيان السياسي وحجم بنيته التحتية وطبيعة أورشليم التي يتحدث عنها نص العهد القديم.

(35): محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره، ص36.

(36): إسماعيل ناصر الصمادي، مرجع سبق ذكره، ص28.

(37): أنظر: محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره ، ص38.

(38): المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص803.

(39): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة اليهود واليهودية والصهيونية، ط3، المجلد2، دار الشروق، القاهرة 2006، ص406.

(40): محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره ، ص140.

(41): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص409.

(42): أنظر في هذا الشأن: أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية والصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد– الأردن، 2003، ص111.

(43): نفس المرجع، ص ص112،113.

(44): يستند المسيري على هذه القضية ليؤكد مفهومه حول الدور الوظيفي للجماعات اليهودية في العالم.

(45): جميع المراجع التي تتناول تاريخ ديانة بني إسرائيل تشترك في هذه المعلومات وقد استند الباحث من البداية على بعض هذه المراجع، وأسماؤها مثبتة في الثبت الخاص بالإقتباسات وقد سعى الباحث في تلخيصها بالشكل الذي يجعلها تساعد في فهم المشكلة اليهودية واستيعابها بأقصر الطرق، وبالتالي فإن الباحث وضع المعطيات المتناثرة في سياقاتها المناسبة.

(46): أنظر: عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002.

(47): أحمد سوسة، مرجع سبق ذكره ، ص45.

(48): عصام موسى قنيبي، اليهود القدماء والمعاصرون، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، دمشق، 2009، ص111.

(49): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة ،مرجع سبق ذكره ، ص32.

(50): حسن الشيخ، اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، مصر 2003، ص275.

(51): عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص21.

(52): نقلنا هذا تلخيصا من أبحاث المسيري وأحمد سوسة، كما أننا تلمسنا هذه السمة للتلمود من مختلف الأدبيات التي تتناوله بالدراسة.

(53): نقلا عن: أحمد سوسة، مرجع سبق ذكره، ص14.

(54): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة، مرجع سبق ذكره ، ص40.

(55): محمد خليفة حسن أحمد، مرجع سبق ذكره، ص221.

(56): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة، المجلد1، مرجع سبق ذكره ، ص251.

(57): عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، ط1، دار نهضة مصر،القاهرة، 1998، ص27.

(58): يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة نظير جاهل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995.

(59): أنظر: عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2007.

(60): عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، مرجع سبق ذكره، ص11.

(61): أنظر: وليام جاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، دار الكتاب العربي، دمشق،القاهرة 2011، لاسيما الصفحتين 105، 129.

(62): عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، مرجع سبق ذكره ، ص115.

(63): نفس المرجع، ص116.

(64): جيم مارس، الحكم بالسر، ترجمة: محمد منير إدلبي، ط5، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص350.

(65): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص126.

(66): عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة والإجتماع، مجلد5، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص659.

(67): عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، مرجع سبق ذكره، ص10.

(68): محمد ثابت الشاذلي، البهائية صليبية الغرس إسرائيلية التوجيه، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999، ص44.

(69): محمد إبراهيم البدري، بين البهائية والماسونية نسب، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة 1986، ص22.

(70): محمد ثابت الشاذلي، مرجع سبق ذكره، ص ص 67،79.

(71): David hamidovic et des autres, aux origines des messianismes juifs, actes au colloque international tenu en sorbonne à paris, les 8 et 9 juin 2010, brill , leidon , boston, 2013, P47.

(72): ibid, P12.

(73): ibid, P100.

(74): عبد الوهاب الكيالي،موسوعة السياسة ، المجلد3 ، مرجع سبق ذكره ، ص 659.

(75): نفس المرجع، ص659.

(76): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد2، مرجع سبق ذكره، ص200.

(77): نفس المرجع، ص205.

(78): أنظر: حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1988، ص131.

(79):maxime rodinson ,israel :a colonial setter. نقلا عن: حلمي خضر ساري، مرجع سبق ذكره، ص131 .

(80): معلومات الباحث عن الفرق اليهودية المعاصرة مستقاة أساسا من الموسوعة الموجزة للمسيري ومن كتاب تاريخ الديانة اليهودية وقد سبقت الإشارة إليهما .

(81): أنظر: إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، دار الفضيلة، ص ص29،30.

(82): إستخدامنا لعبارة نظرية المعرفة الصهيونية مقتبس حرفيا من كتاب يهودا شنهاف بعنوان: اليهود العرب قراءة مابعد كولونيالية في القومية والديانة والإثنية، حيث نشر المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية ملخصا عنه، وقد تأسس تبنينا لتلك العبارة كمصطلح على نظرتنا للصهيونية كأيديولوجيا أولا ثم من باب المعرفة المسبقة بأصولها القبالية–الصوفية، التي تسربت إلى نظرية المعرفة (الإبستمولوجيا)، وقد أثار هابرماس حولها بعضا من التحليلات في كتابه الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي.

(83): ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت 1988، ص9.

(84): عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره ، ص230.

(85): ريجينا الشريف، مرجع سبق ذكره ، ص31.

(86): عبد الوهاب المسيري، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، ط3، دار الشروق،القاهرة، 2003، ص ص99،100.

(87): عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجيا الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص107.

(88): ريجينا الشريف، مرجع سبق ذكره، ص ص26،27.

(89): أنظر: كليفورد لونجلي، الشعب المختار الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط1، الجزء1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003.

(90): أنظر: موسوعة المسيري الموجزة، المجلد 2، مرجع سبق ذكره.

(91): أنظر: حلمي خضر ساري، مرجع سبق ذكره، ص 131.

(92): روجي غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، ط4، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص ص24، 25.

(93): الغنوصية: مصدر الكلمة الأساسي من اليونانية، وتعني العرفان، ومجمل المعنى هو تلقي المعرفة مباشرة من الذات الإلهية عن طريق المكاشفة التي قد تتم عبر الحلول (التوحد مع الإله) ومن هذا المعنى يؤخذ السحر الذي هو تأثير في القوى الإلهية (الروحية) لاستحصال أقدار معينة، بمعنى التأثير في الواقع (الزمكان).

(94): أمين عبد الله محمود، مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية 1، عالم المعرفة، الكويت، 1984، ص 30-32.

(95): نفس المرجع، ص 185-187.

(96): هذه الرواية التي تنفيها المؤسسة الإسرائيلية الرسمية ويؤكدها من سموا بـــ المؤرخين الجدد وعلى رأسهم بني موريس، وهم إسرائيليون على كل حال.

(97): أخذنا هذه الرواية بالتفصيل عن المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه في كتابه التطهير العرقي في فلسطين، حيث أصدرت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ملخصا عنه في جولية 2007.

www.palestine-studies.org/ar/books/

أطلع عليه:2010/10/11.

(98): إن هذا يذكرنا بوظيفة صندوق استكشاف فلسطين ذي المرجعية الإستعمارية.

(99): الكلام منقول حرفيا لـــ إيلان بابيه، مرجع سبق ذكره.

(100): إيلان بابيه، مرجع سبق ذكره، ص 05.

(101): إيلان هاليفي، إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة، ترجمة فارس غريب، دار المنابر، 2000، ص 70.

(102): نفس الرجع، ص 71.

(103): أنظر: روجي غارودي، مرجع سبق ذكره، لاسيما الصفحات 08، 41،64.

(104): الموسوعة الموجزة للمسيري، مجلد1، مرجع سبق ذكره، ص405.

(105): أنظر : روجي غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ص 08، وكذلك الموسوعة الموجزة للمسيري، مجلد1، مرجع سبق ذكره، ص403

(106): روجي غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، مرجع سبق ذكره، ص ص 48 ،49.

(107): روجي غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، مرجع سبق ذكره، ص41.

(108): دفيد بن غوريون هو بمثابة واضع حجر أساس إسرائيل، وهو من قرأ إعلان قيامها من خلال ما عرف بوثيقة الإستقلال.

(109): أنطوان شلحت، بن غوريون بنظرة راهنة، أوراق إسرائيلية، عدد 62، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله ،جانفي 2013، ص ص 9،10.

(110) :Colin shindler, history of moderne israel,s^{end} ed,combridge university press,new york, 2013, P39.

(111): أنطوان شلحت، مرجع سبق ذكره، ص 40.

(112):Karim Eljendy,the process of israeli decision making, mechanisms forces and influences,1sted, alzaytouna center for studies,beirut,2010,P14.

(113): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد 2، مرجع سبق ذكره، ص 473.

(114): المزيد من التفاصيل في هذا الشأن أنظر: colin shindler , Opcit, P70

(115): تبنى الباحث نفس التصنيف الذي ذهب إليه المسيري وأورده في موسوعته الموجزة بالمجلد2.

(116): الحريديم هم المتدينون اليهود المتزمتون حيث يشتهرون باللباس الأسود المكون من المعطف الطويل والقبعة الدائرية مع اللحية الطويلة وخصلات الشعر المتدلي على الأذنين.

(117): أنظر: إسرائيل ديموغرافيا 2010 –2030 في الطريق نحو دولة دينية، أوراق إسرائيلية، عدد 55، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله ، نوفمبر 2011.

(118): نقلا عن: مهند مصطفى، انتخابات الكنيست 2015– تغيرات بنيوية واصطفافات اجتماعية سياسية، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد 57،ماي 2015، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، ص 97.

(119): أمل جمال، قوننة العنصرية الجديدة في إسرائيل–اقتراح قانون الدولة القومية للشعب اليهودي نموذجا، مجلة جدل، عدد 23، جوان 2015، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، ص 02.

(120): تغطية خاصة: الحكومة الإسرائيلية 34 برئاسة نتنياهو، إعداد المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية بالتعاون مع دائرة شؤون المفاوضات ،2015/05/20،

www.modarcenter.org

أطلع عليه بتاريخ: 2015/07/14.

(121): عبد الوهاب المسيري،الموسوعة الموجزة، المجلد 2 ، مرجع سبق ذكره، ص467 .

(122): نبيل الصالح، ديموغرافيا إسرائيل دلالات جديدة، أوراق إسرائيلية ،عدد66 ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، سبتمبر2015 ،ص07 .

(123): أنظر: نبيل السهلي ،ملامح البنية الديموغرافية لإسرائيل حتى عام 2015 ،ط1، صفحات للدراسات والنشر،دمشق، 2008 ، لاسيما الصفحتين 08 و 70 .

(124): امطانس شحادة وإيناس خطيب، النخب الإقتصادية في المشهد السياسي الإسرائيلي ، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، أوراق بحثية2 ، نوفمبر2013 ، ص09 .

http://mada-research.org/wp-content/uploads/2014/02/tickon-final.pdf

أطلع عليه بتاريخ: 2014/07/26 .

(125): نفس المرجع، ص11 .

(126): نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره، ص68 .

(127): امطانس شحادة وإيناس خطيب، مرجع سبق ذكره، ص11 .

(128): نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره، ص72 .

(129): أخذنا هذه المؤشرات عن تقرير مركز مدار الإستراتيجي 2016: المشهد الإسرائيلي عام 2015 ، نحو ترسيخ إسرائيل يهودية يمينية إستيطانية وتوجه لفرض الحل الأحادي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2016 .

(130): أنظر: برهوم جرايسي، جهات الضغط والتأثير على دوائر القرار في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014 .

(131): نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره، ص69 .

(132): نفس المرجع، ص76 .

(133): حول ملف الأغوار أنظر: فادي نحاس، إسرائيل والأغوار بين المفهوم الأمني واستراتيجيات الضم، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2012 .

(134): الييشوف هو التجمع الإستيطاني اليهودي في فلسطين قبل قيام الدولة عام 1948م.

(135): كلام منقول عن شخصية دبلوماسية وسياسية إسرائيلية، أنظر: أنطوان شلحت، مرجع سبق ذكره، ص 36.

(136): المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد 2، مرجع سبق ذكره، ص ص 473،474.

(137): تحديث المفاهيم الأساسية للتصور الأمني الإسرائيلي.

http://www.bahethcenter.net/essaydetails.php?eid=8610&cid=24

أطلع عليه بتاريخ: 2010/11/14

(138): أنظر: عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2002.

(139): هو أحد أتباع زعيم تيار الصهيونية التصحيحية جابوتنسكي، آمن بالأيديولوجيا التي تدعو إلى إقامة إسرائيل الكبرى وإقامة جدار حديدي بين الدولة اليهودية الوليدة والعرب، توفي عام 2012 عن عمر يناهز 102 سنة.

(140): أنطوان شلحت، بنيامين نتنياهو: عقيدة اللاحل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014، ص 81.

(141): نفس المرجع ، ص ص 83،84.

(142): يثني نتنياهو على يهودية "هرتزل" ويراها مركزية، في حين ينقلها المسيري إلى الهامش أو ما يسميه بالقشرة، والأرجح أن نتنياهو أكثر استيعابا لموقف هرتزل الذي نقلنا عنه– من خلال غارودي– تجرده من أي وازع ديني، إلا أن الدين اليهودي تكمن خصوصيته في غنوصيته الكامنة في لبه.

(143): أنطون شلحت: مرجع سبق ذكره، ص 19.

(144): أنظر: إيلان هاليفي: مرجع سبق ذكره.

(145): مطلع التسعينيات وفي خضم حرب الخليج الثانية أمطر العراق (نظام صدام حسين) التجمعات الإسرائيلية في فلسطين بعدة رشقات صاروخية.

(146): المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد 2 ،مرجع سبق ذكره، ص 487.

(147): تحديث المفاهيم الأساسية للتصور الأمني الإسرائيلي، مرجع سبق ذكره.

(148): ذكر ذلك المسيري في إحدى مقالاته وفي موسوعته حول اليهودية أيضا.

(149): عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، مرجع سبق ذكره، ص 134.

(150): نفس المرجع، ص 126.

(151): عدنان أبو عامر، علاقة السياسي بالعسكري وأثرها على صناعة القرار الإسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات.

http://studees.aljazeera.net .

اطلع عليه بتاريخ: 2010/11/18.

(152): نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره، ص 84.

(153): Karim El-gendy, opcit ,p70

(154): نقلنا هذه المعطيات عن موسوعة خاصة بمركز مدار للدراسات.

WWW.mdarcentre.org

أطلع عليه بتاريخ 2016/08/10.

(155): نبيل السهلي، مرجع سبق ذكره، ص84.

(156): أنظر: إستراتيجية الجيش الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات، سلسلة ترجمات الزيتونة (79)، سبتمبر 2015.

www.alzaytouna.net

أطلع عليه بتاريخ: 2015/10/11

(157): Eric Denécé et David el kaim, les servces secrets israeliens, tallandier, paris, 2014. P15.

(158): أنظر: المسيري، اليد الخفية، مرجع سبق ذكره، ص 211.

(159): سمى الإسرائيليون ذلك بـــ عملية أبو الهول، أنظر: فكتور أوستروفسكي، عن طريق الخداع، ترجمة هشام عبد الله وآخرون، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1990.

(160): المخابرات الإسرائيلية إلى أين؟ التحليل والتوجهات والتوصيات، مركز الزيتونة للدراسات، (2010/08/10).

www.alzaytouna.net

أطلع عليه بتاريخ: 2010/10/14.

(161): Ephraim kahana, Historical Dictionary of israeli intelligene, The scarecrow press, usa, 2006, P182.

(162): ibid , p191

(163): المخابرات الإسرائيلية الى أين؟ مرجع سبق ذكره.

(164): Ephraim kahana. opcit. PP 128-131.

(165): منعطف بن غوريون: من صهيونية عملية إلى صهيونية ميسيانية، أوراق إسرائيلية، عدد 62، مرجع سبق ذكره، ص 40.

(166): بن غوريون السياسي: عدم المساومة على الأمن، أوراق إسرائيلية، عدد 62، مرجع سبق ذكره ، ص 37.

(167): المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد 2، مرجع سبق ذكره، ص 475.

(168): عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة والإجتماع، مجلد 7، مرجع سبق ذكره، ص 67.

(169): نفس المرجع، ص 172.

(170): نفس المرجع، ص 182.

(171): قصدنا بالمفهوم القاعدي تجنب إسناد خلفية ذاتية للمفهوم تجعله فرنسيا أو روسيا أو غير ذلك.

(172): عبد الوهاب المسيري، الموسوعة الموجزة، مجلد 2، مرجع سبق ذكره، ص 394.

(173): عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة والإجتماع، مجلد 6، مرجع سبق ذكره، ص 471.

(174): إستطاع الباحث أن ينظم مراحل الهجرة اليهودية إلى فلسطين والمعطيات الخاصة بها المتعلقة أساسا بأعداد اليهود، من خلال إمعان النظر في الموسوعات التالية:

- موسوعة السياسة والإجتماع لعبد الوهاب الكيالي في مجلدها السابع.
- موسوعة المسيري الموجزة حول اليهود واليهودية والصهيونية في مجلدها الثاني.
- الموسوعة الخاصة بمركز مدار للدراسات.

حيث تمت الإشارة المسبقة إلى هذه المراجع جميعها.

(175): بخصوص اتفاقية "هعفراه" أنظر: روجي غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، وأيضا محاكمة الصهيونية الاسرائيلية وقد سبقت الإشارة إلى كليهما.

(176): مصطلح النكبة استحضر ثانية بعد(1948م)، حينما ظهر إلى العلن ما عرف بـــ " مخطط برافر" لتوطين البدو في النقب. أنظر: مخطط برافر، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية (مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، ملفات مدى، الملف رقم 1، 2013.

http://mada-research.org/wp-ontent/uploads/2013/.../Prawer_Mada.pdf

أطلع عليه بتاريخ: 2014/12/08.

(177): أنظر: ديموغرافيا إسرائيل 2015 دلالات جديدة، مرجع سبق ذكره، ص 07.

(178): يشمل النشاط الإستيطاني الإسرائيلي منطقة الجولان السوري المحتل،

(179): جوني منصور، إسرائيل والإستيطان: الثابت والمتحول في مواقف الحكومات والأحزاب والرأي العام (1967-2013)، مركز مدار للدراسات، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، جويلية 2014، ص ص 13،15 .

(180): نبيل الصالح، عنف المستوطنين وأثره على الفلسطينيين، مركز مدار للدراسات، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014، ص ص 09،11.

(181): جوني منصور، مرجع سبق ذكره، ص 16.

(182): مهند مصطفى، المستوطنون من الهامش إلى المركز: رؤية المستوطنين للصراع من غوش إيمونيم إلى البيت اليهودي، مركز مدار للدراسات، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2013، ص 13.

(183): الموسوعة الخاصة بمركز مدار للدراسات، مرجع سبق ذكره.

(184): مهند مصطفى، مرجع سبق ذكره، ص 34.

(185): أكثر تفاصيل حول جماعات تدفيع الثمن الإستيطانية الإسرائيلية، أنظر: أنطوان شلحت، جماعات جباية الثمن سيف الإستيطان الإسرائيلي، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية (مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، ملفات مدى، أشكال من العنف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين، ملف رقم 2، 2014.

http://mada-research.org/wp-content/uploads/2014/10/antone_shalhat-6.pdf

أطلع عليه بتاريخ: 2015/01/11

(186): أنظر مثلا: خزينة الدولة الإسرائيلية–الحاضنة الحقيقية للإستيطان والإحتلال، أوراق إسرائيلية، عدد 65 ، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014.

الفصل الخامس

الدراسة التحليلية

أولا : نسق المفاهيم وعلاقته بالإجراءات المنهجية (التحليلية) للدراسة.

إن وصولنا إلى هذه المرحلة من البحث بخصوص صورة إسرائيل في الفضائيات الإخبارية العربية، يأتي تتويجا لسلسة من المراحل البحثية التي كان من الضروري المرور بها، كيما نكون أكثر جهوزية وتأهيلا لمقاربة الوضع التفاعلي لعينة من الفضائيات الإخبارية العربية تم اختيارها بطريقة عمدية، والخاص بطريقة تناولها لمختلف الشؤون المتعلقة حصرا بـــ "دولة إسرائيل"، من حيث هي واقع قائم تتم تغطيته إعلاميا مما يسفر مباشرة عن عملية إعادة إنتاج لذلك الواقع، عبر ما أسميناه بالمتخيل الإعلامي، فإما أن يكون هذا الأخير مطابقا للواقع المتجلي في الحضور الزمني – الترابي المسمى "إسرائيل"، وإما أن يخالف المتخيل الإعلامي الواقع فينتج مباشرة التضليل. وبين حد المطابقة وحدود التضليل يستقر جهدنا التحليلي (البحثي) عند حد الواقعة اللغوية، التي قوامها – بلا أدنى ريب– الرموز والعلامات. وتأتي عملية اختيار الرموز والعلامات في موقف تفاعلي كالذي نحن بصدد النقاش حوله لتنشئ لنا الخطاب الإعلامي، ومن ثم فقد كنا ملزمين بالنقاش حول أهم العوامل المؤثرة في عملية الاختيار، بمعنى عملية صناعة القرار الإعلامي، وكان المتغير الجيو– سياسي أبرزها على الإطلاق، فمنذ بداية تكوين البنية التحتية لظاهرة البث التلفزي في الوطن العربي، كانت مؤشرات العلاقة بين النظام الرسمي العربي والمؤسسة الإعلامية التلفزيونية العربية واضحة للعيان، كما كان بالموازاة مع ذلك العقل التقني الغربي حاضراً لترشيد العملية بأكملها. إن هذا الوضع يلقي بظلاله على عموم الموقف الإعلامي للقنوات العربية للبث التلفزي الفضائي، ومنها موقف فضائيتي الجزيرة والميادين الإخباريتين، لأن لهما امتداداً داخل النظام الإقليمي العربي الذي عرفت وحداته على مر عقود من الزمن حالات من الإستقطاب السياسي، تجسدت على الأغلب في صراع محاور بعينها لكل منها رؤيته ومشروعه السياسي.

إننا نعبر عن هذه العلاقة بتأثير المتغير الجيو– سياسي في المتغير الإعلامي، وضمن هذه العلاقة تبرز مجموعة من القيم للمتغير الجيو– سياسي رصدنا منها في حدود انشغالنا المركزي الأحداث التي عمّت عديد العواصم العربية مع مطلع سنة 2011، وقد سميت إعلاميا بالربيع العربي. في ذروة هذه الأحداث (سنة 2012) رصدت الدوائر المختصة بمتابعة نشاط المؤسسة الإسرائيلية علميا، أن ذلك في المقابل شكّل ذروة النشاط الإستيطاني الإسرائيلي في القدس والضفة

الغربية، ناهيك عن مخطط برافر– بيغن لترحيل البدو العرب في صحراء النقب داخل ما عرف بالخط الأخضر، وسمي هذا الوضع لدى الجانب الإسرائيلي الصهيوني بربيع الإستيطان الإسرائيلي.

لقد شكل ما سمي بالربيع العربي هجوما على الدولة العربية من الداخل، وتحول إثر تراكم الصراع إلى استقطاب طائفي سني– شيعي، حتى وإن كانت الدوائر الرسمية في كلا الفريقين المتصارعين تميل إلى إخفاء ذلك، التزاما بالواجهة الحداثية التي يقتضيها الإنتماء إلى ما سمّي بالمجتمع الدولي. ضمن هذا الوضع المعقد الذي يؤدي فيه المتغير الجيو– سياسي أدواره الحاسمة على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية، تبرز مكانة الفضائيتين الإخباريتين محط انشغالنا في صياغة ما يفترض أنه الواقع، بخصوص ما نعتقد أنه أهم تحدي للأمن القومي العربي وهو "دولة إسرائيل"، وذلك خدمة للجمهور العربي الذي من المفترض أن يبني صورته وتصوّره للموقف الميداني من خلال سيل المعلومات المتدفق عبر الوساطة الإعلامية للفضائيتين الإخباريتين المذكورتين، ويصب هذا نهاية في صالح رفع الوعي السياسي والقومي والحضاري عموما بإزاء المواقف الميدانية التي تتشكل ضمن الإقليم العربي أو خارجه، وحساسيتها إن كانت لها تأثيرات سلبية عليه.

لقد اقتضى منا انشغالنا المركزي أن ننجز هذه الحبكة المفاهيمية التي تجسد التآلف المنهجي بين الأجزاء النظرية للدراسة، التي تم استيعابها ضمنيا من طرف المنظور الإرشادي للدراسة، وبين مفردات العينة وأداة جمع البيانات.

1– العينة.

فيما يتعلق بمفردات العينية الخاضعة للتحليل فقد تم اختيارها بناء على جملة من الأحداث ذات الصلة الوثيقة بالخلفية النظرية للدراسة، ومجالها الزمني يمتد من جوان 2012 إلى جوان 2013، وهذه الأحداث هي:

1– وصول محمد مرسي ذي الخلفية الإسلامية – الإخوانية إلى كرسي الرئاسة في مصر، كإحدى نتائج ما أسمي بالربيع العربي.

2- العدوان الإسرائيلي على غزة (عملية عامود سحاب وفق التسمية الإسرائيلية).

3- اختيار فلسطين كدولة مراقب في الأمم المتحدة.

4- الإنتخابات الرئاسية الأمريكية.

5- الإنتخابات الإسرائيلية المبكرة.

6- استمرار الإحتجاجات الإسرائيلية الإجتماعية.

7- تداعيات المخطط الإستيطاني الذي سمي بمخطط برافر- بيغن لتهجير الفلسطينيين البدو في صحراء النقب داخل الخط الأخضر.

8- الإنتخابات الإيرانية الرئاسية.

ويؤلف بين هذه الأحداث جميعها أن المجال الزمني المختار سميّ بربيع الإستيطان الإسرائيلي قياسا على الماضي، نظرا لكثافة النشاط الإستيطاني الإسرائيلي في الضفة الغربية والقدس (عام 2012).

وقد ترتب عن هذه الأحداث (المحددات) إخضاع الباحث لـــ 30 برنامجا حواريا، بمعدل خمسة عشرة (15) برنامجا لكل قناة فضائية، تعالج جميعها أحداثا وقضايا خاصة مباشرة بدولة "إسرائيل"، لكنها لا تنفصل عن الأحداث والتطورات التي تشهدها المنطقة العربية، وقد حرص الباحث أن يسبق توقيت البث بالنسبة للبرامج المنتقاة من قناة الجزيرة التوقيت بالنسبة لقناة الميادين، نظرا لاختلاف دورية بث البرنامجين ومن ثم لكي تتاح الفرصة لظهور الأحداث بشكل جلي في برنامج قناة الميادين، مع أخذنا في الحسبان الحجم الزمني لكل برنامج. فضلا عن هذا كلّه فقد عمد الباحث إلى اختيار هذا الحجم من العيّنة تفاديا لتشتت الجهد في حال الإستكثار من البرامج، التي سيفضي تحليلها إلى نفس النتائج مع كثير من التشعبات الخاصة بتفاصيل الصراع في المنطقة العربية، ولذلك لجأ الباحث إلى ما نسميه "تبئير العينة". وحال ذلك يتضح من الجدولين الآتيين:

جدول رقم 01: مفردات العينة الخاضعة للتحليل في قناة الجزيرة الفضائية.

اسم البرنامج	عنوان الحصة	تاريخ البث	مدة البث
ما وراء الخبر	التحرك العربي ضد الإستيطان الإسرائيلي.	2012/07/27	25 د و 37 ثا
	الدعم الأمريكي لإسرائيل قبيل الإنتخابات	2012/07/28	24 د و 29 ثا
	مساعي تشريع الإستيطان في الضفة الغربية.	2012/10/18	24 د و 46 ثا
	التحالف الإنتخابي بين نتنياهو وليبرمان	2012/10/26	25 د و 41 ثا
	تهديدات ليبرمان بحل السلطة الفلسطينية.	2012/11/06	25 د و 09 ثا
	دلالات اهتمام الغرب بالنزاع بين إسرائيل و الفصائل الفلسطينية.	20112/11/20	27 د و 07 ثا
	الإجتماع السري بين ملك الأردن ونتنياهو.	2012/12/27	25 د و 01 ثا
	الإعتداءات الإسرائيلية على القدس.	2013/01/13	25 د و 59 ثا
	ملامح الحكومة الإسرائيلية المقبلة	2013/01/23	26 د و 05 ثا
	توقعات إسرائيل بتدهور الأوضاع في الشرق الأوسط.	2013/03/12	25 د و 35 ثا
	تشكيلة الحكومة الإسرائيلية الجديدة.	2013/03/17	25 د و 31 ثا
	أبعاد زيارة أوباما إسرائيل والمنطقة	2013/03/20	25 د و 50 ثا
	صفقة السلاح الأمريكية لإسرائيل	2013/04/22	25 د و 59 ثا
	المخاوف الإسرائيلية بشأن صفقة أسلحة روسية لسوريا.	2013/05/14	25 د و 21 ثا
	تأثير الإستيطان الإسرائيلي على عملية السلام.	2013/06/13	26 د و 18 ثا

جدول رقم 02: مفردات العينة الخاضعة للتحليل في قناة الميادين الفضائية.

اسم البرنامج	عنوان الحصة	تاريخ البث	مدة البث
خلف الجدار	– تبرئة إيهود أولمرت من تهم فساد . – الأسرى الفلسطينيين القدامى. – توصيات لجنة ليفي الإستيطانية.	2012/07/14	48 د و 24 ثا
	– انسحاب حزب كاديما من الائتلاف الحكومي. – زيارات مسؤولين أمريكيين كبار إلى إسرائيل. – مكانة الفلسطينيين داخل الخط الأخضر في الإعلام الإسرائيلي.	2012/07/21	49 د و 16 ثا
	– التطورات الإنتخابية الإسرائيلية. – مناورات عسكرية إسرائيلية–أمريكية. – آراء الفلسطينيين داخل الخط الأخضر نحو الإنتخابات الإسرائيلية.	2012/10/20	50 د و 25 ثا
	– تطورات الإنتخابات: التحالف بين الليكود وإسرائيل بيتنا. – التصعيد الإسرائيلي العسكري ضد غزة والسودان. – ذكرى مجزرة كفر قاسم إثر العدوان الثلاثي على مصر.	2012/10/27	48 د و 45 ثا
	– التطورات الإنتخابية الإسرائيلية. – فوز أوباما في الإنتخابات وأثره على إسرائيل . – تصريحات عباس بخصوص التنازل عن حق العودة.	2012/11/10	51 د و 21 ثا
	– التهدئة بين إسرائيل والمقاومة في غزة.		

	– الوساطة المصرية للتهدئة في قطاع غزة. – موقف فلسطينيي 48 من الحرب على غزة.	2012/11/24	47 د و 44 ثا
	– العملية الإنتخابية الإسرائيلية.	2012/12/29	48 د و 50 ثا
	– التطورات الإنتخابية الإسرائيلية. – التعيينات الوزارية الأمريكية وأثرها على إسرائيل. – تجريم علاقة الفلسطينيين داخل الخط الأخضر مع العرب.	2013/01/19	44 د و 18 ثا
	– ما بعد الإنتخابات الإسرائيلية .	2013/01/26	46 د و 13 ثا
	– تشكيلة الحكومة الإسرائيلية . – حيثيات مؤتمر هرتسيليا . – نشاطات مناهضة نظام الفصل العنصري.	2013/03/16	47 د و 37 ثا
	– مفارقات تشكيل الحكومة الإسرائيلية. – زيارة أوباما لإسرائيل. – تقرير حول العنصرية للعام 2013 في إسرائيل.	2013/03/23	46 د و 41 ثا
	– التخوف من الأزمة المالية في إسرائيل – استئناف العلاقات مع تركيا . – الإحتفال بيوم الأرض .	2013/03/30	49 د و 28 ثا
	– المواجهة بين الحريديم والعلمانيين إثر تقليصات الموازنة . – صفقة أسلحة أمريكية لإسرائيل . – قانون منع لم شمل الفلسطينيين داخل الخط الأخضر.	2013/04/27	46 د و 33 ثا

	– المصادقة على الموازنة المالية الإسرائيلية . – زيارة نتنياهو لروسيا بخصوص تسليحها لسوريا . – الذكرى 65 لنكبة فلسطين .	2013/05/18	49 د و 38 ثا
	– الخلافات بين الإئتلاف الحكومي الإسرائيلي. – تحريك عملية السلام. – تعديل قانون الإرهاب في إسرائيل.	2013/06/15	51 د و 02 ثا

لقد عمد الباحث في إطار تبئير العينة وفي سياق المجال الزمني الذي تحدد بناء على مجموعة العوامل الجيو– سياسية المذكورة آنفا، إلى اختيار المفردات من قناة الجزيرة الفضائية التي تعالج شؤونا لها مباشرة علاقة بالداخل الإسرائيلي، وذلك نظرا لعمومية البرنامج (ما وراء الخبر) الذي ينتقي ما يفترض أنه أهم حدث يومي ليعالجه في إطار خلفيات معينة، ثم تأتي المفردات من قناة الميادين الفضائية ضمن ترتيب زمني متأخر على نحو ما عن مفردات (حصص) قناة الجزيرة، وذلك نظرا لخصوصية البرنامج فيها (خلف الجدار)، وحتى تتضح معالم وحدود المعالجة لكلا القناتين، طالما أن احتمالية معالجة نفس الشؤون المرتبطة بإسرائيل قائمة وفق السيرورة التي اعتمدناها لاختيار الحصص[1].

من جهة أخرى يتضح من الجدولين أعلاه التوافق المبدئي بين مجموعة المحددات الجيو– سياسية التي تمت الإستعانة بها في عملية المعاينة، وبين مفردات العينة. وقد انبثق اختيار المحددات المذكورة آنفا عن ثلاثية النظام السياسي الإسرائيلي ونظرية الأمن الإسرائيلية والهجرة والإستيطان، التي تتأسس فكريا على ثلاثية أخرى وهي: التوراة واليهودية والصهونية. بمعنى أن المحددات مرتبطة بواقع إسرائيل وإسرائيل كواقع، وهكذا تصبح بمثابة مؤشرات، وهي على درجة عالية من الوضوح إلى الحد الذي من المفترض أن يكون عنده المتخيل الإعلامي أقرب إلى التطابق مع الواقع، إلا أن هذا التطابق محكوم في النهاية بمحدّدات أخرى أبرزها أيضا العامل الجيو – سياسي،

الذي يتحكم (ضمنيا) في عملية اختيار الرموز والعلامات لإنتاج الخطاب الإعلامي والإخباري وبالتالي حدوث عملية التمثل لواقع إسرائيل لدى الجمهور العربي. وهنا تبرز فاعلية حضور النظام الرسمي العربي وفاعلية التجاذبات التي من المحتمل أن تطاله، مثلما هو الحال مع إفرازات ما سمّي بالربيع العربي، وهذا من شأنه أن يجعل من حيث المبدأ المواقف التفاعلية للقناتين محل الدراسة إزاء إسرائيل مختلفة، على الأقل فيما يتصل بالتعيينات الرمزية المتوفرة والكثافة التي تحظى بها تعيينات على حساب أخرى، وهذا ما سيتضح أكثر حين عرضنا في الخطوة الموالية لأداة جمع البيانات وتبيان تآلفها المنهجي مع نسق مفاهيم الدراسة.

2- أداة جمع البيانات.

يتجلى استخدامنا لأداة تحليل المحتوى المتوافق والمتساوق مع نسق مفاهيم الدراسة من خلال اللجوء إلى فئات التحليل الآتية:

أ- على مستوى الشكل (فئات كيف قيل؟).

1- **فئة الزمن:** عبر استخدام هذه الفئة يتم قياس الحجم الزمني المخصص في المضمون محل التحليل لأنواع القضايا التالية:

- قضايا سياسية .
- قضايا عسكرية .
- قضايا اقتصادية .
- قضايا دينية .
- قضايا اجتماعية .
- قضايا ثقافية .
- قضايا الفلسطينيين داخل الخط الأخضر .

ومدلول الحجم الزمني في النهاية له علاقة بالإهتمامات الغالبة على الوسيط الإعلامي، والتي تترتب عنها حالة بعينها من التمثل لواقع إسرائيل لاسيما لدى الجمهور العربي.

2- **فئة الضيوف** : ونقسم من خلالها الشخصيات التي يتم استضافتها في البرامج الحوارية محل التحليل إلى:

- شخصيات عربية .
- شخصيات غربية .
- شخصيات إيرانية .
- شخصيات فلسطينية .
- شخصيات إسرائيلية .
- شخصيات روسية .
- شخصيات فلسطينية من داخل الخط الأخضر.

حيث يُظهر استخدام هذه الفئة على هذه الشاكلة نوعية الإرتباطات الجيو- سياسية لكل قناة، وهو ما له علاقة بخطها السياسي المؤثر على طبيعة المتخيل الإعلامي، وضمن هذا الوضع يتضح موقف الوسيط الإعلامي من وجود دولة إسرائيل ومسألة التطبيع تحديداً.

3- **فئة الإخراج الفني:** نتعامل ضمن هذه الفئة مع جزء من العدّة الرمزية المرتبطة أصلا بالبعد الجمالي للخطاب الإعلامي التلفزيوني. إن هذه العدة عموما تتمثل في اللقطات وزوايا التصوير وحركة الكاميرا والمؤثرات الموسيقية والصوتية المختلفة، وتتحدد فئة الإخراج الفني ضمن نطاق دراستنا في: اللقطات والمؤثرات الموسيقية وفق الآتي:

- مؤثرات موسيقية .
- لقطة واسعة جداً .
- لقطة واسعة .
- لقطة متوسطة .
- لقطة أمريكية.
- لقطة مقربة .
- لقطة مقربة جداً .

من الناحية المبدئية :

– تتحدد اللقطة بناء على حجم موضوع التصوير (الخاضع للكاميرا) والمدى أو المسافة التي سيكون عليها عند ظهوره ضمن إطار التصوير، وعلى هذا الأساس تقسم اللقطة إلى أنواع عدة.

– مدلول التنوع في استخدام اللقطات ضمن الرسالة الإعلامية (محل الدراسة) هو اهتمام القائم بالإتصال بالموضوع محل التعيين والتضمين، وكذلك الحال مع المؤثرات الموسيقية.

من الناحية الميدانية :

– يتأسس فهمنا لأنواع اللقطات [2] المعتمدة في الدراسة على الآتي:

- **اللقطة الواسعة جداً** : يتم التركيز فيها أكثر على المحيط الذي يتواجد ضمنه الموضوع محل التصوير، إلى الحد الذي يظهر فيه الأخير أقل حجما وأكثر بعداً.
- **اللقطة الواسعة** : يزداد التركيز على الموضوع محل التصوير على حساب المحيط الذي يصبح يحظى بمساحة هامشية إلى حدّ ما.
- **اللقطة المتوسطة** : يكون فيها الموضوع محل التصوير أدق تفصيلا وأكثر حيوية (في حال الأشخاص)، بمعنى أكثر قربا.
- **اللقطة الأمريكية** : تعتبر لقطة وسيطة بين المتوسطة والقريبة حيث تظهر فيها الشخصية محل التصوير من أعلى الرأس إلى منتصف الساقين عموما.
- **اللقطة القريبة** : هي التي يشغل فيها الموضوع محل التصوير إطار الصورة بشكل كلي لكن على درجات متفاوتة، وقد عبّرنا عن هذا التفاوت باللقطة المقربة ويظهر فيها الشخص (مثلا) من أعلى الرأس إلى منتصف الفخذين أو الحزام، في حين أن اللقطة المقربة جداً– التي تأتي ضمن ما يسمى باللقطات النفسية– تبالغ في إظهار التفاصيل على الوجه.

– استخدام لقطات أو أنواع موسيقية بعينها في المضمون محل التحليل يفسّر حسب التوجّه الأيديولوجي للوسيط الإعلامي، ففي الوقت الذي قد يفسّر فيه استخدام اللقطات المقرّبة على أنه محاولة لكسر الحاجز النفسي مع العدو(استدراج نحو التطبيع)، قد يفسر أيضا على أنه محاولة

للتعرّف على العدو عن قرب بغية فهمه بشكل أوضح، وبالتالي تحديد الكيفيات المناسبة للتعامل معه.

ب- على مستوى المضمون (فئات ماذا قيل؟).

1- **فئة الموضوع** : تتمثل هذه الفئة في مجموعة المواضيع (الأفكار العامة) التي يقسّم المضمون محل التحليل حسبها، وهي محكومة بأهداف الدراسة، و مضبوطة حسب السياق النظري (نسق المفاهيم)، الذي امتد من البداية ليساعد في الإجابة عن التساؤل المركزي لمجهودنا البحثي، وبناء على ذلك فإن مواضيع القياس تم تصميمها عبر الإحتكام إلى مرجعية الواقع المرتبط بوجود إسرائيل في المنطقة العربية، المؤلف حصراً في نطاق دراستنا من ثلاثية :

- النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية.
- نظرية الأمن الإسرائيلية .
- الهجرة والإستيطان.

هذه الثلاثية التي تسترشد بنظرية المعرفة الصهونية التي تتغذى أصلا رغم مظهرها العلماني من اليهودية وتشعباتها التوراتية التلمودية الحلولية. نظرا لهذا كله انقسمت لدينا مواضيع قياس المضمون إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية.

ضمن هذا المحور نهتم بالثنائية التي تقول بإسرائيل كواقع وواقع إسرائيل، والفرق بينهما رغم التداخل أن الحالة الأولى تعّبر أصلا عن حالة من التصوّر المبدئي تشكلت لدى الحركة الصهيونية لدولة تسمى "إسرائيل"، وقد عرف هذا التصور نموا معتبرا خلال فترة الثلاثينيات، وهي نفسها فترة نمو الحركة النازية[3]. لقد كان هذا التصوّر بمثابة مشروع تم تحقيقه على الأرض وفي فلسطين، ومن خلال أدوات معينة تم ما نسميه فرض الأمر الواقع الذي لا ينتفي مطلقا في حال عدم الإعتراف به[4]. إن هذا الواقع من الناحية المبدئية هو نظام سياسي قائم يتغذى أساسا من الهجرة والإستيطان والدعم الغربي ويحمي نفسه انطلاقا من مرتكزات فكرية معينة، لكنه مع مرور الزمن وتتابع تجارب الإحتكاك بين مكوناته الداخلية من جهة، وبينه وبين القوى المحيطة به من جهة ثانية، أصبحت إمكانية الحديث عن واقع إسرائيل واردة. إن واقع إسرائيل هو تطوّرات وجودها

المبدئي في المنطقة العربية، وعلى هذا الأساس نقسّم مواضيع المضمون محل التحليل ضمن هذا المحور إلى:

1- الحراك السياسي الديمقراطي الإسرائيلي : نقصد به عموما العملية السياسية التي ترتبت عن وجود إسرائيل، ومؤشرات هذه العملية بناء على نوعية نظام الحكم المختار هي:

- عمل مؤسسات : الكنيست – الحكومة – الكابينيت – الرئاسة.
- نشاط الأحزاب السياسية وتنافسها لشغل مناصب صنع القرار.
- فعاليات المجتمع المدني المؤثرة في وجهة القرارات السياسية.
- حكم القانون واستقلالية القضاء.

وهذه جميعها مؤشرات مرتبطة بإسرائيل كواقع.

2- الدعم الأمريكي لإسرائيل: ونقصد به كل المواقف السياسية الأمريكية على مستوى الأقوال والأفعال، لاسيما منها الرسمية، التي تأتي في إطار تثبيت وجود إسرائيل في المنطقة العربية، والإنحياز المطلق لها. ويكرّس هذا الموضوع إسرائيل كامتداد غربي في الجغرافيا العربية، ومؤشراته مرتبطة هي الأخرى بإسرائيل كواقع.

3- تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر: ونقصد به تمييز المؤسسة الإسرائيلية في المعاملة بين اليهود والفلسطينيين الذين تمكنوا من البقاء ولم تنجح الحركة الصهيونية في تهجيرهم، وهذا التمييز اقتضى تكريس هؤلاء الفلسطينيين كمواطنين من الدرجة الثانية. ويشكل هذا مظهراً من مظاهر الأزمة البنيوية للنظام السياسي، ولذلك مؤشراته مرتبطة أيضا بإسرائيل كواقع.

4- الإنقسامات السياسية الإسرائيلية: هذا الموضوع يقع في المنتصف بين الوجود المبدئي لإسرائيل وبين تطورات هذا الوجود، حيث يشير إلى تفشي الإستقالات والإنسحابات من مركز صنع القرار (الحكومة تحديداً) أو الأحزاب أو الكتل الإنتخابية، والصراعات الناجمة عن ذلك، لاسيما بين العلمانيين والمتدينين خاصة المتشدّدين منهم المعروفين بالحريديم، وهذا نابع من حيث

المبدأ من التركيبة الإجتماعية الإسرائيلية الفسيفسائية، لذلك نعتبر مؤشرات موضوع الإنقسامات السياسية الإسرائيلية مرتبطة بواقع إسرائيل.

5- المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين: ونقصد بها التحقيقات والمحاكمات التي تجري أحيانا لمسؤولين من المستوى السياسي القيادي الإسرائيلي، وأبرز هؤلاء المسؤولين رئيس الوزراء. وهذا أيضا مرتبط بواقع إسرائيل، وفيه كذلك دلالة ضمنية على حكم القانون، إلى جانب أخرى ظاهرية على استشراء الفساد.

6- تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية: والمقصود به تزايد قوة حضور الأحزاب الدينية عموما والدينية المتشددة (الحريديم) خصوصا، وذلك ناتج من الأصل عن النمو الديموغرافي المتسارع لجمهور هذا التيار مقارنة بالعلمانيين، وهذا أوضح مؤشرات واقع إسرائيل التي كانت حين تأسيسها ذات غالبية علمانية.

7- التقليصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية: ومعناه تخفيض الإنفاق الحكومي في مجال الرعاية الإجتماعية، وهذا الموضوع مرتبط بالعجز في الميزانية ومشكلة التضخم وتآكل الطبقة الوسطى وغلاء أسعار السكن، وجميعها على ارتباط بسرعة التوجه نحو اقتصاد السوق وظهور ما سمّي بحيتان المال، وهو الوضع الذي أفرز ما عرف بالإحتجاجات الإجتماعية سنة 2011 كمظهر من مظاهر واقع إسرائيل.

المحور الثاني: نظرية الأمن الإسرائيلية.

نقيس حضور هذا المحور ضمن المضمون محل التحليل من خلال المواضيع التالية:

1- **الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية:** يرتبط هذا الموضوع بلب نظرية الأمن الإسرائيلية، بمعنى أنه مرتبط مباشرة بإسرائيل كواقع، ويتجسد تبعا لذلك في مجهودات المؤسسة الإسرائيلية للتسلّح التي تصل حد المبالغة، وكذلك نظام التجنيد الإجباري الذي أفضى إلى تحويل جلّ المدنيين إلى عسكريين في إجازة مؤقتة.
2- **الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس:** ومعناه في حدود دراستنا جميع جهود إسرائيل على كل المستويات لاسيما منها العسكرية، لتقويض حكم حركة حماس في قطاع غزة، من خلال ضرب

حاضنتها الإجتماعية أو قدراتها العسكرية، وكذلك الحال في الضفة والقدس وحتى خارج حدود فلسطين.

3- **العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا:** والمقصود به التصريحات الإسرائيلية الإعلامية التي تعبّر بين الحين والآخر عن الخطر الذي يشكله تنامي قوة نظام ولاية الفقيه في إيران ونظام الحكم في سوريا على وجود إسرائيل، والتي تصحب أحيانا بأعمال عسكرية محدودة من الجانب الإسرائيلي.

4- **التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا:** يشير إلى الجانب الخاص من العلاقات الإسرائيلية الروسية، الذي تعمد ضمنه إسرائيل إلى تعطيل كل تعامل روسي- سوري قد يمس بتفوقها الإستراتيجي وأمنها في المنطقة العربية. وهذا بصفة خاصة بعد تقدّم التدخل الروسي في سورية والمنطقة العربية كإحدى نتائج ما سميّ بالربيع العربي.

5- **المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية:** يرتبط هذا الموضوع بإمكانية تدهور العلاقات الإسرائيلية المصرية القائمة على اتفاقية كامب ديفيد، بعد وصول محمد مرسي ذي الخلفية الإسلامية- الإخوانية إلى كرسي الرئاسة في مصر، وبالتالي إمكانية الحديث عن إعادة فتح الجبهة الجنوبية وحتى دعم مجهود حركة حماس في قطاع غزة نظرا لخلفيتها الفكرية الإخوانية أيضا.

6- **العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله:** يعبّر هذا الموضوع عن كل أشكال التعامل المباشر التي تنساب في الإتجاهين بين سلطة رام الله (بعد الإنقسام الفلسطيني) والحكومة الإسرائيلية، لاسيما منها ما سميّ بالتنسيق الأمني بينهما.

7- **عملية السلام:** يتعلق هذا الموضوع بمسار المفاوضات مع السلطة الفلسطينية خصوصا والتوصل إثر ذلك إلى تسوية شاملة عموما مع المحيط العربي، يجعل حلّ الدولتين الفلسطينية (في حدود عام 1967) وإسرائيل قابلا للتجسيد، ومن ثم إقامة علاقات عادية مع إسرائيل من طرف النظام الإقليمي العربي.

وفي مكنتنا القول أن جميع مواضيع هذا المحور عدا الموضوع الأول مرتبطة حصراً بواقع إسرائيل.

المحور الثالث: الهجرة والإستيطان.

تمثل الهجرة والإستيطان جوهر الوجود الإسرائيلي في المنطقة وسنعمد إلى قياس ذلك في المضمون محل التحليل من خلال مجموعة المواضيع التالية:

1- **الحركات الإستيطانية الإسرائيلية:** وهي جميع المنظمات التي تحظى باعتراف رسمي من طرف المؤسسة الإسرائيلية، وتجعل جوهر طرحها الفكري ومجهودها الميداني المبني عليه هو طرد العرب من فلسطين والحلول محلهم، مرتكزة في ذلك على المخزون العقدي للديانة اليهودية الذي يرى فلسطين وأجزاء مما حولها أرضا موعودة من الرب (يهوه) لشعبه المختار (اليهود)، ومن ثم فإن العودة إليها وطرد الأغيار (العرب) منها هو إنفاذ لوعد الرب، وفي الآن نفسه تمهيد لمجيء المسيح المخلّص، لاسيما بعد إعادة بناء ما يسمى بالهيكل الذي يزعمون أن خرائبه تقع تحت المسجد الأقصى في القدس. تعبّر هذه الحركات الإستيطانية عن نزعة مسيحانية (مسيانية) خالصة، وأمسى حضورها جزءا من واقع إسرائيل.

2- **الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية:** هي أحزاب سياسية أغلبها من تيار الصهيونية الدينية والحريديم، ولها أو لبعضها تواجد في الكنيست الإسرائيلي، وتحمل نفس أفكار الحركات الإستيطانية، لذلك هي جزء آخر من واقع إسرائيل.

3- **الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس:** يعبّر هذا الموضوع عن جهود الحكومة الإسرائيلية للبناء في الضفة الغربية والقدس، ومشاريع البناء أيضا التي تترافق مع مصادرة أراضي الفلسطينيين وهدم الكثير من منازلهم، وهذه الجهود متساوقة مع ظهور الحركات والأحزاب الإستيطانية.

4- **عنف المستوطنين الإسرائيليين:** يقصد بذلك كل أشكال الإعتداء المادية والرمزية من طرف مجموعات تنتمي إلى ما سميّ بمجتمع المستوطنين، الذي تشكل أساسا من عملية الإستيطان في الأراضي المحتلة عام 1967م، على الفلسطينيين في الضفة والقدس وحتى داخل ما سميّ بالخط الأخضر.هذه المجموعات لها ارتباط غير مباشر بالحركات والأحزاب الإستيطانية وحتى بالمستوى الرسمي الإسرائيلي.

5- **اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى:** يقصد به الدخول الإستفزازي إلى ساحات المسجد الأقصى من طرف جماعات من المستوطنين تنشط أصلا في إطار ما بات يعرف بحركات جبل الهيكل، التي نمت في كنف الحركات الإستيطانية وهي أيضا حركات مسيحانية (مسيانية) تدعو إلى هدم المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل محله تمهيداً لمجيء المخلّص حسب اعتقادهم. تدخل هذه الجماعات إلى المسجد الأقصى بحراسة مشددة من الأمن الإسرائيلي.

6- **تهجير البدو الفلسطينيين من صحراء النقب:** يقصد به تحقيق المخطط الإستيطاني الذي عرف بمخطط برافر- بيغن لتوطين البدو في النقب، ويهدف في النهاية إلى إزالة الوجود العربي نهائيا من منطقة النقب داخل ما سمي بالخط الأخضر، وقد أطلق على هذه التداعيات اسم نكبة فلسطين الثانية.

7- **حق العودة الفلسطيني:** وهو حق عودة الفلسطينيين إلى قراهم و أراضيهم التي هجّروا منها عام 1948م فيما عرف بالنكبة، وقد حل محلّهم المهاجرون اليهود الذين جلبتهم الحركة الصهيونية من أقطار عديدة في العالم.

إن فعل الحركة الصهيونية المشار إليه هو عماد إسرائيل كواقع، أما المواضيع التي أوردناها ضمن هذا المحور فجميعها تؤشر على تطورات تشكل ذلك الواقع.

2- **فئة اتجاه الموضوع:** تتمثل هذه الفئة في مجموعة السياقات التي ترد فيها المواضيع سابقة الذكر في المضمون محل التحليل، وتأخذ هذه السياقات إحدى ثلاث اتجاهات: معارض – محايد – مؤيّد.

ومن شأن ذلك أن يكشف لنا عن طبيعة الإختيارات الأيديولوجية للفضائيتين محط الإهتمام، وكذا اتجاهات إنتاجها لتمثلات الآخر (إسرائيل)، وجميعها محكومة بالإرتباطات الجيو- سياسية .

3- **فئة القيم:** تتحدد قيم قياس المضمون محل التحليل في إطار أهدافنا البحثية وفق الآتي:

1- الديموقراطية .

2- التسامح .

3- المواطنة .

4- العدالة .

5- المساواة .

6- الصراع .

7- السلام .

وهي في حالة اتساق مع مواضيع قياس المضمون.

4- **فئة اتجاه القيم:** توضح السياقات التي ترد ضمنها القيم سابقة الذكر، حيث تأخذ هذه السياقات إحدى ثلاث اتجاهات: معارض – محايد – مؤيد. ولها نفس هدف استخدام فئة اتجاه الموضوع.

5- **فئة الفاعلين:** نقيس من خلالها بناء على نسق مفاهيم الدراسة مدى حضور نوعية الشخصيات التالية في المضمون محل التحليل:

1- شخصيات سياسية .

2- شخصيات عسكرية .

3- شخصيات دينية .

4- شخصيات اقتصادية .

5- شخصيات قانونية / حقوقية .

6- شخصيات إعلامية .

7- شخصيات أمنية / استخباراتية .

6- **فئة السّمات:** توضّح سمات الشخصيات التي يتكرر ظهورها في المضمون محل التحليل وهي كالآتي:

1- يمينية .

2- يمينية متطرفة .

3- وسطية .

4- يسارية .

5- حقوقية .

6- عمّالية .

7- **فئة المصدر:** توضّح مجموعة المنابع التي يتغذى منها المضمون محل التحليل معلوماتيا وفق الآتي:

1- مصادر إسرائيلية .

2- مصادر فلسطينية.

3- مصادر عربية .

4- مصادر غربية .

5- مصادر إيرانية .

6- مصادر روسية .

7- مصادر فلسطينية من داخل الخط الأخضر .

8- **فئة الإستمالات:** تتوضح من خلال مدى تكرار نوعية الإستمالات التالية في المضمون محل التحليل:

- استمالات عقلانية .
- استمالات عاطفية .
- استمالات التخويف .

والجدوى من هذه الإستمالات توجيه اهتمام المتلقي الذي يأتي في سياق إقناعه بأفكار (تصورات) معينة.

أما وحدات العدّ والقياس، فقد استخدم الباحث وحدتي الثانية (لحساب الزمن) والفكرة أو الموضوع.

ثانيا: توزيع فئات الشكل على عينة الدراسة.

1- توزيع فئة الزمن على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 03: الحجم الزمني لأنواع القضايا المطروحة للنقاش حول إسرائيل في قناة الجزيرة.

نوعية القضية	الحجم الزمني "ثا"	النسبة المئوية %
سياسية	14631	63.43
عسكرية	7332	31.78
اقتصادية	96	0.42
دينية	63	0.72
اجتماعية	–	–
ثقافية	–	–
الفلسطينيون داخل الخط الأخضر	–	–
فواصل	946	04.1
المجموع	**23068**	**100**

يتضح من الجدول أعلاه غلبة الطابع السياسي للقضايا التي تطرحها قناة الجزيرة للنقاش بخصوص دولة إسرائيل، حيث مثل ذلك في العينة المدروسة ما نسبته 63.43%، تأتي بعدها مباشرة القضايا العسكرية بنسبة 31.78% من حجم العينة المدروسة، في حين تحتل القضايا الإقتصادية والدينية مراكز هامشية في خطاب الجزيرة حول إسرائيل، بنسب ضئيلة جداً ومتقاربة، مع غياب تام للقضايا الإجتماعية والثقافية وقضايا الفلسطينيين داخل الخط الأخضر، ومرد ذلك في تقديرنا إلى تظافر واندماج عاملين أساسيين، أحدهما إعلامي الذي يتجلى عموما في عنصر (قيمة) الآنية التي تتمظهر بشكل خاص في عمل قناة الجزيرة عبر ملاحقة الأحداث عالميا وفي المنطقة الشرقية من الإقليم العربي تحديداً، بشكل متسارع واهتمام مميّز، نظرا للإمكانات المادية المعتبرة

التي تحوزها القناة باعتبار مالكها (دولة قطر)، ويرتبط بهذا العامل (الإعلامي) في العادة العنوان الأبرز للأحداث في أي إقليم وهو العنوان السياسي، ويليه العسكري باعتبار الحرب امتداد للسياسة بوسائل أخرى. إن هذه السيرورة في علاقة الإعلام الحديث بالواقع جعلت السرد الإعلامي لقناة الجزيرة بخصوص إسرائيل، لا يخرج عن دائرة تسييس النقاش حولها، بمعنى جعلها ظاهرة سياسية بامتياز، من خلال السعي إلى حصر الإهتمام اليومي (السرود) غالبا في المستوى السياسي. ذلك أننا لا نغض الطرف بأي حال عن مجموعة النشاطات الإعلامية المختلفة لقناة الجزيرة، والتي تغطي من خلالها بشكل خاص وحصري وأحيانا مناسباتي شؤونا إسرائيلية محددّة، مرتبطة بالديني أو الإجتماعي أو الثقافي أو غيرها من مناشط الإجتماع الإسرائيلي العام، لكن اهتمامنا انصبّ بشكل أساسي ومحوري على اليومي أو على الأقل المتكرر، وقد لوحظ أن ذلك في الجزيرة لا ينفذ بعيداً عن الغلاف السياسي للظاهرة الإسرائيلية إلا ضمن أطر وحدود ضيقة، مما يجعلنا نعتقد أن هذه الظاهرة بالنسبة لصاحب القرار الإعلامي في القناة محل الإنشغال تبدو في حكم العادي أو الطبيعي، حتى وإن أثار وجودها بعض التحفظات لدى صاحب هذا القرار، هذه التحفظات التي قد تكون عبر تمظهراتها الإعلامية أبرز ردّة فعل تجاه ما يشكّله الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 04: الحجم الزمني لأنواع القضايا المطروحة للنقاش حول إسرائيل في قناة الميادين.

نوعية القضية	الحجم الزمني "ثا"	النسبة المئوية %
سياسية	21075	48.36
عسكرية	7420	17.03
إقتصادية	1755	04.03
دينية	24	00.05
إجتماعية	–	–
ثقافية	–	–
الفلسطينيون داخل الخط الأخضر	11686	26.82
فواصل	1615	03.71
المجموع	**43575**	**100**

يتبين عبر تفحص النتائج المسجلة في الجدول رقم 4 أن القضايا السياسية تحتل الصدارة من حيث حجمها الزمني، في معالجة قناة الميادين للشؤون الإسرائيلية، وذلك بنسبة 48.36%، تليها قضايا الفلسطينيين داخل الخط الأخضر أو من سمّوا بفلسطيني الـــ 48 بنسبة 26.82%، وبعد ذلك القضايا العسكرية بمقدار 17.03% من الخطاب المدروس الذي نالت فيه القضايا الإقتصادية ما نسبته 04.03% من الإهتمام، أما القضايا الدينية فلا تكاد تلقى اهتماما يذكر، حيث تحدد حجمها الزمني بمقدار 24 ثانية من إجمالي الحجم الزمني للعينة الذي خلا منه تناول القضايا الإجتماعية والثقافية. ويمكن تفسير هذه الوضعية في معالجة الشؤون الإسرائيلية من خلال الإهتمام الحصري الذي توليه قناة الميادين، عبر برنامجها محط انشغالنا وهو خلف الجدار بالقضايا والأحداث الخاصة بدولة إسرائيل، لكننا نؤكد في الآن نفسه أن هذا الإهتمام الحصري لم يمنع مطلقا القناة من مجاراة الأحداث في إطارها الزماني الأمثل، بمعنى أن عنصري الآنية والسرعة متوفران وإن كان ذلك أسبوعيا، وبناء على ذلك توزّع سرد الميادين بخصوص إسرائيل بشكل متفاوت التركيز على

المستويات السياسية والعسكرية والإقتصادية مع تجاهل غير مبرر للمجالات الدينية والثقافية والإجتماعية[5]، واهتمام مقصود بشريحة خاصة ضمن مابات يسمى بمواطني دولة إسرائيل والتي تمثل الفلسطينيين تحديداً، وهو نوع من العمق في المعالجة الإعلامية يصبغ معنى خاصا من حيث المبدأ على دولة إسرائيل، يجعلها دولة غير طبيعية وغير عادية من حيث الوجود.

2- توزيع فئة الضيوف على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 05: الضيوف المنتدبون لنقاش المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.

الضيوف	تكرار الإستضافة (ك)	ترتيب تكرار الإستضافة
شخصيات عربية	09	02
شخصيات غربية	04	04
شخصيات إيرانية	02	05
شخصيات فلسطينية	05	03
شخصيات إسرائيلية	11	01
شخصيات روسية	01	06
شخصيات فلسطينية من داخل الخط الأخضر	05	03
المجموع	**37**	-

يتبين مبدئيا من الجدول رقم 5 والخاص بالضيوف الذين تدعوهم قناة الجزيرة لنقاش المواضيع التي تعالج عبرها الشؤون الإسرائيلية، التنويع في اختيار الشخصيات بحسب الإنتماء وكذا التواجد الإقليمي والجغرافي، ولعل هذا نابع عن استجابة القائم بالإتصال لمقتضيات حال التدافع الذي نشأ واستمر إثر نجاح المشروع الصهيوني جزئيا في تأسيس إسرائيل من جهة، ومن جهة أخرى حالة التدافع التي بدأت إثر انطلاق ما سمي بالربيع العربي، والذي لا يمكن فصل تداعياته عن الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية.

أما الملاحظة الثانية على النتائج المثبتة في الجدول فمتعلقة بمدى استضافة قناة الجزيرة لنوعية بعينها من الضيوف، بحسب انتمائها الإقليمي وتواجدها الجغرافي، إذ يتضح سريعا أن الشخصيات الإسرائيلية تأتي في المقدمة من حيث عدد مرّات الإستضافة، تليها الشخصيات العربية ثم الفلسطينية عموما فالغربية وبعدها الإيرانية وأخيرا الروسية، وهذا يدل في البداية أن الجزيرة باتت تشكل–لاسيما– من خلال شعارها الرأي والرأي الآخر، فضاء للحوار الإسرائيلي– العربي والإسرائيلي– الفلسطيني، خاصة إذا علمنا أن جلّ الشخصيات الغربية التي تدعوها هي أمريكية، وتشكل في معظمها امتداداً للطرح الإسرائيلي فيما يرتبط طبعا بالقضايا الإسرائيلية، التي ثبت معنا أن السرد الإعلامي(اليومي) للجزيرة حولها يتوقف عموما عند المستوى السياسي ولا يغادره إلا قليلا، ومن ثم تصبح القضية الإسرائيلية بالمجمل ومن خلال المواقف التفاعلية التي تصنعها الجزيرة أمراً عادياً(طبيعيا) ومألوفا. وفي الدرجة الثانية من هذا الطرح يأتي حضور الشخصيات الإيرانية ليرّسخ فرضية العداء الإسرائيلي– الإيراني من جهة، ومن الجهة الثانية الحضور الإيراني الملفت والمتزايد في المنطقة العربية إثر موجات ما سمي بالربيع العربي، ويترافق مع هذا الحضور ويرفده التدخل الروسي في سوريا، وجميعها وقائع لا يمكن عزلها بأي حال عن مفاعيل الوجود الإسرائيلي في الإقليم العربي.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 06: الضيوف المنتدبون لنقاش المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.

الضيوف	تكرار الإستضافة (ك)	ترتيب تكرار الإستضافة
شخصيات عربية	24	01
شخصيات غربية	–	–
شخصيات إيرانية	–	–
شخصيات فلسطينية	03	03
شخصيات إسرائيلية	–	–
شخصيات روسية	–	–
شخصيات فلسطينية من داخل الخط الأخضر	15	02
المجموع	**42**	–

يبرز من خلال ما يعرضه الجدول رقم 6 الخاص بالضيوف الذين تنتدبهم قناة الميادين لنقاش المواضيع ذات الصلة بإسرائيل، انحصارالدعوة والإستضافة لنوعية بعينها من الضيوف دون غيرها، حيث يأتي في مقدمة من تدعوهم قناة الميادين لحواراتها بخصوص شؤون دولة إسرائيل الشخصيات العربية، وأبرز من يدعى على هذا المستوى حسب ما لاحظه الباحث هو الشخصيات اللبنانية والمصرية، وبعد هذا المستوى تأتي الشخصيات العربية الفلسطينية من داخل الخط الأخضر، وهم من يسمون إعلاميا بفلسطينيي الـــ 48، ثم في الأخير وبشكل ضئيل نسبيا الفلسطينيون من الأراضي المحتلة عام 1967م. وفي المجمل فإن الشخصيات العربية فقط كانت محل دعوة من طرف الميادين لنقاش ما يرتبط بالمسائل الإسرائيلية، وهو ما نفسره بالخط القومي العروبي- التقدمي الذي من المفترض أن القناة تتبعه، وهو نفس الخط الذي يتبنى مشروع مقاومة الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، دون أن يمس ذلك بالمقتضيات المهنية للعمل الإعلامي الإخباري الحديث الذي تسعى فضائية الميادين إلى تجسيده عبر شعارها "الواقع كما هو".

3-توزيع فئة الإخراج الفني على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 07 : اللقطات المستخدمة لمعالجة الشؤون الإسرائيلية في قناة الجزيرة.

اللقطة	تكرار الإستخدام	ترتيب تكرار الإستخدام
واسعة جداً	39	05
واسعة	220	01
متوسطة	162	02
أمريكية	73	04
مقربة	122	03
مقربة جداً	23	06
المجموع	**639**	-

يظهر من النتائج المسجلة في الجدول أعلاه أن الجزيرة لتغطية الشؤون الإسرائيلية، استخدمت بشكل مكثف اللقطات الواسعة، وفي الدرجة الثانية استخدمت اللقطات المتوسطة فالقريبة، في حين حظيت اللقطات الأمريكية والواسعة جداً والمقربة جداً على التوالي باستعمال محدود نسبيا، لاسيما اللقطات المقربة جداً التي جاءت في الترتيب الأخير من حيث عدد مرات الإستخدام(23 تكرارا)، ولم يجر استخدام المؤثرات الموسيقية مطلقا خلال التغطيات الإعلامية للشؤون الإسرائيلية في العينة المدروسة. وفي المجمل يظهر التنويع في استخدام اللقطات اهتماما ملحوظا بالشؤون الإسرائيلية، وهو الأمر الذي كانت ستؤكده المؤثرات الموسيقية إن استخدمت، ولكن غيابها قد يكون نابعا حصرا مبدئيا من طبيعة البرامج الإخبارية التي تحتمل دائما قيم الجدية و الموضوعية، وميدانيا من عنصر الحياد الذي تسعى الجزيرة دوما إلى ترسيخه في وعي المشاهد خاصة الغربي إزاء عملها. ورغم ذلك فإن للوضعية الإستخدامية للقطات في عينة الجزيرة مدلولها المرتبط حقيقة بخصوصية الموضوع الإسرائيلي على أية حال، طالما أن الجزيرة في النهاية محسوبة على إحدى وحدات النظام الإقليمي العربي، فاللقطات الواسعة مكرّسة للدفع نحو فهم الوقائع ضمن سياقاتها

حتى وإن كانت هذه الأخيرة محدودة، وقد تكثف هذا الإستخدام بسبب تغوّل النشاط الإستيطاني الإسرائيلي ضمن هذه الفترة، فكانت اللقطات الواسعة وحتى الواسعة جدا الإطار الأمثل لتغطية ما يسمى بالكتل والبؤر الإستيطانية في منطقة الضفة الغربية تحديداً .

ونعتبر أن ذلك يأتي في سياق الموقف التحفظي الذي أشرنا إليه سابقا ويتعلق بتأثيرات وجود إسرائيل في المنطقة العربية، والذي لا يمنع الجزيرة مثلا –ولو بدرجة أقل– من تكثيف استخدام اللقطات المتوسطة والمقربة، التي تظهر الواقع الإسرائيلي لاسيما منه عالمي الأشخاص والأشياء في حالة نشاط وحيوية، يلمسها المشاهد العربي عن قرب، خصوصا في ظل حالة الإنفتاح على الإسرائيليين والإرتباط الحصري ولو نسبيا للسرود اليومية حول إسرائيل بالمستوى السياسي.

ب– قناة الميادين.

جدول رقم 08 : اللقطات المستخدمة لمعالجة الشؤون الإسرائيلية في قناة الميادين.

اللقطة	تكرار الإستخدام	ترتيب تكرار الإستخدام
واسعة جداً	68	04
واسعة	273	03
متوسطة	360	01
أمريكية	53	05
مقربة	329	02
مقربة جداً	37	06
المجموع	**1120**	–

استخدمت قناة الميادين حسبما يبدو من الجدول رقم8 مختلف أنواع اللقطات التصويرية لتغطية الشؤون الإسرائيلية[6]، وقد جاء في مقدمة ما استخدمته القناة على صعيد الإخراج الفني اللقطات المتوسطة، وبشكل أقل كثافة اللقطات المقربة ثم الواسعة، في حين جاء استخدام اللقطات الواسعة جداً والأمريكية وأخيرا المقربة جداً بشكل ضئيل نسبيا. إلا أنه ومن الناحية الإجمالية تظل هذه الوضعية الإستخدامية للقطات التصويرية مؤشرا على بالغ الإهتمام عند قناة الميادين بكل ما

يتعلق بدولة إسرائيل، لاسيما إذا أضفنا ما لاحظه الباحث ضمن التغطيات الإخبارية محل التحليل، وهو المؤثرات الموسيقية التي ما انفكت ترافق مختلف التقارير والومضات الإخبارية حول الأحداث والقضايا الإسرائيلية، وقد أنجزت القناة ذلك وفق شكل من التوافق بين خطها القومي التقدمي ومتطلبات الطابع الجدي للعملية الإخبارية. وغير بعيد أيضا عن عامل الإهتمام لدى القناة بالشأن الإسرائيلي المستند على البعد القومي التقدمي المقاوم، يأتي توظيف اللقطات المتوسطة والمقربة التي تظهر موضوعها بشكل أكثر حيوية، مما يمكن من فهمه أكثر دون تقبله حتما، وينسجم مع هذا الحال استخدام اللقطات الواسعة التي تبين السياقات بهدف تعميق الفهم، وهو الأمر الذي تساهم في ترسيخه أيضا اللقطات الأمريكية وبشكل ذي دلالة خاصة اللقطات المقربة جداً. أما اللقطات الواسعة جدا فقد كان موضوعها الأساسي الواقع المتمثل فيما يسمى بالبؤر الإستيطانية على امتداد الأراضي المحتلة عام 1967م، وكذا جغرافيا الإشتباكات العسكرية المختلفة.

ثالثا: توزيع فئات المضمون على عينة الدراسة.

1- توزيع فئة الموضوع على عينة الدراسة.

لقد نظرنا إلى إسرائيل مبدئيا من حيث هي حضور زمني- ترابي مفصول ولو إلى حين عن حالة الوعي الإنساني، في حالين اثنين:

- الحال الأول هو وجودها الأولي الذي نجم عن تجسيد مقدار معتبر من المخزون الفكري للفاعلين في الحركة الصهيونية، والذين استوعبوه بدورهم وعلى طريقتهم الخاصة من المخزون الأكبر المتمثل على نحو شبه حصري في:
  - التوراة كرباط عصبوي.
  - اليهودية كنظام كهنوتي.
  - الصهيونية كمحاولة لرد الإعتبار العصبوي بالدرجة الأولى. وأسمينا هذه الحال الأولى بـــــ : إسرائيل كواقع.

- الحال الثاني، متعلق بالنتائج التي ترتبت عن الوجود الأولي لإسرائيل على أرض فلسطين التاريخية، وضمن هذا المجال يقع فعلا اختبار نظرية المعرفة الصهيونية، وهو ما أسميناه بواقع إسرائيل.

وبناء على الحالين معا تمركز اهتمامنا على دولة إسرائيل ضمن محاور ثلاث:

- النظام السياسي وأزماته البنيوية[7].
- نظرية الأمن الإسرائيلية.
- الهجرة والإستيطان.

وترافق مع هذا الإهتمام تركيز الملاحظات العلمية حول مجموعة ملفوظات الخطاب الإعلامي ضمن عينة الدراسة، وكذا المواضيع محل التأطير في لقطات التصوير، التي يتقاطع حضورها جميعا مع المواضيع الفرعية التي تندرج ضمن المحاور الثلاثة المذكورة.

وجميع ذلك يشكل مجموعة الرموز والعلامات المسؤولة عن تحديد تصوّر بعينه بخصوص إسرائيل، وسنقوم بفحص هذا الوضع عند هذا المستوى من البحث في قناتي الجزيرة والميادين، ضمن إطار العينة المدروسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 09 : المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي	72	42.6	02
الدعم الأمريكي لإسرائيل	79	46.75	01
تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	04	02.37	04
الإنقسامات السياسية الإسرائيلية	02	01.18	05
المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين	–	–	–
تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية	–	–	–
التقليصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية	12	07.1	03
المجموع	**169**	**100**	–

حسب النتائج المبينة في الجدول أعلاه، بلغ مجموع تكرار المواضيع المرتبطة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية 169 في العينة المدروسة ضمن قناة الجزيرة، أخذ منها الحصة الغالبة موضوعا الدعم الأمريكي لإسرائيل والحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي بواقع 72و79 تكرارا على التوالي، في حين لقي موضوعا تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر والإنقسامات السياسية اهتماما هامشيا، ولم يتم الإهتمام تماما بموضوعي المتابعات القضائية للقادة الإسرائيليين وتنامي التيارات الدينية والحريدية، وبين هذا وذاك تموقع الإهتمام بموضوع التقليصات في الموازنة بخصوص الشؤون الاجتماعية، بنسبة 07.10% من مجموع تكرارات المواضيع.

تنبع هذه النتائج من حقيقة المتابعة الآنية السريعة والمتسارعة التي تتبعها الجزيرة عموما، والمتوقفة فيما يخص الشأن الإسرائيلي عند المستوى السياسي بامتداده العسكري، عدا بعض الأحداث المفاجئة خارج دائرة السياسة، والتي حين يشتد خطبها يصعب على صاحب القرار الإعلامي تجاهلها، فتدمج ولو إلى حين ضمن البنية الرمزية التي تشكّل قوام السرد الإعلامي، ومن ذلك أحداث الإحتجاجات الإجتماعية الإسرائيلية التي انطلقت في فترة متزامنة مع أحداث الربيع العربي، ومبعثها غلاء الأسعار والتضييق المتزايد على الشأن الإجتماعي في "إسرائيل" من طرف الحكومة، وهذا في حدّ ذاته مسوّغ لنقاش الموضوع عند حدود المستوى السياسي، وإهمال القاعدة الإجتماعية التي تشكل فعلا موضوعا للقرار السياسي. وفي تقاطع مع هذه المعطيات جميعها، لاحظ الباحث تكرار استخدام مجموعة من الملفوظات في العينة المدروسة من خطاب الجزيرة حول إسرائيل، وتقع في مقدمة هذه الملفوظات كلمة "عنصرية"، التي تردد ذكرها بمعدل لفظة لكل حصة من عينة الدراسة على الأقل بالإضافة إلى ملفوظات أخرى من قبيل التهويد ويهودية الدولة وكذلك لفظة دولة وظيفية، إضافة إلى قوة واستقرار إسرائيل، وجميعها تكرّرت بشكل ضئيل ومتباعد. وقد ترافق مع حضور هذه الملفوظات في خطاب الجزيرة حضور آخر لمشاهد عديدة، ضمن أطر(لقطات) قريبة ومتوسطة،موضوعها نقاشات الكنيست وتغطية الصحافة للإنتخابات والعلم الإسرائيلي وشمعدان "المينوراه"، مع مشاهد للفضاءات العامة يتقاسمها أفراد إسرائيليون بين الزي العادي أو الأوروبي والمظهر الديني، وفوق هذه التضمينات غير اللسانية جميعها تأتي مشاهد التآلف والتضامن الأمريكي الإسرائيلي، التي تكرّرت بشكل ملفت. وفي المحصلة يبدو النظام السياسي الإسرائيلي من بين هذا النسيج الرمزي نظاما ديموقراطيا، مستقرا وقويا، لكن وفي الآن نفسه لا يبد بأي حال أن مصدر ذلك الإستقرار وتلك القوة ذاتي تماما، بل إن القوة الغربية و والأمريكية تحديداً حاسمة في صناعة استقرار هذا النظام ودعم قوته، كما أن الصبغة الديموقراطية له تبدو مطعمة إلى حدّ مثير للإنتباه بالعنصر الديني، وذلك يعكس إلى حدّ ما التعايش بين المكوّن العلماني والمتدين في الإجتماع الإسرائيلي العام.

ومن جهة ثانية، فإن هيئة النظام السياسي الإسرائيلي بأزماته البنيوية التي تكشفت من خلال نسيج رموز خطاب الجزيرة ضمن العينة المدروسة، يحتل فيها المكوّن الفلسطيني على ما يبدو

مراكز هامشية جداً تعكس حالة من التمييز والإقصاء، وهو ما لا يظهر بقوة في السرد الإعلامي لقناة الجزيرة.

جدول رقم 10 : المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية	48	12.06	03
الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس	26	06.53	04
العداء الإسرائيلي لإيران و حزب الله وسوريا	105	26.38	02
التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا	16	04.02	06
المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية	09	02.26	07
العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله	22	05.53	05
عملية السلام	172	43.22	01
المجموع	**398**	**100**	–

يتبين حسب النتائج المسجلة في الجدول رقم 10 أن موضوع عملية السلام حظي بأعلى نسبة تكرار في خطاب الجزيرة المرتبط أساسا بموضوع أمن إسرائيل، وقد سمّينا هذا الموضوع استناداً إلى بعض الأدبيات وقياسا على نظرية المعرفة الصهيونية بـــ نظرية الأمن الإسرائيلية، وبخصوص ارتباطات هذه النظرية أيضا يتضح من الجدول محل التحليل أن موضوع العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا، يأتي مباشرة في المرتبة الثانية بنسبة 26.38% من التكرارات في عينة الدراسة، ثم يليه موضوع الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية بنسبة 12.06%، بعد ذلك يأتي تموقع باقي المواضيع على نحو ثانوي، بداية من الصراع مع حركة حماس ومروراً

بالنفوذ الروسي الناشئ في المنطقة العربية وصولا إلى موضوع المخاوف من الحكومة المصرية، في ظل بداية لحكم ذي ميول إسلامية- إخوانية، وقد تشابك مع تكرار هذه المجموعة من المواضيع – بناء على ما لاحظه الباحث- استخدام مجموعة من الملفوظات وكذا التضمينات غير اللسانية، حيث يأتي على رأس الملفوظات كلمة احتلال، التي تكرّرت بشكل لافت ومستمر تقريبا، ثم مجموعة أخرى من الملفوظات التي وردت بقدر ضئيل ومتقطع زمنيا من قبيل الإرهاب والخروج عن القانون والعدوانية والإجرام، وفي الجانب غير اللساني عادة ما تتكرّر المظاهر العسكرية إلى جانب ظهور ملفت- على ضآلته – للرئيسين المصري محمد مرسي والتركي رجب طيب أردوغان في مشهد الأحداث المرتبطة بإسرائيل .

إن التشابك بين عديد الملفوظات اللسانية وغير اللسانية المذكورة وبين المواضيع المتكرّرة ضمن السرد الإعلامي للجزيرة بخصوص أمن إسرائيل، ينبئ عن ارتفاع في درجة التعقيد حيال موقف القرار الإعلامي للجزيرة من إسرائيل، بشكل لا ينفصل مطلقا- في تقديرنا- عن تعقيدات الواقع الإسرائيلي عموما، فالملفوظات التي استوقفنا حضورها في عينة خطاب الجزيرة تأتي في الحقيقة لتسم واقع إسرائيل- فضلا عنها كواقع- في تموضعه الأمني، وهي (أي تلك الملفوظات) بمثابة وقائع لغوية فرضت نفسها على سرود الجزيرة بخصوص إسرائيل، رغم أن جميعها قد يتصادم مع الوحدة الرئيسية في نظام الرموز الذي صاغته الجزيرة وتصوغه دوما حول وجود إسرائيل في المنطقة العربية عموما، وفيما يتصل بأمن هذا الوجود خصوصا، والوحدة الرئيسية لنظام الرموز هنا هي عملية السلام، التي من خلال مركزيتها في الخطاب الإعلامي تجعل من نظام الرموز المذكور علامة على تطبيع الوجود الإسرائيلي، الذي لن يكتمل تماما إلا من خلال حل بعض الإشكاليات العالقة، التي ترتبت حصراً عن تجاوز الوجود الإسرائيلي للحدود التي رسمها له – على الأقل علنا- النظام الدولي المتشكل بعد الحرب العالمية الثانية، وتأتي العملية التفاوضية التي تجد دعامتها في العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في مدينة رام الله، كأهم وأبرز أدوات حل الإشكالات العالقة في إطارها العام الذي سميّ باحتلال الأراضي الفلسطينية (أراضي عام 1967). وبحكم ما يفرضه الإنتماء الإقليمي لصاحب القرار الإعلامي محل انشغالنا، وكذا الخط التحريري الذي ألزم نفسه به من البداية، تبدو من خلال نسيج الرموز مظاهر لإشكالات أخرى

على درجات متفاوتة من التعقيد، وذات صلة وثيقة بوجود إسرائيل في المنطقة العربية، بعضها مزمن على غرار الصراع مع حركة حماس وبعضها والآخر مرتبط تماما بتقديرات المواقف الميدانية المتغيرة إقليميا ودوليا، مثل العداء لإيران بعد الثورة عام 1979م و الموقف من مصر ونفوذ روسيا في سوريا بعدما سمّي بثورات الربيع العربي.

جدول رقم 11: المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الحركات الإستيطانية الإسرائيلية	–	–	–
الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية	09	05.84	02
الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس	133	86.36	01
عنف المستوطنين الإسرائيليين	07	04.55	03
اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى	01	0.65	05
تهجير البدو الفلسطينيين من صحراء النقب	02	01.3	04
حق العودة الفلسطيني	02	1.3	04
المجموع	**154**	**100**	–

يتصدر – وفق ما يظهر من نتائج الجدول أعلاه – موضوع الإستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام 1967م (الضفة والقدس تحديداً) بقية المواضيع المرتبطة بالهجرة والإستيطان، في العينة محل التحليل لقناة الجزيرة، وذلك بنسبة 86.36%، مما يجعل باقي المواضيع التي ظهرت في السرد الإعلامي لقناة الجزيرة تحتل مواقع هامشية، ولكن وفق درجات متفاوتة، حيث نجد المواضيع الخاصة بالفعل الإستيطاني اليهودي داخل ما سمّي بالخط الأخضر، تحظى بمواقع هامشية جداً على غرار موضوعي تهجير بدو النقب وحق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجّروا منها عام 1948م، في حين تحظى مواضيع أخرى بالاقتراب أكثر من مركز

الخطاب ولو نسبيا على غرار موضوعي الأحزاب الإسرائيلية الإستيطانية وعنف المستوطنين الإسرائيليين، نظرا لارتباطهما حسب تقديرنا بالمستوى السياسي في المؤسسة الإسرائيلية، وقد غاب تماما موضوع الحركات الإستيطانية الإسرائيلية عن سرود الجزيرة، وحضر موضوع اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى في أقصى هامش خطاب الجزيرة ضمن عينة الدراسة، ولعل ذلك نابع من ارتباط الموضوعين الأخيرين حصرا بالمجال الديني، رغم أن الباحث لاحظ تكرارا لعديد التضمينات غير اللسانية شملت مجموعات الحريديم في الفضاءات العمومية، وكان أحد هذه الفضاءات وبشكل متكرّر عند حائط البراق قرب المسجد الأقصى، أين تتركز جموع من اليهود لأداء طقوس دينية، وتقع تجمعات هؤلاء اليهود تحديداً في "حي المغاربة" الذي أزالته الحكومة الإسرائيلية تماما من الوجود، في إطار ما يسمى بعملية التهويد. ومن ثم فإن هذه الأخيرة تحضر في شكلها غير اللساني كسمة للعملية الإستيطانية الإسرائيلية، بمعنى أنها تفرض نفسها كواقعة لغوية على سرود الجزيرة المرتبطة رأسا بالمستوى السياسي، وتلك- كما أسلفنا- إحدى مظاهر التعقيدات التي تواجه أي موقف يُعنى بتسوية ما إزاء الواقع الإسرائيلي. وهذا الأخير في جزئه المتصل بعملية الهجرة والإستيطان يبرز من خلال العالم الرمزي للجزيرة عبر بوابة رئيسية وهي قضية الإستيطان في أراضي الضفة الغربية والقدس الشرقية، المنطقتان اللتان يفترض أنهما تقعان ضمن نطاق الدولة الفلسطينية الموعودة، التي سيتحدّد وضعها- تبعا لذلك- إثر مسار المفاوضات المنبثق عن اتفاقية أوسلو للسلام عام 1993م، تحت الرعاية الدولية والأمريكية تحديداً. ومع التقدّم (زمنيا) في مسار المفاوضات (التسوية) وقع تقدّم آخر مواز له وأكثر فعالية وهو التقدم في البناء الإستيطاني الإسرائيلي، ومصادرة أراضي الفلسطينيين المحتلة عام 1967م، وتزايد ذلك بشكل مضاعف خلال الفترة التي استفحلت فيها أحداث ما سميّ بالربيع العربي.

الجدلية الإسرائيلية[8] في متخيل الجزيرة الإعلامي: استخلاص أولي.

تتدفق المعلومات بخصوص إسرائيل عبر وساطة الجزيرة، وفق نظام من الرموز متهيكل من البداية على الدعامة الثلاثية الحيادية الآتية:

- النظام السياسي وأزماته البنيوية.
- نظرية الأمن الإسرائيلية.

- الهجرة والإستيطان.

وقد اتضحت بفعل التدقيق المنهجي المرتبط تماما بهذه الدعامة (الثلاثية) معالم نظام الرموز المذكور، ضمن مستويين اثنين.

- **الأول: المستوى الواسع.**

يتضح نظام رموز الجزيرة بخصوص إسرائيل ضمن هذا المستوى من خلال عملية تموضع الرموز على الدعامة المشار إليها سابقا، وذلك – طبعا- بفعل عملية الإختيار الأيديولوجي لصاحب القرار الإعلامي في الجزيرة، وقد لاحظنا أن مواضيع محور نظرية الأمن الإسرائيلية تكرّرت 398 مرّة، أما المحوران الآخران فقد تقاربت قيم تكرار مواضيعهما في عينة خطاب الجزيرة، بمقدار169 تكرارا لمحور النظام السياسي وأزماته البنيوية و 154 تكرارا لمحور الهجرة والإستيطان. وبناء على ذلك أضحى في مكنتنا القول أن إسرائيل يقع تمثلها ضمن هذا المستوى عبر البوابة الأمنية والعسكرية خصوصا.

- **الثاني: المستوى الضيق.**

يتضح نظام رموز الجزيرة بخصوص إسرائيل ضمن هذا المستوى من خلال التموضع المكثف لرموز بعينها، على محاور الدعامة الثلاثية للخطاب الإعلامي. وبناء على ذلك تظهر الوحدات الأساسية لهذا النظام وفق الآتي:

1- عملية السلام: 172 تكرارا.
2- الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس: 133 تكرارا.
3- العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا: 105 تكرارات.
4- الدعم الأمريكي لإسرائيل (سياسي+عسكري): 79 تكرارا.
5- الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي : 72 تكرارا.
6- الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية : 48 تكرارا.
7- الصراع مع حركة حماس : 26 تكرارا.

من ناحية المبدئية يبدو جليا تأثير عامل الأمن كعلامة (تمثل) مصنوعة مسبقا على وحدات (مواضيع) هذا النظام، وفي إطار التمثل الأمني لإسرائيل تقع صناعة عديد العلامات بخصوص الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وهذه العلامات- بلا أدنى ريب- محكومة بالخيارات الأيديولوجية لصانع القرار الإعلامي، الذي لا يمكنه على الأغلب تجاهل العوامل الجيو-سياسية إقليميا ودوليا، وهنا تحديداً يتقاطع المشروع الإقليمي أو الدولي كمشروع سياسي مع المشروع الإعلامي، وفي استطاعتنا التدليل على ذلك (استخراج العلامات) من نظام رموز الجزيرة الأساسي أو المصغّر بإزاء إسرائيل، حيث يبدو:

- المشروع الإسرائيلي المدعوم غربيا وأمريكيا، وهو ينطلق من وجود دولة ديموقراطية قوية عسكريا ومعادية لجيرانها وفي الآن نفسه متطلّعة إلى ما تحت أيديهم.
- المشروع الإيراني الممتد أيضا في المنطقة العربية عبر أذرع متعددة تشمل قوى ناعمة وأخرى صلبة(عسكرية)، وهو في حالة تنافس مع المشروع الإسرائيلي.
- مشروع المقاومة الشعبية لإسرائيل، وهو الحلقة الأضعف في المنطقة العربية.
- مشروع السلام، الذي يبدو أنه يشكل عدّة النظام الإقليمي العربي للتعامل مع الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 12 : المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي	145	32.37	01
الدعم الأمريكي لإسرائيل	70	15.63	03
تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	105	23.44	02
الإنقسامات السياسية الإسرائيلية	55	12.27	04
المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين	40	08.92	05
تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية	08	01.79	07
التقليصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية	25	05.58	06
المجموع	**448**	**100**	-

بلغ تكرار المواضيع ذات الصلة بمحور النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية 448 في قناة الميادين، حسبما تبينه نتائج الجدول رقم 12، وضمن هذه المجموعة من المواضيع تكرر بشكل رئيسي موضوعا الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي وتهميش الفلسطينيين داخل الخط

الأخضر، ثم بشكل شبه رئيسي موضوعا الدعم الأمريكي لإسرائيل والانقسامات السياسية الإسرائيلية، وعلى نحو ثانوي موضوعا المتابعات بالفساد لقادة إسرائيليين والتقليصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية، في حين حظي موضوع تنامي تياري الحريديم والصهيونية الدينية بموقع هامشي إلى حد ما في خطاب الميادين بخصوص إسرائيل، إلا أن تشكيلة هذا الخطاب تدلل في تقديرنا على مقدار من العمق في تناول الواقع الإسرائيلي، وهو عمق لا يتصادم مطلقا مع عنصر الآنية في تناول الأحداث، ذلك أن البرنامج محل التحليل مخصص من الأساس لتناول الشأن الإسرائيلي. وقد لاحظ الباحث إلى جانب تكرار المواضيع الفرعية سابقة الذكر، استخداما مكرّرا لزمرة من الملفوظات على الصعيد اللساني لعل أبرزها على الإطلاق هو لفظة العنصرية، من حيث هي سمة لنظام الحكم في إسرائيل، ويتبع هذه اللفظة مباشرة لفظة احتلال ثم الفاشية واليهودية والتهويد دون أن يكون ذلك مانعا من تمرير عديد التضمينات غير اللسانية تظهر الحراك السياسي البرلماني وكذا الجماهيري الإنتخابي. إن تشكيلة الرموز داخل خطاب الميادين حول إسرائيل عند هذا المستوى من بحثنا تعكس فعلا تناقضا ما في النظام السياسي الإسرائيلي، وهو تناقض يتحدد حجمه تضخّما واعتدالا حسب التجاذب بين المرجعية الأيديولوجية للقناة، ومرجعيتها الإعلامية التي ارتضتها من البداية وعبّرت عنها بشعار "الواقع كما هو".

وإجمالا تبدو هيئة النظام السياسي الإسرائيلي بأزماته البنيوية المقرّرة سلفا، نظاما ديموقراطيا وفي الآن ذاته تتعرض في كنفه ما يفترض أنها إحدى مكوناته وهي الأقلية الفلسطينية إلى التمييز والإقصاء، كما أن هذا النظام مثبت ومدعوم من طرف أقوى دولة غربية وحتى عالميا، وهي ممثلة العالم الحر كما يسمى وتسمى ونقصد الولايات المتحدة الأمريكية، التي يأتي دعمها على ما يبدو أيضا في مقابل نظام يعاني انقسامات سياسية مزمنة، وإلى هذا يضاف مؤشرات فساد متنامية إلى جانب تنامي أزمة اقتصادية تتقلص على إثرها المخصصات الإجتماعية لمواطني الدولة. أما علاقة الدين بالنظام السياسي للدولة فيمكن تفسير جزء واسع منها عبر تفحص مؤشر تنامي التيار الديني(اليهودي) داخل النظام السياسي الإسرائيلي، وهو ما لم يلقى الإحاطة التي لقيها غيره من المواضيع في خطاب قناة الميادين، رغم تكرار ملحوظ بين الحين والآخر للفظة يهودية الدولة في ذلك الخطاب.

جدول رقم 13 : المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية	47	11.90	03
الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس	25	06.33	05
العداء الإسرائيلي لإيران و حزب الله وسوريا	180	45.57	01
التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا	14	03.54	06
المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية	28	07.09	04
العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله	08	02.03	07
عملية السلام	93	23.54	02
المجموع	**395**	**100**	–

تتجلى من خلال ما يعرض في الجدول رقم 13 تركيبة الخطاب الإعلامي لقناة الميادين حول الواقع الإسرائيلي في مستواه الأمني، وتبرز مثلما يبدو وأطروحة العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا أو ما يسمى إعلاميا بمحور الممانعة أو المقاومة في مقدمة التشكيل الخطابي للميادين حول أمن إسرائيل، وذلك بنسبة 45.57% يليها موضوع عملية السلام بنسبة 23.54%، وقد شكلا معا وفق ما يتبين من نتائج الجدول الطرح الرئيسي للقناة فيما يرتبط بأمن إسرائيل

عموما، وبعد ذلك يتموقع موضوع الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية الذي يوازي في حجمه داخل خطاب الميادين، موضوعي الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس ومخاوف إسرائيل من حكومة مصر التي أفرزتها الإنتخابات المنجرة عن تداعيات ما سمي بالربيع العربي، الذي جرّ على إسرائيل أيضا تعاطيا ما مع نفوذ روسي متزايد في سوريا، وقد احتل هذا ما نسبته 03.54% من خطاب الميادين محل التحليل، الذي تكرر فيه موضوع العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله 8 مرات فقط. وتعكس هذه التشكيلة من الرموز بهذا المقدار وهذا الكم بخصوص أمن إسرائيل واقعا جدليا بامتياز، حيث يتنازع الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية تحدي نزع الشرعية من جهة، والتحدي الآخر يمكننا تسميته بتحدي فرض الشرعية، الذي يبدأ بالإستعدادات العسكرية المستمرة مروراً بالعلاقات مع السلطة الفلسطينية في رام الله وليدة اتفاقيات أوسلو، وينتهي أخيراً بمحاولات التسوية أو ما يسمى بعملية السلام، وجميعها نالت في خطاب الميادين إذا ما أضفنا لها تعامل إسرائيل مع روسيا في سوريا 162 تكراراً، في حين نالت باقي الأطروحات نصيبا من التكرارات مقداره 233، وجميعها تفضي إلى مقاومة ورفض الوجوه الإسرائيلي في المنطقة العربية، وعلى رأس الأطروحات طبعا يأتي العداء لما سمي بمحور الممانعة الذي تبدو قيادته إيرانية، وتلحق به أحيانا في خطاب الميادين حركة حماس بعد أحداث ما سمي الربيع العربي.

جدول رقم 14: المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)	النسبة المئوية %	الترتيب
الحركات الإستيطانية الإسرائيلية	04	03.77	06
الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية	09	08.49	04
الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس	48	45.28	01
عنف المستوطنين الإسرائيليين	18	16.98	03
اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى	02	01.89	07
تهجير البدو الفلسطينيين من صحراء النقب	05	04.72	05
حق العودة الفلسطيني	20	18.87	02
المجموع	**106**	**100**	-

يتبين مما توضحه نتائج الجدول رقم 14 أن خطاب الميادين حول الواقع الإسرائيلي في شقه المرتبط بالهجرة والإستيطان، يرتكز على ثلاثية رئيسية من المواضيع، حيث يأتي في الصدارة موضوع الإستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية والقدس بنسبة 45.28%، ثم موضوع حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجروا منها عام 1948م بنسبة 18.87%، ويليه موضوع عنف المستوطنين الإسرائيليين بـــ 16.98%، في حين تتموقع بقية المواضيع على أطراف الخطاب وفي أقصى الهامش منه يأتي موضوع اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى بنسبة 01.89%. تنعكس من خلال قراءة في النتائج الرئيسية والفرعية للجدول المذكور إحدى حقائق

الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية القائمة على استيطان الأراضي بعد طرد وتهجير أهلها منها، وهو ما حدث عام 1948م، واستنادا عليه يحضر حق العودة إلى حد ما بقوة في خطاب الميادين، ولاشك أن المرجعية العروبية هي الدافع إلى إبراز هذا الموضوع، الذي تم تدعيمه أيضا بموضوع تهجير البدو من صحراء النقب الفلسطينية وفق ما سمي بمشروع برافر– بيغن، وسمي أيضا بالنكبة الثانية، ثم يستمر الإستيطان حتى في الأراضي التي تقرر دوليا أن تكون فضاء خاصا بإقامة الدولة الفلسطينية، بعد نهاية مسار المفاوضات الذي انطلق منذ حوالي ربع قرن ولم ينته إلى يومنا هذا، وتلحق بهذا الفعل الإستيطاني الصهيوني/ الإسرائيلي صفة مركزية هي العنف، الذي تجسده جماعات يهودية سمّت نفسها بجماعات تدفيع الثمن (تاغ مِحِيرْ)، يسري نشاطها داخل وخارج ما سمي بالخط الأخضر، ويستند هذا النشاط الإستيطاني العنيف بالمجمل على مخزون أيديولوجي يتجسّد في الحركات والأحزاب الإستيطانية التي تنتمي جميعها إلى تيار الصهيونية الدينية، وهي من يقف حصراً وراء الاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى، الأمر الذي لم يلق تغطية معتبرة في خطاب الميادين، لعله بسبب الإعتبارات العروبية– التقدمية التي تتقاطع مع اتخاذ التلفزيون الفضائي كنافذة حداثية، تتعامل بكثافة أكثر مع المستوى السياسي في إطار المُلحّ والآني والسريع.

- **الجدلية الإسرائيلية في متخيل الميادين الإعلامي: استخلاص أولي.**

من خلال تدفق المعلومات بخصوص إسرائيل في قناة الميادين الفضائية ضمن المحاور التي اتخذنا منها دعامة لتفحص الواقع الإسرائيلي في المتخيل الإعلامي، يتضح نظام الرموز الأساسي الذي يعبر عن ذاك الواقع في الفضائية محل الإنشغال، وهو نظام يعكس فعلا ثنائية الدولة ونظام الإحتلال في إطار التغيرات الجيو–سياسية التي تعرفها المنطقة العربية، ووفق خصوصية تضبطها المرجعية الأيديولوجية والإعلامية وفق المستويين الواسع والضيق.

- **المستوى الواسع.**

استنادا إلى الطرح السابق يقع تمثل إسرائيل في قناة الميادين الفضائية وبشكل رئيسي ضمن النطاق السياسي–الأمني، وذلك نظرا لكثافة الرموز التي تتموضع على محوري النظام السياسي ونظرية الأمن الإسرائيليين (448 تكرارا للأول و 395 تكرارا للثاني)، وهو الأمر ذاته الذي

يجعل من إسرائيل في النهاية "دولة عدو"، ولا بأس أن تكون في ذات السياق وقبل تشكيل التصوّر بأنها عدو، دولة مأزومة من حيث المبدأ نظرا لمنشئها غير الطبيعي وغير العادي والذي يقوم على الإستيطان.

- **المستوى الضيق.**

في هذا المستوى نهتم أكثر بتبئير نظام الرموز الرئيسي، والخاص على نحو جزئي بالواقع الإسرائيلي في المتخيل الإعلامي لفضائية الميادين، ويبدو من خلال ما سبق تحليله من نتائج على صعيد فئة الموضوع أن وحدات هذا النظام هي:

1- العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا (180 تكرارا).
2- الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي (145 تكرارا).
3- تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر (105 تكرارات).
4- عملية السلام (93 تكرارا).
5- الدعم الأمريكي لإسرائيل (70 تكرارا).
6- الإنقسامات السياسية الإسرائيلية (55 تكرارا).
7- الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس(48 تكرار).

تتقاطع في هذا النظام المستويات الثلاثة، السياسي أولا والأمني ثانيا والإستيطاني أخيراً، ويعّبر تموضع رموز كل مستوى داخل هذا النظام عن علامة محددة نعمل على استخراجها. والظاهر أن رموز المستوى السياسي تعمل ضمن نظام فرعي على درجة من الإستقلالية تتجسد في تفاعلات داخلية بين وحداته التي هي:

1- الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي (145 تكرار).
2- تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر (105تكرارات).
3- الدعم الأمريكي لإسرائيل (70 تكرارا).
4- الإنقسامات السياسية الإسرائيلية (55 تكرارا).

ينتج من هذا التفاعل علامة أساسية تتمثل في المشروع الإسرائيلي/ الصهيوني، الذي يتجلى حضوره زمنيا وترابيا (في المنطقة العربية) على شكل دولة مأزومة تعيش على وقع التناقضات، فهي دولة ديموقراطية وفي الوقت ذاته تقوم على التمييز العنصري، وتلقى دعما أمريكيا يؤجّل مفاعيل حالة التشظي والتشرذم المزمن الذي تعيشه.

يمثل الإستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام 1967م أبرز علامة على التفاعلات الخارجية لهذه الدولة مع محيطها الإقليمي العربي، الذي تمثل عملية السلام مشروعه الوحيد على ما يبدو في مواجهة تحدي التفاعل الإسرائيلي، هذا الأخير الذي ينشأ في مقابله تحدي آخر وهو تحدي المشروع الإيراني في المنطقة العربية أيضا. وهكذا تتشابك المشاريع في المنطقة العربية عبر تشابك العلامات داخل خطاب فضائية الميادين:

- **العلامة الأولى:** المشروع الإسرائيلي/ الصهيوني (دولة مأزومة مدعومة أمريكيا ودوليا).
- **العلامة الثانية:** تفاعل سلبي لدولة إسرائيل مع محيطها الإقليمي العربي (تفاعل استعماري)
- **العلامة الثالثة:** المشروع العربي الرسمي وهو عملية السلام وهو أيضا مدعوم أمريكيا ودوليا.
- **العلامة الرابعة:** المشروع الإيراني (كمشروع لقيادة طيف من المقاومة للمشروع الإسرائيلي من خارج الدائرة الإقليمية العربية) وهو في حالة مفاوضات/توافقات مع النظام الدولي.

2- توزيع فئة اتجاه الموضوع على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 15: اتجاهات المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي	02	70	00	72
الدعم الأمريكي لإسرائيل	00	49	30	79
تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	00	04	00	04
الإنقسامات السياسية الإسرائيلية	00	02	00	02
المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين	–	–	–	–
تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية	–	–	–	–
التقلصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية	00	12	00	12
المجموع	**02**	**137**	**30**	**169**

يظهر من النتائج الموضحة في الجدول رقم 15 وبشكل سريع غلبة الإتجاه المحايد نحو النظام السياسي الإسرائيلي بصفة عامة، مع الميل الواضح إلى إبداء نوع من المعارضة نحوه. ومرجع ذلك بالأساس هو سمة الخط التحريري لقناة الجزيرة التي تلزم الحياد كقيمة مهنية تكرّسها تحت شعار الرأي والرأي الأخر، ولكن ذلك لم يمنعها فعلا من إبداء شيء من المعارضة للمواقف الأمريكية الداعمة بشكل مطلق لإسرائيل وحكومتها تحديداً، الأمر الذي يشكل أحد المظاهر الأساسية لأزمات النظام السياسي الإسرائيلي البنيوية، بما يجعل من إسرائيل كواقع أو واقع إسرائيل

مثاراً للتعقيد، الذي ينعكس بدوره على الواقع الرمزي للوسيط الإعلامي (الجزيرة)، لاسيما إذا أخذنا في الحسبان ارتباطات هذا الوسيط الجيو–سياسية.

جدول رقم 16: اتجاهات المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية	01	33	14	48
الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس	09	17	00	26
العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا	02	98	05	105
التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا	01	12	03	16
المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية	03	06	00	09
العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله.	02	19	01	22
عملية السلام	53	113	06	172
المجموع	**71**	**298**	**29**	**398**

يتأكد من خلال ما تبرزه نتائج الجدول رقم 16 الإتجاه المحايد عموما ضمن خطاب قناة الجزيرة، بخصوص القضايا والأطروحات المرتبطة بنظرية الأمن الإسرائيلية، مع ميل ملفت نحو التأييد والإيجابية لم يمنع كذلك من إبداء شيء ولو يسير جدا من المعارضة، وذلك جميعا ناجم عن تعقيدات الموقف الجيو–سياسي في المنطقة العربية، المرتبط دوما بآثار الوجود الإسرائيلي فيها، فالجزيرة وإن كانت باستمرار تنحاز نحو تكريس شعارها الرأي والرأي الآخر، فإن ذلك لم يمنعها مطلقا وفي ذات الإطار من الإيحاء بمواقف قد تكون فعلا تجسيداً لارتباطات محددة لصاحب القرار الإعلامي فيها، ولعل هذا ما يجعلنا نلاحظ ميلها الواضح إلى تأييد عملية السلام في المنطقة

العربية، وهذا في حدّ ذاته لم يشكل مانعا من انحياز محدود نسبيا نحو حركة حماس والموقف الحكومي المصري الداعم لها، بعد أحداث ما عرف بثورة 25 يناير 2011، وفي ذات السياق لاحظ الباحث من خلال بعض المباني اللسانية وغير اللسانية إيحاءات سلبية للجزيرة تجاه عملية التطبيع مع إسرائيل، ولعل في هذا تحديداً تماش مع الرغبة الجماهيرية العامة للعالم العربي. وعلى صعيد آخر أبطنت الجزيرة شيئا من السلبية نحو قضية العداء المتبادل بين إيران وإسرائيل، كما مالت نحو معارضة النفوذ الروسي في سوريا الذي لا يحدث بمعزل عن التنسيق مع إسرائيل، التي تعاطت الجزيرة بنوع من السلبية مع قوتها العسكرية المتزايدة فعلا .

جدول رقم 17: اتجاهات المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الجزيرة.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الحركات الإستيطانية الإسرائيلية	–	–	–	–
الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية	00	09	00	09
الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس	00	70	63	133
عنف المستوطنين الإسرائيليين	00	07	00	07
اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى	00	01	00	01
تهجير البدو والفلسطينيين من صحراء النقب	00	00	02	02
حق العودة الفلسطيني	01	01	00	02
المجموع	**01**	**88**	**65**	**154**

يغلب الإتجاه المحايد للجزيرة نحو قضايا وشؤون الهجرة والإستيطان الإسرائيلية، وفق ما تبينه نتائج الجدول رقم 17، لكن مع تقارب واضح مع الإتجاه المعارض، وهذا مؤشر ذو دلالة قوية على حساسية موضوع الإستيطان بالنسبة لصاحب القرار الإعلامي في الجزيرة، ولعل هذا لا

يتناقض مع عالمية التوجه التي تصدح بها الجزيرة إلى جانب عروبة الإنتماء، طالما أن النظام الدولي على ما يبدو يدين كل أشكال الإستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام 1967م، وهو الطرح الذي يتساوق معه خطاب الجزيرة الذي لا يمانع من حيث المبدأ عودة الفلسطينيين اللاجئين إلى ديارهم التي هجّروا منها عام 1948م، وفي الوقت ذاته يبدي نوعا من الإمتعاض تجاه تهجير المزيد منهم ممّن بقوا في أرضهم على غرار بدو النقب.

- **وجهة المتخيل الإعلامي للجزيرة بخصوص إسرائيل: استخلاص أولي.**

يتبين على نحو أولي ضمن هذه المرحلة من البحث حركة نظام رموز الجزيرة بإزاء الجدلية الإسرائيلية ، وتأتي هذه الحركة ضمن المستوى الواسع لنظام الرموز في الإتجاه المحايد عموما بمقدار 523 تكرارا، لكن هذا لم يمنع مطلقا التحرك في الإتجاهين المعارض والمؤّيد، مع غلبة واضحة للإتجاه المعارض (124 تكرارا) في مقابل الإتجاه المؤّيد (74 تكرارا) حسبما أظهرته نتائج الجداول السابقة. فالجزيرة وإن أملى عليها التمسك بقيم المهنية والموضوعية الوقوف على الحياد من الواقع الإسرائيلي[9] عموما، فإنها في ذات الإطار لا تمانع –على ما يبدو– من وجود إسرائيل في المنطقة العربية، إلا بقدر ما يحدثه هذا الوجود من خروقات وتجاوزات لما يسمى بالشرعية الدولية، التي اعترفت بحق تأسيس وحدة للنظام الإقليمي العربي ضمن جزء من أرض فلسطين التاريخية، وهو قطاع غزة والضفة الغربية وما أسموه بالقدس الشرقية، وهذه الوضعية لخطاب الجزيرة ضمن هذا المستوى هي بمثابة العلامة الكبرى (الأوسع) لموقف الجزيرة من إسرائيل، التي تتضح (أي العلامة) على نحو أدق من خلال فحص حركة نظام الرموز في مستواه الضيق، حيث تبدو الجزيرة مؤيدة لعملية السلام رغم تأكيدها قوة إسرائيل العسكرية التي تؤيد في مقابلها نموذج المقاومة الشعبية الفلسطينية ذي الإمكانات البسيطة، وممثلته حركة حماس، ولعل ذلك مرّده أساسا استفحال نشاط إسرائيل الإستيطاني في أراضي الضفة والقدس، الذي لا يوازيه سوى استفحال الدعم الأمريكي لإسرائيل وحكومتها، وبين هذا وذاك لا ترفض الجزيرة شرعنة العملية السياسية الإسرائيلية[10] بوجه عام، كما لا تقبل تماما أطروحة الموقف الإيراني المعلن والرافض لتلك العملية.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 18: اتجاهات المواضيع الخاصة بالنظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي	25	110	10	145
الدعم الأمريكي لإسرائيل	00	45	25	70
تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	00	63	42	105
الإنقسامات السياسية الإسرائيلية	22	33	00	55
المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين	17	23	00	40
تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية	03	05	00	08
التقليصات الإجتماعية في الموازنة الإسرائيلية	05	20	00	25
المجموع	**72**	**299**	**77**	**448**

من خلال ما تبرزه نتائج الجدول رقم 18، تتجلى الغلبة الواضحة للإتجاه المحايد (299 تكرارا) مع توازن بين الإتجاهين المؤيد والمعارض(72 و77 تكرارا) لقناة الميادين الفضائية نحو موضوع النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية، وتتبع طبيعة هذه النتيجة مبدئيا من الشخصية الإعلامية للقناة، التي تتلخص في شعارها "الواقع كما هو"، ويقترن مع ذلك طبيعة المحور الذي نعالج من خلاله جزءا من الواقع الإسرائيلي، حيث يختص بالنظام السياسي الإسرائيلي ويحمل تبعا لذلك في طياته كمواضيع فرعية، ما هو سلبي وما هو إيجابي، وهو بالتحديد ما جعل اتجاه المعالجة الإعلامية ينتقل بين السلب والإيجاب، بناء على عملية اختيار أيديولوجي محكمة، ستفضي في

النهاية إلى المساهمة في إنتاج تمثل ما لدولة إسرائيل، وقد تُرجم هذا بحسب ما يعرض في الجدول المذكور من خلال الميل الجلي إلى معارضة موضوعي تهميش الفلسطينيين والدعم الأمريكي لإسرائيل، في مقابل الميل الجلي إلى تأييد مواضيع الإنقسامات والمتابعات القضائية والتقليصات الإجتماعية وتنامي التيارات الدينية داخل إسرائيل، والمشترك بين الحالتين هو تثبيت جميع تلك المواضيع في الواقع الإسرائيلي، فلا تعني المعارضة –أبدا–نفيا للواقع داخل الخطاب الذي ننشغل به، بقدر ما تعني إثباته ثم إظهار الموقف النفسي/ العاطفي نحوه، وفق ما تسمح به مصفاة المرجعية الأيديولوجية، وهو ما يفسر اتجاه قناة الميادين نحو موضوع الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي، الذي تتعامل معه بواقعية تجعل من تأييده (25 تكراراً) لا يتجاوز حد القبول المبدئي بالموضوع، لاستخدامه في أغراض المحاججة المرتبطة بتقديرات المواقف الميدانية المختلفة، والتي لها–بلا شك– علاقة ما بدولة إسرائيل.

جدول رقم 19: اتجاهات المواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية	01	35	11	47
الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس	05	19	01	25
العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا	54	126	00	180
التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا	09	05	00	14
المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية	00	16	12	28
العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله.	00	08	00	08
عملية السلام	01	91	01	93
المجموع	**70**	**300**	**25**	**395**

يتأكد مجددا من خلال النتائج المعروضة في الجدول رقم 19 الإتجاه المحايد لقناة الميادين (300 تكراراً)، ولكن فيما يتعلق بالمواضيع الخاصة بنظرية الأمن الإسرائيلية، مع ميل واضح نحو التأييد (70 تكرارا)، وذلك عموما بسبب الطابع الجدلي الذي تكتسيه قضايا الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وآثار العامل الجيو–سياسي على صناعة القرار الإعلامي في المنطقة ذاتها، فتبعا لذلك تتعامل الميادين بإجابية ملحوظة مع موضوع العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا (54 تكرارا)، وحتى مع موضوع التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا بالنظر إلى حجم تكراره أصلا في خطابها حول إسرائيل، وفي ذات السياق تذهب في اتجاه تأييد موضوع الصراع الإسرائيلي مع حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، ويأتي هذا في اتجاه تأييد مشروع مقاومة الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، إلا أن الملاحظ على هذا الموقف لقناة الميادين هو بعض التعقيدات التي تكتنفه، وهي تعقيدات نابعة من الموقف الجيو–سياسي أساسا، والذي تحكمه من حيث المبدأ مرجعية أيديولوجية ما، كما قد يتشكل من تحالف عدة مرجعيات تجمعها مصالح مشتركة، وهو ما حدث إثر أحداث ما سمي بالربيع العربي، ومؤشر ذلك من خلال نتائج الجدول رقم 19 هو ميل قناة الميادين إلى التعاطي بسلبية مع موضوع المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية، وهي الحكومة ذات الميول الإسلامية – الإخوانية بقيادة محمد مرسي، إثر فوزه في أول انتخابات رئاسية نظمت بعد خلع الرئيس الأسبق حسني مبارك إثر الحراك الشعبي المصري الذي عرف بثورة 25 يناير، فعلى الرغم من التقاطع الأيديولوجي الإخواني بين حكومة مصر وحركة المقاومة الإسلامية "حماس"، وكذلك عديد الرسائل السلبية التي بعث بها الرئيس المصري محمد مرسي نحو إسرائيل، في فترة حكمه لاسيما خلال عدوانها على غزة، فإن فضائية الميادين عالجت جلّ ذلك في إطار اتفاقية السّلام التي تربط مصر وإسرائيل، بما يجعل مصر في النهاية رهينة فقط للأدوار التي يحددها النظام الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، ويفضي هذا في حدود المعنى الذي يبنيه خطاب الميادين حول إسرائيل إلى إقصاء مصر برئاسة مُرسي من منظومة المقاومة، وحصر هذه الأخيرة تقريبا في محور إقليمي محدّد تمثله إيران (نظام ولاية الفقيه) وسوريا (نظام البعث) وحزب الله في لبنان (نموذج حَرَكِي لنظام ولاية الفقيه)، وعقدة هذا المحور الجيو–سياسية من خلال فحصنا لخطاب الميادين هو حركة المقاومة التي تمثلها حماس وتتمركز في غزة، والتي لا يمكن بأي حال إقصاؤها عن محور المقاومة، لأن ذلك سيعد مجازفة إعلامية كبيرة، بالنظر إلى

مركزيتها (أي حماس) ضمن الفضاء الجيو–سياسي للمقاومة، في حين تأتي إيران على الأطراف، ورغم ذلك يأتي مشروع المقاومة ضمن خطاب الميادين إيرانيا بامتياز، وقد تراجع الإهتمام بالقوة العسكرية الإسرائيلية رغم الميل إلى تأكيدها كسمة لدولة إسرائيل في مقابل الإهتمام بالقوة الإيرانية المتزايدة.

أما موضوع عملية السلام فقد أظهرت نحوه قناة الميادين حياداً وتوازنا مثلما أظهرته نحو العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله بقيادة محمود عباس، ويعكس هذا الإتجاه في تقديرنا تعقيدات المواقف الجيو–سياسية بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي، والمفاعيل الدولية التي تساهم في صنعها، ومؤشرات هذه التعقيدات في خطاب الميادين حول الواقع الإسرائيلي في بعده الأمني هي:

أولا : الموقف المزدوج من مشروع المقاومة.

- إبداء التأييد لمشروع محور إيران– سوريا– حزب الله.
- إبداء نوع من التحفظ إزاء مشروع حركة حماس.

ثانيا : الموقف المزدوج من مشروع (عملية) السلام.

- إبداء الرفض والمعارضة لاتفاقية السلام (كامب ديفيد) المصرية الإسرائيلية، في فترة حكم محمد مرسي (الإخوان المسلمون).
- إبداء الحياد إزاء اتفاقية السلام (أوسلو) بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل، وفي سياق ذلك العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله والقائمة على ما سمّي بالتنسيق الأمني.

إن هذه الازدواجية في المواقف والإتجاهات تعكس في تقديرنا حالة من الإستقطاب السياسي في المنطقة العربية، تزداد حدّتها كلما خرجنا من المركز (فلسطين) نحو الأطراف (مصر وإيران).

جدول رقم 20: اتجاهات المواضيع الخاصة بالهجرة والإستيطان في قناة الميادين.

الموضوع	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الحركات الإستيطانية الإسرائيلية	00	04	00	04
الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية	00	06	03	09
الإستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس	00	39	09	48
عنف المستوطنين الإسرائيليين	00	12	06	18
اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى	00	02	00	02
تهجير البدو الفلسطينيين من صحراء النقب	00	02	03	05
حق العودة الفلسطيني	08	12	00	20
المجموع	**08**	**77**	**21**	**106**

تتجه معالجة قناة الميادين لموضوع الهجرة والإستيطان بوضوح نحو الحياد حسب ما تبرزه نتائج الجدول رقم 20، وذلك بواقع 77 تكرارا كما يبدو من الجدول، نظرا لمقتضيات العملية الإخبارية فضلا عن السياسة التحريرية للقناة (الواقع كما هو)، إلا أن ذلك لم يمنع في النهاية من الميل الواضح أيضا إلى معارضة جل ما يرتبط بموضوع الهجرة والإستيطان، من حيث هو أحد الأبعاد الأساسية للواقع الإسرائيلي. وتأتي المعارضة استناداً إلى الشخصية الإعلامية للقناة، المنضبطة بمرجعية أيديولوجية محددة تصب في منحى العروبة التي تلحق بها عادة صفة التقدمية، وهو ما يفسر الإنزياح نحو تأييد حق عودة الفلسطينيين إلى ديارهم التي هجّروا منها عام 1948م على يد العصابات الصهيونية، ومعارضة تهجير المزيد منهم كما يحدث في صحراء النقب الفلسطينية، وفي الوقت ذاته الميل نحو الحياد في موضوع اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين المتكررة للمسجد الأقصى، دون أن يعني ذلك طبعا قبولا بأفعال المستوطنين في خطاب الميادين، الذي يبدي في النهاية معارضة نحو كل أشكال العنف التي يرتكبها المستوطنون، مثلما يميل إلى

معارضة الأحزاب الإستيطانية الإسرائيلية والنشاط الإسرائيلي الرسمي للإستيطان في أراضي الضفة الغربية والقدس.

وجهة المتخيل الإعلامي للميادين بخصوص إسرائيل: استخلاص أولي.

يتبين على نحو أولي أن الإتجاه المحايد هو الغالب الأعم في خطاب فضائية الميادين حول الشؤون الإسرائيلية المختلفة، والتي تم تصنيفها وفق مستويات محددة في بحثنا هذا، وهو التصنيف ذاته الذي سمح لنا من حيث المبدأ بوسم الواقع الإسرائيلي بالجدلي، لذلك تموضعت إلى جانب الإتجاه المحايد في المعالجة الإعلامية اتجاهات نحو المعارضة وأخرى نحو التأييد، فإذا قمنا بفحص حركة نظام الرموز داخل خطاب الميادين المدروس ضمن ما أسميناه بالمستوى الواسع، تأكد لنا ذلك سريعا، كما تتبين حقيقة الإتجاه نحو المعارضة أو التأييد حين الانتقال إلى المستوى الضيق لنظام الرموز المذكور، الذي يفهم من خلاله بجلاء أكبر أن تَمثُّل إسرائيل يمّر ضمن متخيل الميادين الإعلامي عبر المصفاة الجيو–سياسية، التي تجسدت في تحالف الإتجاه العروبي–التقدمي(العلماني) مع الإتجاه الفارسي–الاسلامي (الديني)، ويجسّد هذا في ذات الآن تحالفا بين أيديولوجيا البعث العربي (سوريا) مع أيديولوجيا ولاية الفقيه (إيران)، ضمن محور إقليمي بقيادة إيرانية يتبنى مشروعا لمقاومة الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، ومن خلاله تتأسس الرؤية بعدم شرعية دولة إسرائيل، ويتم الإنطلاق من هذه الأرضية المدعومة بقوة إيران للإتجاه في وسم دولة إسرائيل بما يمكن أن نسميه نحن "الديموقراطية العنصرية"، والتشرذم السياسي، والإمتداد الغربي–الإستعماري. ثم يصبح هذا الإتجاه أكثر حذراً لحظة التعامل مع مشروع السلام العربي الرسمي حين يتعلق حصراً بمسار المفاوضات، بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية في رام الله التي تدخل منذ مدة في حالة من المناكفات مع تيار المقاومة الذي تمثله حركة حماس في قطاع غزة.

3- توزيع فئة القيم على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 21: القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.

القيمة	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
الديموقراطية	78	25.66
التسامح	–	–
المواطنة	5	1.64
العدالة	–	–
المساواة	–	–
الصراع	198	65.13
السلام	23	07.57
المجموع	**304**	**100**

تبرز من خلال المضامين التي تطرحها الجزيرة بخصوص إسرائيل مجموعة من القيم بناء على ما يرد في الجدول رقم 21 من نتائج، وأول تلك المجموعة يأتي الصراع الذي يتسيد واقع القيم في سرود الجزيرة عن إسرائيل بنسبة 65.13%، ثم تليه قيمة الديموقراطية بنسبة 25.66% في حين أخذت قيمة السلام موقعا هامشيا وأقصى من ذلك تأتي قيمة المواطنة. ويعود ذلك بشكل أساسي إلى وقوف السرد الإعلامي (اليومي) للجزيرة عموما عند المستوى السياسي بإزاء الواقع الإسرائيلي، والذي يجعل عملية تدوير الرموز محصورة في الغالب بين النشاط الحكومي العمومي الإسرائيلي وارتباطاته، من حيث هو واجهة سياسية روتينية، وبين مفاعيل هذا النشاط على الساحة العربية خصوصا والإسلامية عموما، ويمسي بذلك الصراع محور نظام القيم في خطاب الجزيرة، في حين تتأخر قيمة السلام، وينتفي حضور القيم التي تعكس إلى حدّ ما معرفة بالعمق الإجتماعي للواقع الإسرائيلي، الذي بدوره يبدو أنه فرض حضور قيمة الديموقراطية ضمن الوقائع اللغوية للجزيرة، وذلك استناداً إلى الطبيعة العامة لنظام الحكم، في تأكيد جديد على تعقيدات الواقع الإسرائيلي ومن ثم تعقيدات معالجته إعلاميا.

ب-قناة الميادين.

جدول رقم 22: القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.

القيمة	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
الديموقراطية	134	32.52
التسامح	01	00.24
المواطنة	05	01.22
العدالة	–	–
المساواة	02	00.49
الصراع	236	57.28
السلام	34	08.25
المجموع	**412**	**100**

تبرز عبر ما تظهره نتائج الجدول رقم 22 مجموعة القيم المتضمنة في معالجة قناة الميادين للشؤون الإسرائيلية المختلفة، وعلى رأس هذه القيم جميعها يأتي الصراع الذي يتسيّد واقع القيم في خطاب الميادين حول إسرائيل بنسبة 57.28%، ثم الديموقراطية بنسبة 32.52%، وبعدها بدرجة أقل يأتي السلام بنسبة 08.25%، في حين تحتل باقي القيم مراكز هامشية جداً في الخطاب محل التحليل، لاسيما التسامح والمساواة مع وجود طفيف لقيمة المواطنة وانتفاء تام لقيمة العدالة، تعكس هذه الوضعية للقيم من حيث المبدأ انحصار السرد الإعلامي للميادين بخصوص إسرائيل تقريبا ضمن ثنائية الأمني – السياسي، كما تعكس بناء على ذلك حجم التحدّي الذي يطرحه الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وفي سياق ذلك فهو وجود مبني من الأساس على التناقضات، وحظوظ استقراره ضعيفة مقارنة بنصيبه من التوتر وعدم الاستقرار.

4- توزيع فئة اتجاه القيم على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 23: اتجاهات القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الجزيرة.

القيمة	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الديموقراطية	01	75	02	78
التسامح	–	–	–	–
المواطنة	00	05	00	05
العدالة	–	–	–	–
المساواة	–	–	–	–
الصراع	16	180	02	198
السلام	05	16	02	23
المجموع	**22**	**276**	**06**	**304**

يغلب الإتجاه المحايد نحو نظام القيم السائد في خطاب الجزيرة حول إسرائيل، وفق النتائج المسجلة في الجدول رقم 23، مع حركة ملفتة في الإتجاه المؤيد ومعارضة خافتة إلى حدّ ما.

أما الحياد فدأب الجزيرة، حيث تسعى دوما إلى تأكيد تكريس شعارها "الرأي والرأي الآخر"، وأما التأييد الذي لاحظناه بخصوص مجمل القيم فمرتكز على التبني المحدود لخطاب المقاومة الشعبية، وفي الآن ذاته تبني خيار السلام الذي يتحقق في حال انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة عام 1967م، وهذا الخيار هو مدعاة أيضا إلى التعاطي بإيجابية مع ديموقراطية إسرائيل، هذه الإيجابية التي كثيرا ما تتهلهل أمام تجاوزات إسرائيل خاصة فيما يتصل بالإستيطان، مما يجعل السلام خياراً وهميا.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 24: اتجاهات القيم الواردة ضمن المواضيع الخاصة بإسرائيل في قناة الميادين.

القيمة	التكرار(ك)			المجموع
	مؤيد	محايد	معارض	
الديموقراطية	26	99	09	134
التسامح	00	01	00	01
المواطنة	00	05	00	05
العدالة	–	–	–	–
المساواة	00	02	00	02
الصراع	59	177	00	236
السلام	00	34	00	34
المجموع	**85**	**318**	**09**	**412**

يطغى على اتجاهات القيم ضمن خطاب قناة الميادين الإتجاه المحايد مثلما يظهر في الجدول رقم 24، ويمثل ذلك 318 تكرارا من واقع 412 تكرارا لمجمل القيم التي تم إحصاؤها في الخطاب محل التحليل، ويشمل هذا نظام القيم المبني على ثنائية الديموقراطية- الصراع والمستند على تدوير الرموز بشكل مكثف ضمن ثنائية السياسي-الأمني في الخطاب محل التحليل، وضمن ذات النظام من القيم يبرز النزوع نحو التأييد فيما يتعلق حصراً بقيمتي الديموقراطية والصراع، الذي يفسّر بالقبول التكتيكي بالطابع الديموقراطي لنظام الحكم الإسرائيلي في مقابل محاولة للإعلاء من شأن الصراع مع هذا النظام، والتقليل من السمات التي تؤهله ليكون نظام دولة طبيعية ومستقرة، ومبعث هذا التموضع للقيم هو الشخصية الإعلامية لفضائية الميادين، التي تتأسس على المرجعية المهنية التي شعارها "الواقع كما هو"، والمرجعية الأيديولوجية العروبية-التقدمية.

5- توزيع فئة الفاعلين على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 25: الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الجزيرة.

الشخصية	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
سياسية	304	96.2
عسكرية	02	00.63
دينية	–	–
اقتصادية	–	–
قانونية	10	3.17
إعلامية	–	–
أمنية /استخباراتية	–	–
المجموع	**316**	**100**

يتضح من نتائج الجدول رقم 25 أن الشخصيات السياسية تمتلك حضوراً قويا في سرود الجزيرة عن إسرائيل، بنسبة 96.2% ضمن العينة محل التحليل، تليها بنسبة 03.17% الشخصيات القانونية ثم أخيرا وبنسبة ضئيلة جداً الشخصيات العسكرية. وهكذا يمسي لدينا في خطاب الجزيرة حول إسرائيل نظام من الشخصيات محوره ورأسه الشخصيات السياسية ووحدته الفرعية الشخصيات القانونية، وعلى نحو ثانوي جداّ تأتي الشخصيات العسكرية، وفي سياق التركيز على الشخصيات السياسية ضمن نظام محدّد كما يبدو، لاحظ الباحث على صعيد المباني غير اللسانية تكراراً مطولا لشخصية رئيس الوزراء داخل أطر عديدة أغلبها مقربة، ويلي ذلك شخصية وزير الخارجية.

بإمكاننا تفسير نظام الشخصيات السائد في السرد الإعلامي للجزيرة حول إسرائيل، من خلال الإهتمام الذي حظي به المستوى السياسي الإسرائيلي في القرار الإعلامي للجزيرة، بما يجعل من هذا المستوى اللغة التي ترجمت عن طريقها الجزيرة الواقع الإسرائيلي، أي وجود إسرائيل في

المنطقة العربية بكامل تداعياته، ويأتي حضور الشخصيات القانونية كإثبات للطابع الديموقراطي لمؤسسة الحكم الإسرائيلية في فلسطين، وهو الأمر نفسه الذي همش حضور الشخصيات العسكرية، رغم تأكيد خطاب الجزيرة – مثلما رأينا سلفا– على موضوع العسكرة في الواقع الإسرائيلي، وليس في ذلك تناقض مطلقا طالما أن جل إن لم نقل كل شخصيات الحكم الإسرائيلية، تأتي من المؤسسة العسكرية وحتى الإستخباراتية.

ب–قناة الميادين.

جدول رقم 26: الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الميادين.

الشخصية	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
سياسية	856	90.3
عسكرية	16	01.69
دينية	25	02.64
اقتصادية	–	–
قانونية	14	01.48
إعلامية	07	00.73
أمنية /استخباراتية	30	03.16
المجموع	**948**	**100**

من خلال نتائج الجدول رقم 26 نرى أن مضمون خطاب فضائية الميادين حول إسرائيل، غلب عليه وبشكل بارز جدّا حضور الشخصيات السياسية بواقع 90.3%، وتتقاسم النسبة الباقية النوعيات الأخرى للشخصيات الإسرائيلية، بداية بالأمنية والعسكرية ومرورا بالدينية فالقانونية ثم أخيراً الشخصيات الإعلامية، مع غياب لأي من الشخصيات الإقتصادية. وتعكس هذه النتيجة اهتماما ملحوظا من طرف القناة بالشخصيات السياسية الإسرائيلية وعلى رأسها شخصية رئيس الوزراء، فضلا عن محورية هذه الشخصيات فعلا في الفضاء الإسرائيلي العام، ويأتي قوة الحضور لباقي الشخصيات رديفا لفعالية الشخصيات السياسية، مثلما تتطلبه مقتضيات العملية السياسية

الديموقراطية باستثناء حضور الشخصيات الدينية الذي يتساوق مع تنامي تياري الحريديم والصهيونية الدينية، وأثر ذلك في السياسة الإسرائيلية، خاصة مع الجدل الذي بات يطرحه مشروع قانون الدولة اليهودية، وهو قانون تسعى لتكريسه مستويات سياسية علمانية، بما يجعلنا فعلا نلّح في فكفكة جدلية العلماني والديني وكذلك السياسي والعسكري في الواقع الإسرائيلي.

6-توزيع فئة السمات على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 27: سمات الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الجزيرة.

سمة الشخصية	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
يمينية	178	56.33
يمينية متطرفة	52	16.46
وسطية	39	12.34
حقوقية	10	03.16
عمالية	37	11.71
يسارية	–	–
المجموع	**316**	**100**

تتجلى عبر ما يرد في الجدول رقم 27 من نتائج سمات مختلف الشخصيات الواردة في السرد الإعلامي للجزيرة بخصوص إسرائيل، وفي مقدمتها جميعا تأتي سمة اليمينية بنسبة 56.33% وتتبعها سمة اليمين المتطرف كامتداد لها بنسبة 16.46%، ثم تأتي سمتا الوسطية والعمالية اللتان تحضران بشكل متقارب وضعيف مقارنة بسمة اليمينية، في حين حضي حضور السمة الحقوقية بنسبة ضئيلة جداً (03.16%) مقارنة بباقي السمات، ولم يرد أثر للسمة اليسارية في الخطاب محل التحليل للجزيرة. وبذا تتضح عموما سمة نظام الشخصيات الوارد ضمن خطاب الجزيرة، وهو نظام- كما اتضح من قبل- متمركز في المستوى السياسي، الذي بات في إمكاننا وصفه بعد الآن بأنه يميني بامتياز وآيل نحو التطرّف، وأن أثر الوسطيين والعماليين كامتداد لهم

ضعيف، وأضعف منه أثر الحقوقيين، في حين لا أثر وقبل ذلك لا وجود للشخصيات اليسارية، كما أنه في إمكاننا إضفاء الطابع نفسه على المستوى الإجتماعي، طالما أنه المسؤول الأول عن إفراز السياسي طبقا لمقتضيات الممارسة الديموقراطية، في جزئها المرتبط بالعملية الإنتخابية.

وعموما يفسر حضور الشخصيات اليمينية واليمينية المتطرفة بهذه القوة، الحضور القوي من جهة ثانية لمواضيع أخرى على غرار العملية الإستيطانية، كممارسة صقرية تكرست عبرها – مثلا– قيمة الصراع في المضمون محل التحليل. دون أن ينسينا هذا كلّه أن ثنائية الصقور–الحمائم والخاصة هنا بإسرائيل، تبقى نسبية لاسيما فيما يتصل بموضوع التدافع العربي– الإسرائيلي، لأن كثيرا من الشخصيات التي حكمت إسرائيل وكانت محسوبة على التيارات العمالية[11]، أو ما يسمى في التداولات الإعلامية بالتيارات الوسطية[12]، تساوت أو لعلها فاقت الشخصيات المعروفة بيمينيتها في الممارسات الصقرية.

ب– قناةالميادين.

جدول رقم 28: سمات الشخصيات الفاعلة في الفضاء الإسرائيلي العام من خلال قناة الميادين.

سمة الشخصية	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
يمينية	471	49.68
يمينية متطرفة	185	19.51
وسطية	219	23.1
حقوقية	12	01.27
عمالية	59	06.22
يسارية	02	00.22
المجموع	**948**	**100**

تظهر حسبما يرد في الجدول رقم 28 السمات المختلفة للشخصيات التي ورد ذكرها في مضمون خطاب قناة الميادين بخصوص الشؤون الإسرائيلية، ويتجلى بعد الملاحظة الفاحصة للنتائج نظام من السمات للشخصيات الإسرائيلية ضمن القرار الإعلامي للميادين، حيث رأس هذا النظام

هو الشخصيات اليمينية (49.68%)، وساعداه الأساسيان هما الشخصيات اليمينية المتطرفة والوسطية، وعلى هامش هذا النظام تتموقع الشخصيات العمالية ثم الحقوقية، وفي أقصى الهامش منه تأتي الشخصيات اليسارية. وهذا في المجمل يفصح عن اتجاه الإجتماع الإسرائيلي العام بقوة نحو اليمين، وغياب فعلي لتأثير قوى اليسار بمفهومه التقليدي، وتقهقر الإتجاه العمالي بمفهومه الإسرائيلي/ الصهيوني الخاص الذي تكرس مطلع تأسيس الدولة، حيث كانت قوى ما سمي بالعمل العبري في طليعة من بنى دولة إسرائيل. وتظل رغم ذلك جدلية الوسطي واليميني قائمة في الواقع الإسرائيلي، طالما أن الممارسات الصقرية تبقى سمة ثابتة لصانع القرار الإسرائيلي فيما يرتبط بالعلاقة مع العالم العربي، ولا يخفف من ذلك سوى الطابع البراغماتي الذي عادة ما تقتضيه السياسة.

7- توزيع فئة المصدر على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 29: مصادر المعلومات عن إسرائيل في قناة الجزيرة.

المصادر	التكرار(ك)
إسرائيلية	13
فلسطينية	–
عربية	01
غربية	03
إيرانية	–
روسية	01
الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	–
المجموع	**18**

تتنوع المصادر التي تعتمد عليها الجزيرة للحصول على المعلومات بخصوص إسرائيل، حسب النتائج الموضحة في الجدول رقم 29، وتأتي في المقدمة المصادر الإسرائيلية على نحو بارز جدّا ثم بعد ذلك المصادر الغربية، وتستغل الجزيرة كذلك المصادر العربية عموما وحتى الروسية وإن بشكل ضئيل، إلا أن ذلك على أية حال يبقى خاضعا لطبيعة الموقف الميداني المراد تغطيته.

وبالمجمل فإن تعامل الجزيرة بشكل بارز مع المصادر الإسرائيلية ثم الغربية، متساوق مع حالة الإنفتاح نحو الإسرائيليين التي تنتهجها الجزيرة منذ بداية تأسيسها، يضاف إلى ذلك عالمية التوجه التي تشهرها والتي تأتي حسبما يبدو في إطار مشروع حداثي لا يقطع مع العروبة بقدر ما يسعى إلى تطويعها للخطاب الغربي، وهذا في حدّ ذاته يفسّر بمقدار كبير هيئة نظام رموز الجزيرة إزاء إسرائيل، هذا النظام الذي يجد فيه الفاعل الروسي موقعه كمؤثر دولي صاعد دخل على خط المواجهة بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي وأمسى ذا تأثير إقليمي، تماما مثلما يتموقع فيه (أي نظام الرموز) نموذج مقاومة / حكم إسلامي يراد تهذيبه ليصبح أكثر حداثة.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 30: مصادر المعلومات عن إسرائيل في قناة الميادين.

المصادر	التكرار(ك)
إسرائيلية	40
فلسطينية	–
عربية	01
غربية	04
إيرانية	–
روسية	–
الفلسطينيين داخل الخط الأخضر	–
المجموع	**45**

تعتمد قناة الميادين حسبما يتضح من نتائج الجدول رقم 30 في حصولها على المعلومات حول ما يخص إسرائيل على المصادر الإسرائيلية بشكل أساسي، وبشكل ضئيل على المصادر الغربية لاسيما منها الأمريكية، وبقدر ضئيل جداً على المصادر العربية وكانت تحديداً في الخطاب محل التحليل قناة المنار التابعة لمنظمة حزب الله اللبنانية، ورغم أن الموقف الميداني يظل متحكما في طبيعة المصادر المعتمدة، إلاّ أن الملاحظ على ما يبدو في حدود النتائج المحصل عليها هو اعتماد قناة الميادين المستمر والمستقر على المصادر الإسرائيلية رأسا فيما يرتبط بشؤون إسرائيل، وذلك في غير حاجة إلى تعامل مباشر مع شخصيات طبيعية أو معنوية إسرائيلية، إنما تأتي الحاجة إلى المصادر الإسرائيلية في إطار دعم مصداقية المعلومة، والتعرف على الآخر عن قرب أكثر، بما يفي بغرض فهمه على نحو أفضل، وقد ذهبنا إلى هذا التفسير بناء على الشخصية الإعلامية للقناة محل الإنشغال.

8- توزيع فئة الإستمالات على عينة الدراسة.

أ- قناة الجزيرة.

جدول رقم 31: الإستمالات الإقناعية في خطاب الجزيرة عن إسرائيل.

الإستمالة	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
العقلية	91	66.91
العاطفية	20	14.71
التخويف	25	18.38
المجموع	**136**	**100**

تبيّن نتائج الجدول رقم 31 أن الجزيرة استخدمت لإقناع جمهورها برسائلها الإعلامية، الإستمالات الإقناعية المتعددة، عقلية وعاطفية واستمالة التخويف، لكنها كثفت بشكل ملحوظ من الإستمالات العقلية، ثم استمالة التخويف والإستمالة العاطفية على نحو متقارب يتقدم فيه أسلوب التخويف. وفي ذلك تماش مع الحظ التحريري للقناة من جهة، ومن جهة أخرى مع طبيعة الواقع الإسرائيلي بمفاعيليه على الساحة العربية، فالعقلانية عموما هي سمة الخطاب الحضاري الذي لا

يخلو من العاطفة، لكنها (أي العقلانية) على نحو خاص سمة الخطاب الحداثي بطابعه الغربي، الذي تنفتح عبره الجزيرة على الإسرائيليين المرتبطين بوثاقة مع العالم الغربي، وفي الآن نفسه تطعم خطابها بشيء من العاطفة التي تعكس في تقديرنا المحافظة على الإرتباط الوجداني مع المشاهد العربي، مثلما ينم ذلك عن المواجهة التي يخوضها مشروع السلام العربي الرسمي، في مواجهة القوة الإسرائيلية النازعة إلى العدوان والإحتلال والإستيطان، الأمر الذي تلجأ الجزيرة إلى التخويف من عواقبه في ملامسة مشتركة للعقل والعاطفة.

ب- قناة الميادين.

جدول رقم 32: الإستمالات الإقناعية في خطاب الميادين عن إسرائيل.

الإستمالة	التكرار(ك)	النسبة المئوية %
العقلية	167	57.19
العاطفية	98	33.56
التخويف	27	09.25
المجموع	**292**	**100**

استخدمت ضمن الخطاب الإعلامي لقناة الميادين مختلف الإستمالات الإقناعية حسبما يتضح من الجدول رقم 32، إلا أن التركيز وقع أكثر على الإستمالات العقلية بما نسبته 57.19%، وتليها في الدرجة على نحو من القرب الإستمالة العاطفية بنسبة 33.56%، في حين جرى استبعاد استمالة التخويف وكان حظها من الإستخدام 09.25%، وتفسير هذه الشاكلة من الإستخدام للإستمالات الإقناعية المتعددة يكمن من حيث المبدأ في طبيعة القناة التي ننشغل بها، كمشروع إعلامي إخباري حديث ساع إلى الإلتزام بالقيم المهنية والإخبارية، وفي هذا الإطار يوسم الخطاب الإعلامي بالعقلانية، التي تعتبر الأنجع والأكثر فعالية في إثارة اهتمام الإنسان الغربي وإحراج المسؤولين عنه، وضمن هذه السيرورة يشتغل الخط السياسي والإفتتاحي للقناة، الذي نعتبره المسؤول المباشر عن وجود الإستمالة العاطفية بشكل بارز، وتربط النزعة التقدمية في خطاب فضائية الميادين بين قيم التحديث[13] وقيم العروبة.

- **الاستنتاجات العامة.**

رسم الخطاب الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية صورة لإسرائيل قوامها مجموعة من الأطروحات الرئيسية، التي قامت في النهاية مقام السّمات المولدَّة عبر اشتغال الرموز داخل الخطاب الإعلامي المذكور وفق حركة محسوبة ومدروسة، ولعلّ أهم موجّهات حركة الرموز التي نتحدث عنها هو الوضع الإستقطابي الذي يشغل الحيّز الجغرافي العربي، وتشكّل تدريجيا بعد مارس 2011، وهو استقطاب له خصوصيته التي تدفعنا إلى الإهتمام به وفهم السيرورة الإعلامية عربيا في ضوئه، فمن هذا المنطلق تباينت من حيث هي تتشابه جزئيات الصورة التي ترسمها كل من الجزيرة والميادين للواقع الإسرائيلي (دولة إسرائيل)، ولعل حلّ هذه المفارقة يكمن مبدئيا في كون الملف الفلسطيني (احتلال فلسطين) ظلّ إلى اليوم تقريبا محط اتفاق بين وحدات النظام الإقليمي العربي، الذي عانى بشكل مزمن من التصدّعات والإنقسامات. لكن هيئة (شكل) الإتفاق الذي نتحدّث عنه بدأت تتعرض لحالة من السيولة[14]، وكان ذلك رسميا منذ نهاية عقد السبعينات ومعاهدة السلام مع مصر، وصولا إلى ما يسمّي اليوم بالتنسيق الأمني بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية في رام الله كإحدى مفرزات اتفاقية أوسلو للسلام.

ويبدو جليّا بعد الآن أن المسؤول الأساسي عن حالة السيولة تلك ليست بأي حال المواقف البراغماتية لبعض الرسميين العرب، بقدر ما هي نتيجة واضحة لتدخلات النظام الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية لتسوية المشكلة. ولعلّه قد تبيّن بعد هذه اللحظة أنّ مشاريع التسوية السياسية في المنطقة العربية، هي مدخل حيوي للغاية لمقاربة الكثير من الظواهر ممّا قد يبدو للوهلة الأولى معقداً جداً ومتناقضا، ومن ذلك الظاهرة الإعلامية والممثّلة في بحثنا هذا بقناتي الجزيرة والميادين الفضائيتين، وخطابهما حول إسرائيل في ظل الأحداث التي تعرفها المنطقة العربية بعد انطلاقة ما سمّي بالربيع العربي، ويتضح ذلك بناء على تساؤلاتنا البحثية وفق المستويات الآتية:

أولا : مستوى الأطروحات.

أ- قناة الجزيرة.

تتركز أطروحات الجزيرة حول إسرائيل في:

- إسرائيل هي:

1- دولة ديموقراطية.

2- دولة مدعومة أمريكيا وغربيا.

3- دولة يمينية وآيلة نحو اليمين المتطرف.

4- دولة تستوطن أراضٍ عربية خارج الشرعية الدولية.

5- دولة تماطل في تسوية مشاكلها مع محيطها العربي والفلسطيني.

6- دولة تواجه تهديداً وجوديا ممثّلا في مشروع مقاومة موزّع على محورين، الأول تبرز فيه حركة حماس والثاني تقوده إيران بقوتها المتنامية.

7- دولة قوية عسكريا ومنشغلة بالإعداد العسكري.

وأبرز هذه الأطروحات في خطاب الجزيرة هو:

- إسرائيل، الدولة التي تماطل في أداء التزاماتها إزاء مشروع السلام العربي (الرسمي)، وتحديداً منه ما يتعلق بالتسوية مع الفلسطينيين في الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967.

ب- قناة الميادين.

تتركز أطروحات الميادين حول إسرائيل في:

- إسرائيل هي:

1- دولة ديموقراطية بمفاعيل عنصرية.

2- دولة مدعومة أمريكيا.

3- دولة يمينية تؤول نحو اليمين المتطرف.

4- دولة استطانية – إحلالية.

5- دولة تتلقى عرضا عربيا رسميا للسلام ولا تستجيب بالشكل المطلوب.
6- دولة تواجه تهديداً وجوديا ممثلا في مشروع مقاومة تقوده إيران بقوتها المتنامية.
7- دولة متشرذمة سياسيا.

وأبرز هذه الأطروحات هو:

- إسرائيل الدولة التي تواجه التحدي الوجودي إثر مشروع المقاومة الذي تقوده إيران بقوتها العسكرية المتنامية.

ثانيا : مستوى الإتجاهات.

أ- قناة الجزيرة.

إن السياق العام الذي وردت ضمنه المواضيع التي تشكّل بؤرة صورة إسرائيل في خطاب الجزيرة هو الحياد، وذلك يستجيب لخطّها السياسي والأيديولوجي الذي تترجمه في شعارها "الرأي والرأي الآخر"، حيث يعبّر هذا الشعار في النهاية عن عالمية التوجّه للقناة، لكن عامل الإنتماء العربي أخذه أثره كذلك ضمن خطاب الجزيرة بخصوص إسرائيل، إذ ظهرت إلى جانب الموقف الحيادي(المهني) نزعات نحو التأييد وأخرى نحو الرفض والمعارضة، وبناء على ذلك أَبْدَتْ الجزيرة نوعا من الميل نحو تأييد:

- عملية السلام.
- الصراع مع حركة حماس.

كما أبدت نوعا من الميل نحو معارضة:

- الإستعدادات العسكرية الإسرائيلية.
- الإستطيان الإسرائيلي في الضفة الغربية والقدس.
- الدعم الأمريكي لإسرائيل.

وأبْدت في الآن نفسه نوعا من التحفظ الذي يميل نحو المعارضة لموضوعي العداء الإسرائيلي لإيران وسوريا وحزب الله، والحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي.

من خلال اتجاهات المواضيع التي شكلت النظام الرئيسي لرموز خطاب الجزيرة بخصوص إسرائيل، تتضح أكثر صورة إسرائيل في قناة الجزيرة، عبر وضوح إضافي لمجموعة الأطروحات المتأتية من نظام الرموز نفسه، وهذا الوضوح الإضافي يتمثل في:

1- التحفظ على جدّية الطابع الديموقراطي لدولة إسرائيل، ونفسره عبر استحضار عامل الإنتماء العربي للجزيرة، التي تلحظ حقيقة الطابع اليهودي/ العنصري لدولة إسرائيل.
2- التحفظ على جدية التهديد الوجودي لإسرائيل من طرف إيران وحلفائها، ونفسره عبر استحضار عامل الإنتماء الإسلامي- السنّي للجزيرة الذي برز فجأة في لحظة من تراكم أحداث ما سمي بالربيع العربي.

ونستخلص بعد عرض هذين التحفظّين سِمَتَين لدولة إسرائيل في خطاب الجزيرة، تبرزان من خلال الأطروحات أو حتى من حركة نظام الرموز الرئيسي المذكور آنفا، وهاتان السّمتان هما:

1- شرعية دولة إسرائيل التي تستمدها من الشرعية الدولية والنظام الدولي (حدود ماسمّي بالخط الأخضر).
2- قوة دولة إسرائيل.

تُفسّر مجمل اتجاهات الجزيرة في تقديرنا من الأرضية (الفكرية) التي تنطلق منها إزاء الصراع العربي- الإسرائيلي، وهي مشروع سلام للتسوية السياسية مع إسرائيل تحت ضغط ورعاية دولية – أمريكية، مع دعم مشروع إسلامي في صبغته السُنّية قابل للتحوير الحداثي لتجديد بناء الدولة الوطنية.

ب- قناة الميادين.

يعتبر الحياد هو السياق العام الذي وردت ضمنه جملة المواضيع التي شكّلت بؤرة صورة إسرائيل في خطاب قناة الميادين الفضائية، وذلك استناداً إلى خطّها الإفتتاحي الذي يجد ترجمته في

شعار القناة "الواقع كما هو"، وهو ينّم عن إبداء الإلتزام بقيم المهنة الإعلامية الحديثة، إلا أن الشخصية الإعلامية للقناة لعبت دوراً في تكوين ما يمكن أن نعتبره تحيّزات فيما يتعلق بمواضيع محدّدة، وهو الوضع الذي له دلالته حتى وإن كان الحياد هو الغالب الأعم، وبناء على هذا فقد أبدت قناة الميادين ميلها نحو تأييد:

- العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا.
- الإنقسامات السياسية الإسرائيلية.

مثلما أبدت نوعا من الميل نحو معارضة:

- تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر.
- الدعم الأمريكي لإسرائيل.
- الإستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام 1967م.

وأبدت في الآن نفسه توازنا قَلِقًا إزاء موضوع عملية السلام، وقبولا تكتيكيا بموضوع ديموقراطية الحراك السياسي الإسرائيلي.

ويُفسّر التوازن القلِق إزاء موضوع السلام تحديداً عبر عامل التجاذبات السياسية الإقليمية والدولية، وخاصة منها حالة التشنّج الطائفي التي يبدو أنها ألقت بظلالها على معادلة الإنقسام الفلسطيني الداخلي، بين السلطة الفلسطينية في مدينة رام الله وحركة حماس في قطاع غزة الذي تحاصره إسرائيل منذ سنوات.

نستخلص بعد عرضنا عرضنا لاتجاهات المواضيع وفق ما سبق، سِمَتَين لدولة إسرائيل في خطاب الميادين تبرُزان من خلال الأطروحات أو حتى من حركة نظام الرموز الرئيسي المشار إليه سابقاً، وهاتان السّمتان هما:

1- عدم شرعية دولة إسرائيل التي فُرضت بالقوة من طرف النظام الإستعماري العالمي.
2- الضّعف (الوهن) الذاتي لدولة إسرائيل.

يمكن تفسير مُجمل اتجاهات مواضيع الميادين التي ولّدت صورة محدّدة للواقع الإسرائيلي، من خلال توصيفنا لحقيقة المشروع الفكري الذي نفترض أنه يضبط حركة الرموز داخل خطاب

الميادين لاسيما إزاء إسرائيل، وهو مشروع مقاومة للوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، تحت قيادة إيرانية– شيعية (تمذهب سياسي) ذات ارتباطات جدلية مع القوى الدولية في الإقليم العربي.

ثالثا : مستوى الإستراتيجيات الإقناعية .

أ- قناة الجزيرة.

اعتمدت الجزيرة بشكل بارز على الإستمالات الإقناعية العقلية، وهي سمة للخطاب الذي لا يسعى إلى نزع الشرعية عن إسرائيل ويقدّرفي الآن نفسه قوّتها، ويسعى قدر الإمكان لاستجلاب حقوقه حصرًا عبر الآليات التي تحدّدها وتشرعنها المنظومة الدولية، التي تشرعن في ذات الآن وجود دولة إسرائيل.

ب- قناة الميادين.

اعتمدت فضائية الميادين بشكل رئيسي على الإستمالات الإقناعية العقلية مدعِّمة إيّاها بشكل ملفت بالإستمالات العاطفية، ونعتبر ذلك سمة للخطاب الذي يسعى إلى استرداد حقوق مشروعة ويلجأ في مقابل ذلك إلى المغالاة في ترديد الشعارات على حساب المنطق العلمي الكفيل باسترداد الحقوق.

مراجع وهوامش الفصل الخامس .

(1): خالفنا سيرورة اختيار الحصص في إطار المقايسة بين الجزيرة والميادين ما عدا في المفردتين الأولتين لكل قناة، بسبب طبيعة المضامين المتوفرة في قناة الجزيرة. وقد تبين– رغم ذلك – التشابه في المضمون المطروح ولو نسبيا في الحصتين الأولتين لكل قناة ضمن مفردات العينة.

(2): حدّد الباحث مفاهيم أنواع اللقطات من خلال تكييفه لما يرد عادة في الأدبيات بهذا الخصوص، مع ما تنقله الدورات التدريبية (الميدانية) لاسيما عبر وسائل الإعلام، فالأمر في النهاية لا يخضع إلى جهد تنظيري صارم، وقد استفدنا في هذا السياق من دراسة عواج سامية بعنوان صورة المرأة في الإشهار التلفزيوني في الوطن العربي. أنظر: عواج سامية، صورة المرأة في الإشهار التلفزيوني في الوطن العربي، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة دالي براهيم، 2011/2010، ص ص 58، 59.

(3): إننا نسترشد هنا بإحدى الدراسات السابقة التي أوردناها في الفصل الأول، وعنوانها تصوّر الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية– الثلاثينات– لـــ: كلثوم السعفي.

(4): تتحدد مسألة الإعتراف من الناحية الدبلوماسية على مستوى شرعية وجود الواقع (الدولة/المنظمة) وليس وجوده في حدّ ذاته، وفي هذا الشأن تواجه إسرائيل مؤخرا ما سميّ بحملة نزع الشرعية، أنظر:

– تحدي نزع الشرعية: تهديد مصيري لإسرائيل، أوراق إسرائيلية، عدد 51، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، ماي 2010.

(5): لعل التبرير الأنسب في تقديرنا يرجع إلى المانع الحداثي الذي يتحاشى الخوض في تعقيدات المسائل الدينية، لاسيما في مستواها كمسوّغات للوجود، ومانع الوقت والتخصص بالنسبة للمسائل الثقافية والإجتماعية، فلا تتم مناقشة هذه النوعيات من القضايا تحت ضغط الملّح والآني والسريع، إلاّ ضمن دوائر ضيقة مدمجة بالسياسي وامتداده العسكري أو الإقتصادي.

(6): نذكر هنا أن اللقطات المقصودة والخاضعة للقياس هي ما تم استخدامة فقط خلال التقارير ومضات الأخبار السريعة، التي تمررها القناة قبل بدء الحوار، وتغطي من خلالها أبرز الحداث والقضايا الإسرائيلية.

(7): إن ما أطلقنا عليه أزمة بنيوية بخصوص نظام إسرائيل السياسي، لا ينفصل البتة عن إسرائيل كواقع، فقد كانت منذ بدايتها معنية بشدة بالدعم الغربي عموما والأمريكي–فيما بعد– خصوصا، كما واجهتها مشكلة الوجود الفلسطيني داخل ما سميّ بالخط الأخضر، والتركيبة الفسيفسائية التي واجهها الإجتماع الإسرائيلي العام، وكان لهذا الحال نتائج فاقمت من الحجم الأولي للأزمة البنيوية، مثل التضخم المزمن والتصادم مع المتدينين الحريديم، والعنصرية تجاه الفلسطينيين بل وحتى تجاه فئات يهودية مثل طائفة يهود الفلاشا وغيرها.

(8): يأتي استخدامنا لتعبير الجدلية الإسرائيلية مرادفا في كثير من الأحيان لاستخدام كلمة إسرائيل، طالما أننا من البداية وضعنا إسرائيل ضمن جدلية الدولة ونظام الإحتلال.

(9): وهذا في حد ذاته يتطلب عرض الواقع بجميع ارتباطاته وإلاّ تصبح العملية الإعلامية مجرّد تضليل.

(10): العملية السياسية الإسرائيلية تحيل إلى جميع نشاطات الحكم التي يمارسها الإسرائيليون على أرض فلسطين منذ عام 1948م، والنظر إليها على أنها شأن عادي.

(11): على غرار شيمون بيريز من حزب العمل، الذي ارتكب مجزرة قانا في لبنان عام 1996م، وهو حائز على الرغم من ذلك على جائزة نوبل للسلام.

(12): على غرار إيهود أولمرت من حزب كديما، وقد ارتكب عديد المجازر في حق اللبنانيين عام 2006، وفي حق الفلسطينيين عام 2008 في غزة خلال الحرب التي سمتها حكومته بالرصاص المصبوب، وكان في هذه الحكومة كوزير خارجية تسيبي ليفني المحسوبة الآن على تيار الوسط وحزبها الحركة (هتنوعا). وضمن تيار الوسط أيضا يأتي يائير لبيد صاحب حزب يوجد مستقبل (يش عتيد)، الذي استنكف أن يتحالف مع أحزاب عربية داخل الخط الأخضر في الكنيست الإسرائيلي، ودعا إلى التجنيد الإلزامي لشباب الحريديم.

(13): رغم إظهار قناة الميادين في عديد موادها الإعلامية رفضها للمنظومة الحداثية (الغربية)، إلا أن الممارسة الإعلامية لها تكشف عن صعوبة تبني هكذا خيار، خاصة مع السير في الإتجاه التقدمي الذي يظل إحدى مفرزات المتتالية التاريخية الغربية.

(14): السيولة عكس الصلابة، وهي إحدى أبرز مظاهر العولمة وتصاعد معدّلات العلمنة في العالم، كما أنها إحدى مقتضيات عصر ما بعد الحداثة.

خاتمـــــة

خاتمة.

تمحورت دراستنا حول معرفة الصورة التي ترسمها الفضائيات الإخبارية العربية لدولة إسرائيل، لاسيما في سياق ما تعرفه المنطقة العربية من تدافع عنيف على إثر أحداث ما سمي بالربيع العربي، وكان أن قمنا بعد الإستناد إلى عديد المعطيات النظرية في هذا الشأن بتحليل عينة من البرامج الحوارية لفضائيتي الجزيرة والميادين الإخباريتين، مسترشدين بمنظور التفاعلية الرمزية الذي شرعن وجهتنا البحثية، لاسيما وقد نظرنا إلى مخرجات الفضائيتين محل التحليل كسرود تأخذ مكانها ومكانتها في عالم اليومي للفرد المستقبل. وبعد إتمام الإجراءات المنهجية وإعمالها النهائي، ارتسمت معالم الصورة الحالية لإسرائيل وفق المحددات الأيديولوجية الخاضعة للتجاذبات الإقليمية، ذات الإتصال السبراني مع الأقطاب الفاعلة للنظام الدولي، فالوسطين الإعلاميين محل البحث والإنشغال لا يخرجان بأي حال في جوهرهما التقني، وفي مفاعيل هذا الجوهر عن الفعل الحداثي، ويصدق هذا مع قناة الجزيرة التي من خلال خطابها العقلاني المطعم ببعض قيم العروبة والإسلام، تشرعن الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، حيث ترى إسرائيل دولة ذات نظام ديموقراطي، قوية عسكريا ومدعومة أمريكيا وغربيا، وفي الآن ذاته معتدية على جيرانها العرب وعلى حق الفلسطينيين في إقامة دولتهم وفق ما منحهم إياه القانون الدولي، وهي أبرز أطروحة تعرضها الجزيرة عبر التأكيد على موضوع الإستيطان الإسرائيلي في الأراضي المحتلة عام 1967م، الذي مالت إلى معارضته تماما مثل ميلها إلى تأييد موضوع عملية السلام الذي غلب على عالمها الرمزي.

أما قناة الميادين الفضائية فترى بشكل عقلاني مشوب بالعواطف في إسرائيل دولة فصل عنصري رغم شعاراتها الديموقراطية، لاغية الشرعية فهي استيطانية من الأساس ومدعومة من الغرب، وفوق هذا فهي فاسدة من الداخل ومنقسمة سياسيا واجتماعيا، لكن هذه السمات أو الأطروحات تظل حبيسة طموحات جيو–سياسية إيرانية، تعاظمت حسبما يبدو أيضا بسبب ضعف الموقف العربي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

القرآن الكريم.

ثانيا: المراجع

I- المعاجم والموسوعات

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.

2- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، (1429هـ - 2008).

3- أندرو إدجار وبيتر سيد جويك، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري ، ط1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 2009.

4- جون فرانسوا دورتيي، معجم العلوم الإنسانية، ترجمة جورج كتورة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، أبو ظبي،(1430هـ - 2009).

5- طارق سيد وأحمد الخليفي، معجم مصطلحات الإعلام، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.

6- طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، م د و ع، بيروت، سبتمبر2006.

7- عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة والإجتماع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

8- عبد الوهاب المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية، الموسوعة الموجزة، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2006.

9- عيسى العوفي وعبد الرحمن الجميدي، القاموس العربي الأول لمصطلحات علوم التفكير، ط1، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2010.

10- محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.

11- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.

12- مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

13- المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، (1425هـ - 2004).

ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 2011

II- الكتب: العربية والمعرّبة

1- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2010.

2- أحمد سوسة، أبحاث في اليهودية الصهيونية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، 2003.

3- أديب خضور، صورة العرب في الإعلام الغربي، ط2، المكتبة الإعلامية، دمشق، 2009.

4- آرثر أسابيرغر، وسائل الإعلام والمجتمع وجهة نظر نقدية، ترجمة صالح خليل أبو إصبع، عالم المعرفة، الكويت، مارس2012.

5- أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الإتصال، ترجمة الصادق رابح ونصر الدين لعياضي، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

6- آسبابيرغر وبيتر بورك، التاريخ الإجتماعي للوسائط، ترجمة مصطفى محمد قاسم، عالم المعرفة، 315، الكويت، 2005.

7- إسماعيل علي سعد، الرأي العام بين القوة والأيديولوجيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.

8- إسماعيل ناصر الصمادي، نقد النص التوراتي، ط2، دار علاء الدين، دمشق، 2009.

9- ألكيسي جورافكسي، الإسلام والمسيحية، ترجمة خلف محمد الجراد، عالم المعرفة، 215، نوفمبر 1996، الكويت.

10- أمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين، عالم المعرفة، 250، الكويت، 1999.

11- أمين عبد الله محمود، مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية1، عالم المعرفة، الكويت، 1984.

12- أنتوني غيدنز، علم الإجتماع، ترجمة فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة.

13- أنطوان شلحت، بنيامين نتنياهو عقيدة اللاحل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية(مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014.

14- إيان كريب، النظرية الإجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد غلوم ومحمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، أبريل 1999.

15- إيلان هليفي، إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة، ترجمة فارس غريب، دار المنابر، 2000.

16- إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، دار الفضيلة.

17- أيمن منصور ندا، الصور الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، المدينة برس.

18- برنار ميبج، الفكر الإتصالي من التأسيس إلى منعطف الألف الثالثة، ترجمة أحمد القصوار، ط1، توبقال للنشر، المغرب، 2011.

19- برهوم جرايسي، جهات الضغط والتأثير على دوائر القرار في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014.

20- بشرى جميل إسماعيل، الإبداع الإعلامي في الفضائيات العربية، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

21- بول ريكور، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

22- جبارة عطية جبارة، علم اجتماع الإعلام، ط1، دار الوفاء لدنيا النشر والطباعة، الإسكندرية، 2002.

23- جوزيف س ناي، القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2007.

24- جون بودريار، المصطنع والإصطناع، ترجمة جوزيف عبد الله، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، أفريل 2008.

25- جيم مارس، الحكم بالسر: التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات، ترجمة محمد منير إدلبي، ط5، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2009.

26- حامد عبد الماجد قويسي، دراسات في الرأي العام، ط1، دار الشروق الدولية، القاهرة، 2003.

27- الحبيب الجنحاني، المجتمع المدني والتحول الديموقراطي في الوطن العربي، منشورات الزمن(مطبعة النجاح الجديدة)، الدار البيضاء، 2006.

28- حسن الشيخ، اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

29- حسن محمد الزين، الربيع العربي آخر عمليات الشرق الأوسط الكبير، ط1، دار القلم الجديد، بيروت، لبنان، 2013.

30- حسن مكاوي وليلى السيد، الإتصال ونظرياته المعاصرة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998.

31- حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، ط1، م د و ع، بيروت، 1988.

32- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ط1، دار الأمان، الرباط، 2013.

33- دومنيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2008.

34- روجي غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة محمد هشام، ط4، دار الشروق، القاهرة، 2002.

35- روجي غارودي، محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002.

36- رولان بارث، أسطوريات أساطير الحياة اليومية، ترجمة قاسم المقداد، دار نينوى للنشر والتوزيع والدراسات، سورية، 2012.

37- رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1987.

38- رومان ياكبسون،الإتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة على صالح وحسن ناظم، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002.

39- ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ترجمة فؤاد الزاهي، ط1، دار المأمون للترجمة و النشر، بغداد-العراق.

40- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت، 1988.

41- زهير إحدادن، مدخل لعلوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

42- ستيوارت آلان، ثقافة الأخبار، ترجمة هدى فؤاد، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2008.

43- سعيد محمد السقا، جذور الحداثة وما بعد الحداثة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2014.

44- سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصور الذهنية، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، مسقط، 2005.

45- سمير محمد حسن، بحوث الإعلام، ط2، عالم الكتب، القاهرة،1995.

46- سمير محمد حسين، الإعلام والإتصال بالجماهير والرأي العام، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1996.

47- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، عالم المعرفة، الكويت، يناير2005.

48- شوقي أبو خليل، أطلس دول العالم الإسلامي، ط2، دار الفكر، دمشق، 2003.

49- صباح ياسين، الإعلام الفضائي في الوطن العربي، ط1، م د و ع، بيروت، 2013.

50- صفاء جبارة، الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

51- طه الزيدي وآخرون، دراسات في تأثير القنوات الفضائية على المجتمع وفئاته، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، العراق، 2013.

52- عاطف عدلي العبد وزكي أحمد عزمي، الأسلوب الإحصائي واستخداماته في بحوث الرأي العام والإعلام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

53- عبد الحميد حيفري، التلفزيون الجزائري واقع وآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

54- عبد الرحمن عزي، دراسات في نظرية الإتصال، ط1، م د و ع، بيروت، ديسمبر 2003.

55- عبد العزيز ركح، مابعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، ط1، منشورات الإختلاف، دار الأمان، الرباط، 2011.

56- عبد الغفار رشاد القصبي، الإتصال السياسي والتحول الديموقراطي، مكتبة الآداب، القاهرة،2007.

57- عبد الفتاح عبد النبي، سوسيولوجيا الخبر الصحفي، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.

58- عبد الله فتحي الظاهر وعلي أحمد المعماري، أثر القنوات الفضائية في القيم الإجتماعية والسياسية، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

59- عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجيا الصهيونية، عالم المعرفة، الكويت، 1982.

60- عبد الوهاب المسيري، البروتوكولات واليهودية والصهيونية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2003.

61- عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2007.

62- عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2002.

63- عبد الوهاب المسيري، اليد الخفية، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2001.

64- عبد الوهاب المسيري، دراسات معرفية في الحداثة الغربية، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006.

65- عبد الوهاب المسيري، فكر حركة الإستنارة وتناقضاته، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998.

66- عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2002.

67- عصام موسى قنيبي، اليهود القدماء والمعاصرون، ط1، دار العلوم للطباعة والنشر، دمشق، 2009.

68- عطا الله سليمان وعمر كامل حسن، الجغرافيا السياسية الجديدة للعالم العربي في ضوء العولمة الثقافية، دار ومؤسسة رسلان، دمشق، 2008.

69- علاء هاشم مناف، فلسفة الإعلام والإتصال: دراسة تحليلية في حفريات الأنساق الإعلامية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، (1432ه-2011م).

70- علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1981.

71- فادي نحاس، إسرائيل والأغوار بين المفهوم الأمني واستراتيجيات الضم، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2012.

72- فارس عطوان، الفضائيات العربية ودورها الإعلامي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

73- فكتور أوستروفسكي، عن طريق الخداع، ترجمة هشام عبد الله وآخرون، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1990.

74- فليب كابان وجون فرانسوا دورتيي، علم الإجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، ترجمة إياس حسن، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2010.

75- فيليب بروتن وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدّة، 2011.

76- كلثوم السعفي، تصوّر الصحف الصهيونية التونسية للدولة اليهودية في الثلاثينات دراسة في صحف: الحلوز الفجر اليقظة اليهودية، ط1، شرق برس، قبرص، ماي 1989.

77- كليفورد لونجلي، الشعب المختار: الأسطورة التي شكلت إنجلترا وأمريكا، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1، الجزء1، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، 2003.

78- لمياء طالة، الإعلام الفضائي والتغريب الثقافي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، 2013.

79- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر، دمشق،(1420ه-2000).

80- محسن الكناني، تقنيات الحوار الإعلامي«الجزيرة نموذجا»، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2012.

81- محمد إبراهيم البدري، بين البهائية والماسونية نسب، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1986.

82- محمد بن سعود البشر، أيديولوجيا الإعلام، دار غيناء للنشر، الرياض، 1429هـ.

83- محمد ثابت الشاذلي، البهائية صليبية الغرس إسرائيلية التوجيه، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999.

84- محمد حسام الدين، المسؤولية الإجتماعية للصحافة، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003.

85- محمد خليفة حسن أحمد، تاريخ الديانة اليهودية، ط1، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة 1998.

86- محمد عبد الحميد، تحليل المحتوى في بحوث الإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985.

87- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد: المصطلح والنشأة والتجديد، ط1، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، 2006.

88- محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والإجتماعية، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002.

89- مرعي مدكور، الصحافة الإخبارية، دار الشروق، القاهرة، 2002.

90- موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، ط2، دار القصبة للنشر، 2004.

91- موسى جواد الموسوي وآخرون، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، جامعة بغداد، 2011.

92- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير.

93- ناجية أقجوج، الصورة النمطية للإسلام في المتخيل الغربي، ط1، أنفو برانت، فاس، 2009.

94- نبيل السهلي، ملامح البنية البنية الديموغرافية لإسرائيل حتى عام 2015، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008.

95- نبيل حداد، في الكتابة الصحفية، د ط، دار الكندي، عمان، 2002.

96- نهوند عيسى القادري، الإستثمار في الإعلام وتحديات المسؤولية الإجتماعية (النموذج اللبناني)، ط1، م د و ع، بيروت، 2013.

97- نهوند عيسى القادري، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية: الوقوف على تخوم التفكك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008.

98- نهى عاطف العبد، صناعة الأخبار التلفزيونية في عصر البث الفضائي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007.

99- نورمان فاركلوف، تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبة، ط1، م د و ع، بيروت، 2009.

100- نيفين مسعد وآخرون، كيف يصنع القرار في الأنظمة العربية، ط1، م د و ع، بيروت، جويلية 2010.

101- هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية :نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

102- هيثم هادي الهيتي، الرأي العام بين التحليل والتأثير، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2014.

103- وليام جاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، 2011.

104- يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوّف اليهودي، ترجمة نظير جاهل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995.

105- يوسف تمار، تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين، ط1، طاكسيج-كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

III- المذكرات والرسائل

1- استبرق فؤاد وهيب، المعالجة الإعلامية للإحتلال الأمريكي للعراق تحليل مضمون مجلة النيوز ويك، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، 2009.

2- بدرة كعسيس، سيميائية الصورة في تعليم اللغة العربية، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، جامعة سطيف2، 2010/2009.

3- بلحسيني نصيرة، الصورة الفنية في القصة القرآنية قصة سيدنا يوسف عليه السلام نموذجا، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة تلمسان، 2006/2005.

4- جمعة بورجوح، آليات تعريف المصطلح العروضي في كتاب العمدة، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة ورقلة، 2012/2011.

5- حياة خلفاوي، مفهوم الحقيقة عند مارتن هايدجر، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة قسنطينة، 2006/2005.

6- عزيز لبان، علاقة الإدمان على المشاهدة التلفزيونية ببناء الأفراد للحقائق الإجتماعية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2008/2007.

7- عواج سامية، صورة المرأة في الإشهار التلفزيوني في الوطن العربي دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة دالي براهيم، 2011/2010.

8- لشطر ربيعة، التصورات الإجتماعية لأطفال الشوارع (مدينة عنابة نموذجا)، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة سكيكدة، 2009/2008.

9- محمود إسماعيل ريان، الإتزان الإنفعالي وعلاقته بكل من السرعة الإدراكية والتفكير الإبتكاري، مذكرة ماجستير، جامعة الأزهر، غزه، 2006.

10- نابي عبد القادر، دور جامعة الدول العربية في الحفاظ على السيادة الإقليمية للدول الأعضاء، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2015/2014.

11- وقنوني باية، أثر العلاقات العامة على سلوك المستهلك النهائي دراسة حالة شركة أوراسكوم لاتصالات الجزائر جازي، مذكرة ماجستير(غير منشورة)، جامعة بومرداس، 2008/2007.

IV- الدوريات

1- إسرائيل ديموغرافيا 2010-2030: في الطريق نحو دولة دينية، أوراق إسرائيلية، عدد55، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، نوفمبر 2011.

2- أمال بلحاج قاسم، وسائل الإعلام الجماهيرية في ضوء السوسيولوجيا البنائية الوظيفية ومدرسة فرانكفورت، مجلة الإذاعات العربية، عدد1- 2013، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.

3- أمل جمّال، قوننة العنصرية الجديدة في إسرائيل: اقتراح قانون الدولة القومية للشعب اليهودي نموذجا، مجلة جدل، عدد 23، جوان 2015، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية (مدى الكرمل).

4- أنطوان شلحت، بن غوريون بنظرة راهنة، أوراق إسرائيلية، عدد62، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، جانفي2013.

5- تحدّي نزع الشرعية: تهديد مصيري لإسرائيل، أوراق إسرائيلية، عدد51، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، ماي 2010

6- جاد ملكي وأمل ديب، تأطير الحرب: تغطية الإعلام المرئي العالمي لحرب لبنان 2006، المستقبل العربي، عدد 413، جويلية 2013، م د و ع، بيروت.

7- جمال بن رزوق، القيم السياسية والثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد5-ماي2010، جامعة سكيكدة.

8- حسن حنفي، عالم الأشياء أم عالم الصور، مجلة فصول، عدد 62، 2003.

9- حسين الأنصاري، الخطاب المرئي والتفاعلية مع التحولات العربية الراهنة، مجلة الإذاعات العربية، عدد2-2013، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.

10- خزينة الدولة الإسرائيلية:الحاضنة الحقيقية للإستيطان والإحتلال، أوراق إسرائيلية، عدد65، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله،2014.

11- خليدة كعسيس خلاصي، الربيع العربي بين الثورة والفوضى، مجلة المستقبل العربي، عدد 421، مارس 2014- م د و ع، بيروت.

12- خليل برويني وآخرون، صورة مايكوفسكي في شعر عبد الوهاب البياتي وشيركوه بيكه س، دراسة صورولوجية في الأدب المقارن، مجلة إضاءات نقدية، السنة2، عدد8، جانفي2012.

13- زيدان الجبوري، مفهوم الصورة الذهنية في العلاقات العامة، الباحث الإعلامي، عدد9و10، أيلول 2010.

14- سعيد درويش، الرمز والرمزية في الفن التشكيلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مجلد29، عدد1، 2013.

15- سليمان تقي الدين، الطائفية والمذهبية وآثارهما السياسية، المستقبل العربي، عدد 408- فيفري 2013، م د و ع، بيروت.

16- سمير أحمد معلوف، الصورة الذهنية دراسة في تصوّر المعنى، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، مجلد26، عدد1+2، 2010.

17- شهيرة بن عبد الله، الحرب في وسائل الإعلام: آليات بناء المعنى وإنتاج المعرفة، المستقبل العربي، عدد429، نوفمبر 2014، م د و ع، بيروت.

18- الصادق الحمامي، مفهوم الوساطة، مجلة إتحاد الإذاعات العربية، عدد1، 1999، تونس.

19- عبد الخالق عبد الله ومعتز سلامة، الإتحاد الخليجي: دوافعه ومستقبله في ظل واقع خليجي متغير، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد46/45- شتاء/ ربيع 2015.

20- عبد الوهاب الأفندي، كتابة وقائع الثورة المتلفزة: حضور البصر وغياب البصيرة في قراءة وقائع ثورات الربيع العربي، مجلة سياسات عربية، عدد 18-جانفي2016.

21- عبد الوهاب الرامي، الوظائف الإعلامية للتلفزيون: أي تمثل لوظيفة التثقيف؟، مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2015، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.

22- عصام سليمان الموسى، تطوير الخبر العربي: الهرم المقلوب الثنائي المقدمة للإتصال الجماهيري، المجلة التونسية لعلوم الإتصال، عدد 51-52، جويلية 2008- جوان 2009، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس.

23- عواطف عبد الرحمن، أزمة العقل الإعلامي الأكاديمي والمهني، مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2011، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.

24- فادية المليح حلواني، لغة الإعلام العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد31، عدد3-2015.

25- فالح عبد الجبار، المشكلة الطائفية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، عدد 408- فيفري 2013، م د و ع، بيروت.

26- محمد بديوي الشمري، معالم التجديد والإنغلاق في الخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر، الباحث الإعلامي، عدد8، مارس2010.

27- محمد شطاح، قيم العنف في الإعلام الإستعراضي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد6- نوفمبر2010، جامعة سكيكدة.

28- محمد قيراط، صناعة الوفاق الإجتماعي: دور وسائل الإتصال الجماهيري في التحكم الإجتماعي وبناء الواقع، المجلة التونسية لعلوم الإتصال، عدد 47/48 جويلية 2006- جوان 2007، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس.

29- منصور بن لرنب، صورة الذات وصورة الآخر في الثقافة الجزائرية، مجلة الوسيط جزء14، دار هومة للنشر والتوزيع، 2007.

30- مهند مصطفى، انتخابات الكنيست 2015: تغيرات بنيوية واصطفافات اجتماعية سياسية، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد57، ماي 2015، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار).

31- ناديج فيزينات، حول الدولة محاضرات في الكوليج دوفرانس 1989-1992، ترجمة محمد الإدريسي، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد46/45- شتاء/ ربيع 2015.

32- نبيل الصالح، ديموغرافيا إسرائيل: دلالات جديدة، أوراق إسرائيلية، عدد66، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله- سبتمبر2015.

33- نصر الدين لعياضي، السيميائيات وإستراتيجية بناء المعنى، الباحث الإجتماعي، عدد10، سبتمبر2010.

34- نصر الدين لعياضي، الصورة في الأخبار التلفزيونية العربية: بين النظر والرؤية، المجلة التونسية لعلوم الإتصال، عدد 53-54، جويلية 2009- جوان 2010، معهد الصحافة وعلوم الأخبار، تونس.

35- نهود عيسى القادري، إشكالية الحوارات السياسية على الفضائيات العربية، مجلة الإذاعات العربية، عدد1-2006، إتحاد إذاعات الدول العربية، تونس.

36- نور الدين ثنيو، مسألة مابعد الكولونيالية، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 32- خريف2011.

V- الدراسات والبحوث

1- بوشعيب الساوري، إشكالية الإنتقال من المفهوم إلى المصطلح، ورقة مقدمة ضمن أشغال الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، 10/09/مارس2011، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

2- جوني منصور، إسرائيل والإستيطان: الثابت والمتحول في مواقف الحكومات والأحزاب والرأي العام(1967-2013)، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، جويلية 2014.

3- سلوى الشرفي، الإعلام العمومي والفضاء العمومي: لايستقيم الواحد منهما وعود الآخر أعوج، أشغال الملتقى الدولي حول وسائل الإعلام العمومية العربية وعمليات التحول الديموقراطي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 2013.

4- عصام سليمان الموسى، الرأي العام في الغرب والعالم العربي: منظور اتصالي، أشغال الملتقى الدولي الإعلام والرأي العام في مرآة العالم العربي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 13-14 نوفمبر 2008.

5- فتيحة السعدي، فعل الإتصال التلفزيوني والرأي العام: مقاربة نفسية اجتماعية، أشغال الملتقى الدولي الإعلام والرأي العام في مرآة العالم العربي، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 13 و 14 نوفمبر 2008.

6- محمد شطاح، مستقبل المهنة والعملية الإخبارية في التلفزيونات العربية: مقاربة استشرافية، أشغال الملتقى الدولي صحفي اليوم في عصر عولمة الإتصال، 21 و 22 أفريل 2011، منشورات وحدة البحث ووسائل الإعلام والمجتمع، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 2014.

7- منصف العياري وآخرون، المعالجة الخبرية التلفزيونية العربية بين المتطلبات المهنية والتوجهات السياسية، إتحاد إذاعات الدول العربية، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية(58)، تونس، 2006.

8- مهند مصطفى، المستوطنون من الهامش إلى المركز: رؤية المستوطنين للصراع من غوش إيمونيم إلى البيت اليهودي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله،2013.

9- نبيل الصالح، عنف المستوطنين وأثره على الفلسطينيين، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2014.

10- نهوند عيسى القادري، الفضاء اللبناني وسراب الإتصال العمومي، أشغال الملتقى الدولي الإتصال العمومي: المقاربات والتحولات والرهانات، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس،2007.

11- يحي اليحياوي، التواصل السياسي أو في جدلية العلاقة بين الإتصال والسياسة، أشغال الملتقى الدولي الإتصال السياسي في العالم العربي وأفريقيا: المقاربات وآليات الممارسة، معهد الصحافة وعلوم الأخبار ومؤسسة كونراد أديناور، تونس، 2014.

VI- **التقارير**

1- البث الفضائي العربي، التقرير السنوي2014، إصدارات اتحاد إذاعات الدول العربية.

2- تقرير مدار الإستراتيجي2016، المشهد الإسرائيلي2015، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام للطباعة، رام الله، 2016.

3- المشهد الإسرائيلي2012، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، مؤسسة الأيام، رام الله، 2013.

VII- **بالأجنبية**.

– **Livres:**

1- Bernard Reich, a brief history of israel, 2end ed, facts on file, New york, 2008.

2- Claudine tiercelin, la pensée-signe: études sur c.s.peirce, édition jacqueline Chambon, 1993

3- Colin shindler , a history of moderne israel, 2end ed , combridge university press, New york, 2013.

4- David hamidovic et des autres, aux origines des messianismes juifs, actes du colloque international tenu en sorbonne à Paris, les 8 et 9 juin 2010, brill, leidon, boston, 2013.

5- Dominique Maingueneau , analyser les textes de communication, 2eme éd, armand colin, 2007.

6- Edward.E Said, L'orientalisme-L'orient crié par l'occident, la couleur des idées (seuil), la france, 2005.

7- Elisa silverman, understanding israel today, mitchell lane,usa, 2015.

8- Ephraim kahana, historical dictionary of israeli intelligence, the scarecrow press,USA,2006.

9- Eric Denécé et David El kaim , les services secrets israeliens, tallandier, Paris, 2014.

10- Israel finkelstein, un archiologue au pays de la bible, traduit de langlais par sophie gallé-soas , Bayard, Paris, 2008.

11- Israel Knohl, the messiah before Jesus, university of California pres, USA, 2000.

12- Karim EL-Gendy, the process of Israeli decision making-méchanisms, forces and influences, 1st ed, al zaytouna centre for studies, Beirut, 2010.

13- Réjis debray, cours de médiologie générale, édition gallimard, 1991.

14- Umberto éco, la production des signes, librairie générale francaise, 1992.

15- Walter Lippmann, le public fantôme, tr Laurence decréau édition demopoles , Paris, 2008.

16- Walter Lippmann, public opinion: with new introduction by Michael curtis, tronsaction publishers, london, 1991.

– **Périodiques:**

1- Roland Barthes, éléments de sémiologie, revue communication, volume 4, 1964.

– **Thèses:**

1- Dominique trudel , Guerre communication public: Walter lippmann et l'émergence d'un problème, thése présenté en vue de l'obtention du grade de PHD en communication, université de montréal , mars 2013.

– **Etudes:**

1- Patrick yves badilo et Dominique bourgeois,l'impact des médias sur les médias: un essai d'analyse quantitative de la perception des médias arabes par les médias occidentaux, institut de presse et des sciences de l'information avec la fondation konrad adenauer, Tunis,2006.

VIII- **مواقع الكترونية.**

1- عبد النبي ذاكر، سيميائية الصورة الثقافية، مجلة الصورة ، عدد2 ، 1999 ،

http://schoully.x10.mx/Assoura/Assoura-No2/02-002.PDF

2- جاد عويدات، التغطية الإخبارية الفرنسية – العراق نموذجا.

http://www.almoofta7.com/vb/showthread.php?t=7830#.WDlbmNJog_

3- محمد الشرقاوي، الإسلام والمسلمون في الإعلام الأمريكي: الصورة النمطية والمتخيل الراهن، مركز الجزيرة للدراسات، 2016/02/22 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2016/2/22/20162294237173734Islam-Muslims-Americanmedia.pdf

4- حسناء حسين، قضية اللاجئين في الخطاب الإعلامي الأوروبي:السياقات والأهداف، مركز الجزيرة للدراسات، 2015/12/23 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2016/1/11/20161111256976734refugee%20issue.pdf

5- محمد خلوق، الإسلام والقضية الفلسطينية في الإعلام الألماني: رؤية نقدية، مركز الجزيرة للدراسات، 2014/11/16 .

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2014/11/17/20141117655334157 34Islam-Palestinian.pdf

6- هشام محمد حسين، العلاقات العامة بين القناعة والتهميش في الوطن العربي، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي.

http:// www.abahe.co.uk/.../Public-**relations**-**between**-the-conviction-and-Negligence.pdf

7- حامد عبد الماجد قويسي، مفهوم النظام الرسمي العربي: رؤية نقدية تحليلية، مركز الجزيرة للدراسات، 2009/04/01 .

http://studies.aljazeera.net/ar/files/2009/201172122175593193.html

8- جمال عبد الله وآخرون، مسيرة التعاون الخليجي: التحديات الراهنة والسيناريوهات المحتملة، مركز الجزيرة للدراسات، أفريل 2014.

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/1/15/20151514221493173 4Gulf-file.pdf

9- نصر الدين لعياضي، الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعياته، مركز الجزيرة للدراسات، أكتوبر 2015.

http://studies.aljazeera.net/ResourceGallery/media/Documents/2015/10/7/20151079581262158 0SectarianRhetoric-religiousChannels.pdf

10- رسالة صدام إلى بوش الأب.

http://www.aljazeera.net/archive/pages/4e905f05-b179-4d79-bc6e-09a4ce958353/be59a36a-1cff-4709-8196-fe9510887fa2

11- عبد الحسين شعبان، كيسنجر والتاريخ والفلسفة، 2016/02/23.

http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2016/2/23/

12- حياة الحويك عطية، بحثا عن ثقافة ديموقراطية في خطاب الفضائيات الإخبارية العربية، 2011/05/08.

http://hayathawoyek.com

13- حياة الحويك عطية، الإرتباط بين علوم الإتصال والجماهيري والتطورات السياسية، 12/05/15.

http://hayathawoyek.com

14- Thierry meyssan , wadah khanfar : aljazeera et le trionph de la propagande télévisuelle. 23/09/2011

http://www.voltairnet.org/article 171460.html

15- ديفيد. ب . روبرتس، فهم أهداف السياسة الخارجية القطرية، جويلية2012.

http://www.isgleb.org.

16- فريديريك ويري، الحسابات الخليجية في الصراع السوري، 12/06/ 2014.

http://www.carnegie-mec.org.

17- موقع قناة الميادين على الشبكة الدولية.

http://www.almayadeen.net/

18- محاضرة لـــ د عمر الغول حول مخطوطات البحر الميت.

http://www.youtupe.com/watch?v=p6201FADXK

19- إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، ملخص لـــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية 2007.

www.palestine-studies.org/ar/books/

20- تغطية خاصة: الحكومة الإسرائيلية 34 برئاسة نتنياهو، إعداد: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) بالتعاون مع دائرة شؤون المفاوضات،2015/05/20.

WWW.madarcentre.org.

21- تحديث المفاهيم الأساسية للتصور الأمني الإسرائيلي.

http://www.bahethcenter.net/essaydetails.php?eid=8610&cid=24

22- عدنان أبو عامر، علاقة السياسي بالعسكري وأثرها على صناعة القرار الإسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات.

http://studees.aljazeera.net

23- إستراتيجية الجيش الإسرائيلي: مركز الزيتونة للدراسات، سلسلة ترجمات الزيتونة (79)، سبتمبر2015.

http://www.alzaytouna.net

24- المخابرات الإسرائيلية إلى أين؟ التحليل والتوجهات والتوصيات، مركز الزيتونة للدراسات، (2010/08/10).

http://www.alzaytouna.net

25- أحمد أمارة، المخططات لتوطين البدو في النقب، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، ملفات مدى، الملف رقم01، 2013.

http://mada-research.org/wp- ontent/uploads/2013/.../Prawer_Mada.pdf

26- أنطوان شلحت، جماعات جباية الثمن سيف الإستيطان الإسرائيلي، المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، ملفات مدى، أشكال من العنف الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين، ملف رقم2، 2014.

http://mada-research.org/wp-content/uploads/2014/10/antone_shalhat-6.pdf

27- سالم الخماش ، المعجم وعلم الدلالة.

http://www.khamash.cjb.net

28- زينة عبد الستار الصفار، نظرية الصورة الذهنية وإشكالية العلاقة مع التنميط، (الباحث الإعلامي).

http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=4233

29- جميل حمداوي، سيميوطيقا الصورة المرئية أو البصرية.

http://www.alukah.net/library/0/61044/

30- امطانس شحادة وإيناس خطيب، النخب الإقتصادية في المشهد السياسي الإسرائيلي، المركز العربي للدراسات الإجتماعية التطبيقية(مدى الكرمل)، برنامج دراسات إسرائيل، أوراق بحثية2، نوفمبر 2013.

http://mada-research.org/wp-content/uploads/2014/02/tickon-final.pdf

ملاحق

ملاحـــــــق: _____

ملحق رقم 01: استمارة تحليل المحتوى.

-1-

القناة	
الشعار	
البرنامج	
الدورية	
التوقيت	
المدة	

-2-

زمن القضايا في البرنامج	**السياسة**															
	الاقتصادية															
	العسكرية															
	الدينية															
	الاجتماعية															
	الثقافية															
	فلسطيني48															
ضيوف البرنامج	**ش. عربية**															
	ش. غربية															
	ش. إيرانية															
	ش. فلسطينية															
	ش. إسرائيلية															
	ش. روسية															
	ش. فلسطيني48															
الإخراج الفني	**مؤثرات صوتية**															
	لقطات واسعة جداً															
	لقطات واسعة															
	لقطات متوسطة															
	لقطات أمريكية															
	لقطات مقربة															
	لقطات مقربة جداً															

ملاحـــــــق: _____

-3-

															أ	1	النظام السياسي الإسرائيلي وأزماته البنيوية
															ب		
															ج		
															أ	2	
															ب		
															ج		
															أ	3	
															ب		
															ج		
															أ	4	
															ب		
															ج		
															أ	5	
															ب		
															ج		
															أ	6	
															ب		
															ج		
															أ	7	
															ب		
															ج		
															أ	08	نظرية الأمن الإسرائيلية
															ب		
															ج		
															أ	09	
															ب		
															ج		
															أ	10	
															ب		
															ج		
															أ	11	
															ب		
															ج		
															أ	12	
															ب		
															ج		
															أ	13	
															ب		
															ج		
															أ	14	
															ب		
															ج		
															أ	15	
															ب		
															ج		

ملاحـــــــق: _____

الهجرة و الاستيطان	16	أ																
		ب																
		ج																
	17	أ																
		ب																
		ج																
	18	أ																
		ب																
		ج																
	19	أ																
		ب																
		ج																
	20	أ																
		ب																
		ج																
	21	أ																
		ب																
		ج																

-4-

القيم ضمن المواضيع المكرّرة في البرنامج	الديموقراطية	أ																
		ب																
		ج																
	التسامح	أ																
		ب																
		ج																
	المواطنة	أ																
		ب																
		ج																
	العدالة	أ																
		ب																
		ج																
	المساواة	أ																
		ب																
		ج																
	الصراع	أ																
		ب																
		ج																
	السلام	أ																
		ب																
		ج																

ملاحـــــــق: _____

-5-

الفاعلين	شخصيات سياسية															
	شخصيات عسكرية															
	شخصيات دينية															
	شخصيات اقتصادية															
	شخصيات حقوقية															
	شخصيات إعلامية															
	شخصيات أمنية															

ملاحـــــــق: _____

-6-

سمات الفاعلين	**يمينية**															
	يمينية متطرفة															
	وسطية															
	يسارية															
	حقوقية															
	عمالية															

ملاحـــــــق: _____

-7-

المصادر	**إسرائيلية**															
	فلسطينية															
	عربية															
	غربية															
	إيرانية															
	روسية															
	فلسطيني 48															

-8-

الاستمالات الإقناعية	**استمالات عقلانية**															
	استمالات عاطفية															
	استمالات التخويف															

ملاحـــــــق: _____

دليل الاستمارة:

- ش = شخصيات
- فلسطين 48 = الفلسطينيون داخل الخط الأخضر أو الأراضي المحتلة عام 1948.
- أ = مؤيد ، ب = محايد، ج = معارض.
- الأرقام:

1 = الحراك السياسي الديموقراطي الإسرائيلي.

2 = الدعم الأمريكي لإسرائيل.

3 = تهميش الفلسطينيين داخل الخط الأخضر.

4 = الانقسامات السياسية الإسرائيلية.

5 = المتابعات القضائية بتهم الفساد للقادة الإسرائيليين.

6 = تنامي تيار الحريديم والصهيونية الدينية.

7 = التقليصات الاجتماعية في الموازنة الإسرائيلية.

8 = الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية.

9 = الصراع الإسرائيلي مع حركة حماس.

10 = العداء الإسرائيلي لإيران وحزب الله وسوريا.

11 = التعامل الإسرائيلي مع النفوذ الروسي في سوريا.

12 = المخاوف الإسرائيلية من الحكومة المصرية.

13 = العلاقات الإسرائيلية مع السلطة الفلسطينية في رام الله.

14 = عملية السلام.

ملاحـــــــق: _____

15 = الحركات الاستيطانية الإسرائيلية.

16 = الأحزاب الاستيطانية الإسرائيلية.

17 = الاستيطان الإسرائيلي في الضفة والقدس.

18 = عنف المستوطنين الإسرائيليين.

19 = اقتحامات المستوطنين الإسرائيليين للمسجد الأقصى.

20 = تهجير البدو الفلسطينيين من صحراء النقب.

21 = حق العودة الفلسطيني.

ملاحـــــــق: _____

ملحق رقم 02: المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية.

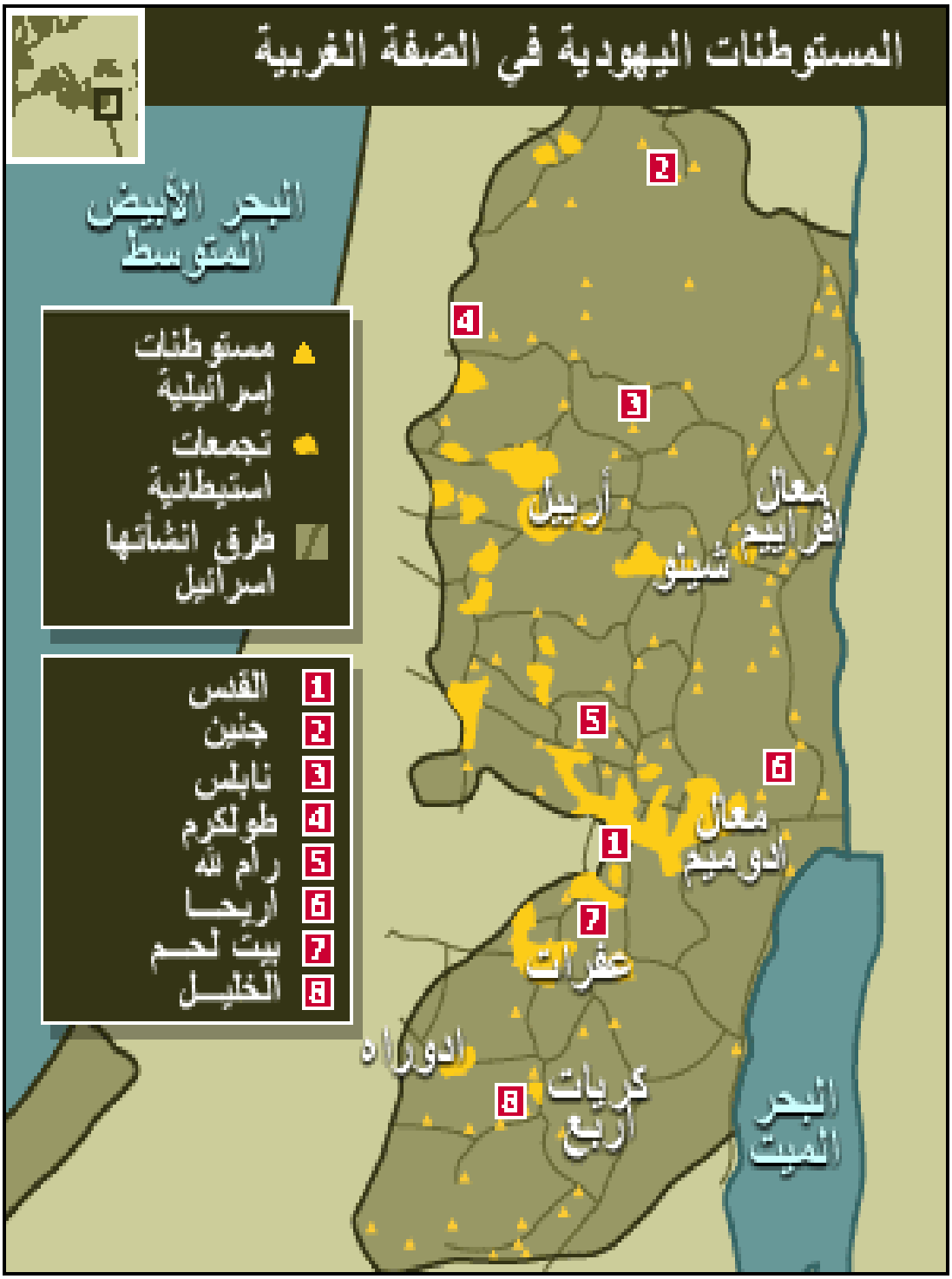

المصدر:

http://www.bbc.com/arabic/specials/meast_maps/3.shtml

ملخصات

ملخص بالعربية:

تهدف دراستنا التي تتمحور حول صورة إسرائيل في الفضائيات الإخبارية العربية- دراسة تحليلية لقناتي الجزيرة والميادين- إلى التعرف على الحقيقة السياسية والاجتماعية والثقافية لدولة إسرائيل، وعنينا بها – إجمالا- حقيقة الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، عبر ما تعرضه عينة الفضائيات المذكورة بخصوص إسرائيل، من خلال اهتمامنا ضمن حدود هذا الهدف المكوّن المعرفي الذي يبرز أطروحات الخطاب الإعلامي لتلكم العينة حول ما يسمى بدولة إسرائيل، ذلك أن المفاهيم والمعاني المصنوعة عبر ذاك الخطاب والمنبثقة عن مجموعة علامات متشابكة، تمثل في تقديرنا بؤرة الصورة المراد دراستها. وارتباطا مع هذا الهدف الجزئي وقع اهتمامنا أيضا بالمكوّن الوجداني الذي يفصح عن اتجاه المعالجة الإعلامية للشؤون الإسرائيلية في الخطاب محل التحليل، ثم استهدفنا المكوّن السلوكي للرسالة الإعلامية الذي يشمل الاستراتيجيات الإقناعية الأمر الذي من شأنه تسهيل النفوذ إلى التموضع الأيديولوجي لصاحب القرار الإعلامي من جهة، ومن الجهة المقابلة التخمين حول التموقع المطلوب من متلقي الرسالة الإعلامية. وقد جاء سعينا لتحقيق هذه الجملة من الأهداف مرتبطا من البداية بطبيعة الظروف التي أحاطت بالمنطقة العربية وسميت إعلاميا بالربيع العربي، حيث كانت بمثابة متغير ساهم في تقدير جديد لموقف الوجود الإسرائيلي في المنطقة العربية، وبناء على هذا كله انطلقنا من تساؤل رئيسي مفاده:

كيف رسم الخطاب الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية صورة إسرائيل ووجه الاهتمام بها في سياق الصراع السياسي الناشئ عن الحراك العربي الذي ابتدأ مطلع سنة 2011؟ وضمن التساؤل قمنا بطرح عدة تساؤلات فرعية:

- ما هي مختلف الأطروحات التي تتشكل منها صورة إسرائيل في الخطاب الإعلامي الفضائيات الإخبارية العربية؟ وما محور هذه الأطروحات؟
- ما هو الاتجاه الذي أخذته معالجة الفضائيات الإخبارية العربية للمواضيع والقضايا التي تشكل بؤرة صورة إسرائيل في خطاب هذه الفضائيات؟

ملخصـــــات: _____

- ما هي الاستراتيجيات الإقناعية المعتمدة في القرار الإعلامي للفضائيات الإخبارية العربية حين صوغه لصورة إسرائيل؟

وابتغاء الحصول على إجابات لهذه التساؤلات والوصول من ثم إلى تحقيق أهداف الدراسة، ثم السير وفق خطة بحثية أبعد ما تكون عن التكديس، حيث يتساند الجانبان النظري والميداني(التحليلي- المكتبي) لبلورة إجابة محددة عن التساؤل المركزي للدراسة، ففي الجانب النظري عمدنا أولا غلى التعمق أكثر في مفهومي الصورة والخطاب، ثم ربطهما بالإعلام كحقل معرفي، مما نتج عنه ارتباط الصورة بالرأي العام والنظرية اللسانية وأخيراً ببناء الواقع الاجتماعي، في حين ارتبط مفهوم الخطاب الإعلامي بالاختيارات الأيديولوجية وفي النهاية بإنتاج تمثل الآخر.

لقد كان ما توصلنا إليه بداية بخصوص الصورة والخطاب وتجلياتهما الإعلامية، حافزاً توجيهيا لنا حين الانتقال ثانيا غلى تناول موضوع الفضائيات العربية عموما والإخبارية منها خصوصا، وذلك عبر النظر والتفكير مبدئيا في ظاهرة البث التلفزي العربي ضمن سياقاتها، أين يثبت سريعا أن النظام السياسي هو أهم عوامل التأثير ضمن بيئة الاتصال العربية، وأن مشاكل هذا النظام المسمى في الأدبيات بالنظام الرسمي العربي ستنعكس في علاقة تأثير وتأثر متشعبة على القرار الإعلامي للفضائيات العربية. وقد شد انتباهنا أن أبرز المشاكل التي يتعرض لها النظام الرسمي العربي في سياق الأحداث التي سميت بالربيع العربي هو المشكلة الطائفية، مما جعلنا لا نتوانى عن تناول الفضائيات الإخبارية لاسيما الفضائيتين محل الانشغال(الجزيرة والميادين) في ضوء حالة الاستقطاب الطائفي التي تمرّ بها المنطقة العربية، نظرا لمفاعيل هذه الحالة على عملية صناعة الرأي العام في العالم العربي، التي تزداد أهميتها في حال وقوع تحديات إستراتيجية على غرار الوجود الإسرائيلي في الإقليم العربي، وهنا تحديداً تصبح عملية صناعة الرأي العام إنتاجا لتمثل الآخر، هذا الأخير الذي جهدنا في التقديم له ضمن الخطوة الثالثة من الجزء النظري لبحثنا، حيث وضحنا حدود فهم المسألة اليهودية ممثلة في ثلاث خطوط عريضة أساسية هي: التوراة واليهودية من حيث هي نظام كهنوتي مرتبط بالنزعة الحلولية وأخيرا الصهيونية كحركة سياسية

ملخصـــــات: _____

ذات جوهر مسيحاني (مسياني)، وجميع هذه الخطوط العريضة متصل بوثاقة بإشكالية الرابطة العصبية الإسرائيلية، وعلى هذا المرتكز تم تأسيس دولة إسرائيل التي يأخذ وجودها في منطقة القلب من العالم العربي طابعا جدليا ترجمناه إلى ثلاثة قضايا مفاهمية، الأولى منها هي النظام السياسي وأزماته البنيوية والثانية هي نظرية الأمن الإسرائيلية والقضية الخيرة هي الهجرة والاستيطان.

إن هذه القضايا المفاهيمية الثلاث وعبر حدود فهم المسألة اليهودية هي ما يفترض أنه الواقع، الذي أردنا من البداية أن نقترب من هيئته ضمن نطاق فضائيتي الجزيرة والميادين، مسترشدين بمنظور التفاعلية الرمزية الذي يشرعن في الآن نفسه اتجاهنا البحثي على المستويين النظري والميداني(التحليلي- المكتبي)، وقد كان اختيارنا له أول إجراء منهجي قمنا به، تلا ذلك تحديدنا لمنهج الدراسة الذي هو منهج المسح بالعينة، وفي إطاره استخدمنا تحليل المحتوى كأداة لجمع البيانات ثم إعمالها مع ملاحظة العملية، لتحليل عينة عمدية من البرامج الحوارية بلغت 30 عدداً، مقسمين بالتساوي بين قناتي الجزيرة والميادين، وشمل الاختيار برنامج ما وراء الخبر في الجزيرة وخلف الجدار في الميادين، وقد اخترنا تماشيا مع أهداف دراستنا مجموعة من الفئات والوحدات التحليلية، أما الفئات فتتمثل على مستوى الشكل في: فئة الزمن والإخراج الفني وفئة الضيوف، وعلى مستوى المضمون في فئات: الموضوع، اتجاه الموضوع، القيم، اتجاه القيم، الفاعلين السمات، المصدر، الاستمالات. وأما الوحدات فقد استخدمنا وحدتي الزمن والفكرة.وجميع هذه الإجراءات قادتنا إلى تحديد حقيقة سياسية واجتماعية وثقافية لدولة إسرائيل في الخطاب الإعلامي للعينة المذكورة، إلا أن هذه الحقيقة ظلت حبيسة الخيارات الأيديولوجية المحكومة بدورها بالعوامل الجيو- سياسية الضاغطة، مما جعل إسرائيل تبدو في خطاب الجزيرة دولة عادية(لها شرعية الوجود) ديموقراطية علمانية وفق النمط الغربي، مع شعارات دينية- يهودية واضحة، وهي مدعومة من العالم الغربي وفي طليعته الولايات المتحدة الأمريكية هما أهّلها أكثر لتكون دولة متفوقة استراتيجيا على محيطها العربي، الذي تدخل معه في صراع إقليمي حوّلها إلى دولة معتدية تحتل أراضي عربية وتستوطن فيها، وتستضعف أهلها، والحل في متخيل الجزيرة هو التسوية السلمية التي تتجاوب مع مقاومة إسلامية قابلة للتحديث. أما في قناة الميادين فتبدو إسرائيل دولة

ملخصـــــات: _____

فصل عنصري بخلفية دينية يهودية وشعارات ديموقراطية، ومدعومة غربيا وأمريكيا، وآيلة نحو المزيد من التشرذم والفساد الاجتماعي والسياسي، وهي فوق هذا دولة استيطانية لاغية الشرعية رغم تفوقها الاستراتيجي، والحل في متخيل الميادين هو المقاومة المرتهنة لتسوية إيرانية – غربية.

RÉSUMÉ

Notre étude sur l'image d'Israël dans les chaines satellitaires arabes d'information - étude analytiques de les chaines Aljazeera et Al Mayadine- vise à identifier la réalité politique, sociale et culturelle d'Israël, en dénotant dans l'ensemble, la réalité de l'existence israélienne dans la région arabe, à travers ce qu'exposent les chaines satellitaires citées auparavant à propos Israël. Cela vient de notre intérêt – dans les limites de cet objectif- du composant cognitif qui met en évidence le discours médiatique de cet échantillon sur ce qu'on appelle « l'état d'Israël » , notant que les concepts et les significations produits par ce discours provenant de plusieurs signes reliés, représentent - a notre avis- le centre d'intérêt d'image qu'on veut l'étudier.

Ayant une relation avec cet objectif partiel, notre intérêt se focalise également sur le composant émotionnel qui dénote l'attitude du traitement médiatique des affaires israélienne dans le discours analysé, nous nous sommes intéressés aussi du composant comportemental du message médiatique qui englobe les stratégies persuasives, ce qui facilite l'influence au positionnement idéologique des patrons du domaine médiatique, d'une part, et de l'autre part le positionnement désiré des destinataires du message médiatique.

Notre désir de réaliser ces objectifs était lié des circonstances qui entourent la région arabe appelées par les medias « le printemps arabe »

Ce printemps était un variable qui a contribué à une nouvelle estimation de l'existence israélienne dans la région arabe,

On pose la question principale suivante ;

Comment le discours médiatique des chaines satellitaires arabes a-t-il dessiné l'image d'Israël, et attiré l'attention sur elle dans le contexte du conflit politique émergeant du mouvement arabe qui était déclenché au début de l'année 2011 ?

Les questions secondaires

ملخصـــات :

- Quelles sont les différentes thèses qui constituent l'image d'Israël dans le discours médiatique des chaines satellitaires arabes d'information ? et quel est le pivot de ces thèses ?

- Quelle est l'attitude que prend le traitement de ces chaines pour les sujets et les affaires qui composent l'essence de l'image d'Israël dans son discours ?

- Quelles sont les stratégies persuasives adoptées dans la décision médiatique des ces chaines en formant l'image d'Israël ?

Et pour répondre à ces questions, et pour réaliser les objectifs de notre étude, on a suivie un plan méthodologique loin de l'empilage, dont on a employé le coté théorique avec le coté pratique «analytique- bureautique » pour trouver des réponses exacts aux questions proposés, Alors dans le coté pratique, on a essayé d'approfondir dans les concepts « image et discours », puis les associer avec le champs médiatique comme un champs scientifique, on a aboutit alors à relier l'image avec l'opinion publique, avec la théorie linguistique, et finalement avec la construction du vécu social, et relier le discours médiatique avec les choix idéologiques et la représentation de l'autre .

A travers la recherche sur l'image, le discours et leurs manifestations médiatiques, on était motivé pour aborder le sujet des chaines satellitaires arabes en général et les chaines d'information en particulier, en examinant le phénomène de la diffusion les televisions arabes dans son contexte, ou on a trouvé que le système politique est un facteur d'influence déterminant dans l'environnement de la communication arabe, et que les problèmes de ce système nommé « système officiel » influencera la décision médiatique des chaines arabes.

On a constaté que le problème sectaire est le problème le plus apparent dans le contexte des événements qu'on appelle le printemps arabe, de cela on a pris les chaines satelitaires notamment les deux chaines analysée Al jazeera et Al mayadine, on les a pris dans le contexte de la polarisation sectaire vécue dans la région du monde arabe, soulignant l'impact de cet état sur le processus de la production de l'opinion publique dans le monde

arabe, notamment aux moment des défis stratégiques tel que l'existence Israélienne dans la région, où la production de l'opinion publique est production de la representation de l'autre.

Dans la troisième partie théorique de notre recherche, on traité le judaïsme sous trois grandes lignes importantes ; Torah, judaïsme comme un système d'ordination sacerdotale, et finalement le sionisme comme un mouvement politique d'origine messianique, et tous cela est fortement lié à la problématique de la fondation israélienne, dont son existence au cœur du monde arabe évoque plusieurs débats, on les a traduits en trois questions conceptuelles ; le système politique et ses crises structurelles, la théorie israélienne de la sécurité, et l'immigration.

Ces trois concept, et à travers la compréhension de la question juive, constituent le vécue dont a essayé de l'analyser dans le discours des deux chaines Al jazeera et Al mayadine, prenant la théorie d'interaction symbolique qui donne la légitimé scientifique à notre recherche au niveau théorique et pratique, puis on a choisi la méthode d'enquête par échantillon, dont on a utilisé l'analyse de contenue et l'observation scientifique comme des outils méthodologiques. On a analysé un échantillon de 30 programmes de talk show devisés en deux 15 programmes d'Aljazeera et 15 programmes d'Al mayadine ; dont on trouve le programme de 'Ma waraa Al khabar' ' derrière la nouvelle' d'Aljazeera et 'ma waraa Am jidar' 'derrière le mur' d'Almayadine.

Les catégories et les unités d'analyse ont été choisis selon les objectifs d'étude ; les catégories de la formes sont ; le temps, la réalisation artistique et les invités, tandis que les catégories du contenue sont ; le thème, l'attitude du thème, les valeurs, l'attitude des valeurs, les facteurs, les caractéristiques et la source. Concernant les unités d'analyse on a utilisé le temps et l'idée.

Ces procédures méthodologiques nous ont conduit à déterminer la réalité politique, sociale et culturelle d'Israël dans le discours médiatique des chaines étudiées, notant que cette réalité dépendait toujours des choix idéologiques et des facteurs géopolitiques, ce qui a donné la légitimité à l'état israélienne, dans Al jazeera, et l'a considéré comme un état

démocratique, séculaire selon le système occidentale, avec de slogans religieux juifs. Cependant Al mayadine voit Israël comme un état raciste d'origine religieux juifs avec des slogans démocratiques soutenues par les pays occidentaux et l'Amérique.

SUMMARY IN ENGLISH :

Our study aims Israel image centred on Arabic News satellite tv – by an analytical study of Al Jazeera and mayadine- to learn about the political, social and cultural reality of the State of Israel, we mean in fact the Israeli presence in the Arabic region through the satellite channels that we have mentioned earlier regarding Israel have taken care of cognitive component which highlights theses media discourse around what is called the State of Israel ,because the concepts and meanings are made through this speech represents the focus of the image that we want to study.

Also we have taken care of emotional component that reflects the direction of Israeli Affairs information processing. And we moved to the behavioral component of information massege which includes persuasive strategie that would facilitate the influence of ideological positioning of media decision on the one hand, On the other hand monitoring of the recipient's reaction and see how has repositioned. Our goals have been associated from the outset with the circumstances surrounding the Arabic area named in the media discourse the Arab spring Where a variable contributed to providing a new appreciation for the position of Where a variable contributed to providing a new appreciation for the position of the Israeli presence in the Arabic region based on all that we started from a major content question : How media discourse transfer to Arabic News satellite the image of Israel drew attention in the context of the political conflict emanating from the Arab movement which started in 2011?.

Within this question we ask several sub questions Which are :

- What are the various treatises that make up Israel's image in the media discourse and Arabic News satellite tv? What is the focus of these theses?
- What is the direction taken by Arabic News satellite processing of topics and issues that constitute the focus of Israel's image in a speech of that satellite tv?

- What are the persuasive strategies adopted in resolution Arabic News satellite tv media while drafted for Israel's image?

In order to get answers to these questions and to achieve the objectives of the study we were walking under a plan in which there shall be theoretical side research and field work to develop a specific answer from the central question of the study.

On the theoretical side, At first we go deeper into the concept of image and speech and then linked to the media as the Gnostic field resulting to that the image link with public opinion and linguistic theory, while the concept of associated media discourse by ideological choices and eventually produce the representations of the others.

I've had it beginning about image and discourse and their information's indications guiding incentive when we moved to address the subject of Arabic satellite channels and newsletter through consideration and reflection on the phenomenon of Arab television broadcasting within their contexts where proof quickly that the political system is the most important influence in Arabic connection environment.

And that the problems of this system named the Arab formal system would be reflected in several affected effect relationship resolution Arabic satellite tv media.

starboard that highlight problems posed by the formal system in the context of the events called the Arab spring is sectarianism Which made us not relent from satellite tv news channel from Al Jazeera and El-mayadine given the impact of this situation on the process of making public opinion in the Arab world which is more important in the case of strategic challenges similar to Israel's presence in the Arab region here are specific public opinion industry productive process to represent the other.

The other that we tried hard in his filing under the third step of the theoretical part search as shown within the understanding of the Jewish issue in three basic fonts : Torah and Judaism as a priestly system linked to a rationally immanent tendency finally Zionism as a political movement

with the essence of Christianity. All of these outlines offline problematic Israeli neurological Association And on this principle has been the establishment of the State of Israel, which takes its presence in the region of the heart of the Arab world is arguably nature we translated it for three conceptual issues : The first is the political system and structural woes, and the second is the Israeli security theory and recent are migration and settlement.

These three conceptual issues are supposedly reality that we wanted from the beginning of the whole approach in a speech Channel Al Jazeera and El- mayadine the interactive perspective firmed symbolism that makes for strong theoretical level and field office.

Our choice was the first systematic procedure done, then we determine to study a sample survey approach, We used content analysis as a tool for collecting data and then employ them with scientific observation Intentional sample analysis of talk shows 30 episodes, divided evenly between the channel Al Jazeera and El- mayadine the selection included The programme « Behind the news » on Al Jazeera and «Behind the wall » on El- mayadine .

We have chosen in line with the objectives of the study group of analytical units and groups, The categories are on the level of form in the category of time, artistic output, guests at the class program at the level of content in categories: subject, toward the subject, values, direction, values and personality traits, source, orientation We have units unit time and unit idea.

All this actions has led to determine the political, social and cultural reality of the State of Israel in the media discourse of the mentioned sample. But the fact remained locked in ideological options in turn controlled pressing geopolitical factors. Making Israel look in Al Jazeera channel a normal State legitimacy, democratic and secular as Western style. With Jewish religious slogans is clear and is supported by the Western world and in the United States with enabling more to be strategically superior state on Arab surroundings, enter them in conflict

ملخصـــات :

Make it look like a regional aggressor State occupies Arab lands and endemic and were particularly vulnerable thier population. And the solution in the mind of Al Jazeera is peaceful Islamic resistance responsive updatableand concerning El- mayadine channel Israel, look like apartheid State with religious and Jewish background , democratic slogans and backed us and Western It is close to disperse and social and political corruption, a legitimate strategic superiority though abolished settlement and its solution is resistance to Iranian-Western settlement.